

أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد



أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

د. صالح بن مطر الهطالي
www.alhatali.com



جميع الحقوق محفوظة وسجالة

الطبعة الأولى
١٤٤٠م - ٢٠١٩م



واتساب: ٩٧٥٤٩٢٢٣
ruaadar@gmail.com
تويتر: @ruaadar

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لدى ،
مركز غاية المراد للصوتيات والمرئيات
سلطنة عمان - نزوى
هاتف رقم : ٢٥٤١٠٨٧٣ - فاكس رقم : ٢٥٤١١١٩١
هاتف الإدارة : ٩٩٨٩٩٩٨٣
E-mail: ghayatalmurad@gmail.com
مكتبة وتسجيلات غاية المراد



مكتبة غاية المراد
GHAYAT AL MURAD BOOKSHOP

مكتبة السيدة فاطمة الزهراء
هاتف: 92908620
25434506 92988061



تنفيذ طباعي

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان / بئر العبد - هاتف: ٣٤١٣٢٥٦ ٠٠٩٦١
موبايل: ٣٩٠٢٩٤٤ ٠٠٩٦١
E-mail: dar.alkari2012@gmail.com
بغداد - العراق / شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا
موبايل: ٧٧٢٢٢٩٧١٢١

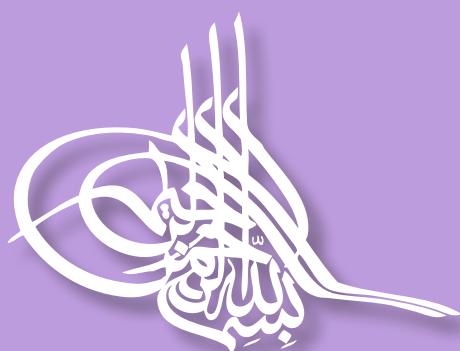
د. صالح بن مطر الهطالي

أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

تقديم:
فضيلة الشيخ الدكتور
ماجد بن محمد بن سالم الكندي

رؤى





فهرس الكتاب

شكرو عرفان.....	١٥
تقديم.....	١٧
مقدمة الكتاب.....	٢١
لماذا الحديث عن الاستقامة في مجال الاقتصاد؟.....	٢٢
لماذا وكيف يحارب الغرب الاستقامة؟.....	٢٥
الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية.....	٣١
١ - مفاهيم حول الإنتاجية في العمل.....	٣٣
تعريف الإنتاجية.....	٣٣
أسباب تدني الإنتاجية.....	٣٤
٢ - وسائل رفع الإنتاجية.....	٣٧
رفع الإنتاجية بالتفوق العلمي.....	٣٧
رفع الإنتاجية بإتقان العمل.....	٣٧
رفع الإنتاجية بتشغيل العاطلين عن العمل.....	٤٥
٣ - خاتمة الفصل.....	٥٥
الفصل الثاني: الزكوات والأوقاف والأضاحي.....	٦١
١ - زكاة المال.....	٦٣
أثر الزكاة في نمو المجتمع واستقراره.....	٦٦

- ٨٠..... حساب عائدات زكاة المال.
- ٨٣..... كيفية توجيه الزكاة لرفعة الأمة وتنميتها.
- ٨٧..... ٢- زكاة الفطر.
- ٨٩..... حساب عائدات زكاة الفطر.
- ٩٠..... ٣- الأوقاف.
- ٩١..... مشروعية الوقف.
- ٩٢..... فوائد الوقف وحكمه.
- ٩٤..... من مميزات الوقف وخصائصه.
- ٩٦..... نماذج مشرفة من الأوقاف الإسلامية.
- ١١٨..... إحصائيات وأرقام عن الأوقاف الإسلامية.
- ١١٩..... الاعتداء على نظام الوقف وممتلكاته.
- ١٢٢..... حساب عائدات الأوقاف.
- ١٢٩..... قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن استثمار الوقف.
- ١٣٣..... ٤- الأضاحي.
- ١٣٥..... مشروع الاستفادة من أضاحي العيد.
- ١٣٧..... حساب عائدات الأضاحي.
- ١٣٩..... ٥- خاتمة الفصل.
- ١٤١..... الفصل الثالث: إحياء الأرواح.
- ١٤٦..... ١- أفغانستان.
- ١٤٦..... موجز تاريخ أفغانستان السياسي.
- ١٤٨..... العلاقات الروسية الأفغانية.
- ١٤٩..... الاجتياح الروسي البلشفي لأفغانستان.

- ١٥١..... حكومة المجاهدين
- ١٥٦..... حركة الطالبان
- ١٦٢..... الغزو الأمريكي لأفغانستان
- ١٧١..... حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في أفغانستان
- ١٧٥..... ٢- العراق
- ١٧٥..... موجز تاريخ العراق
- ١٧٩..... المطامع الاستعمارية البريطانية
- ١٨٠..... قيام الجمهورية العراقية
- ١٨١..... استيلاء حزب البعث على مقاليد الحكم
- ١٨٣..... حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية: ١٩٨٠م - ١٩٨٨م)
- ١٨٦..... حرب الخليج الثانية (حرب الكويت عام ١٩٩١م)
- ١٩٢..... الحصار الأمريكي الجائر على العراق
- ١٩٤..... جرائم صدام حسين
- ١٩٩..... الغزو الأمريكي للعراق
- ٢١٠..... آثار الغزو الأمريكي على العراق
- ٢١٢..... جرائم ومخازي نوري المالكي
- ٢١٥..... الجرائم التي ارتكبتها الأمريكان في العراق
- ٢٣٤..... تنظيم داعش والدولة الإسلامية
- ٢٤٠..... حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في العراق
- ٢٤٤..... ٣- حرب الإبادة ضد الشعب الكشميري
- ٢٤٥..... تاريخ الصراعات الدائرة في كشمير
- ٢٥١..... جرائم الهندوس



- ٢٥٦..... انتهاكات حقوق الإنسان
- ٢٥٩..... أوضاع المرأة الكشميرية
- ٢٦١..... الأوضاع الاجتماعية
- ٢٦٢..... التعاون الصهيوني الهندوسي
- ٢٦٥..... حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في كشمير
- ٢٦٧..... ٤ - الصومال بين القتل والتنصير
- ٢٦٧..... الأوضاع الاجتماعية
- ٢٦٩..... الصومال قبل الاحتلال الأمريكي
- ٢٧١..... الاحتلال الأمريكي للصومال
- ٢٧٣..... المحاكم الإسلامية وإنقاذ الصومال
- ٢٧٨..... الإثيوبيون ووكالة مكافحة الإرهاب في الصومال
- ٢٨١..... فترة ما بعد الغزو الإثيوبي
- ٢٨٣..... حركة الشباب المجاهدين
- ٢٨٨..... حركة القرصنة وتهديداتها الدولية
- ٢٩١..... التنصير يجري فوق صفيح ساخن
- ٢٩٥..... محاولات الاستقرار واستتباب الأمن
- ٢٩٨..... حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في الصومال
- ٥ - حساب العائد الإجمالي لإنقاذ الأرواح في أفغانستان والعراق وكشمير والصومال
- ٣٠١.....
- ٣٠٣..... ٦ - خاتمة الفصل
- ٣٠٣..... الخلل الداخلي
- ٣٠٥..... الغطسة هي من مقدمات الانهيار



الاستقامة هي سبيل عزة الأمة.....	٣٠٧
الاستقامة وفقه الواقع.....	٣٠٨
الفصل الرابع: التخلص من الديون.....	٣١٣
اللعبة القذرة للدول الكبرى.....	٣١٥
الواقع المرير للعالم الإسلامي.....	٣١٧
الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عن مديونيات الدول الإسلامية.....	٣٢٠
الحل الإسلامي للخروج من أتون الديون.....	٣٢٢
١ - الاستثمارات الخارجية.....	٣٢٢
٢ - الأصول الاحتياطية في الدول الأجنبية.....	٣٢٣
٣ - الصناديق السيادية.....	٣٢٤
٤ - التجارة الخارجية.....	٣٢٥
٥ - الثروات الخاصة للأفراد.....	٣٢٦
٦ - إيجاد البيئة الملائمة لجلب الاستثمارات الخارجية.....	٣٢٩
حساب العائدات الاقتصادية للتخلص من الديون وتبعاتها.....	٣٣٠
الفصل الخامس: زيادة العائدات من النفط والغاز.....	٣٣٣
نعمتا النفط والغاز وأثرهما في اقتصاد الدول الإسلامية.....	٣٣٣
نهب ثروات النفط والغاز.....	٣٣٦
حساب الزيادة في عائدات النفط والغاز.....	٣٤١
الفصل السادس: خفض الإنفاقات العسكرية.....	٣٤٣
سباق التسلح.....	٣٤٤
الآثار السلبية لتزايد الإنفاق العسكري.....	٣٤٧
حساب العائدات من تقليص الإنفاقات العسكرية.....	٣٥٠

الفصل السابع: الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن..... ٣٥١

إحصائيات بعدد رجال الشرطة والأمن والمنشآت الأمنية في الدول الإسلامية..... ٣٥٣

العائد الإجمالي من الاستغناء عن نصف رجال الشرطة والأمن..... ٣٦٢

الفصل الثامن: التخلص من الأمراض الفتاكة..... ٣٦٥

عدد المصابين بالأمراض الفتاكة عالمياً..... ٣٦٦

عدد المصابين بالأمراض الفتاكة في العالم الإسلامي..... ٣٦٨

الآثار الأخرى التي يعاني منها حاملو الأمراض الفتاكة..... ٣٦٩

حساب العائدات التي يمكن توفيرها من جراء التخلص من الأمراض

الفتاكة..... ٣٧١

تكلفة التعامل مع هذه الأمراض..... ٣٧١

العائد الإنتاجي لتشغيل المصابين أو المتوفين بسبب الأمراض الفتاكة..... ٣٧٣

المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها بعد التخلص من الأمراض

الفتاكة..... ٣٧٤

الفصل التاسع: تخفيض حوادث السَّير والجرائم المختلفة..... ٣٧٥

حوادث السَّير..... ٣٧٦

الخسائر الاقتصادية لحوادث السير..... ٣٧٨

حساب العائدات التي يمكن توفيرها من خفض حوادث السير..... ٣٧٩

حوادث القتل المُتعمَّد والانتحار..... ٣٨٠

حساب العائد الاقتصادي من خفض نسبة القتل المُتعمَّد في العالم

الإسلامي..... ٣٨٢

حوادث السرقة..... ٣٨٣

حساب العائدات الاقتصادية من خفض حوادث السرقة..... ٣٨٤

٣٨٥.....	عمليات تهريب المخدرات.....
٣٨٦.....	تجارة المخدرات وتعاطيها عالمياً.....
٣٨٧.....	تجارة المخدرات وتعاطيها في العالم الإسلامي.....
٣٨٨.....	حساب العائدات الاقتصادية لتخفيض حالات تعاطي المخدرات وتهريبها.....
٣٩٠.....	الحرائق المتعمدة.....
٣٩٠.....	حساب العائدات من تخفيض نسبة الحرائق المتعمدة.....
٣٩١.....	حساب العائدات من خفض نسبة حوادث السير والجرائم المختلفة.....
٣٩٣.....	الفصل العاشر: مصاريف الحكام.....
٣٩٥.....	الامتيازات التي يحصل عليها الحكام.....
٣٩٧.....	الامتيازات التي يحصل عليها أفراد عائلات الحكام.....
٣٩٨.....	الامتيازات التي يحصل عليها المُقربون من الحكام.....
٣٩٩.....	قصور الحكام.....
٤٠٠.....	امتيازات الحراس ورجال الأمن الشخصيين.....
٤٠١.....	مصاريف الخدم الخاص.....
٤٠٢.....	مصاريف تسيير نظام الحكم وترسيخه.....
٤٠٤.....	المجموع الكلي لمصاريف الحكام.....
٤٠٥.....	الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام.....
٤٠٦.....	حملات تحديد النسل ومنع الحمل.....
٤٠٧.....	نظرة تاريخية موجزة لانتشار موجة تحديد النسل.....
٤٠٩.....	تآمر أعداء الله على تحديد النسل عند المسلمين.....
٤١٢.....	أنواع موانع الحمل وأضرارها.....

- ٤١٣.....هدر أموال المسلمين في حملات تحديد النسل ومنع الحمل
- ٤١٤.....حساب العائدات التي يمكن توفيرها من حملات تحديد النسل
- ٤١٥.....الإعلام المعادي للإسلام
- ٤١٦.....القنوات الفضائية ودورها في حرب الإسلام
- حساب الأموال التي يمكن توفيرها من الحملات الإعلامية للقضاء على الإسلام
- ٤١٧.....
- ٤١٨.....مكافحة الإرهاب
- ٤٢١.....تغيير المناهج الدراسية وأثرها في مسخ الهوية الإسلامية
- ٤٢٢.....أنماط متعددة للحرب على الإرهاب
- ٤٢٤.....الأموال التي يمكن توفيرها من حملات القضاء على الإرهاب
- المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها من حملات القضاء على الإسلام
- ٤٢٦.....

٤٢٧.....الفصل الثاني عشر: مقاطعة البضائع الأجنبية

- ٤٢٨.....المقاطعة رمزٌ للتصدّي لهيمنة الدول الكبرى
- ٤٣٠.....الوسائل الفعّالة لمقاطعة البضائع الأجنبية
- ٤٣٣.....دور المسلم المستقيم في حملات المقاطعة
- ٤٣٤.....حساب العائدات الاقتصادية لمقاطعة المنتجات الأجنبية
- ٤٣٥.....مقاطعة مطاعم الوجبات السريعة الغربية
- ٤٣٥.....مقاطعة المشروبات الغازية
- ٤٣٥.....مقاطعة مستلزمات الأطفال
- ٤٣٦.....مقاطعة المنظفات الأجنبية
- ٤٣٦.....مقاطعة أدوات التجميل والمكياج

مقاطعة السيارات والمعدات الأمريكية والأوروبية والهندية.....	٤٣٧
مجموع ما يمكن توفيره عند مقاطعة بعض المنتجات الأجنبية.....	٤٣٧
الفصل الثالث عشر: التخلُّص من أمهات الخبائث.....	٤٣٩
تعاطي الخمر والمسكرات.....	٤٤٠
الاستهلاك العالمي والإسلامي للخمر.....	٤٤٢
الآثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية لظاهرة تعاطي الخمر.....	٤٤٣
العائد الاقتصادي لاختفاء ظاهرة تعاطي الخمر.....	٤٤٦
البغاء والاعتصاب والشذوذ الجنسي.....	٤٤٧
انتشار آفات البغاء والاعتصاب عالمياً.....	٤٥٠
تفشي ظاهرة البغاء والاعتصاب في العالم الإسلامي.....	٤٥٢
صُورٌ أخرى للبغاء والعُهر.....	٤٥٣
تحوُّل البغاء إلى تجارة رائجة.....	٤٥٤
آفة الشذوذ الجنسي وزواج المثليين.....	٤٥٦
العائدات الاقتصادية لاختفاء ظاهرة البغاء والاعتصاب والشذوذ الجنسي.....	٤٥٨
حالات الطلاق.....	٤٥٨
الآثار المدمِّرة للطلاق.....	٤٥٩
أسباب الطلاق.....	٤٦١
واقع الطلاق في العالم الإسلامي.....	٤٦٤
العائدات الاقتصادية من خفض حالات الطلاق.....	٤٦٦
التدخين.....	٤٦٦
الاستهلاك العالمي من التبغ.....	٤٦٨



- ٤٧٠..... الآثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية للتدخين.
- ٤٧١..... العائد الاقتصادي من اختفاء ظاهرة التدخين بين المسلمين.
- ٤٧٣..... مجموع العائدات الاقتصادية من اختفاء أمهات الخبائث.
- ٤٧٥..... الفصل الرابع عشر: مظاهر البذخ والإسراف.**
- ٤٧٧..... ظاهرة الإسراف في الطعام والشراب والكماليات.
- ٤٨٠..... ظاهرة الإسراف في حفلات عقد القران والأعراس.
- ٤٨٢..... ظاهر التباهي والإسراف في بناء البيوت الضخمة.
- ٤٨٥..... ظاهرة الإسراف في عدد ونوعية السيارات المقتناة.
- ٤٨٦..... مجموع ما يمكن توفيره من أنماط الإسراف والبذخ.
- ٤٨٩..... الفصل الخامس عشر: الخلاصة.**
- ٤٩٣..... المراجع.**
- ٤٩٣..... كتب ودراسات.
- ٤٩٧..... بحوث وتقارير.
- ٥٠١..... مقالات.





شكر وعرfan



الحمد لله ذي المنّة والجلال، واهب النعم ومنشي السحاب. الحمد لله الذي أمدني بحوله، وأعاني بقوته، وأكرمني بتوفيقه وتسديده. الحمد لله الذي أعاني على إتمام هذا العمل، ووفقي لإخراجه بهذه الصورة البراقة، وأسأله سبحانه أن يتقبّل مني خالصاً لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وما كان لي أن أنجز هذا العمل المبارك لولا أنه سبحانه قد منّ عليّ بمشائخ أجلاء، وأساتذة فضلاء، وإخوانٍ كرماء، وأولادٍ نجباء، فتحوا لي قلوبهم، وشرحوا لي صدورهم، وبسطوا لي أيديهم، وفرّغوا لي أوقاتهم، فأولّوا هذا العمل من التقدير والاهتمام، والمراجعة والإمعان، فأسدّوا لي ملاحظاتهم القيّمة، وتوجيهاتهم السديدة، وتصحيحاتهم المفيدة، فجزاهم الباري الكريم عني خير الجزاء، وأثابهم المنان الوهاب عمّا قدّموه لي جزيل الثواب.

وأخصّ من بين هؤلاء صاحب اليد الطولى، والأفضال الجزلى، فضيلة الشيخ الدكتور/ ماجد بن محمد بن سالم الكندي الذي شرّفني بمراجعة هذا الكتاب رغم مشاغله الكثيرة، والتزاماته العديدة، وتفضّل مشكوراً فقدّم لهذا الكتاب بكلماته الرائعة، وعباراته المُحفّزة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ثم لا أنسى أساتذتي ومشائخي أصحاب العلم الوافر والفكر النير الذين لم يدّخروا جهداً فيما أهدوه لي من تصحيحات مهمة، وملاحظات قيّمة، ومقترحات جليّة، وأفكار نيرة كان لها الأثر الكبير في إخراج الكتاب بهذا الرونق والمضمون، وفي مقدمة هؤلاء أستاذ الاقتصاد بجامعة السلطان قابوس الدكتور/ يعقوب بن



محمد بن شيخان الوائلي، وأسطون اللغة العربية وجهبذها الأستاذ/ خالد بن هلال بن ناصر العبري، والشيخ/ سليمان بن موسى تاملت، فأحسن الله إليهم كما أحسنوا إليّ، وسقاهم شربة هنيئة من حوض نبيه المورود.

كذلك، فجزيل الشكر، وعاطر الشاء، وصادق الدعاء أهديه لابنتي المباركة إشراق بنت صالح، صاحبة الحسّ المرهف، والإتقان المميز، التي ما فتئت تُفرِّغ أوقاتها، وتبذل قصارى جهدها لمساعدتي في إنجاز أعمالي، وخاصة في إدخال تصحيحاتي وملاحظاتني على هذا الكتاب إلى جهاز الحاسوب، فبارك الله في علمها وعمرها، وأجزل لها المثوبة والعطاء، وأبقاها سندًا دائمًا، وذخرًا باقياً لي ولأمة محمد ﷺ.

كما لا أنسى أن أثنى على جامعة نزوى الفتية على تشجيعها المتواصل للبذل والعطاء، وتهيتها الظروف والأسباب، وتوفيرها الوقت والوسائل للقيام بالأعمال الأكاديمية وأعمال التأليف على الوجه الأكمل، فلمسؤوليها وإداريها وأكاديميها مني خالص التحية وجزيل الامتنان.

وأخيراً، أتقدّم بالشكر العميم، والثناء الجميل لزوجتي وأولادي وعموم أهلي وإخواني وأحبابي وكل من أسهم في هذا العمل من قريب أو بعيد على دعمهم المتواصل، وتشجيعهم المُحفِّز، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وأفاض عليهم وأبلاً من الرزق والعطاء، وأبقاهم عوناً لي ولأمة محمد ﷺ إلى يوم العرض والجزاء.

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وبعد:

رَبُّ أَيِّ صَنَعَةٍ هُوَ الْعَالَمُ بِمَا يَحَقِّقُ مَنَافِعَهَا وَيُدْفَعُ مَضَارَّهَا، وَالْكَوْنُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ وَنَقْضِي حَيَاتَنَا مُتَقَلِّبِينَ فِي مَنَاقِبِ أَرْضِهِ هُوَ صَنَعَةُ اللَّهِ تَعَالَى خَلَقَهَا وَأَبْدَعَهَا بِمَا يَعْجُزُ الْإِنْسَانُ مَعَهَا أَنْ يُوسِّعَ عِلْمًا ذَرَّةً مِنْ ذَرَاتِهَا بَلْ حَجِيرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَا كَائِنٍ حَيٍّ فِيهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَحِيطَ بِالْكَوْنِ مَتْرَامِي الْأَطْرَافِ وَاسِعَ الْأَرْجَاءِ.

وَالْإِنْسَانُ فِي تَفْكِيرِهِ وَتَحْلِيلِهِ وَتَقْصِيهِ لِمَا يُصْلِحُ مَا حَوْلَهُ وَيَجْعَلُهُ يَسْعَى لِتَعْظِيمِ أَكْبَرِ قَدَرٍ مُمْكِنٍ مِنَ الْمَنَافِعِ فِي تَقْدِيرِهِ يَبْقَى عَاجِزًا عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا يَدْعُو إِلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ، فَكَمْ سَعَى أَقْوَامٍ إِلَى حَتْفِهِمْ بِظُلْفِهِمْ حَتَّى كَانَ اجْتِهَادُهُمْ أَوَّلَ مَا قَضَى عَلَيْهِمْ، وَهَذَا فِي تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فَكَيْفَ بِهِ إِنْ كَانَ السَّعْيُ لغيرِهِ أَتَرَاهُ سَيَسْعَى فِي تَشْرِيعَاتِهِ وَنَظْمِهِ لِعُمُومِ الْبَشَرِيَّةِ أَمْ لِمَنْ يَشَاكِلُهُ فِي خِصْلَةٍ أَوْ مَبْدَأٍ أَوْ تَوَجُّهٍ؟

إِنَّ النِّسْبَةَ فِي التَّفْكِيرِ وَالْعِلْمِ، وَالانْتِمَائِيَّةَ لِلْأَفْكَارِ أَوْ الْأَجْنَاسِ قِيدَانٌ لَا يَنْفَكُ عَنْهُمَا أَحَدٌ، وَهِيَ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ غَيْرَ مُؤَهَّلٍ لِلتَّشْرِيعِ إِذْ الْأُولَى تَحْدُهُ فِي التَّفْكِيرِ مِمَّا يَدْخُلُ مَعَهُ النِّقْصُ وَسُوءُ التَّقْدِيرِ، وَالثَّانِيَّةُ تَجْعَلُهُ غَيْرَ مُتَجَرِّدٍ لِلْحَقِيقَةِ الْمَطْلُوقَةِ بَلْ يَكُونُ مَدْفُوعًا بِسَبَبِهَا إِلَى الْمِيلِ إِلَى مَا يَحَقِّقُ مَا تَقْضِيهِ انْتِمَائِيَّتُهُ وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ.

لا أحد يتعالى عن النسبية سوى خالق الكون الذي براه بهذا الإحكام المتقن فهو وحده العالم علمًا مطلقًا بما يقوم بشأنه ويصلحه، كما أنه لا أحد يبرأ من الانتمائية خلا من كان الخلق كلهم عياله ليس أحد منهم أقرب إليه من أحد لذا شرع من الأحكام ما جعل هذه الشريعة كونية تتناغم فيها حركات كل البشر مع الكون حولهم فكلهم عباد لله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وإن من أجل ما يسعى الإنسان إليه تحقيق الوفرة المادية التي تكفل له أعظم قدر ممكن من الرفاهية وأسباب العيش الرغيد في حياته، وهذه الوفرة رهينة وصول الاقتصاد الكلي إلى مرحلة الزواج من بعد الانتعاش، مخلفة وراءها ظهريًا الانكماش فضلًا عن الركود، فيصل الاقتصاد إلى تحقيق التوازن الكلي والاقتصاد في أقصى درجات الزواج فعناصر الحقن به في أعلى مستوياتها، وعناصر التسرب في أدنى حالاتها.

وكتابنا هذا «أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد» لأخي المفضل العزيز الباحث والأستاذ الأكاديمي الدكتور صالح بن مطر الهطالي - ثبت الله جيشه - سعى - بلغة الأرقام - إلى التثبت من فرضية مفادها أن الاستقامة على منهج الله ذات أثر إيجابي على انتعاش الاقتصاد، وأن الإعراض عن الاستقامة سبب مفضٍ بالاقتصاد إلى أن يتراجع مؤشره العام نحو الانكماش فالركود، وهذا سبب لشقاء الناس بدورات الأعمال السلبية التي تؤدي إلى الأزمات من بطالة وتضخم وتراجع في مؤشرات التنمية وكله تحقيق لقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [التين: ٦] وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا [الجن: ١٦].

تقديم

وقد جاءت هذه الدراسة القيّمة في أربعة عشر فصلاً أثبت المؤلف فيها الحقيقة وجلالها وفق ما يسّر الله له من اجتهاد وأراه من أدلة وإثباتات، وقد وُفّق في طرحه -بفضل الله وحده- فجاءت دراسته مُحكّمة يُفضي كلّ فصل من فصولها إلى ثبوت الفرضية التي انتصب البحث لإثباتها، وحسبه أنه مهّد السبيل وشق الطريق لدراسات تثبت الحقيقة وتجليها أكثر وأكثر فما أعظم فتوح الله على العباد جيلاً إثر آخر.

فيا عشاق الحقيقة وطالبي برد اليقين إليكم هذا السّفَر المبارك ماء طهوراً رقيقاً يطهّر النفس ويروي الظّمأ ويثبتُ القدم ليطمئن القلب.

ماجد بن محمد بن سالم الكندي

الخوض العامرة بالخيرات / ولاية السيب

٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ الموافق ١١ / ٢ / ٢٠١٨ م

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّאَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والقائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. اللهم لك الحمد أن ارتضيت لنا هذا الدين، ويسرت لنا الدخول فيه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وسراجاً للمهتدين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى كل من سار على نهجه واستقام على طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

أصبحت الاستقامة على دين الله في هذا العصر ليست مجرد موجة يركبها كل من يمسه عبثها ويناله عيبرها، وإنما أصبحت الخيار الوحيد لسعادة الأفراد والمجتمعات وصلاحها. في هذا العصر الذي كثر فيه - بحمد الله وتوفيقه - السائرون على منهج الله القويم، انبعثت أبواقٌ تُزمرُّ، وأنامل خفية تعزف على أوتارٍ شتى لتشويه ركب الاستقامة والمستقيمين، ولشئ من بقي في نفوسهم شيء من التردد في الولوج إلى جنان الاستقامة.

إن كثيراً من المسلمين صاروا يتلقون ما يردُّنا من العالم الغربي اللاديني والعلماني تلقى القبول والتسليم، دون أدنى محاولة للتمحيص والتدقيق، وردَّ



أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

الأُمُور إلى منهاج الله، مع العلم أنه «أحسن ما في الحضارة الغربية وفي ديمقراطيتها مما يتغنّى به دعائها ومما يحسبونه حرية وعدلاً هو أدنى بكثير مما في الإسلام، وإن أسوأ ما في الديمقراطية هو أخطر ما يحاربه الإسلام في حياة الإنسان على الأرض، ألا وهو العلمانية والكفر والشرك»^(١).

لماذا الحديث عن الاستقامة في مجال الاقتصاد؟

سأحاول - بإذن الله - من خلال هذا الكتاب تسليط الضوء على جانبٍ من جوانب الحياة المعاصرة، الذي لو وَلَجَتْ إليه الاستقامة لأَصْلَحَتْهُ وجَعَلَتْهُ أداة بناء بدلاً من بقاءه منبع إغواء وإفسادٍ، ألا وهو الاقتصاد. وقد اخترت الحديث عن هذا الجانب لأسباب عدّة، أذكر منها:

١ - الفهمُ الخاطئ الذي يُروّجُه غير المسلمين، وتلوّكه السنة العلمانيين ممن ينتسبون إلى الإسلام، وهو أنّ الإسلام لا يمكنه الولوج في آفاق الحياة المعاصرة فضلاً عن أن يكون البديل الوحيد لصلاحها، وأنّ الاستقامة ما هي إلا تعيُّر شعائريٌّ روحاني لا يمكنها أن تكون آلية تغيير في مجالات الحياة المختلفة. وفي عصرٍ استهوته المادة وتحكّمت فيه نظريات المال والاقتصاد، ينظر البعض إلى أن الاستقامة لا يمكن أن تحمل في طياتها حلولاً للمشاكل الاقتصادية التي تأزّمت وباتت تقلق دولاً وشعوباً ودارسين، غير أنني أقول إنه بالرغم من أن المادة هي ليست وراء استقامة الناس على دين الله، لكنها إحدى آثارها على المجتمعات؛ فممّا هو معروف أن الاستقامة انسجامٌ متكاملٌ بين الإنسان وما وُضِعَ تحت تصرّفه من معطيات هذا الكون، وعندما يستقيم المرء تتناغم سلوكيات هذا الكائن الذي اختاره الله لعمارة هذه الأرض مع مخلوقات الكون المادية والحيوية، وينتج عن

(١) «زُخرف الحضارة الغربية»: عدنان علي رضا النحوي.



هذا التناغم العجيب ميلادُ آفاق رحبة لهذا الإنسان يستطيع استغلالها لرفاهيته وتقديمه.

٢- ركود العقول المسلمة التي تم تخديرها لتبقى ذليلة تابعة لا تدرك واقعها ولا تتصوّر مستقبلها، وما تحتاجه هذه العقول الناعسة هو ومضات خاطفة تفعل فيها فعل ضوء الشمس الهادئ في قطرات الغيث المتساقطة فيحتضن الأرض بسياج من الألوان الزاهية التي تعيد الدفء والسرور والنشوة للقلوب المستكنة. ولعلّ فيما نسوقه في الفصول القادمة باعثاً للضمائر المخدّرة والعقول المهلوسة علّها تعود لجاداتها، وتُشمر عن سواعد الجدّ، وتحمل مصابيح الهدى لتنير للعالم المتخبّط دياجير الظلمات التي يغرق فيها، وتبعث فيه أمل الحياة والبقاء الذي افتقده منذ توارت الأمة الإسلامية عن الأنظار، وأسدل أبنائها على وجوههم خمار الجهل والتشرذم والانكسار.

٣- الحالة الاقتصادية المزرية للأمة الإسلامية؛ حيث يشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٨م^(١) إلى أن نسبة البطالة في العالم العربي (لعام ٢٠٠٦م) قد بلغت ١٤٪، أي ما يعادل ٤٥,٥ مليون شخص من جملة السكان البالغ عددهم ٣٢٦,١ مليون نسمة، والنسبة قد تكون أعلى إذا أخذنا في الحسبان تعداد المسلمين في العالم وليس العرب فقط، بينما لا تتجاوز النسبة ٧,٥٪ على المستوى العالمي، ويُقدّر معدل البطالة لدى الشباب في تقرير البنك الدولي لعام ٢٠٠٧م^(٢) بنحو ٤٦٪ في الجزائر و٥٤٪ في مصر و٦٦٪ في الأردن و٣٣٪ في المغرب و٤١٪ في تونس.

(١) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٨م»: صندوق النقد العربي، ص ١٦.

(٢) «تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩م»: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص ١٢٠.



وحسب إحصائيات عام ٢٠٠٥م^(١)، فإن ٣٤,٦ مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر الدولي المحدد بدولارين يوميًا، ويتمركز معظمهم في المناطق الريفية، وأن الذين يعيشون دون خط الفقر قد تجاوزوا في بعض البلدان ٤٠٪ من عدد السكان. وأما على مستوى العالم الإسلامي فإن دراسات أخرى^(٢) تشير إلى أن أكثر من ٣٦٥ مليونًا من المسلمين يعانون من الفقر وفق خطوط الفقر الرسمية، ويشكّل هؤلاء نسبة تزيد على ٣٣٪ من سكان الدول الإسلامية، ويعيش قرابة ٢٠٠ مليون من المسلمين في الفقر المدقع، أي على أقل من دولار واحد في اليوم.

وقد يتوهم البعض أن هذه الحالة الاقتصادية المزرية للأمة الإسلامية هي بسبب نقص الموارد، ولكن الأمر ينجلي إذا علمنا أن مجموع الاستثمارات العربية في الخارج قُدّرت في عام ٢٠٠٠م بحوالي ٢٤٠٠ مليار دولار^(٣)، وأوصلها البعض في عام ٢٠١٠م إلى أربعة ترليون دولار^(٤). هذا يعني أن الأمة لديها من الموارد ما يمكن أن يجعل أبنائها يعيشون في رغد، ولكن الواقع على عكس المأمول؛ بسبب بُعد الأمة - شعوبًا وحكامًا - عن دين الله.

مثل هذه الأرقام وغيرها من الأرقام الكثيرة التي سنسوقها - بإذن الله - في الفصول القادمة تفرع - من ناحية - نواقيس الخطر للعقلاء من هذه الأمة لكي يستيقظوا من غفوتهم، وهي - من ناحية أخرى - تلمس بحنان القلوب الصّديّة علّها تستطيع أن تُعيد إليها بعض رونقها وبريقها، فتعود لها أنوارها التي أضاعت دياجير الظلمات لقرون متواصلة.

(١) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٩م»: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ص ٣٧.

(٢) «إدماج مؤسستي الزكاة والوقف في برامج مكافحة الفقر»: العياشي فداد.

(٣) «الاستثمارات العربية في الخارج»: محمد عبد العاطي.

(٤) «التقديرات تصل إلى ٤٠٠ مليار دولار.. لماذا هاجرت الأموال العربية والإسلامية؟»: جريدة الاقتصادية.



لماذا وكيف يحارب الغرب الاستقامة؟

ولكي نفهم لماذا يعادي الغرب وبعض المسلمين الاستقامة، بل ويحاولون تجفيف منابعها ومحاربة أهلها، فعلينا أن نعي أن الدول الكبرى تدرك أن من الأسس العظيمة التي جاء الإسلام من أجل بنائها في نفوس أتباعه هي محاربة الظلم والعدوان، سواءً أكان على مستوى الأفراد أم الشعوب أم الدول. كذلك، فهذه الدول تعلم أنه لو استقام المسلمون على دينهم لما كان لها موطئ قدم في بلدان المسلمين.

لهذا نجدها تُجند كل طاقاتها وإمكانياتها من أجل محاربة المستقيمين وتشويه سمعة الإسلام، لتظل الشعوب المسلمة مستعبدة من قبلها، سواءً أكانت بصورة مباشرة أم من خلال حكوماتها الموالية لها. وتمتلك هذه الدول أجهزة علمية متطورة قادرة على إحداث أزمات اقتصادية في العالم؛ سواءً أكانت أزمات تتعلق بالبنوك وانهيار البورصات، أم تلك التي تأخذ صبغة الدورات الاقتصادية مثل الركود الاقتصادي.

وتمتلك تلك الأجهزة من الأدوات والتقنيات الفائقة السرعة التي تستطيع من خلالها العبث بمؤشرات البورصات العالمية والإقليمية، وكذلك نشر الإشاعات التي تهدف إلى زعزعة الأمن والاقتصاد للدول وشنّ حروب اقتصادية عليها، إلى غير ذلك من أساليب التكنيك والتكتيك. ولقد كان لهذه الأجهزة والتقنيات الدور الأكبر في صنع الأزمات المالية العالمية، والانهيارات الاقتصادية الدولية لما تجنيه تلك الدول من مكاسب اقتصادية وسياسية من وراء ذلك، وليس أدل على ذلك من أزمة النمر الآسيوية التي وقعت في عام ١٩٩٧م.

وتتعدّد صور الحروب الاقتصادية وخططها على النحو التالي :

١ - خطط لإغراق الدول بالديون وعائدات الديون التي - غالباً - ما يتعدّد عليها سدادها، مما يؤدي إلى تشويه سمعتها في العالم، وبالتالي تُمنع من حرية الاقتراض من المصارف الدولية، مما قد يؤدي إلى توقف برامجها التنموية، وهذا بدوره يؤدي إلى زعزعة استقرارها الاجتماعي والسياسي.

٢ - افتعال الأزمات بين دول الجوار المستهدفة بالحروب الاقتصادية؛ لتستفيد الدول الكبرى من عمليات بيع السلاح واستنزاف الموارد الطبيعية لتلك الدول، مثلما حدث بين اليمن وأثيوبيا، وسوريا وتركيا، والإمارات وإيران.

٣ - خطط لضمان التبعية الاقتصادية؛ وذلك عن طريق ربط اقتصاديات الدول المستهدفة باقتصاديات الدول الكبرى، من خلال إمدادها بالغذاء والأدوية وتقديم المساعدات الاقتصادية والمعونات السنوية بشكل متواصل، مما يجعل تلك الدول تُدمن على المساعدات الخارجية، ولا تستطيع الاستغناء عنها، وبالتالي تضمن الدول الكبرى ولاءها لها من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.

٤ - الحماية العسكرية؛ بمعنى أن الدول المتقدمة تضمن لعدد من الدول ذات الموارد الطبيعية الوفيرة، والتي لا تملك القوة للدفاع عن نفسها، الحماية العسكرية الدائمة أو المؤقتة، نظير الحصول على أموال طائلة من خلال استنزافها للنفط والموارد الطبيعية لتلك الدول، ومثال على ذلك ما تقوم به القوات الأمريكية من حماية مزعومة لدول الخليج العربي.

ونلاحظ أن هذه الممارسات الجشعة واللاأخلاقية من الدول الكبرى، رغم سكوت العالم حيالها - وأحياناً بسبب عدم تجرئه للتحرش بها - هي ممارسات



تتعارض مع الأعراف الدولية والحقوق الإنسانية. ومن هنا نعلم أهمية الدعوة إلى استقامة الأفراد والشعوب والحكومات على دين الله لما في ذلك من سعادة حقيقية للبشرية، وتحرير الشعوب المستضعفة من ربقة عبودية واسترقاق الدول الكبرى، وإن بدت بصورة «حضارية» كما يزعمون. ونحن إذ ندعو إلى استقامة المسلمين - شعوبًا وحكامًا - فإننا - في حقيقة الأمر - نجاهد من أجل تحرير هذه الشعوب من ربقة التبعية والولاء لغير الإسلام وأمة الإسلام.

وإننا على يقين بأن الله ناصر دينه، ومُنَجِّز وعده لعباده المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وبشارة نبيه ﷺ لهم عندما قال: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^(١)، وما نقوم به نحن هنا هو - بإذن الله - خطوة من خطوات ذلك الاستخلاف والتمكين في الأرض.

في الفصول المتبقية من هذا الكتاب سنورد - بإذن الله - لمحات عن جوانب الحياة المختلفة التي لو تم أسلمتها، وسارت وفق ضوابط الشرع لعادت للبشرية بخيراتٍ اقتصادية عظيمة تعجز النظم والتشريعات الحديثة عن تحقيقها.

ونظرًا إلى أن هذا الكتاب لا يهدف إلى تقصِّي جميع الجوانب التي يمكن أن يكون للاستقامة أثرٌ واضحٌ فيها، فإن ذلك أمرٌ قد لا يتأتَّى حصره في مجلدات، فإني اخترتُ منها الجوانب التي في متناول فهم الناس وتمسُّ حياتهم بشكل

(١) رواه الإمام أحمد عن تميم الداري - رضي الله عنه - (حديث رقم: ١٦٩٥٧).

ملحوظ؛ ففي الجانب التعبدي تطرّقتُ إلى زكاة المال وزكاة الفطر والأوقاف والأصاحي، وفي الجانب المهني تحدّثتُ عن البطالة وأثرها في تدني الإنتاجية. وأما في الجانب الاجتماعي فقد عرضتُ العديد من القضايا التي تعاني منها الأمة مثل الطلاق والشذوذ الجنسي والأمراض الفتاكة، بالإضافة إلى تفشي ظواهر المخدرات والخمور والإسراف وحوادث السير.

وفي الجانب الاقتصادي تحدّثتُ عن النفط والغاز وما يشكّلانه من ثروات عظيمة لهذه الأمة، وبالمقابل سردتُ بعض القضايا المالية الكبرى التي تعاني منها الأمة مثل الديون الخارجية، بالإضافة إلى دور مقاطعة البضائع الأجنبية في ردّ بعض الاعتبار لهذه الأمة. وفي الجانب السياسي ذكرتُ ما يقوم به الحكام من نهب لثروات الأمة من خلال صفقات السلاح والنفقات الهائلة على الأجهزة العسكرية والأمنية، و ذكرتُ كذلك الحروب العسكرية التي أبادت الأخضر واليابس في أرجاء هذه الأمة، والحملات الجائرة التي تشنّها الدول المعادية للإسلام للقضاء على أتباع هذه الأمة وتشويه دينها.

كذلك فإنني حاولتُ - متى تأتّى لي ذلك - استخدام الإحصائيات المتوفرة في الكتب وعبر شبكة الإنترنت لإيضاح العائد الاقتصادي الذي يمكن الحصول عليه لو استطعنا «أسلمة» تلك الجوانب، وفي الجوانب التي لم أجد فيها إحصائيات متوفرة اكتفيتُ بوضع تقديرات قريبة من الواقع علّها تُقرب الحقائق المعيّبة للأفهام. وأحب أن أنبه إلى أن الهدف من هذه الرسالة لا يكمن في مطابقة الأرقام التي نسوقها للواقع والإحصائيات المنشورة، وإنما هي للوصول إلى الاستنتاجات المفيدة التي يمكن استقراؤها من وراء تلك الأرقام.

وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا الكتاب باعثاً لمزيد من الدراسات الجادة، ومحفزاً للعاملين في حقل الدعوة وإحياء الأمة لمضاعفة جهودهم لمسارعة





الفصل الأول:

الزيادة في الإنتاجية



حَثَّ الإسلام على العمل، واعتبره عبادةً وقيمةً عليا وشرفاً عظيماً، وجعل ثوابه كثواب المجاهد في سبيل الله، ولقد أشار القرآن إلى ذلك في مواطن كثيرة، منها قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿فَافْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى^١ وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ [المزمل: ٢٠]، وقال رسول الله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)، وقال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٢).

إن على المسلم أن يجدَّ ويعمل، ولا يجوز له أن يكون عالةً على غيره، وعبئاً على المجتمع يأخذ منه ولا يُعْطيه، بل لا بُدَّ له أن يعمل ويكسب من عمل يده، ويبذل لخدمة أُمته كما يبذل لخدمة نفسه، ولا يجوز له أن يُمَدَّ يده إلى الناس، ويسألهم الإحسان والصدقة، وهو قادر على الكسب، ويجد سبيلاً للعمل، وطلب التكسُّب والسعي لتحصيل الرزق أمرٌ دعا إليه الإسلام، بل وشدَّد عليه، والأدلة القرآنية على ذلك كثيرة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

(١) رواه البخاري في باب فضل النفقة على الأهل (حديث رقم: ٥٣٥٣)، ومسلم في باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (حديث رقم: ٢٩٨٢).

(٢) رواه البخاري في باب كسب الرجل وعمله بيده (حديث رقم: ٢٠٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير (حديث رقم: ٦٣١).



ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِهَهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ^ص وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿ [الملك: ١٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ومن السنة المطهرة قوله ﷺ: « مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ » ^(١).

كما بيّنت السنة النبوية الشريفة أن على الإنسان أن يعمل، وأن لا ينتظر عملاً يناسبه؛ فالعمل ولو كان ربحه ضئيلاً - كأن يعمل خادماً أو بائعاً متجولاً ونحو ذلك - خيرٌ من سؤال الناس أو البطالة، وفي هذا يقول ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَخْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » ^(٢).

ومما لا شك فيه أن الشخص المستقيم أحرص الناس على الالتزام بساعات العمل، وأكثرهم إنتاجية؛ لأنه يجعل دوماً نُصِبَ عينه قولَ الباري - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ^ص وَسَتَرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقولَ رسول الله ﷺ: « إِنْ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ » ^(٣).

عندما كانت أمتنا الإسلامية في عصورها الزاهرة مثلاً في الاستقامة على دين الله كانت أيضاً قمةً في الإنتاجية، وما ذلك إلا لأن الإيمان الذي دان به أبنائها قد حوّلوه إلى واقع ملموس، وأما اليوم - وقد بات المسلمون مضرب مثل في الكسل والإهمال والغوغائية - فقد انحطت أمتنا إلى ذيل القائمة بين أمم الأرض، وهو مؤشر واضح على ما هم عليه أيضاً من بُعدٍ عن منهج الله.

(١) رواه ابن ماجه في باب الحث على المكاسب (حديث رقم: ٢١٣٨).

(٢) رواه البخاري في الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة (حديث رقم: ١٤٧٠).

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها (حديث رقم: ٤٣٨٦).



١- مفاهيم حول الإنتاجية في العمل

انغrust لدى كثير من المسلمين مفاهيم خاطئة عما يجري في حياتهم، ومن ضمن المفاهيم المغلوطة مفهوم الإنتاجية في العمل؛ فكثيرٌ منهم يعتبرون عدد الساعات التي يقضونها في العمل دليلاً على إنتاجيتهم، وساعات العمل - في كثيرٍ من الأحيان - ليست تعبيراً دقيقاً عما يُنجزه المرء لنفسه أو لمؤسسته؛ فغالبيتهم الموظفون يقضون ساعات العمل المطلوبة في مقر عملهم، ولكن الوقت الحقيقي الذي ينجزون فيه أعمالاً تعود بالمنفعة لمؤسستهم قد لا يساوي إلا دقائق معدودة.

كذلك، هناك مَنْ يربط الإنتاجية بمقدار الجهد المبذول، ولكننا نعلم يقيناً أنه ليس كل جهد يبذله المرء يعود عليه بالمنفعة؛ فقد تُهدَر الطاقات فيما لا منفعة من ورائه أو فيما يعود بمنفعة ضئيلة على المرء ومؤسسته، وأيضاً قد يكدّد الشخص في أداء عمل ولكن ليس وفق خطة مدروسة مما يجعل الكثير من حيثيات ذلك العمل لا تصبُّ في الهدف المنشود من ورائه. ومن هنا فلنكي نتحقق الإنتاجية المرجوة فلا بُدَّ أن تسير وفق معايير وضوابط أهمها الكفاءة العالية؛ وهي عبارة عن الاستخدام الراشد للموارد لتحقيق العائد في أعلى درجة ممكنة مع خفض التكاليف^(١).

تعريف الإنتاجية

عرّف بعضهم الإنتاجية على أنها: «تحقيق أكبر مخرجات ممكنة من كمية مدخلات معينة»^(٢). ومصطلح الإنتاجية يعتبر واحداً من أبرز المصطلحات وأكثرها

(١) «ما هو مفهوم الكفاءة الإنتاجية في العمل؟»: محمد أحمد محمد موسى.

(٢) «مفهوم الإنتاجية»: محمد مروان.

تداولاً في المجالات الاقتصادية والصناعية، وهو مؤشر قوي يدل على مدى قدرة عناصر الإنتاج على التأزر للقيام بعملية إنتاجية صحيحة. وبتحسين مستوى الإنتاجية تنتج العديد من الآثار الإيجابية التي تنعكس على الفرد والمؤسسة؛ فعلى صعيد الفرد يرتفع دخل الفرد، ويتحسن مستواه المعيشي، وبالنسبة للمؤسسة فالإنتاجية لها دور رئيس في رفع قدرتها التنافسية، ومن ثمّ تعزيز مكانتها في السوق والمجتمع.

أسباب تدني الإنتاجية

هناك العديد من الأسباب التي استقصاها الباحثون ذات التأثير الكبير في تدني إنتاجية الأفراد والمجتمعات، وفيما يلي نسوق نماذج لها.

١- أسباب تتعلق بالتعليم والتوظيف

يعزو كثير من خبراء الاقتصاد^(١) أسباب تراجع إنتاجية العامل إلى أسس التوظيف؛ حيث يتم تعيين موظفين لا تتناسب مؤهلاتهم مع الوظيفة التي يعملون بها ولا تحقق مصلحة سوق العمل. كذلك، كثيراً ما يتم توظيف عدد أكبر من المطلوب دون منافسة حقيقية بينهم، ودون تكافؤ للفرص واختيارٍ للأفضل، بالإضافة إلى أن الوساطة والمحسوبية في القطاع العام والشركات الكبرى جزء من المشكلة.

وذهب آخرون^(٢) إلى أنّ المشكلة الأساسية هي اجتماعية ثقافية؛ إذ إن مخرجات التعليم وانعدام التدريب والتنمية للإنسان العربي تخلق تشوهات لا تتناسب مع سوق العمل، ولا تحقق الإنتاجية المرجوة من الموظف. كذلك، فالمواطن العربي

(١) «إنتاجية العامل الأردني ضمن الأدنى عالمياً»: جريدة الوطن القطرية.

(٢) «حين تكون الإرادة لا لغة سوى العمل»: مفلح زابن القحطاني.

الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

لم يتعلم قيمة العمل وأهمية إنجاز الأعمال بالشكل الصحيح، بالإضافة إلى تراجع المستوى التقني المستخدم في العملية الإنتاجية، وسيادة المنشآت ذات الأحجام الصغيرة والمتوسطة، مما يُقلِّل من فرصة تخصُّصية العامل الماهر وانخفاض إنتاجيته بسبب تكليفه بأكثر من مهمة وعمل.

٢- البطالة المقنعة

هناك ظاهرة منتشرة في عالمنا الإسلامي على وجه الخصوص، وهي ما يعرف بالبطالة المقنعة^(١)، وهي اسم آخر لظاهرة تدني الإنتاجية، إذ إنها تنشأ في الحالات التي يكون فيها عدد العمال المشغَّلين يفوق الحاجة الفعلية للعمل، مما يعني وجود عمالة فائضة لا تنتج شيئاً تقريباً، بحيث لو سُحِبَتْ من أماكن عملها فإن حجم الإنتاج لن ينخفض، فنحن هنا إزاء فئة من العمالة تبدو من الناحية الظاهرية أنها في حالة عمل - أي أنها تشغل وظيفة وتتقاضى عنها أجرًا - ولكنها من الناحية الفعلية لا تعمل ولا تضيف شيئاً إلى الإنتاج.

هذا النوع من البطالة كان متفشياً بين الدول التي كانت تدور في فلك الاقتصاد الاشتراكي، وما زال هو الأكثر انتشاراً في بناء الاقتصاد العربي عامة والاقتصاد الزراعي - ومعه اقتصاد الخدمات الحكومي - خاصة^(٢). وتؤثر هذه الظاهرة سلباً على ربحية المؤسسات المُشغَّلة، وتحول دون إمكانية زيادة دخول العاملين فيها، وبالتالي استمرار التأثير السلبي على نفسيات العاملين، وعدم إشباع حاجاتهم.

٣- العمالة الوافدة

لا يخفى على ذي بصيرة أن كثيراً من الدول العربية والإسلامية، وخاصة دول

(١) «التخلف والتنمية»: عمرو محيي الدين، ص ٨٩.

(٢) «البطالة ودورها في نشر الجريمة والانحراف»: أحمد حوتبي، عبد المنعم بدر، دميا تيرنو ديالو.

الخليج، تعاني من تنامي مشكلة العمالة الوافدة، وما لها من أثرٍ بالغٍ في تدهور الاقتصاد والإنتاجية، والظاهرة نجمت في الأصل عن سياسات غير مدروسة سهّلت استقطاب الأيدي العاملة من الخارج، وهذا أدخل الاقتصاد في حلقة مفرغة تكون من أيدٍ عاملة رخيصة بإنتاجية متدنية وهامش ربح متدنٍّ، بينما تم الاستغناء عن العمالة المحلية.

مثلاً، تشير تقارير وزارة العمل السعودية^(١) إلى أن عدد العاملين في القطاع الخاص السعودي يبلغ نحو ١٠,٧ مليون شخص، منهم ٩ ملايين من الأجانب، و١,٧ مليون فقط من السعوديين، مما يعني أن نسبة الوافدين قد تجاوزت ٨٤٪ من إجمالي العاملين.

(١) «تراجع إنتاجية العامل في القطاع الخاص السعودي بنسبة ٥,٤٪ خلال الربع الثاني ٢٠١٦»: موقع وكالة الأناضول.



٢- وسائل رفع الإنتاجية

رفع الإنتاجية بالتفوق العلمي

يعتبر العنصر البشري العامل الأهم في عملية الإنتاج، فبدونه لن تتوفر القدرة على تشغيل الأجهزة، واستغلال المواد الخام، وتطبيق العمليات الإنتاجية عليها، وإدارة المنشآت، وما إلى ذلك من مهام. ولكي يتحسن أداء العنصر البشري، ويؤدي عمله على أكمل وجه ينبغي أن يكون على أكبر درجة من التأهل والمهارة. وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية العلم والمعرفة في كثير من المواضع؛ فأول آية نزلت، وهي قوله سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، كانت تدعو إلى القراءة، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

إن الدول الصناعية الكبرى استطاعت تحويل نمط الإنتاج القائم على «العمل بجهد» إلى نمط معرفي إبداعي قائم على «العمل بذكاء». ويعتبر التدريب السبيل الأمثل لرفع الكفاءة الفنية - ومن ثم الإنتاجية - للأفراد، وذلك لأهميته في إيجاد الخبرات والمهارات التي تمكنهم من تحقيق متطلبات الإنتاج. وللتدريب آثار ومنافع عديدة تعود على الفرد والمؤسسة، منها^(١):

١ - صقل مهارات الأفراد العاملين ومعارفهم في جميع المستويات الإدارية، وبذلك تتحسن مستويات الأداء لديهم، ويكونون على درجة عالية من الكفاءة في اتخاذ القرارات الصائبة للمؤسسة، مما يرفع درجة الرضى لدى العاملين فيها،

(١) «أثر التدريب على المؤسسة»: سارة نبيل.

وبدوره يزداد ولاؤهم للمؤسسة، مما يجعلهم حريصين على الارتقاء بها وبمستوى أدائها وإنتاجها.

٢- زيادة ثقة العاملين وولائهم للمؤسسة باعتبارهم العنصر المهم والأساس من أجل رفع الإنتاجية. ولا شك أن زيادة الثقة والولاء للمؤسسة يحفز العاملين على البذل والعطاء، ويجعلهم شركاء في النجاحات التي تحققها المؤسسة.

٣- الاستخدام الأمثل للموارد المادية مما يؤدي إلى تحسين الإنتاجية، وكذلك توفير الأموال الطائلة للمؤسسة التي - غالباً - ما تُهدَر بسبب الجهل بالموارد المتوفرة أو طرق استغلالها. ولا شك أن الإسلام يُربي أتباعه على ترشيد الإنفاق وحسن الاستغلال للموارد، حتى في حال وفرتها. يقول سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، وذكر من ذلك: «وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

رفع الإنتاجية بإتقان العمل

الإنتاجية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بإتقان العمل، الذي هو أداء الأعمال بالكيفية التي يحبها الله ويرضاها، وذلك ينطبق على كل عمل، سواء أكان من أمر الدنيا أم من أمر الآخرة، وديننا يحثنا على إتقان العمل في كل شيء، كما في حديث «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»^(٢)، وفي الوقت نفسه يُحذّرنا من خيانة هذه الأمانة والغش فيها، فيقول: «مَنْ عَشَنَّا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

وفي جانب العبادات يُعلّمنا حديث (المسيء صلاته) المشهور^(٤) كيف أن

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٢٧٥١).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها (حديث رقم: ٤٣٨٦).

(٣) رواه العديد من أهل السنن.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

المسلم إذا لم يتقن صلاته فكأنه لم يؤدها أصلاً، هذا فضلاً عن العقاب الذي يناله في الآخرة، وكما في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل رسول الله ﷺ: عن الإحسان، فأجابته: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »^(١)، وهكذا ينبغي أن يكون دأب كل واحد منا في كل أمور حياتنا.

والإتقان لا يخرجنا عن الفطرة التي خلقنا الله عليها، وإنما هو سمة كونية؛ بحيث لو أجلت ببصرك في مسارح هذا الكون الفسيح، فإنك لن ترى إلا دقة الصنع وبديع الخلق، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاقُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، ولا عجب فهو ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

اجعل شعارك حيثما كنت التقى
واسلك طريق الحق مصطحباً به
وقد فاز من جعل التقى إشعاره
إخلاص قلبك حارساً أسراره
وإذا أردت القرب من خير الورى
يوم القيامة فاتبع آثاره

ولا ينحصر مفهوم إتقان العمل في جودة المخرجات فحسب، وإنما يندرج في ذلك حرص العامل على قضاء وقت العمل فيما يعود بالنفع على المؤسسة، ويندرج فيه أيضاً تفاني العامل في أداء العمل بإخلاص وذلك من خلال بذل الجهد والوسع لتعلم كل ما يمكن أن يوفر للمؤسسة المال والموارد الأخرى، وما يمكن أن يحقق لها أعلى مستويات الربح، بالإضافة إلى السمعة الطيبة والمكانة المرموقة

ارْجِعْ فَصَلٍّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. فَارْجِعْ فَصَلِّ كَمَا صَلَّيْتُ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلٍّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ - ثَلَاثًا - فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ أَسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا. وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا. رواه البخاري (حديث رقم: ٧٩٣)، ومسلم (حديث رقم: ٤٥).

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٤٧٧٧)، ومسلم (حديث رقم: ٥).

في المجتمع.

ولكي نتبين أهمية إتقان العمل في حياتنا، نسوق هذه القصة اللطيفة، التي سمع بها الكثيرون منا، ولكن نسوقها للتذكرة والعبرة. كان هناك نجار تقدّم به العمر، وكان مشهوراً بين الناس بجمال المنازل الخشبية التي يبنّيها وجودتها، وطلب من رئيسه في العمل وصاحب المؤسسة أن يُحيله إلى التقاعد ليعيش بقية عمره مع زوجته وأولاده.

رفض صاحب العمل طلبَ النجار ورغبه بزيادة مرتبه، إلا أن النجار أصرَّ على طلبه!! فقال له صاحب العمل: إنَّ لي عندك رجاءً أخيراً؛ وهو أن تبني منزلاً جديداً، وأنا لن أكلّفك بعمل آخر بعده، وإنما سأحملك للتقاعد حسب رغبتك، فوافق النجار على مضمض، وبدأ العمل، ولعلمه أن هذا المنزل هو الأخير، فلم يُحسّن الصنعة، واستخدم موادّاً رديئة الصنع، وأسرع في إتمامه، دون أن يهتم بالجودة التي تعود عليها طيلة حياته!! وكانت الطريقة التي أدى بها العمل غير سليمة لعمر طويل من الإنجاز والتميز والإبداع!!

عندما انتهى النجار العجوز من البناء سلّم صاحب العمل مفاتيح المنزل الجديد، وطلب السماح له بالرحيل، إلا أن صاحب العمل استوقفه، وقال له: إن هذا المنزل هو هديتي لك نظير سنين عملك مع المؤسسة فأمل أن تقبله مني!! صُعب النجار من المفاجأة؛ لأنه لو علم أن المنزل الذي يبنّيه سيكون منزله، لما توانى في الإخلاص في الأداء والإتقان في العمل.

إن هذه القصة تُبيّن حال الكثيرين من أبناء أمتنا الذين لا همَّ لهم إلا إنجاز العمل - أو بالأحرى التحايل على إنجازهِ - دون أن يكون هناك اهتمام بالجودة والإتقان، ومن ثمَّ تأتي النتائج ضعيفة الجودة، فتتضرَّر المؤسسات والمجتمع والأمة بأكملها.



مؤشرات تدني الإنتاجية في العالم الإسلامي

إذا كانت الآيات والأحاديث والقصص لا تكفي لأن نتبين منها حجم المشكلة التي تعصف بأممتنا، فقد تكون الأرقام وسيلة أخرى لتوضيح ما نتحدث عنه. يذكر الدكتور محمد بن موسى الشريف أن إحدى المؤسسات في البلاد الإسلامية لديها موظفون بعشرات الآلاف، ولها قسم يتكون من حوالي مائتي موظف، يشرف على تنسيق جداول حوالي ألف من الموظفين المهمين بالمؤسسة. ويقارن ذلك بشركة أجنبية كبرى أعداد موظفيها يفوق عدد الموظفين في هذه المؤسسة، ويشرف على تنسيق جداولهم امرأة واحدة فقط بحاسوب متنقل وهاتف جوال^(١). هل اتضحت الصورة؟ امرأة واحدة تقوم مقام قسم بأكمله!!

وقد ذكر تقرير الاتحاد العربي للتنمية البشرية لعام ٢٠١٣ م^(٢) أن معدل إنتاجية العامل العربي هو من أقل المعدلات في العالم، وأن ساعات العمل الحقيقية للعامل أو الموظف العربي خلال الدوام اليومي تتراوح بين ١٨ إلى ٢٥ دقيقة، في حين أن متوسط عدد ساعات العمل الحقيقي للعمال في دول متقدمة مثل اليابان وبريطانيا وفرنسا وألمانيا يزيد على ٧ ساعات.

وقد وصف تقرير للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني إنتاجية العامل الأردني بأنها ضمن أدنى المستويات العالمية^(٣)، وأما في مصر فإن إنتاجية العامل المصري لا تتجاوز ١٧ دقيقة يومياً مقارنة بعدد الساعات المحددة للعمل والتي تصل إلى ٨ ساعات يومياً وفقاً لمعايير منظمة العمل الدولية، وفي تقرير آخر^(٤)

(١) «التدريب وأهميته في العمل الإسلامي»: محمد بن موسى الشريف، ص ٣٦.

(٢) «١٨ دقيقة في اليوم متوسط إنتاجية العامل العربي»، جريدة الخليج. انظر أيضاً: «لماذا لا ينتج العربي؟»: جريدة الشرق الأوسط.

(٣) «إنتاجية العامل الأردني ضمن الأدنى عالمياً»، جريدة الوطن القطرية.

(٤) «١٨ دقيقة في اليوم متوسط إنتاجية العامل العربي»، جريدة الخليج.

فإن متوسط إنتاجية العامل المصري ٣٠ دقيقة في اليوم، والجزائري ٢٢ دقيقة، والسوداني ٢٠ دقيقة.

وإذا كان معظم العرب ظاهرياً يقضون ساعات الدوام في مكان العمل، فلماذا لا يُحَسَّب منها إلا أقل من نصف ساعة في اليوم؟ والجواب على ذلك أنهم يُضَيِّعون أوقات الدوام في الوصول المتأخر إلى مكان العمل، والخروج المبكر منه، وقضاء الوقت في المحادثات الهاتفية والرددشة غير الضرورية، وتصفح شبكة الإنترنت والمواقع الاجتماعية لأسباب لا علاقة لها بالعمل، والتدخين المتكرر، والخروج لتناول الطعام أو القهوة.

وإذا كان هذا حالنا، فما حال غيرنا؟ يخبرنا الأستاذ محمد أحمد الراشد^(١) بأنه سأل أحد الطلاب المبتعثين للدراسة في أمريكا عن صنيع الطلاب اليابانيين الذين معهم، فأخبره بأنهم يلبثون في مكتبة الجامعة إلى نصف الليل، وربما ينامون وهم جلوس على كراسيهم، ثم يواصلون الدراسة في اليوم التالي من غير ذهاب لبيوتهم. وينقل الأستاذ الراشد عن فؤاد سزكين - مدير معهد تاريخ العلوم الإسلامية في فرانكفورت - بأن بعض الطلاب اليابانيين في معهده قد انكبوا على المخطوطات العربية يدرسونها ويبحثونها إلى الحياة، ويعمل الواحد منهم ما لا يقل عن ست عشرة ساعة يومياً^(٢).

سبحانك ربي ما أحلمك علينا!! المسلم يعمل أقل من نصف ساعة في اليوم، والياباني يعمل ١٦ ساعة، أو ما يعادل ٩٦٠ دقيقة في اليوم!! هل بعد هذا يستطيع شخص في العالم أن يجادلنا إن قلنا بأننا قادة الأمم؟! نعم نحن نقود الأمم، ولكن للأسف ليس في اجتهدانا وإخلاصنا وإتقاننا للعمل، ولكن في تقاعسنا، وإهدارنا

(١) «التدريب وأهميته في العمل الإسلامي»: محمد بن موسى الشريف، ص ٣٦.

(٢) «صناعة الحياة»: محمد أحمد الراشد، ص ١١١.



الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

لَأَجَلْ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْنَا: الصحة والوقت والمال. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

إن ما سُقناه من شواهد يؤكّد لنا أن عدم إتقان العمل لا يعود بالبوار والخسارة على صاحبه فقط، وإنما- في أحيان كثيرة- يُكلّف المؤسسة والمجتمع والأمة الكثير من الخسائر، ومن ذلك ما قدّره الخبراء أن خسائر الاقتصاد المصري بسبب انخفاض إنتاجية العامل المصري قد تصل نحو ٤, ١ تريليون جنيه^(٢).

حساب العائد الاقتصادي من زيادة إتقان العمل

فيما يلي نسوق بعض التقديرات والأرقام لتوضح لنا مدى الخسائر التي تُمنى بها أمتنا من جراء بُعد أبنائها عن دينهم، وتخليهم عن السير على منهج نبيهم- عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-. وأخذًا بما جاء في التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٦م^(٣) الذي يشير إلى أن إجمالي القوى العاملة العربية في عام ٢٠١٤م قد بلغ ١٢٨,٥ مليون (أي حوالي ٣٣٪) من عدد السكان، وعلى افتراض أن عدد المسلمين في العالم يساوي مليارين، وأن ثلث هؤلاء (أي حوالي ٦٠٠ مليون مسلم رجالاً ونساءً) يعملون في القطاعات الحكومية أو الخاصة أو في أعمال حرّة والثلثين الآخرين هم من الأطفال والشيوخ والعاطلين وربات البيوت. وإذا افترضنا أن كل واحد من هؤلاء استطاع- باستقامته- أن يضيف ساعة إنتاجية واحدة فقط في اليوم لعمله، وأن العائد الإنتاجي لكل ساعة عمل هو دولار واحد فقط، لأمكننا بهذه الأرقام البسيطة حساب الزيادة الإنتاجية في العام، كما يلي:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق عن ابن عباس- رضي الله عنهما- (حديث رقم: ٦٤١٢).

(٢) (١٧ دقيقة إنتاجية العامل المصري في اليوم»: وكالة الأنباء السعودية (واس).

(٣) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠١٦»: صندوق النقد العربي، ص ج.



لغة الأرقام

- ✗ معدل أيام الإجازة في العام الواحد = ٣٦ يومًا إجازة سنوية + ٣ أيام إجازة طارئة + ٣ أيام إجازة مَرَضِيَّة = ٤٢ يومًا = ٦ أسابيع.
- ✗ معدل أيام العمل = (٥٢ - ٦) أسابيع $\times$ ٥ أيام عمل في الأسبوع = ٢٣٠ يومًا.
- ✗ الزيادة في الإنتاجية = ٦٠٠ مليون عامل مسلم $\times$ ساعة إنتاجية إضافية واحدة في اليوم $\times$ ٢٣٠ يوم عمل في العام $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة = ١٣٨ مليار دولار في العام.

هل لاحظتم؟! إن قيام كل فرد من أبناء هذه الأمة بإتقان عمله لمدة ساعة واحدة إضافية فقط في كل يوم، ولمدة ٢٣٠ يومًا فقط في السنة، سيوفر للأمة ما يعادل ١٣٨ مليار دولار في العام. هل يمكن لـ ١٣٨ مليار دولار أن تفيدنا في شيء؟! لا ريب أن مثل هذا الرقم الكبير يمكن أن يحل كثيرًا من مشاكل الأمة.

لقد افترضنا هنا الزيادة في الإنتاج بمعدل ساعة واحدة في اليوم فقط، فماذا لو أصبح كل واحد منا يعمل ٨ ساعات يوميًا بجهدٍ واجتهادٍ وإخلاصٍ وإتقانٍ؟ وافترضنا أيضًا ٢٣٠ يوم عمل في السنة، فماذا لو رفعنا مستوى إنتاجيتنا إلى ٨ ساعات في كل أيام السنة؟ إن العائد الإنتاجي حينئذ سيصل إلى أكثر من ٨, ١ تريليون دولار في العام. إن حالنا نحن أولًا - وحال أمتنا ثانيًا - سيتغير بلا شك، لكن هل يُعقل أن يعمل المسلم المستقيم على دينه ٨ ساعات في اليوم فقط ويهدر ١٦ ساعة؟! إن المسلم التقي هو في إنتاجٍ متواصلٍ ومتقنٍ أينما كان وحيثما حلَّ، حتى وهو يضطجع في فراشه، أو يستريح بين أهله وأولاده.

حاول جَسِيماتِ الأمورِ ولا تَقُلْ إِنَّ المَحَامِدَ وَالْعُلَى أَرْزَاقُ
وارغبْ بنفسِكَ أن تكونَ مقصّرًا عن غايةِ فيها الطُّلابُ سِبَاقُ



رفع الإنتاجية بتشغيل العاطلين عن العمل

تُعرّف البطالة بأنها الحالة التي يكون فيها الشخص قادرًا على العمل وراغبًا فيه ولكنه لا يجد العمل. والبطالة تنتشر بين فئات الشباب القادرين على العمل، ولذلك فهي لا تُستخدم مطلقًا مع الكبار في السن أو الأطفال أو الأفراد الذين يعانون من أمراض عقلية وذهنية أو حاجات جسدية تمنعهم من القيام بأي نوع من أنواع الأعمال.

واقع البطالة في العالم الإسلامي

يشير التقرير الاقتصادي الموحد لعام ٢٠٠٨م^(١) - الذي أشرنا إليه سابقًا - إلى أن ما يزيد عن ١٤٪ من العرب هم عاطلون عن العمل، ويتوقع المحللون أن يصل عدد هؤلاء في عام ٢٠٢٥م إلى حوالي ٨٠ مليون عاطل، وأن النسبة بين الشباب قد تصل إلى ٣٠٪^(٢).

وتشير الدراسات الحديثة^(٣) إلى أن ليبيا تتصدّر نسب البطالة بنسبة ٩، ٤٨٪، تليها موريتانيا بنسبة ٤٦٪. رغم أنها كانت ٣١٪ في عام ٢٠٠٥م، وفي فلسطين زادت نسبة البطالة خلال العقدين الماضيين من ٨، ٢٢٪ في عام ١٩٩١م إلى ٧، ٤٢٪ في عام ٢٠١٤م، وفي مصر ارتفعت نسبة البطالة خلال العقدين الماضيين من ٤، ٢٩٪ في عام ١٩٩١م إلى ٤٢٪ في عام ٢٠١٤م. كذلك الأمر بالنسبة لسوريا التي زادت فيها نسب البطالة بنحو ٦، ١١٪ خلال الفترة الزمنية ذاتها، وأكدت دراسة حكومية في المملكة العربية السعودية^(٤) إلى ارتفاع نسبة البطالة في المجتمع السعودي إلى

(١) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٨م»: صندوق النقد العربي، ص ١٦.

(٢) «البطالة في العالم العربي .. أرقام مخيفة ومستقبل غامض»، إذاعة صوت روسيا.

(٣) «الدول العربية تتصدّر معدلات البطالة في العالم»، موقع رصيف ٢٢.

(٤) «دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١، ٧٪»، علي القحطاني.

٣١,٧٪، وذلك استنادًا إلى إحصائية لمؤسسة النقد العربي السعودي لعام ٢٠٠٢م. وبالنسبة لعموم الدول الإسلامية، أكد الأمين العام المساعد للشؤون الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي السفير حميد أبو بلويرو^(١) أنه «بحسب تقرير الاتجاهات العالمية للعمل ٢٠١٤م الصادر عن منظمة العمل الدولية فإن الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي سجّلت في الفترة بين عامي ٢٠٠٠م و ٢٠١٢م معدلات بطالة أعلى من المتوسط العالمي، وخلال هذه الفترة تراوح متوسط معدل البطالة بين ٦,٧٪ و ٨,٨٪ من إجمالي القوة العاملة في الدول الإسلامية، في حين ظل المتوسط العالمي لمعدل البطالة تحت ٧٪».

ولا شك أن عمليات خصخصة المؤسسات العامة والحكومية لها آثار سلبية من حيث زيادة العاطلين عن العمل؛ فهذه العمليات لا تستهدف فقط انتقال الملكية والإدارة إلى القطاع الخاص، وإنما أيضًا ترشيد الاستخدام الأمثل للعمالة بحيث تكون على قدر أكبر من الكفاءة الإنتاجية.

الآثار المدمرة للبطالة

البطالة مشكلة مُعقدة ومُتعددة الأطراف، لها آثار عقدية وخلقية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهي كالسرطان يُهدّد كيان المجتمع بأسره، وتعاني منها دول العالم كافة، سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية، وسواء أكانت متقدمة أم نامية. والبطالة ليست فقط سببًا في تدني إنتاجية الأمة، وإنما هي أيضًا سبب لكثير من المشاكل التي تقع في مجتمعاتنا؛ فالبطالة مشكلة اقتصادية، كما هي مشكلة نفسية واجتماعية وأمنية وسياسية، وجيل الشباب هو جيل العمل والإنتاج، لأنه جيل القوة والطاقة والمهارة والخبرة، وتعطيل تلك الطاقة الجسدية بسبب الفراغ يؤدي إلى أن ترتد عليه تلك الطاقة لتهدمه نفسيًا مسببة له مشاكل كثيرة.

(١) «إحصائيات عن البطالة والقوى العاملة في العالم الإسلامي»، شبكة الحصاد.

الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

والبطالة إذا لم تجد العلاج الناجع تفاقم خطرهما على الفرد والأسرة والمجتمع؛ فهي خطر على الفرد اقتصاديًا وصحيًا ونفسيًا واجتماعيًا، وهي كذلك خطر على الأسرة؛ حيث يفقد العائل شعوره بالقدرة على تحمّل المسؤولية، وتفقد الأسرة شعورها بالاطمئنان إلى مقدرة العائل والثقة به، ويواجه الجميع حالة من التوتر والقلق والخوف من الغد المجهول، وهي كذلك خطر على المجتمع بأسره؛ فاقتصاد المجتمع يختل بتعطيل طاقات قادرة على الإنتاج، وتماسكه يختل بسبب ما يكتنه نفوس العاطلين من شعور ضد الفئات الأخرى، وأخلاقه تختل لأن الفراغ والقلق لا يُنبئان إلا الشرور والجرائم^(١).

تقول الدكتورة عزة كريم أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر^(٢): «إن البطالة تُولّد عند الفرد شعورًا بالنقص، بالإضافة إلى أنها تورث الأمراض الاجتماعية الخطيرة كالزيلة والسرقة والنصب والاحتيال»، وتضيف: «إن الفرد العاطل يشعر بالفراغ وعدم تقدير المجتمع له، فتنشأ لديه العدوانية والإحباط، والبطالة تحرم المجتمع من الاستفادة من طاقات أبنائه، وكذلك في الأسر التي يفقد فيها الزوج وظيفته فإن التأثير يمتد بدوره إلى الزوجات سلبيًا، وينعكس الأمر على العلاقة الأسرية ومعاملة الأبناء».

البطالة سبب لتفشي الأمراض والجرائم

وتحوّل البطالة في كثير من بلدان العالم إلى مشاكل أساسية معقدة، ربما أطاحت ببعض الحكومات؛ فحالاتُ التظاهر والعنف والانتقام تُوجّه ضد الحكام وأصحاب رؤوس المال، فهم- في نظر العاطلين عن العمل- المسؤولون عن

(١) «دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: يوسف القرضاوي، ص ٩.

(٢) «مشكلة البطالة في العالم العربي وسبل حلها»: سليم المؤيد.

مشكلة البطالة. وتؤكد الدراسات^(١) أن هناك عشرات الملايين من العاطلين عن العمل من الشباب في العالم، ويعاني هؤلاء من الفقر والحاجة والحرمان، وتخلّف أوضاعهم الصحية والنفسية، وعجزهم عن تحمّل مسؤولية أسرهم.

على سبيل المثال، ذكرت دراسة صدرت عن مجلس القوى العاملة في المملكة العربية السعودية^(٢)، بمشاركة مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية عام ١٤١٨ هـ، أن الجرائم بين العاطلين عن العمل السعوديين خلال الفترة من ١٤١٠ هـ إلى ١٤١٦ هـ ارتفعت بنسبة ٣١٩,٥٣٪، وبمعدل نمو سنوي بلغ ٤٢,١٥٪، وأوضحت الدراسة أن غالبية أسر العاطلين عن العمل من مرتكبي الجرائم تقلّ دخولهم الشهرية عن ٣٠٠٠ ريال سعودي، و ٥٠٪ من عينة الدراسة تقلّ دخول أسرهم عن ١٥٠٠ ريال سعودي شهرياً، ويسكن ٥٠٪ منهم في مساكن مستأجرة.

وفي دراسة أخرى أجراها مركز بحوث الشرطة بأكاديمية الشرطة بالقاهرة^(٣) للوقوف على العلاقة بين البطالة والجريمة بمصر في الفترة من ١٩٨٣م إلى ١٩٩٠م، تبين وجود ارتباط طردي قوي بين كل معدلات ارتكاب الجرائم بصفة عامة ومعدلات البطالة، وكذا الاتجاه نحو التزايد المستمر في حجم الجرائم التي يرتكبها العاطلون خلال السنوات المقبلة. كما اتّضح وجود ارتباط طردي أيضاً بين معدلات البطالة وجرائم السرقة بمختلف أنواعها وجرائم الاغتصاب وهتك العرض وبين دافع الحصول على المال وإشباع الحاجات الأساسية وكذلك الحاجات الجنسية.

(١) «البطالة في العالم العربي .. أرقام مخيفة ومستقبل غامض»، إذاعة صوت روسيا.

(٢) «دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١,٧٪»: علي القحطاني.

(٣) «البطالة ودورها في نشر الجريمة والانحراف»: أحمد حوتبي، عبد المنعم بدر، دميا تيرنو ديالو.

الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

وتصدّرت جرائم السرقة قائمة الجرائم التي يرتكبها العاطلون عن العمل؛ حيث تبلغ نسبة العاطلين ١, ٢٧٪ من مجموع المسجونين بسبب السرقة^(١)، وتؤكد الدراسات^(٢) أنه كلما ازدادت نسبة البطالة ازدادت الجرائم التي تندرج تحت الاعتداء على النفس مثل القتل والانتحار والاغتصاب والسطو والإيذاء الجسدي، وأن استمرار حالة البطالة يدفع الفرد إلى إدمان المخدرات وتعاطي الخمر، وتبعاً لذلك فإن ٣٠٪ من مجموع المضبوطين بقضايا المخدرات لعام ١٤٢١ هـ في السعودية هم من فئة العاطلين عن العمل. وأشارت تلك الدراسات إلى أن ارتفاع نسبة الجرائم عند العاطلين هي بسبب زيادة وقت الفراغ لديهم.

ويمكن إجمال الآثار المترتبة عن البطالة فيما يلي^(٣):

■ **الآثار الاقتصادية:** إن البطالة تُدمّر اقتصاد الأمة بشكل كبير؛ فمثلاً تُقدّر خسائر الاقتصاد السوري بسبب البطالة سنوياً بحوالي ١١ مليار دولار أمريكي^(٤)، ولا ننسى أن البطالة تؤدي إلى تسرب الكفاءات وهجرة الأدمغة إلى الخارج، مما يؤدي إلى إضاعة العديد من فرص التنمية المحلية، ونقص في المهارات اللازمة لتعزيز الإنتاجية والابتكار.

كذلك، فهي تؤدي إلى الهدر الكبير للموارد البشرية الإنتاجية غير المستغلة مما يؤدي إلى انخفاض حجم الناتج القومي، وانخفاض مستوى الدخل الشخصي، وما يترتب على ذلك من انخفاض القوة الشرائية، وانخفاض الإنفاق الاستهلاكي،

(١) «البطالة ودورها في إحداث الجريمة»: عبد العزيز بن محمد أحمد بن حسين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١, ٧٪»: علي القحطاني.

(٤) «البطالة ودورها في نشر الجريمة والانحراف»: أحمد حوتبي، عبد المنعم بدر، دميا تيرنو ديالو.

(٥) «لماذا لا ندرس البطالة المقننة في القطاع العام؟»: عبد الرحمن تيشوري.

وانخفاض حجم الادخار. وقد يكون الأثر الأكثر سوءاً هو الدَّيْن؛ إذ إنَّه هُمٌّ بالليل ومَذَلَّةٌ بالنهار، فكثير من العاطلين عن العمل أو أسرهم يلجؤون لَسَدِّ حاجاتهم بطرق، ومن بينها الاستدانة بالربا، ورُبَّما يكون لديهم بعض المال، فتُسَوَّل لهم أنفسهم استثماره من غير جُهد ولا عمل، فيضعونه في البنوك الرَّبَوِيَّة، والربَّا - كما نعلم - ماحقٌ للبركة للفرد والمجتمع، كما قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

■ **الآثار الاجتماعية:** ومنها الفقر والحرمان وتدني جودة الحياة ومستوى المعيشة والمستويات الصحية والتعليمية والترويجية، وارتفاع معدلات الجريمة؛ فمن آثار البطالة - كما ذكرنا سابقاً - كثرة الجريمة، وضعف الأمان، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، فيصبح العالم لا يأمن على دينه وعرضه وماله. وعندما لا يقوم العائل «الأب» بدوره تضطر الأم، وربما بعض الصغار، للخروج من المنزل والبحث عن العمل، مما يخلخل توازن الأسرة، ويفقدها دورها الطبيعي.

وتؤدي البطالة أيضاً إلى العزلة الاجتماعية، مما يؤدي إلى ضعف علاقات العاقل الاجتماعية، ويصعب عليه الاندماج مع مجتمعه، فيشعر بالاغتراب، مما يجعله يتخلى عن التزامه بالمبادئ والقيم السائدة، وقد يؤدي به ذلك إلى تبني قيم ومبادئ توائم ظروفه الجديدة، وبالتالي تصبح مبرراً كافياً لسلوكه الانحرافي والإجرامي.

كذلك فقد تُؤدِّي البطالة إلى البحث عن المخرج، ومن المخارج التي يلجأ إليها بعض الناس - وهم لا يُقدِّرون عواقبها - تحديد النسل؛ بِحُجَّةِ أَنَّهُ لَمْ تَعُدْ لديهم موارد، ومعلوم أنَّ الأمم التي تحارب نسلها إلى زوال، ولو بعد حين، وها هي أوروبا الشرقية والغربية وأمريكا تصرخ جميعاً اليوم من قلة النسل، الأمر الذي ينذر بالفناء والزوال.



الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

■ **الآثار النفسية:** يعاني العاطلون عن العمل من انخفاض التقدير الشخصي لهم، والشعور بالفشل، مما يؤدي إلى توتر أعصابهم، وتقلب أمزجتهم، وذلك بدوره يؤثر على نفسيات أسرهم وأولادهم، ويؤدي إلى انحراف الصغار والكبار، وزيادة العنف الأسري، كما أن الزوجات لا يسلمن من أذى أزواجهن العاطلين، فيقع الخصام والتشاجر بينهم، الذي - غالبًا - ما يكون سببًا للطلاق.

■ **الآثار السياسية:** عندما تنتفش البطالة في المجتمع، يضعف اقتصاد الدولة، فتضطر إلى الاعتماد على الدول الأخرى من خلال ما تُقدّمه لها من معونات وقروض ربوية، وينجم عن ذلك قيام تلك الدول بفرض إملاءاتها الاقتصادية والسياسية عليها. كذلك فإنه عند وجود الكساد الاقتصادي والركود والبطالة في بلد ما، فإنه يضطر إلى الرجوع إلى عدوّه ليسدّ كفايته وحاجته، والعدو سيتحكّم فيه، فلا يعطيه إلا بشروط، فيفقد هذا البلد شخصيته وقراره ومرجعيته.

معالجة الإسلام للبطالة

نظرًا لأهمية العمل في تحقيق الأمن الاجتماعي للأفراد والجماعات فقد جاء ديننا الحنيف ليحارب البطالة بجميع صورها وأشكالها، سواءً أكانت أسبابها شخصية، أم كانت بسبب سياسات الدولة في عدم توفير فرص عمل لمواطنيها؛ والدين الإسلامي الحنيف - كما أسلفنا - غني بتشجيع الفرد على العمل والتكسّب من عمل يده، والسعي وراء أسباب الرزق وذلك لتجنب الوقوع في ممارسات الكسب غير المشروع.

وكلنا ربما سمع بمقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :
«يقعد أحدكم يرفع يديه إلى السماء يقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة». كذلك، فقد سمعنا قصة رسول الله ﷺ مع الرجل الذي



آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

أتى يسأل الناس فأعانه على إيجاد مهنة له تُدرُّ له دخلاً يحفظ له ماء وجهه من سؤال الآخرين^(١). وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**وَاللَّهِ، لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهُ، فَيَسْتَغْنِيَ بِهِ، وَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ يُؤْتِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ**»^(٢).

مثل هذه الآيات والأحاديث والأمثلة - وغيرها كثير - تجعلنا ننظر إلى البطالة - في ظل الدولة الإسلامية المستقيمة على أمر الله - على أنها مرض وليست واقعا.

حساب العائد الاقتصادي من تشغيل العاطلين عن العمل

لا شك أن تشغيل العاطلين عن العمل يمكن أن يولّد للأمة عائداً إنتاجياً كبيراً، كما سنرى في الحسابات التالية. إذا اعتبرنا أن نسبة العاطلين عن العمل في العالم الإسلامي ككل هي فقط نصف نسبتهم في العالم العربي (أي حوالي ٧٪)، وإذا اعتبرنا أن كل مسلم يعمل ٨ ساعات في اليوم، ولمدة ٢٣٠ يوماً في العام، فيمكن حساب الزيادة في الإنتاجية فيما لو تم تشغيل هؤلاء، كما يلي:

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، جُلَسْتُ نَلْبَسُ بَعْضُهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضُهُ، وَقَدْ حُشِرْتُ فِيهِ الْمَاءُ، قَالَ: «اُنْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخُذُهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى ذَرَاهِمٍ؟» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخُذُهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَتِبْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قُدُومًا، فَأَتِنِي بِهِ»، فَفَعَلَ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَشَدَّ فِيهِ عَوْدًا بِإِيْدِهِ، وَقَالَ: «اذهب فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»، فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: «اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَامًا وَبِبَعْضِهَا ثَوْبًا»، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحِيَّاءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ، أَوْ دِمٍ مُوجِعٍ». رواه أبو داود (حديث رقم: ١٦٤١)، وابن ماجه (حديث رقم: ٢١٩٨).

(٢) رواه أحمد - طبعة الرسالة (حديث رقم: ١٠١٥١)، والترمذي (حديث رقم: ٦٨٠).



لغة الأرقام

❑ عدد العاطلين عن العمل في العالم الإسلامي = ٢ مليار مسلم $\times 7\% = 140$ مليون عاطل.

❑ إنتاجية هؤلاء في حال حصولهم على عمل = 140 مليون شخص $\times 8$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times 230$ يوم في السنة = $257,6$ مليار دولار في السنة.

إن هذه الأرقام الكبيرة (١٣٨ مليار دولار بسبب رفع إنتاجية العاملين + ٢٥٧ مليار دولار بسبب تشغيل العاطلين عن العمل = ٣٩٥ مليار دولار في العام) تُبيّن الأموال الطائلة التي يمكن أن تُشكّل عائداً إضافياً للأمة الإسلامية يُمكنها من حلّ بعض مشاكلها؛ فالأمة تحتاج فقط - حسب التقديرات المنشورة^(١) - إلى حوالي ٧٢ مليار دولار لمكافحة الفقر، وقاربة ٧٨ مليار دولار لإصلاح التعليم ومحو الأمية، وحوالي ٦٥ مليار دولار لعلاج الأمراض والمشاكل الصحية. وليس القصد هنا صرف هذه المبالغ على توفير وجباتٍ للفقراء أو شراء أدوية للمرضى، وإنما الهدف منها إيجاد مشاريع اقتصادية ضخمة ومراكز للبحوث والدراسات تستطيع احتواء هذه الظواهر وتوفير البدائل القادرة على حلها.

وعلينا أن ندرك أن هذه العائدات هي ليست نهاية المطاف، فكما هو معروف فإن إيجاد فرص عمل للعاطلين سيوفّر للأمة مبالغ طائلة في جوانب أخرى مثل تفادي وقوع الجرائم والحوادث وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، التي غالباً ما يكون هؤلاء العاطلون موطناً لها، ولا ننسى كذلك الأمراض النفسية والاجتماعية التي ستختفي فيما لو تم التعامل مع مشكلة البطالة بشكل إيجابي. وكما ذكرنا فإن

(١) «إدماج مؤسستي الزكاة والوقف في برامج مكافحة الفقر»: العياشي فداد.



أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

الإسلام يحارب البطالة ويجعل توفير العمل فريضة على الدولة والفرد على حدٍّ سواء، ولذلك فلا نكون قد تجاوزنا المعقول إن قلنا بأنه عندما تستقيم الأمة على دين ربها فإن ظاهرة البطالة إلى زوال، وستختفي معها غيرها من الظواهر التي تشوّه حاليًا وجه الأمة وتأخذ بجمالها البرّاق.





٣- خاتمة الفصل



رغم أن هناك جوانب أخرى يمكن التطرُّق إليها كوسيلة لزيادة إنتاجية هذه الأمة، إلا أن الجانبين اللذين ذكرناهما كافيان ليعطيا تصوُّراً بحجم الانتعاش الكبير الذي سيحصل للاقتصاد في حال استقامة الأمة على دين الله، فقد رأينا في هذا الفصل كيف أن كثيراً من طاقات الأمة مهدرة، وكيف أن القليل من التحفيز يمكن أن يضاعف من مستوى الإنتاجية لتصبح فوق المستويات العالمية. وإذا كنا قد سردنا نماذج من واقع الأمة وما تعانيه معظم مجتمعاتها من تدني مستوى الإنتاجية وما ينتج عنه من مشاكل وأزمات اقتصادية واجتماعية وسياسية، إلا أننا - بحقيقة الأمر - ندوّن هنا حالة الانحدار الإيماني والأخلاقي والثقافي التي وصلت إليها الأمة.

إن هدفنا في هذا الكتاب إلقاء الضوء على ما يمكن أن تكون عليه الأمة فيما لو تمسكت بشرع الله واستقامت على منهجه، وهو - بلا شك - كفيل بأن يعيد لها عزها وسؤدها. وإذا كان إضافة ساعة إنتاجية واحدة لفئة محدودة من العاملين في هذه الأمة يمكن أن يوفر للأمة موارد مادية هائلة، فعلينا أن نتذكر أن واقع المسلم المستقيم على منهج الله هو إنتاجية متواصلة، سواء كان في بيته أم خارجه، وسواء كان في محرابه أم مكتبه، وسواء كان في يقظته أم حتى في نومه.

ولا شك أن كل هذه الأعمال توفر على الشخص وأسرته ومجتمعه مصاريف لا حصر لها؛ فهي تحمي الأسرة والمجتمع من الأمراض الصحية والنفسية والاجتماعية، التي عادة ما تكون سببها البطالة والاعتماد على الغير - كالخدم الوافدين - في قضاء مصالح الفرد والأسرة، فشخص واحد يقوم بدور الزوج



الصالح والأب الناصح والمربي العارف والمعلم القدوة والصديق الوفي والصاحب المخلص والمستشار الأمين والمؤلف المبدع؛ فأَيُّ إنتاجية أعظم من هذه؟ وما مقدار الوقت الذي يذهب سدًى لمثل هذا المستقيم على دين ربه، السائر حذو خطى نبيه، المترسم لمعالم هدي سلفه، المتطلع لآفاق رحبة لأتمته؟ وإذا بدا هذا الكلام ثقیلاً على من احتجبت أفئدتهم عن أنوار الإيمان، وتضاءلت عقولهم عن إدراك حقيقة التشريع الرباني، فإننا نوضح ما قلناه بما يلي:

١- عندما يكون المسلم المستقيم في بيته، فهو:

- ✓ إما أن يكون مُدبِّراً لشؤون منزله، مستصلحاً لأحواله، أو مُعِيناً لزوجته.
- ✓ وإما أن يكون مربيّاً لأطفاله، مهذباً لسلوكهم، مُعِيناً لهم على تذكّار دروسهم.
- ✓ وإما أن يكون مسترسلاً في ملاطفة أهله، مداعباً لأولاده، وفي كل أحواله تجده مجتهداً في الارتقاء بأسرته، حريصاً على تميّزها ومساهمتها في البناء والعطاء.
- ✓ وإما أن يكون مجتهداً في تطوير نفسه، مُقَيِّماً لإنجازاته، مراجعاً لرسالته وأهدافه، فتجده إما قارئاً أو كاتباً أو متابعاً لشؤون مجتمعه وأتمته، وفي كل ذلك فهو حريص على الوصول بها إلى مراتب السموّ الإنساني والكمال البشري.
- ✓ وإما أن يكون مسترخياً أو نائماً، جاعلاً كل ذلك - عن قصد ونية - بمثابة الشحن لهما، والتجديد لعزيمته.

- ✓ وإما أن يكون في صلاةٍ أو تلاوةٍ أو ذكرٍ، مختلياً بربه، مناجياً له، شاكياً له همومه وابتلاءاته، مستدراً منه ألطافه ورحماته. وإذا هجم الليل بسواده، وتعاقبت النجوم في مطالعها، وهجعت النفوس في مراقدها، هاجت نفسه لمناجاة البارئ المنان، وتاقت روحه لاستدراار الرحمة من الرحيم الرحمان، فهبَّ واقفاً في غرفته،

يناجي ربه، ويستجدي منه عطفه ورحمته، ويسأله التوفيق والسداد لسيه، ويبكي بين يديه على تقصيره وتفريطه.

٢- وعندما يكون المسلم المستقيم خارج بيته، فهو:

✓ إما أن يكون في مسجده ومصلاه، مؤدياً لفروض ربه، متحبباً إليه بالنوافل، تالياً، ذاكرًا، ملقيًا لدرس، أو مستمعًا لعظة، أو طالبًا لنصيحة، أو مسلمًا على أخ، أو متجاذبًا لحديث مع صديق، أو متفحصًا لزوايا المسجد، علّه يجد عيبًا فيصلحه، أو نقصًا فيوفره.

✓ وإما أن يكون في مكتبه أو ورشته أو متجره، منهمكًا في تأدية عمله، شغوفًا بأداء أمانته، سعيًا بإنجاز مطالبه، حريصًا على احترام زملائه ومساعدتهم، لطيفًا بزبائنه في معاملته لهم، جريئًا مع مرؤوسيه في تقديم النصح لهم، راغبًا في ملاطفتهم وبذل الود لهم، زاهدًا في التزلف إليهم أو الانتقاص منهم، إذا أوكل إليه أمرًا أنجزه على التمام، وإذا فوّضت إليه مسؤولية رعاها بالعناية والاهتمام، لا يضيع أوقاته في قيل وقال، والحديث والابتذال.

✓ إذا تصفّح جريدة أو موقعًا فإنما لغاية، وإذا اتصل بالهاتف فإنما لإنجاز عمل، لا يَدْخُل شؤونه الخاصة في لوائمه عمله، ولا ارتباطاته الاجتماعية في أوقات شغله، إذا قصّرت نفسه في مهمة ألزمها تعويضها، وإذا زلّت لسانه في حق زملائه أو مرؤوسيه حملها على استدرار الصفح منهم، وإذا طاشت يده في مُلك لا يحلُّ له أدبها بقسوة وألزمها غرمه، وفي كل هذه الأحوال جعل خالقه نصب عينيه، واستحضر ضميره من بين جنبيه، واستبصر بإيحاءات جنانه، وإرشادات عقله، وخلصات نفسه.

✓ وإما أن يكون في مدرسته أو جامعته، مُنصِتًا لمعلّم، أو محاورًا لزميل،

أو مذاكرًا لدرس، أو باحثًا عن مسألة، وإذا كان في درس، هيأ نفسه للاستماع والإنصات، وألزم عقله بتمحيص المعلومات، وتجلية المبهمات، والربط بين المفردات، وألزم لسانه بالسؤال بأدب، والمناقشة بتواضع، والتعليق بصدق، وإذا استرسل المعلم في شرحه، استرسل هو في تدوين المسائل، والتفكير في الغوامض، وإذا قذف المعلم بأسئلته، واستعدى على فكر الطلاب بمناقشته، اعتصر هو بنات أفكاره وأمهاات خيالاته، فأنتجها دررًا ناطقات، وجواهر من البلاغة شذيات، فأرسلها في وجه أستاذه مجلجلة كالرعد القاصف، عميقة كالغيم البهيم، مسترسلة كالرذاذ المتواصل، ممتعة كالغيث الوابل.

✓ وإذا كان بين زملائه، كان لهم بمثابة الابن لأبيه في الاحترام، والأخ لأخيه في النصيحة والالتزام، لا يقول فُحشًا فيستقبحونه، ولا مجونًا فيحتقرونه، ولا هذوًا فيستزهدونه، مخالطتهم له صحبة، ومخالطته لهم مفخرة، وإذا وجد منهم ذا حاجة أجهد نفسه لقضاء حاجته، وإذا رمته المقادير بين شراذم الخلق وطَن نفسه على النصح لهم، وإذا دعت الضرورة لحاجة ملحة أو أمرٍ مستعصٍ، استعلت نفسه عن الاستجداء، وروّضها على الطلب بالحسنى، أو الصبر والاحتساب.

✓ وأما إذا كان مذاكرًا لدروسه، فهو إنما في جهاد وكرٍّ وفرٍّ؛ لا يتلهى بالصور والزخارف عن الفوائد والمعارف؛ لا ينتقل من عبارة حتى يفهمها، ولا مسألة حتى يفك مبهمها؛ لا يُقصر نفسه على الكتاب والكُرَّاس، وإنما يغوص في بطون الكتب، ويراجع تعليقات النقاد والمحققين، وشروحات ذوي البصيرة في العلم والدين.

✓ وإما أن يكون سائحًا في مجتمعه، مختلطًا بأهل بيئته، زائرًا متفقدًا لأحوالهم، أو ناصحًا ومُعلِّمًا لهم، أو طالبًا مستقصدًا لعلمهم، لا يمرُّ بفقير إلا واساه، ولا محتاج إلا أعطاه، ولا صاحب حاجة إلا سعى له في قضائها، وإذا رأى منكراً ألمه فاستنكره، وعزم على تغييره باللطف والموعظة الحسنة، واستشار أصحاب الهمم

الفصل الأول: الزيادة في الإنتاجية

لنجدته، وأصحاب العلم لتوجيهه، فإذا به لا يَقَرُّ له قرار حتى يرى ذاك المنكر قد زال، وحال صاحبه قد تبدل إلى خير حال.

✓ وإذا أَلَمَّتْ بشخص فاجعة، كان هو أول من يفرُّ لمواساته، وآخر من يبقى معه لمؤازرته، المال الذي يملكه ليس ماله، وإنما مال صاحب الحاجة إليه، ولذا فتراه راكضًا في هذا الطريق أو ذاك، باحثًا عن صاحب حاجة فيعطيه، أو مُعَسِّرٍ فيقرضه، أو يتيم فيكفله، أو طالب علم فيعينه، أو شابَّ يريد الزواج فيتكفل بمهره وعرسه، وإذا زاره ضيفٌ فكأنه العيد قد نزل، وإذا زار أخًا له أو جارًا فهو كالنسيم الخفيف، لا يستثقل ضيفه فيرحل عنه، ولا يستثقله مضيفه فيزعج.

هذه شذرات من أحوال المستقيمين على دين الله، وأما خصالهم وتفاصيل أفعالهم فليست تحصيها المجلدات، ولا تتسع لسردها المقامات، وإنما أوردنا منها ما يبرئ جانبنا من جناية تضخيم الأرقام، وما يبعث في نفوسنا إلى التطلع لمراتب الاستقامة، والتعلُّل بغدٍ أفضل يسير وفق منهج الله وهُدًى رسوله، عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

وإذا دققنا فيما أوردناه من أحوال المستقيمين، سواءً في منازلهم أم خارجها، ونظرنا إلى كل ذلك بعين الإنصاف، لوجدنا أننا - في حقيقة الأمر - لسنا بعيدين عن نيل تلك المراتب، وليست أمتنا بعيدة عن الوصول إلى قيادة الأمم، وكل ما نحن بحاجة إليه هو الشروع في السير على منهج الله - سبحانه وتعالى - القائل: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]؛ واقتفاء أثر سيد الخلق ﷺ الذي كان مثلاً لن يتكرر لأعظم إنسان، قبل أن يكون خير نبي، والذي قال عنه سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ

اللَّهُ كَثِيرًا ﴿[الأحزاب: ٢١]﴾؛ واقتفاء سيرة الصحابة الميامين الذين كانوا منارات هدى وإرشاد، وجامعات علم وتقوى، والذين وصفهم - سبحانه - بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]؛ واقتفاء سيرة التابعين والعلماء العاملين والمجاهدين في سبيل رفعة هذه الأمة إلى يوم الدين، الذين يقول عنهم خالقهم ومولاهم - وهو العليم الخبير بأحوالهم -: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الفصل الثاني:

الزكوات والأوقاف والأضاحي

لقد جاء ديننا الحنيف لينشئ مجتمعاً له من القيم والفضائل ما لم تشهده البشرية من قبل، ولن تشهده إلا في ضل الإسلام. ومن الصور المشرقة الجليلة للإسلام في تطبيقات الحياة ما يلمسه المرء في واقع الناس من تكافل وتعاضد على البر والإحسان، ودرء لأوجه الإثم والقطيعة والعدوان. يقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ومما يمثّل فيه هذا التّكافل والتّعااضد الزكاة المفروضة والصدقات التطوعيّة؛ فالزكاة قاعدة المجتمع المؤمن المتكافل المتضامن، والصّدقة عطاء وسماحة، وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل، والنفس التي تنفق في سبيل الله لا تخشى الفقر؛ لأنّها نفس تتصل بالله وتعتمد عليه، ولا يترزعزع يقينها فيما عنده؛ فهي إنّما عليها أن تأخذ بأسباب الرّزق الظاهرة في الأرض، ثم تستيقن بأن تلك الأسباب ليست هي التي ترزقها، وإنّما خالقها ومسببها، فرزقها مقدر في السماء، وما كتب الله لا بُدّ من أن يكون؛ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

جاء الإسلام بنظام اقتصادي رائع قادر على حلّ المشكلات الاجتماعية التي تتنوّع منها مجتمعات الأرض اليوم؛ كمشكلة الفقر والبطالة، ومشكلة الفقر التي جاء الإسلام لعلاجها مردّها - في أغلب الأحيان - إلى الإنسان ذاته؛ سواء بكفرانه بالنعمة من حيث إهمال استثمار الطبيعة، وعدم استغلال الموارد التي تفضّل الله بها على



آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

عباده، أم بظلمه من ناحية سوء توزيع الدخل والثروات. غير أن علاج الفقر في الإسلام لا ينصرف فقط إلى الزكاة؛ بل يرجع أساسًا إلى العمل، ونفقات الموسرين من الأقارب والصدقات المستحبة وغيرها^(١)، وكذلك فإن الوقف يُعدُّ إحدى الركائز الأساسية للنهضة الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية.

وبالإضافة إلى زكاة المال والصدقات والأوقاف، فقد أوجد - سبحانه - لعباده سبلاً أخرى لكسب الثواب، وفي الوقت نفسه تُقوِّي تعاضد أفراد المجتمع، وتُبقي فيهم الأخوة والتآزر، ومن هذه السبل زكاة الفطر وأصاحي العيد؛ فربنا الكريم شرع لنا في ختام شهر رمضان زكاة الفطر، وهي عبادة جليلة يزداد بها الإيمان، وتتم بها النعمة، وهي فرض على جميع المسلمين؛ على الصغير والكبير والذكر والأنثى، وشرع لنا أيضًا الأضحية والتصدُّق بثلاثها على الفقراء، وكلها وسائل تصبُّ في قضية معالجة الفقر.



١- زكاة المال

لقد قرّن - سبحانه - ذكر الزكاة والصلاة في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، التي وردت في آيات كثيرة. ولولا ما في الزكاة من المنافع للعباد في معاشهم ومعادهم، وفيما يخصّهم أفرادًا وجماعاتٍ ودولًا وأممًا؛ لما كانت عناية الشريعة بها كذلك؛ إذ إن الله تعالى لا يشرع لعباده إلا ما يصلحهم في الدنيا والآخرة، والزكاة دليل صدق العبد في إيمانه، وتسليمه لربه، وثقته في موعوده؛ ولذلك يبذل أغلى ما يملك عن طيب نفس ورضا، وهذا الفهم لمعنى الزكاة يرتكز على مفهوم التلازم بين الفعل والقول والاعتقاد في الإسلام، فلا يكمل الاعتقاد بلا قول، كما لا يكمل القول بدون فعل، فالتلازم بين هذه الأمور الثلاثة لحمّة عقيدة الإسلام ومركزها.

ومفهوم الزكاة ليس كما يظنُّ كثيرٌ من النَّاس أنها مجرد عبادة فردية تقوم على أساس العلاقة بين العبد وربّه دون أن يكون لها أثر في حياة المجتمع، وكثير من أبناء الأمة الإسلامية لا يدركون ولا يتمثلون الصورة الحقيقية للزكاة، فلا يُقدِّرون أهميتها ودورها العظيم في بناء المجتمع، ويحسبون أنها مجرد إعطاء لُقِيَمَات أو بعض الريالات، ولكن الحقيقة هي أنها نظام رباني فريد شرعه الله تعالى ليكون أساس النظام الاقتصادي والمالي؛ فهي جاءت لتحارب الفقر والبطالة، وتُعين على الاستقلال المالي وزيادة الإنتاج، وجاءت لمحاربة الكنز وتشجيع الاستثمار، ولها أثر واضح في توزيع الدّخل والثروة، كما أنّ بعض أحكام الزكاة لها تأثير دائم نحو الحد من الرُّكود الاقتصادي.

إنَّ فريضةَ الزكاة تُعدُّ وسيلةَ فعالة من وسائل إعادة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع على أساس عادل، فالزكاة تُؤخذ من الغني، وتعطى للفقير؛ إذ لو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم، لَمَا رأينا فقيرًا، ولا مسكينًا، ولا جائعًا، ولا عاريًا، ولا محرومًا، وهذا ما حدث في عصر الخليفة العادل الإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يومَ أن أقام العدلَ في الأمَّة، ويومَ أن عرف الأغنياءُ حقَّ الله في أموالهم. جُمعت الزكاة في عصره، ووزعها على الفقراء، وفاض المال في بيت مال المسلمين، رغم أنه كان يحكم أمةً تَمُتد حدودُها من الصين شرقًا إلى باريس غربًا، ومن حدود سيبيريا شمالًا، إلى المحيط الهندي جنوبًا، فأصدر أمرًا بأداء الديون وقال: «**اقضوا عن الغارمين**»، فُقُضت ديون الناس وما زال المال فائضًا، فأصدر أمرًا بإعتاق العبيد من بيت مال المسلمين، فأعتق العبيد وما زال المال فائضًا في خزينة الدولة، فأصدر أمرًا بتزويج الشباب وقال: «**أيُّما شاب أراد أن يتزوج، فزواجه على حساب بيت مال المسلمين**»، فتزوج الشباب وبقي المال.

أين حال الأمة اليومَ من هذا الذي حصل في عهد عمر بن عبد العزيز، والأمة اليومَ أغنى من ذلك العهد بكثير؟! وهناك أمور مهمة تتعلق بالزكاة يجب التنبيه إليها؛ وهي^(١):

■ أن الضريبة لا تُغني عن الزكاة؛ فالضرائب - من حيث الأسباب ومن حيث المصارف - تختلف عن الزكاة؛ لأنَّ الزكاة حُدِّدت في أموال معيَّنة، ومصارفها الثمانية حدَّدها ربُّنا - عزَّ وجلَّ - في كتابه، فالزكاة لا تخرج عنها. كذلك، فإن الزكاة حقُّ الفقير في مال الغني، وهو حق ديني مقدَّس، أما الضرائب فهي حق الدولة، ويشترك في الانتفاع بها كلُّ الناس، المسلم وغير المسلم، والغني والفقير على السواء، فالضرائب لا تنوبُ عن الزكاة أبدًا.

(١) «التطبيق المعاصر للزكاة»: علي السالوس.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

■ أن الزكاة متى وجبت فلا تسقط بالتقادم، فمن وجبت الزكاة في ماله ولم يخرجها لأكثر من حَوْل؛ فإنَّ ذمَّته لا تبرأ إلا بإخراج كل ما وجب منها.

■ إذا لم تُقِّم الدولة بجباية الزكاة وتوزيعها في مصارفها الشرعية فإنها لا تسقط عن المكلَّف، بل عليه أن يبحث بنفسه عن مصارفها المستحقة لها.

والواقع التاريخي للدولة الإسلامية الراشدة يؤكد أن الزكاة كانت أهم إيرادات الدولة، ولعل إيرادات بيت المال في أول عهد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة كانت قاصرة على أموال الزكاة وخُمس الغنائم^(١)، ومع أن أنواع الزكاة في ذلك العصر كانت أقل بكثير مما هي عليه في عصرنا الحالي، إلا أن الحصيلة التي كان يتم جبايتها من الزكاة كانت تملأ بيت المال؛ لدرجة أن الرسول ﷺ في آخر حياته تولى قضاء دين كل من يموت وليس له مال^(٢). روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: فلما فتح الله عليه الفتوح، قال الرسول ﷺ: «أَنَا أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَعَلَيْ قَضَائِهِ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا، فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ»^(٣).

والذي يذكره المؤرخون في سبب تدوين عمر بن الخطاب للدواوين: أن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - حمل إلى الفاروق عمر الصدقات (أي الزكاة)، وكانت ألف ألف درهم، فقال له عمر: «بكم قدمت؟» قال: «بألف ألف»، فأعظم ذلك عمر، وقال: «هل تدري ما تقول؟» قال: «نعم، قدمت بمائة ألف ومائة ألف»، عد عشر مرات، فقال عمر: «إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَلْيَأْتِنِ الرَّاعِي نَصِيْبُهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ بِالْيَمَنِ وَدَمِهِ فِي وَجْهِهِ»^(٤).

(١) اشتراكية الإسلام: مصطفى السباعي، ص ١٣٢.

(٢) «السياسة المالية في الإسلام»: عبد الكريم الخطيب، ص ١٩٤.

(٣) رواه مسلم (حديث رقم: ١٦١٩)، وابن ماجه (حديث رقم: ٢٤١٥)، وغيرهم من أصحاب السنن.

(٤) «الخراج»: أبو يوسف، ص ٤٦.

أثر الزكاة في نمو المجتمع واستقراره

تمثل الزكاة، وفق الفهم الصحيح لمنهج الإسلام، أساسًا يقوم عليه النظام الاقتصادي والمالي والاجتماعي في الإسلام، ولكن تطبيقها يحتاج إلى عملية ربط مع أهداف المجتمع وبالذات معالجة الفقر وزيادة الاستثمار. إن حياتنا الاقتصادية والمالية والاجتماعية يجب أن تصاغ وفق تعاليم هذا الركن، وأن تكون مستوحاة من فلسفته ومقاصده العليا، ولذا فنحن بحاجة إلى إيجاد الوسائل والأدوات التي تُحوّل هذا الفهم إلى واقع عملي ملموس، يُسهّم في حل العديد من المشاكل التي تعصف بالأمة في هذا الجانب.

وإذا أمعنا النظر فيما ورد في الزكاة من آيات وأحاديث، واستنطقنا التاريخ في الوقائع والأحداث التي حوّلت الزكاة إلى واقع عملي حي، لوجدنا أن للزكاة من المعاني والمرتكزات ما يصعب حصره في مجلدات. لكننا نشير هنا - على عجلة - إلى بعض المعالم التي يمكن أن تُحوّلها من مجرد مقدار بسيط من المال يخرجها الغني مرة واحدة في كل عام إلى ركن أساسي تقوم عليه دعائم هذا الدين^(١).

١- الجانب الإيماني والتعبدي:

■ الزكاة هي عماد السياسة المالية في الإسلام، جاءت لتحارب الكثر وتشجع الاستثمار وتقضي على الفقر. يقول المولى - سبحانه -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والتطهير هنا من عدة وجوه:

✓ فالزكاة تطهر الفقراء من الحسد والحقد والغل على إخوانهم الأغنياء، لأن الفقراء عندما يرون أن الأغنياء قد أحسّوا بهم، وشاركوهم في مصابهم، وتلمّسوا

(١) «الزكاة ودورها في الاستثمار والتمويل»: علاء الدين عادل الرفاتي، مع كثير من التصرّف.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

حاجاتهم، وواسوهم بأموالهم، دعوا لهم وتمنّوا أن تزداد أموالهم. فالزكاة أعظم صلة بين الفقراء والأغنياء، وفيها إزالة للحواجز المصطنعة بينهم، وتقريب بعضهم من بعض حتى يكونوا إخوة متآلفين، متحابين في الله تعالى، متعاونين على البر والتقوى.

✓ وتطهر الأغنياء من الكِبَر والبطر لعلمهم أن المال مال الله، وأن ما يُخرجونه من زكاة إنما هو حق الله، ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ١٤]. وهي أيضًا تطهرهم من البخل والشح، ﴿وَمَن يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦]، وتطهرهم فلا يصيرون عبيدًا لأموالهم؛ لأنهم يخرجون جزءًا منها لله عز وجل، وأما مَن يتحوّل المال عنده إلى إله، فالنبي ﷺ يقول عنه: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ»^(١). وكم من صاحب مال يملكه المال ويُسيّرُه حتى يكون عبدًا له، فيوالي في المال، ويُعادي فيه، ويحب فيه، ويبغض فيه، ويشقى في جمعه ولا ينتفع به، ويخشى فواته أكثر من خشيته على دينه أو نفسه أو ولده، ولربما هلك بسبب خسارته، فهذا عبدٌ لماله وإن ملكه.

✓ وتطهر الأموال مما يكون قد علق بها من الحرام أو الشبهات وصاحبها لا يدري.

■ حرص المسلم على الأجر والثواب من خلال إخراج الزكاة هو - بحد ذاته - من الدوافع التي تجعله يجتهد في العمل والسعي وزيادة الثروة حتى تكون حصيلة الزكاة التي يخرجها وفيرة ينال عليها الأجر والثواب الجزيل، وهذا المنهج الذي يعتمد عليه الإسلام في تعبئة الشعور الإيماني عند المسلمين بأن الزكاة مغنم وليست مغرمًا هو من أرقى الأساليب وأكثرها فعالية، إذ يعتمد على تربية الأفراد وتقوية الوازع الديني الذي يدفعهم ويلزمهم ذاتيًا بأوامر الشرع من منطلق إيماني.

(١) من حديث رواه الطبراني في الأوسط (حديث رقم: ٢٥٩٥).

٢- الجانب الاقتصادي والمالي:

لو أمعنا النظر في الزكاة لوجدنا أن فيها كل عناصر السياسة المالية الحكيمة التي رسمها الإسلام، وطالب المسلمين ببناء نظامهم المالي استرشادًا واقتداءً بنموذج هذه الفريضة، وعلى المسلمين في هذا العصر الاستفادة من هذه الفريضة كما كان يفعل ذلك سلفنا الصالح حتى أصبح مجتمعهم نموذجًا فذاً في الحياة، ولعل تدهور حال الأمة ماليًا وسياسيًا في هذا العصر سببه تضييع المسلمين لهذه الفريضة، وما ترتب عليه من إضعاف سياسة الإسلام العليا، والقعود عن الإعداد النفسي والعملي لصد الأعداء، ونشر الدعوة في أنحاء الأرض.

أ- تشجيع الجانب الاستثماري:

■ إن تحصيل الزكاة من أصحابها من شأنه دفع هؤلاء وتحفيزهم إلى استثمار أموالهم حتى لا تأكلها الصدقة، ولهذا أمر الرسول ﷺ الأوصياء على أموال اليتامى أن يتاجروا بها حتى لا تأكلها الصدقة^(١). إن الزكاة - باعتبارها وسيلة من وسائل محاربة كنز المال وتعطيله - من شأنها أن تحفز أصحاب رؤوس الأموال للبحث عن مجالات استثمارية إنتاجية وإلا تناقص رأس المال بتكرار دفعه للزكاة، وفي ظل تحريم الربا والتعامل بالفائدة في النظام الاقتصادي في الإسلام فلا مجال أمام أصحاب رؤوس الأموال إلا بالتوجه إلى المشروعات الإنتاجية، وإذا كان صاحب المال غير قادر على استثماره بنفسه، فإنه يستطيع أن يدفعه إلى غيره من الأشخاص القادرين على استثماره وفقًا لنظام المشاركة أو المضاربة أو غيرها من أشكال استثمار رأس المال.

■ والزكاة أيضًا وسيلة لمنع تركز الثروة في يد فئة قليلة؛ إذ إن بقاء رأس المال

(١) يقول الرسول ﷺ: « أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَجَرَّ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ ». رواه الترمذي عن عمرو بن شعيب (حديث رقم: ٦٤١).



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

في يد قلة من أفراد المجتمع تتحكم في استثماره بدون منافسة يُعطّل هذا المال عن تشغيله في جوانب الاستثمار الأخرى، وأما إذا توفر المال وانتشر في أيدي معظم الناس فإن الحافز للاستثمار والبحث عن مشروعات إنتاجية مربحة يزداد، وتزداد جدية أصحاب الثروة في الاستثمار نتيجة لزيادة المنافسة بين رؤوس الأموال على تنفيذ المشروعات، وهذه الصورة لا تكون موجودة في ظل تركيز الثروة، حيث يركز أصحاب رؤوس الأموال على المشروعات الاحتكارية لعدم وجود من ينافسهم.

ب- الموازنة بين الإنتاج والاستهلاك:

■ تعمل الزكاة على إحداث توازن بين الإنتاج والاستهلاك، إذ إن توفير المال في يد الفقير وتمكينه من سد احتياجاته يعني تقوية جانب الطلب على الاستهلاك، ووجود الطلب من شأنه أن يشجع المنتجين على القيام بإنتاج السلع لتلبية الطلب المتزايد، وبالتالي تستمر دورة الإنتاج ولا تتكدّس السلع في المخازن، نتيجة لضعف الطلب وعدم مواكبته للإنتاج. ومشكلة ضعف الطلب تعتبر من أهم المشاكل التي تواجه الاقتصاد الرأسمالي وما ينتج عنها من أزمات اقتصادية عظيمة، مثل مشكلة الكساد والركود الذي يصيب النشاط الاقتصادي، والدورات الاقتصادية التي سببها بالدرجة الأساسية ضعف الطلب مقابل العرض. كذلك، فإن إنفاق الفقراء للزكاة في شراء احتياجاتهم من السلع والخدمات يزيد من تيار الاستهلاك وهذا معناه زيادة الطلب الكلي، والذي بدوره يدفع أصحاب المشروعات إلى التوسع في استثماراتهم لتغطية الزيادة في الطلب.

ج- المساهمة في التنمية الاقتصادية:

■ للزكاة مساهمتها المباشرة في عملية التنمية الاقتصادية؛ فقد ذكر الفقهاء أن سهم «وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعني المصالح العامة للمسلمين^(١)، وهذه المصالح يمكن

(١) «الإسلام عقيدة وشريعة»: محمود شلتوت.

أن تشمل العديد من مشروعات التنمية الاقتصادية وبالذات ما يتعلق منها بالبنية التحتية من شق الطرق وتعييدها وبناء الجسور وإقامة المدارس والمستشفيات وغيره مما يحتاجه المجتمع^(١). كما أن بعض العلماء أوضح بأن سهم «ابن السَّيْل» يمكن إنفاقه في تعبيد الطرق وخطوط المواصلات، والتي تُعدُّ من صميم ما يعرف بالهياكل الأساسية للمجتمع والتي يتوقف على توافرها نجاح كل استثمار، بل عملية التنمية الاقتصادية تتعرقل إذا لم تتوفر هذه الهياكل الأساسية^(٢).

■ كذلك فإن الإنفاق على المرافق والخدمات العامة، وعلى الأخص المرافق التعليمية والصحية، له أثره الكبير على التنمية الاقتصادية؛ إذ إن الإنفاق عليها يُعدُّ استثمارًا لتكوين رأس المال البشري الذي يعتبر ضروريًا لكل تنمية اقتصادية؛ فالإنسان هو صانع التنمية وكلما زُوِّدت الموارد البشرية بالمهارات والإمكانات ساعد ذلك في زيادة الإنتاج والنهوض بعملية التنمية، ولاشك أن هذه الخدمات والمرافق تُسهم بدرجة كبيرة في بناء الفرد فكريًا وبدنيًا، مما يؤدي في النهاية إلى زيادة طاقة الأفراد على العمل والإنتاج وكل ذلك يصبُّ في عملية التنمية الاقتصادية.

د- دعم الجانب التمويلي:

■ تُسهم الزكاة في عملية التنمية من خلال توفير المناخ الاستثماري الملائم، وتمويل مشاريع البنية التحتية التي تعتبر الأرضية اللازمة لأيَّ عملية تنمية اقتصادية. إن تمويل بعض المشروعات عن طريق الزكاة يساعد في قيام مشروعات مُكمّلة لها، إذ إن قطاعات الاقتصاد وصناعاته مترابطة ومتداخلة بحيث إن إنشاء مشاريع في قطاع معين يدفع إلى إنشاء مشاريع أخرى مُكمّلة لها، سواءً أكانت لتوفير

(١) «إنفاق الزكاة في المصالح العامة»: محمد أبو فارس.

(٢) «تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي»: دنيا شوقي، ص ٢٨٥.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

مستلزمات الإنتاج للمشروعات القائمة، أم تقوم على أساس أن المشروعات القائمة توفر مستلزمات إنتاج تحفز مشروعات أخرى على الاستفادة منها.

■ ومن هنا نجد أن للزكاة دورها الريادي في الجانب التمويلي؛ إذ إن وفرة حصيلة الزكاة تجعلها أداة مهمة في هذا الصدد. ومما يساعد على وفرة حصيلة الزكاة:

✓ أن النسبة التي تفرض بها الزكاة تصل في بعض الثروات إلى ٢٠٪ ولا تقل عن ٥, ٢٪، ويربط هذا السعر مع وعاء الزكاة فإن الحصيلة المترتبة تكون كبيرة.

✓ أن وعاء الزكاة يشمل معظم أنواع المال في المجتمع.

✓ تكرار جمع حصيلة الزكاة كل عام من شأنه أن يجعل الحصيلة وفيرة جدًا، وقد أشارت بعض الدراسات^(١) إلى أن تكرار جمع الزكاة على مدى ١٠ سنوات كفيل لوحده بإعادة توزيع ثلث الناتج المحلي.

٣- الجانب الاجتماعي:

للزكاة دور فعّال في تطهير المجتمع كله من مشاكل الفقر، واكتناز الثروات، وفُشو الطبقة، وزيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء؛ إذ إن المال - ولو جزءًا يسيرًا منه - يُتداول بين الناس فيعم النفع على المجتمع. وللزكاة دورٌ رئيسٌ أيضًا في حلّ المشاكل الاجتماعية من أمية وبطالة، بالإضافة إلى قدرتها على حلّ مشاكل الزواج والعنوسة، وهي أيضًا تطهر المجتمع من جرائم السرقة والنهب والغصب وقطع الطريق، وغير ذلك من أوجه الاستيلاء على الأموال بغير حق؛ فإن المحتاجين إن جاءهم المال من الأوجه المشروعة، لم يحتاجوا إلى تحصيله بطرق محرمة.

(١) «السودان وموارد الزكاة الاقتصادية»: محمد هاشم عوض.

وقد أشار أحد الخبراء^(١) إلى أن أقل مبلغ يمكن أن يخرج كزكاة من أموال الجزائريين مثلاً يُقدَّر بحوالي ٥, ٢ مليار دولار، إذ ذكر أنه يوجد في الجزائر وحدها ما يزيد عن ٦٠٠٠ مليونير، ولا عجب فإن هذه الزكاة يمكن أن تصرف كالتالي:

- تقديم ١٠,٠٠٠ دينار جزائري شهرياً لـ ٥٠٠,٠٠٠ عائلة فقيرة.
- تقديم ١٣,٧٠٠ قرض حسن بقيمة ٣٠٠,٠٠٠ دينار جزائري.
- توفير ٢٧,٤٠٠ وظيفة كل سنة.
- إنشاء وتجهيز ما لا يقل عن ٥٠٠ مكتب لصندوق الزكاة كل سنة.
- توظيف ١٠٠٠ عامل على الزكاة كل سنة.

أ- علاج مشكلة الفقر:

«إن أعظم آفة تصيب المجتمع وتهز كيانه هزاً، وتنخر في عظامه من حيث يشعر أو لا يشعر: أن يوجد الثراء «الفاحش» إلى جانب الفقر المدقع، أن يوجد من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك قوت يومه، أن يوجد من يضع يده على بطنه يشكو زحمة التخمة، وبجواره من يضع يده على بطنه يشكو عضه الجوع، أن يوجد من يملك القصور الفخمة لا يسكنها ولا يحتاج إليها، وبالقرب منه حجرة «البدروم» التي تضم في أحشائها الدقاق رجلاً وأبويه وزوجه وأولاده!!»^(٢).

ومن ينظر في واقع المسلمين اليوم يجد أنهم قد قصّروا كثيراً تجاه هذا الركن الركين من دين الإسلام، فشحت نفوس كثير منهم عن أداء حق الله تعالى في أموالهم، فعوقبوا بكثير من المشكلات الاقتصادية التي يبحثون لها عن حلول فلا يجدون. ولو نظرنا إلى كثرة الأسواق والمحلات التجارية في بلاد المسلمين، وحسبنا أعداد الشركات والمؤسسات لوجدنا أنها أكثر عدداً من الأسر الفقيرة في

(١) «تجربة صندوق الزكاة الجزائري في مكافحة الفقر»: مسدور فارس.

(٢) «دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: يوسف القرضاوي، ص ٥١.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

المجتمعات، ولو نظرنا إلى حسابات كبار التجار وأباطرة المال لوجدنا أنها تقارب موازنات دول كاملة، لو أخرج هؤلاء وأولئك ما أوجب الله تعالى في أموالهم من زكاة لما بقي في الناس فقير ولا محتاج.

والعجيب أنه كلما ازدهر الاقتصاد، وتحركت أسواق المال والأعمال، وكثرت مصادر الدخل، واكتشفت الدول منابع أخرى للثروة؛ ازداد الفقر في الناس، وانضم أناس جدد إلى قوائم الفقراء، مع أنه في الحسابات البشرية يجب أن يكون الحال بعكس ذلك، ولكن السنن الربانية، والنواميس الكونية لا تختل ولا تخطئ؛ فإن تلوث الأموال بالكسب الخبيث نزع البركة منها، وجعل عاقبتها إلى محق وقلة، وإن التقاعس عن إخراج زكاتها أوقف نماءها وزيادتها، وزاد من محقتها وقلتها وإن بدا للناس في الظاهر أنها تنمو وتزداد، وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لَّا يَرِيءُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيءُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، فتضعيف المال وبركته إنما يكون بتطهيره مما حرّم الله تعالى، وتركه بالزكاة الواجبة، والصدقة المندوبة، وما نقص مال من صدقة.

ورغم أن هناك ما يزيد عن ٨٠٪ من إجمالي عدد سكان بعض الدول الإسلامية يعيشون تحت خط الفقر^(١)، إلا أن هناك أيضًا العديد من المسلمين ممن أُتخمت بطونهم وجمعوا - بحق أو بغير حق - من الأموال ما لو أنفقت زكاتها الشرعية على المسلمين لحلّت الكثير من مشاكلهم. يقول الدكتور عبد الرحمن حمود السميّط^(٢) رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر (مسلمي أفريقيا سابقًا) بأن زكاة أموال أثرياء العرب تكفي لسد حاجة ٢٥٠ مليون مسلم؛ إذ يبلغ حجم الأموال المستثمرة

(١) «قائمة الدول حسب نسبة الفقراء من السكان»، الويكيبيديا العربية.

(٢) «عبد الرحمن السميّط.. خادم فقراء أفريقيا»: رجب الدمنهوري.

داخل وخارج البلاد العربية ٢٢٧٥ مليار دولار أمريكي، ولو أخرج هؤلاء الأغنياء الزكاة عن أموالهم لبلغت ٥٦,٨٧٥ مليار دولار.

لكن معلومات الدكتور السميّط عن أثرياء العرب كانت في عام ٢٠٠٣م، ولذا فهي قديمة نسبياً، والمعلومات الحديثة يمكن تبينها من القائمة التي تصدرها مجلة «فوربس» الأمريكية عن مليارديرات العالم، إذ احتوت قائمة ٢٠١٧م على ٤٢ مليارديرًا بلغت مجموع ثرواتهم ١٢٣,٤ مليار دولار^(١). كذلك، فقد قُدّرت مجموع الثروات الخاصة في منطقة الخليج العربي في ٢٠١٢م بحوالي ٤,٨ ترليون دولار^(٢). فإذا كانت هذه ثروة أهل الخليج فحسب، فكم تكون ثروة المسلمين في شتى أقطار المعمورة، وكم تكون زكاة أموالهم؟

ب- علاج الجهل والمرض:

وكما أن للزكاة دورًا رائدًا في علاج مشكلة الفقر، كما أشرنا آنفًا، فإن لها أيضًا دورًا مهمًا في علاج الأمراض الاجتماعية الأخرى مثل الجهل والمرض؛ فمشكلة الجهل كثيرًا ما يكون سببها الفقر، إذ لا يستطيع الفقير أن يتعلم ولا أن يعلم أولاده، ولهذا كان الهدف من الزكاة تلبية الحاجات الأساسية للفقير، وأما مشكلة المرض فإنها ترتبط بمشكلة الفقر على أساس أنه إذا ارتفع مستوى المعيشة، وتوافر لدى جمهور الأفراد حسن التغذية، والمسكن الصحي، والقدرة على العلاج فإن المرض ينحصر مداه في أضيق نطاق.

ج- علاج العنوسة والتشجيع على الزواج:

كذلك فإن مشكلة عزوف كثير من الشباب عن الزواج في عصرنا الحاضر؛

(١) «قائمة أثرياء العرب لعام ٢٠١٧»: موقع RT العربية.
(٢) «١١٢» ألف مواطن سعودي يمتلك ثروة تزيد عن مليون دولار»: موقع النيلىن.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

بسبب عجزهم عن تحمّل أعباءه المالية سواءً من ناحية الصداق أو التأثيث، هذه المشكلة تجد حلها كذلك في حصيلة الزكاة، ففيها متّسع لها من خلال تقديم إعانة لمن يريد أن يحفظ دينه، فالزواج من تمام حد الكفاية^(١)، وقد ذكرنا سابقاً ما قام به عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - من تزويج الشباب من بيت مال المسلمين.

د- التقليل من الجرائم:

تعتبر الزكاة من الوسائل المهمة لخفض نسبة الجرائم في المجتمعات، حيث تشير التقارير والدراسات إلى أن الكثير من الجرائم عادة ما تظهر في المجتمعات ذات المستويات المعيشية المتدنية، فقد أوردنا في الفصل السابق دراسة تشير إلى أن غالبية أسر العاطلين عن العمل من مرتكبي الجرائم تقلّ دخولهم الشهرية عن ٣٠٠٠ ريال سعودي وأن ٥٠٪ من عينة الدراسة تقلّ دخول أسرهم عن ١٥٠٠ ريال شهرياً، وأن ٥٠٪ منهم يسكنون في مساكن مستأجرة^(٢). وأظهرت دراسة أخرى أن «الذين يُنفذون عمليات إجرامية في مصر هم ممّن يعيشون في ما يسمى بـ «المناطق العشوائية»، نظراً لأنهم يعيشون حالة من الحرمان الشديد من أبسط مقومات الحياة»^(٣).

هـ- دعم الضمان الاجتماعي:

يُسهم الضمان الاجتماعي في تحقيق التشغيل الكامل من خلال إعادة مَنْ يخرج من حلبة الإنتاج إلى ميدانه مرة أخرى، إذ إن مبدأ الضمان الاجتماعي يقوم على إعطاء أصحاب الحرف والمهارات من المستحقين لنفقات الضمان الاجتماعي

(١) «الإسلام والاقتصاد»: عبد الهادي علي النجار، ص ١٤٣.

(٢) «دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١٪»: علي القحطاني.

(٣) «حزام الفقر... هاجس الأمن»: حمدي سليم.

ما يُمكنهم من موازنة مهنتهم عن طريق شراء أدوات الإنتاج لهم، فجمهور الفقهاء يرون أن يعطى الفرد بقدر حاجته سواءً أكانت الحاجة ديناراً أم عشرة آلاف دينار، فيعطى أهل الصنائع كالنجار والخباز والقصار ما يشترون به الآلات التي تصلح لصنعتهم^(١).

وعلى هذا فيمكن استثمار حصيلة الزكاة في إنشاء المشاريع الإنتاجية؛ إذ إن حجم الحصيلة التي يتم جمعها من الزكاة كبيرة بحيث تؤهلها لقيادة عملية التنمية الاقتصادية في شتى مجالات الاقتصاد القومي؛ فالدولة تستطيع توظيف هذه الحصيلة في مشاريع إنتاجية تعتمد على استغلال طاقة كل فرد ممن يتلقون الضمان الاجتماعي في عمل منتج نافع يخدم منه نفسه ومجتمعه، ولعل خير مشروع لتطبيق الضمان الاجتماعي في مجتمعنا الحديث ما يقوم على إنشاء المشروعات الإنتاجية الكبيرة، حيث يمكن إنشاء مشروعات إنتاجية من ميزانية الضمان الاجتماعي وتتلخص فكرة المشروع في النقاط التالية^(٢):

١- تجمع الزكاة، ويُفصل منها نصيب الضمان الاجتماعي، ويضاف إليها موارد الضمان الاجتماعي الأخرى.

٢- تُنشأ بهذه المبالغ مصانع، وتستصلح بها أراضي، وتقام بها متاجر، تتخذ شكل الشركات المساهمة من الوجهة القانونية، وتديرها مجالس معينة من قبل مجلس أعلى للضمان الاجتماعي، والذي يضم قادة الرأي في الاقتصاد والإدارة.

٣- تُلحق بهذه المنشآت إدارات للتدريب وأخرى للأبحاث وثالثة للتخطيط إلى آخر ما تتطلبه تلك الإمبراطورية المالية الاجتماعية الموسعة.

(١) ينظر «أسرار الزكاة»: أبو حامد الغزالي، ص ١٥١، «المجموع»: النووي، ج ٦، ص ٢٠٢، «الأحكام السلطانية»: الماوردي، ص ١٢٢.

(٢) «النفقات العامة في الإسلام»: يوسف إبراهيم يوسف، ص ٢٠٧.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

٤- يُقسَّم المستحقون للضمان الاجتماعي إلى طائفتين: قادرين على العمل، وعاجزين عنه، فيُدْرَب القادر على العمل ويُلْحَق بالمجال الذي يناسبه ويحصل من عمله على أجر المثل، وأما غير القادر فيُصْرَف له مرتبٌ شهريٌّ يكفيه طبقاً لظروفه والبيئة التي يعيش فيها.

٥- إيجاد إدارة تابعة للمجلس الأعلى للضمان الاجتماعي تهتم بشؤون المستقلين في أعمالهم، فتوفر لهم إمكانيات العمل عن طريق تمويلهم وقضاء ديونهم من ميزانية الضمان.

٦- تتوسع هذه المنشآت سنوياً في أحجامها ومجالاتها بما يضاف إليها من إيرادات الضمان الاجتماعي المتجددة، وبما يَفْضَل من أرباح المنشآت القائمة، بحيث تقوم هذه المشاريع بقيادة عملية التنمية الاقتصادية في شتى مجالات الاقتصاد.

و- محاربة البطالة:

يمكن أن يكون للزكاة دورٌ فعال في خفض نسبة البطالة، وذلك من خلال أمرين:

✓ تمويل مشاريع استثمارية صغيرة تُدرُّ دخلاً مناسباً للفقراء؛ وفقاً لمبدأ «الإغناء» وما يُسَهِّم به من تحويل الفقراء العاطلين إلى قوة منتجة تُسَهِّم في النشاط الاقتصادي والإنتاج، وهي طريقة تعتبر أفضل من إعطائهم حاجاتهم الاستهلاكية بصورة دورية.

✓ استخدام عائدات الزكاة في بناء مشاريع استثمارية، وبالتالي إيجاد فرص عمل يمكن للعاطلين عن العمل الاستفادة منها.

٤- الجانب السياسي والأمني:

للزكاة دور مهم في تحقيق المصالح العامة، والاستقرار السياسي والأمني بصفة خاصة، والمصالح العامة للأمة متنوعة ومتعددة، ويدخل فيها كل ما يكون ضرورياً للمجتمع مثل متطلبات الدفاع والأمن، والإعداد العسكري. والدور الذي تقوم به الزكاة في توفير الاستقرار السياسي يتضح فيما أشرنا إليه قبل قليل من أن كثيراً من أشكال الإرهاب والعنف تنشأ في المجتمعات الفقيرة، وأما حين يشعر الفقراء بأن الأغنياء يشاركونهم في ثرواتهم ويسعون لتحسين مستوياتهم المعيشية، فإن ذلك يزيل أسباب الضغينة والحقد والكراهية تجاه الطبقات الغنية. ومن الجوانب السياسية والأمنية التي يمكن أن يكون للزكاة دورٌ مُعينٌ فيها ما يلي:

أ- تقوية الدولة عسكرياً:

إن تخصيص جزء من مصارف الزكاة إلى سهم «وفي سبيل الله»، والذي اعتبره الكثير من العلماء بأنه دعم للجهاد وتقوية الجانب العسكري للدولة، له دلالة واضحة على الدور الذي يمكن أن تقوم به الزكاة في الحفاظ على سلامة الدولة وأمنها وما يحفظ استقرارها السياسي والأمني^(١).

كذلك، يمكن استخدام سهم «وفي الرقاب» في فداء أسرى المسلمين، فإذا كان الرق قد ألغي، فإن الحروب لا زالت قائمة والصراع بين الحق والباطل لم يزل مستمراً، وبذلك يظل في هذا السهم متسع لفداء أسارى المسلمين^(٢). كما أن العلماء يرون أن هذا السهم فيه أيضاً متسع في دعم الشعوب المستعمرة للتحرر من الاستعمار؛ فالرق الذي تعيشه الإنسانية في هذا العصر والمتمثل في استعمار الشعوب واسترقاقها، وغزوها ثقافياً وفكرياً، والسيطرة على المقدرات والأموال

(١) «فقه الزكاة»: يوسف القرضاوي، ج ٢، ص ٦٥٧.

(٢) «فقه الزكاة»: يوسف القرضاوي، ج ٢، ص ٦٢٠.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي



للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه مناسباً لنجاته وتخليصه من الكفر»^(١).

كذلك، يمكن للدولة الإسلامية أن تُوجّه قدرًا مناسبًا من أموال الزكاة إلى الدول الفقيرة التي امتد نور الإسلام إليها حديثًا لترغيبها في الدخول للإسلام، وتقوية عقيدتها وإيمانها، وهذه الأموال يمكن أن تصرف على شكل مساعدات عينية كالمساعدات الطبية والتعليمية، كما يمكن أن تُموّل بها عمليات نشر الدعوة في تلك الأقاليم التي لم يصلها نور الإسلام^(٢).

الصور التي استعرضناها هنا تمثل مساهمة مباشرة للزكاة في خدمة المجال السياسي والأمني واستقرارهما، وهناك مساهمات غير مباشرة للزكاة في تحقيق الاستقرار السياسي؛ وهي أن تحقيق الأهداف السابقة الذكر في المجال الاجتماعي والاقتصادي من شأنه أن يقضي على الجرائم ومظاهر الفساد في المجتمع، وهذا بدوره يخدم الوضع السياسي ويساعد في استقراره.

حساب عائدات زكاة المال

على افتراضنا بأن هناك حوالي ٦٠٠ مليون عامل في العالم الإسلامي (كما أوضحنا سابقًا)، وعلى افتراض أن عُشر هؤلاء فقط (أي ٦٠ مليون شخص) هم الذين تجب عليهم تزكية أموالهم، وعلى افتراض أن المال المُزَكَّى في السنة الواحدة هو فقط ٢٥٠٠ دولار (وهو أقل من الحد الأدنى لنصاب زكاة النقد)^(٣)،

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: القرطبي، ج ٨، ص ١٧٩.

(٢) «التطبيقات التاريخية والمعاصرة لفريضة الزكاة»: محمد عقلة الإبراهيم، ص ١٦٢.

(٣) نص قرار مجمع البحوث الإسلامية (المؤتمر الثاني) على أنه: يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية، وعروض التجارة، على أساس قيمتها ذهبًا فما بلغت قيمته من أحدها عشرين مثقالاً (أي ٨٥ جرامًا) ذهبياً وجبت فيه الزكاة، وذلك لأن الذهب أقرب إلى الثبات من غيره. وسعر جرام الذهب (عيار ٢٤) يوم ١٧/٨/٢٠١٧م هو ٤١،٢٨ دولار، وعلى هذا الأساس يكون النصاب الذي تجب فيه الزكاة هو ٨٥ جرام $\times ٤١,٢٨$ دولار = ٣٣٠٢,٤ دولار.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

ولو أخذنا بأقل نسبة للزكاة (وهي ٥, ٢٪)، فهذا يعني أن على كل واحدٍ من هؤلاء أن يُخرج من ماله ٥, ٦٢ دولارًا فقط.

لغة الأرقام

✕ عائدات زكاة المال = ٦٠ مليون شخص تجب عليهم الزكاة $\times ٢٥٠٠$ دولار قيمة المال المستوجب للزكاة $\times ٥, ٢٪$ نسبة الزكاة = ٣٧٥٠ مليون = ٣,٧٥ مليار دولار في السنة.

إن مبلغ (٣٧٥٠) مليون أو (٣,٧٥) مليار دولار لا يشكل رقمًا مثيرًا في عالم المال اليوم، ولكن علينا أن لا ننسى أننا نورد هنا فقط أمثلة لتوضيح ما نودُّ إيصاله للقارئ من أهمية مثل هذه الموارد لنماء الأمة وحل أزمتها فيما لو تمسكت بشرع الله وسارت على نهجه، ومن عنده أدنى إلمام بالرياضيات يستطيع أن يتبين أن (٣,٧٥) مليار دولار لا يمكن أن تكون رقمًا مقاربًا لمقدار الزكاة التي يمكن تحصيلها من المسلمين اليوم؛ فعلى سبيل المثال هناك دراسات^(١) تؤكد أن نسبة عائدات الزكاة في الدول النفطية تتراوح بين ١٠ - ١٤٪ من الناتج المحلي، و ٣,٥ - ٧٪ للدول غير النفطية. وحسب التقارير المتوفرة فإن الناتج المحلي للدول الإسلامية قُدِّر في عام ٢٠١٢م بـ ٩,٤ تريليون دولار^(٢)، وفي عام ٢٠١٥م قُدِّر بـ ١٠,٧ تريليون دولار^(٣)، وعلى هذا فإنه من المفترض أن تتراوح الزكاة - على أقل تقدير - بين (١٠,٧) تريليون دولار $\times ٣,٥٪$ = ٣٧٤,٥ مليار دولار) و (١٠,٧ تريليون دولار $\times ٧٪$ = ٧٤٩ مليار دولار)، ويمكن أن تصل إلى تريليون ونصف دولار في العام إذا أخذنا في الاعتبار النسبة المتوقعة للدول النفطية.

(١) «إدماج مؤسستي الزكاة والوقف في برامج مكافحة الفقر»: العياشي فداد.

(٢) «٦٠٧ دولارًا متوسط نصيب الفرد في الدول الإسلامية من الناتج المحلي»: صحيفة الاقتصادية.

(٣) «تقرير: ١٠,٧ تريليون دولار حجم الناتج المحلي المرتقب لدول التعاون الإسلامي»: صحيفة اليوم السابع المصرية.



كذلك، ذكرنا سابقاً أن ثروة أغنى ٣٥ شخصاً من العرب تُقدَّر بـ (١٦٨, ٨) مليار دولار، وهذا يعني أن على هؤلاء فقط أن يخرجوا (٤, ٢٢) مليار دولار زكاة لأموالهم. كذلك، فقد أشرنا سابقاً إلى أن مجموع الثروات الخاصة في منطقة الخليج العربي قُدِّرت في عام ٢٠١٢م بحوالي ٤,٨ ترليون دولار^(١)، وهذا يعني أن زكاتها تُقدَّر بحوالي ١٢٠ مليار دولار.

هذه مجرد عائدات الزكاة المفروضة، ولا ننسى أن هناك زكاة الفطر، كما سنبيِّن لاحقاً، وأيضاً الصدقات العامة، والأوقاف، وغيرها من وجوه البر. ولا نعجب من توجيهات الرسول ﷺ حين يقول: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»^(٢)، فإنه - لا شك - كان يعي دور صلاح الأفراد - ومن ثمَّ صلاح الأمة - في توفير مقومات الأمة المالية والاقتصادية. ولا نعجب أيضاً من موقف الصديق - رضي الله عنه - حين سارع إلى قتال من ارتد عن الإسلام - بمنعهم تأدية الزكاة - وقوله لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «**والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه**»، فإنه كان يعي أن امتناع الناس عن تأدية فريضة الزكاة هو - بالإضافة إلى أنه خروج عن دين الله - فهو أيضاً هدم للنظام الاقتصادي والمالي للأمة الإسلامية.

لا يفهم من هذا الدعوة إلى صرف الوقت والجهد لجني حُطام هذه الدنيا، فمن يكون هكذا يكون حاله كما قال المتنبي:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَافَةَ فَقْرٍ فَأَلْذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

والمال عرض زائل، وفتنة يمكن أن تهوي بصاحبها إلى قعر جهنم - والعياذ بالله - إن لم يُحسِّن تصريف ماله، كما قال الشاعر:

(١) «١١٢ ألف مواطن سعودي يمتلك ثروة تزيد عن مليون دولار»: موقع النيلين.

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني.



فلا تَغْبِطَنَّ الْمُكْثِرِينَ فَإِنَّهُ

عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطِيهِمُ الدَّهْرُ يَسْلُبُ

وقول الآخر:

نَزْدَادُ هَمًّا كُلَّمَا ازْدَدْنَا غِنَى

وَالْحَزَنُ كُلُّ الْحَزَنِ فِي الْإِكْثَارِ

وقد صدق - والله - من قال:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ

وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ

ومع ذلك فقد أشار ابن الجوزي إلى الموازنة ونبل القصد في تحصيل المال وتصريفه، إذ يقول - بعد أن سرد جملة من الآيات والأحاديث في فضل المال وشرفه -: «هذه الأحاديث مُخَرَّجَةٌ فِي الصَّحَاحِ وَهِيَ عَلَى خِلَافِ مَا تَعْتَقِدُهُ الْمُتَصَوِّفَةُ مِنْ أَنَّ إِكْثَارَ الْمَالِ حِجَابٌ وَعَقُوبَةٌ وَأَنْ حَبْسَهُ يَنَافِي التَّوَكُّلَ، وَلَا يَنْكَرُ أَنَّهُ يَخَافُ مِنْ فَتْنَتِهِ. وَأَمَّا مَنْ قَصَدَ جَمْعَهُ وَالِاسْتِكْثَارَ مِنْهُ مِنَ الْحَلَالِ نَظَرَ فِي مَقْصُودِهِ، فَإِنْ قَصَدَ نَفْسَ الْمَفَاخِرَةِ وَالْمَبَاهَاةِ فَبُئْسَ الْمَقْصُودُ، وَإِنْ قَصَدَ إِعْغَافَ نَفْسِهِ وَعَائِلَتِهِ وَادْخَلَ لِحَوَاثِ زَمَانِهِ وَزَمَانِهِمْ وَقَصَدَ التَّوَسُّعَ عَلَى الْإِخْوَانِ وَإِغْنَاءَ الْفُقَرَاءِ وَفَعَلَ الْمَصَالِحَ أَثِيبَ عَلَى قَصْدِهِ وَكَانَ جَمْعُهُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ أَفْضَلَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ».

كيفية توجيه الزكاة لرفعة الأمة وتنميتها

وبعد أن رأينا الأموال الطائلة التي يمكن أن تأتي من الزكاة، يبقى السؤال في كيفية تصريفها على الوجه الأمثل لتفريج عن الأمة بعض أزماتها. ونشير هنا إلى بعض الاقتراحات التي أوردتها مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في القرار رقم ١٦٥ (١٨/٣) الذي أصدره في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في بوتراجايا (ماليزيا) من ٢٤ إلى ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ،

الموافق ٩ - ١٤ تموز (يوليو) ٢٠٠٧م^(١):

■ يصرف للفقراء والمساكين ما يسد حاجتهم، ويحقق لهم الكفاية وللمن يعولون ما أمكن، وذلك وفق ما تراه الجهات المسؤولة عن الزكاة.

■ ويصرف للفقير - إذا كان عاداته الاحتراف - ما يشتري به أدوات حرفته، وإن كان فقيرًا يحسن التجارة أعطي ما يتجر به، وإن كان فقيرًا يحسن الزراعة أعطي مزرعة تكفيه غلتها على الدوام. واستثناسًا بذلك يمكن توظيف أموال الزكاة في مشروعات صغيرة كوحدات النسيج والخياطة المنزلية والورش المهنية الصغيرة، وتكون مملوكة للفقراء والمساكين.

■ ويجوز إقامة مشروعات إنتاجية أو خدمية من مال الزكاة.

■ يدخل في (العاملين على الزكاة) في التطبيق المعاصر المؤسسات والإدارات ومرافقها المنتدبة لتحصيل الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء وفق الضوابط الشرعية.

■ يجوز إعطاء الزكاة لتأليف قلوب من أسلم حديثًا؛ تثبيتًا لإيمانه وتعويضًا له عما فقد، وكذلك إعطاء الكافر إذا رجي إسلامه، أو دفعًا لشره عن المسلمين.

■ يجوز تقديم الدعم من أموال الزكاة للمنكوبين من غير المسلمين في مناطق الكوارث والزلازل والفيضانات والمجاعات تأليفًا لقلوبهم.

■ يشمل سهم (في الرقاب) افتداء الأسرى المسلمين.

■ يجوز دفع الزكاة لتحرير المختطفين المسلمين، وتحرير أسرهم ممن

اختطفوهم.

(١) «تفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر»: موقع الإسلام اليوم.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

■ يشمل سهم (الغارمين) من ترتبت في ذمتهم ديون لمصلحة أنفسهم، ومن استدان لإصلاح ذات البين بالضوابط الشرعية، ويلحق بذلك تسديد الديات المترتبة على القتالين خطأ ممن ليس لهم عاقلة، وديون الميت إن لم يكن له تركة يوفى منها دينه. وهذا إذا لم يتم دفعها من بيت المال (الخزانة العامة).

■ (في سبيل الله): يشمل المجاهدين في سبيل الله، والمدافعين عن بلادهم، ومصالح الحرب المختلفة المشروعة.

■ (ابن السبيل): هو المسافر في غير معصية وليس بيده ما يرجع به إلى بلده، ولو كان غنياً في بلده.

■ تقديم العون المالي من خلال إنشاء صندوق يُخصَّص لمساعدة النازحين داخل أوطانهم أو خارجها بسبب الحروب أو الفيضانات أو المجاعات أو الزلازل أو غير ذلك.

■ مساعدة الطلبة الفقراء الذين ليس لهم منح دراسية خارج بلادهم وفق المعايير المعمول بها في هذا الخصوص.

■ المهاجرون المقيمون إقامة غير نظامية في غير بلدانهم وانقطعت بهم السبل، فيُعطون من الزكاة ليعودوا إلى بلدانهم.

■ سد حاجة المنقطعين من طلبة العلم والمسافرين ممن لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم.

وقد أجاز استثمار أموال الزكاة عدد من المجامع والمجالس الفقهية؛ كمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة في دورته الثالثة المنعقدة في عمّان عام ١٤٠٧هـ، والندوة الأولى لقضايا الزكاة المعاهدة المنعقدة بالقاهرة عام ١٤٠٩هـ. وعلى هذا



آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

يجوز استثمار مال الزكاة بالشروط الآتية^(١):

- ١- أن يكون الاستثمار للمال الزائد عن سد حاجة الفقراء الضرورية من أكل وشرب ولباس ونحو ذلك.
- ٢- لا يجوز لأصحاب المال الفقراء أو المستثمر له بيعه أو نقل ملكيته لأي شخص حقيقي أو اعتباري؛ لأن ملكية الفقير له هذه ليست ملكية فردية بل جماعية غير معينة.
- ٣- الحرص على تشغيل هذا المال بما هو مظنة لجلب الربح والمحافظة على رأس المال معاً.
- ٤- لا يجوز أن تستثمر أموال الزكاة هذه بحرام، كالربا أو تصنيع الخمر أو بيعها وتسويقها ونحو ذلك من المحرمات.
- ٥- لا بُدَّ من توثيق ذلك في عقود شرعية عند القاضي الشرعي، ولا بأس لمن يقوم بتشغيل هذه الأموال أن يفرض له القاضي منها أجره ومصاريف إدارية مقابل هذا الاستثمار.



٢- زكاة الفطر

فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر منفعة للصائم والفقير، كما جاء في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: « **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ** »^(١). وزكاة الفطر فرض على كل قادر بدلالة ما ورد في هذا الحديث وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - الذي يقول فيه: « **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** »^(٢).

والقول بوجوب زكاة الفطر هو الذي ذهب إليه جمهور الأمة، حتى أن ابن المنذر حكى الإجماع على وجوبها^(٣)، وفي هذا يقول العلامة سعيد بن مبروك القنوبي - حفظه الله -: « **زكاة الفطر فريضة من الفرائض، هذا هو القول الصحيح الذي نصت عليه السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ** »^(٤). ويقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي - أبقاه الله - فيمن أعرض عن أدائها: «... ولكن مع ذلك هو خسيس المنزلة سيء الحالة؛ لأنه على الأقل أعرض عن سنة مؤكدة سنّها رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن يرقى إلى مصاف من يرتضون ويؤثّلون»^(٥).

ولا يشترط في زكاة الفطر النصاب - كما هو الحال في زكاة المال - وإنما

(١) رواه أبو داود (حديث رقم: ١٦٠٩)، وابن ماجه (حديث رقم: ١٨٢٧).

(٢) رواه البخاري (حديث رقم: ١٥٠٣).

(٣) انظر: «الإجماع» لابن المنذر، ص ١٣.

(٤) برنامج «سؤال أهل الذكر»، حلقة ٢٣، رمضان ١٤٢٨ هـ، الموافق له ١٠ / ٦ / ٢٠٠٧ م.

(٥) برنامج «سؤال أهل الذكر»، حلقة ٢٥، رمضان ١٤٢٤ هـ، الموافق له ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٣ م.

يخرجها من زاد ما عنده عن قوت يومه. ويقول الإمام الشافعي: «وكل من دخل عليه شوال وعنده قوته وقوت من يقوته يومه وما يؤدي به زكاة الفطر عنه وعنهم أداها عنهم وعنه، وإن لم يكن عنده إلا ما يؤدي عن بعضهم أداها عن بعض، وإن لم يكن عنده إلا سوى مؤنته ومؤنتهم يومه فليس عليه ولا على من يقوت عنه زكاة الفطر»^(١). ويقول النووي: «المُعْسِرُ لَا فِطْرَةَ عَلَيْهِ بِلَا خِلَافٍ، وَالْأَعْتِيَارُ بِالْيَسَارِ وَالْإِعْسَارِ بِحَالِ الْوُجُوبِ، فَمَنْ فَضَلَ عَنْ قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ مَنْ تَلَزَّمَهُ نَفَقَتُهُ لِلْيَلَةِ الْعِيدِ وَيَوْمِهِ صَاعٌ، فَهُوَ مُوسِرٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْضُلْ شَيْءٌ فَهُوَ مُعْسِرٌ وَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ فِي الْحَالِ»^(٢).

واختلف العلماء في جواز إخراجها نقدًا؛ فسماحة الشيخ الخليلي يرى الوقوف على ما دل عليه الهدي النبوي من إخراج الطعام المنصوص عليه في السنة المطهرة، وفي هذا يقول سماحته: «الأصل أن يُخْرَجَ الطعام، ولا يُصَارَ إلى إخراج النقد إلا مع الضرورة؛ بحيث يتعذر وجود من يتقبل الطعام، تطبيقًا للسنة وعملاً بها»^(٣). ومنع إخراجها نقدًا أيضًا مالك والشافعي وأحمد والظاهرية، وأما الجواز فقال به أبو حنيفة وأصحابه، ومن التابعين سفيان الثوري، والحسن البصري، والخليفة عمر بن عبد العزيز، وروي عن بعض الصحابة كمعاوية بن أبي سفيان^(٤).

وقد شرعت زكاة الفطر تطهيرًا للنفس من أدرانها، من الشح وغيره من الأخلاق الرديئة، وتطهيرًا للصيام مما قد يؤثر فيه وينقص ثوابه من اللغو والرفث ونحوهما، وتكميلًا للأجر، وتنمية للعمل الصالح، ومواساة للفقراء والمساكين، وإغناء لهم من ذل الحاجة والسؤال يوم العيد. كذلك، ففيها إظهار شكر نعمة الله تعالى على

(١) «الأم»: محمد بن إدريس الشافعي، ج ٢، باب زكاة الفطر، ص ٦٩.

(٢) «المجموع»: النووي، ج ٦، باب شروط وجوب صدقة الفطر.

(٣) برنامج «سؤال أهل الذكر»، حلقة ٢٥، رمضان ١٤٢٤ هـ، الموافق له ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٣ م.

(٤) «إخراج زكاة الفطر نقدًا»: سعود بن عبد الله الفنينان.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

العبد بإتمام صيام شهر رمضان وما تيسّر من قيامه، وفعل ما تيسّر من الأعمال الصالحة فيه.

حساب عائدات زكاة الفطر

لقد بينا سابقاً أن زكاة المال لا تجب إلا على مَنْ وصل ماله إلى نصاب مُعيّن، وأما زكاة الفطر فقد ذكرنا أن كل مَنْ كان عنده في يوم العيد ما يزيد عن قوته وقوت مَنْ يعول لذلك اليوم فقط، فقد وجبت عليه الزكاة. لذلك فإننا سنفترض هنا أن كل العاملين في العالم الإسلامي (أي ٦٠٠ مليون شخص، كما أوضحنا سابقاً) بمقدورهم إخراج زكاة الفطر. كذلك، فبالرغم من أن على الشخص أن يُخرج زكاة الفطر عن نفسه وعمّن يعول، إلا أننا سنكتفي هنا بافتراض أنها تجب على العاملين أنفسهم فقط (أي ٦٠٠ مليون شخص). وأخيراً، سنفترض أن مقدار زكاة الفطر التي على كل شخص إخراجها هو ٣ دولارات فقط^(١). بهذه الاعتبارات والفرضيات يمكننا تقدير القيمة النقدية لزكاة الفطر، كما يلي:

لغة الأرقام

✕ عائدات زكاة الفطر = ٦٠٠ مليون مسلم قادر على إخراج زكاة الفطر $\times ٣$ دولارات مقدار زكاة الفطر عن كل شخص = ١٨٠٠ مليون = ١,٨ مليار دولار في السنة.

(١) ورد في أحاديث المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بأن يُخرج عن كل فرد مقدار صاع من قوت أهل البلد، والصاع هو حوالي ٢,٥ كيلو جراماً، وقد أجاز علماء هذا العصر إخراج الزكاة نقداً، وقدروا مقدار ما يُخرج عن كل نفس بحوالي ٥ دولارات.

٣- الأوقاف

الوقف هو الصدقة الجارية، وفي الاصطلاح الفقهي: تحييس الأصل وتسييل المنفعة أو الثمرة، وهو نظام ارتبط منذ فجر الإسلام بمجموعة من المؤسسات الاجتماعية والخيرية التي كانت رافدًا هامًا في الحياة، سواءً على مستوى الأسرة أم الجماعة أم الأمة.

فالزكاة والوقف يعتبران من أهم ما جاء به الإسلام من تشريعات مالية، ويعتبران ركنين أساسيين من أركان النظام الاقتصادي الإسلامي، وبينما نجد الزكاة مخصصة في الإنفاق على جوانب محددة لا يمكن تجاوزها، إلا أنها تمتاز بأنها نظام إلزامي، وواجب تكلفي على جميع المقتدرين في المجتمع، وكذلك يقال عن الوقف؛ فهو من جهة نظام تطوعي واختياري، ومن جهة أخرى يمتاز بسعة مجالاته، وشموله لكافة جوانب البر، وصلاحيته للتطبيق في أغلب جوانب الحياة وحاجات الناس^(١).

وقد أصبحت الزكاة - طوال التاريخ الإسلامي - المؤسسة الأولى لتمويل الإنفاق التحويلي في الدولة الإسلامية، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع المسلم، كما أصبح الوقف المؤسسة الأولى لتمويل بقية النفقات العامة التي لا تشملها الزكاة، وبخاصة النفقات الضرورية لتنمية المجتمع وتحضره، وفي مقدمتها التعليم والصحة.

ويُعدُّ الوقف الإسلامي أحد الركائز الأساسية للنهضة الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، فعلى مدى عقود طويلة مرت في تاريخ الأمة الإسلامية مارس الوقف بمؤسسته ونظامه الشمولي التنموي الرائد أدوارًا بالغة

(١) «وقف النقود - حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره»: عبد الله بن مصلح الشامي.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

الأهمية في تدعيم مختلف نواحي الحياة في الدولة المسلمة حتى غدت مؤسسة الوقف الإسلامي التي نشأت وتطورت في ظل الحضارة الإسلامية من أكبر المؤسسات التمويلية التي عرفها التاريخ.

إن الوقف يعدُّ مفخرة من مفاخر الإسلام، وقد عرفت الأوقاف منذ عهد النبوة وعبر العصور الإسلامية نموًّا وتنوعًا واتساعًا، فشمّل كل ما يعتمد عليه الناس في معيشتهم وحاجاتهم الأساسية، ولم يقتصر على العناية بفئات المجتمع فحسب، بل وصل خيرُه وبره غير البشر من الدواب والطيور وغيرها مما لم يُعرف في حضارة سابقة أو معاصرة.

مشروعية الوقف

ولا عجب في ذلك؛ فالإسلام يربي أتباعه على أن يكون لهم أثرٌ في رقي الحضارة الإنسانية وتطورها، سواءً أكان ذلك في أيام حياتهم أم بعد مماتهم، فنبينا الحبيب ﷺ حثَّ على الوقف؛ وبيّن أنه من القربات التي تستمر حتى بعد وفاة الإنسان؛ فقال: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْرٍ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ: فَتَصَدَّقُ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ، وَتَصَدَّقُ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ

(١) رواه مسلم (حديث رقم: ١٦٣١)، والنسائي (حديث رقم: ٣٦٥١).

وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ^(١). وفي رواية: «احبس الأصل وسبّل الثمرة». وهذا الحديث أصل في مشروعية الوقف.

وقد نوّه جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - بكثرة وقف الصحابة - رضوان الله عليهم -، فقال: «فما أعلم أحدًا ذا مقدرة من أصحاب رسول الله ﷺ إلا حبس مالا من ماله صدقة مؤبدة لا تشتري أبداً، ولا توهب ولا تورث»^(٢)، وقد حبس كثير من الصحابة كعثمان وطلحة والزبير وعليّ وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحبس خالد بن الوليد أذراعه وأعبده في سبيل الله^(٣).

فوائد الوقف وحكمه

للووقف العديد من الفوائد العظيمة والحكم النبيلة، نذكر منها ما يلي^(٤):

■ التقرب إلى الله تعالى من خلال تسهيل المال في سبيل الله، وتحصيل المزيد من الأجر والثواب، فليس شيء أحب إلى قلب المؤمن من عمل خير يزلفه إلى الله تعالى، ويزيده حباً منه.

■ تحقيق رغبة المؤمن في بقاء الخير جاريًا بعد موته، وحصول الثواب منهمراً إليه، وهو في قبره، حين ينقطع عمله من الدنيا، ولا يبقى له إلا ما حبسه ووقفه في سبيل الله حال حياته، أو كان سبباً في وجوده من ولد صالح أو علم ينتفع به.

■ تهذيب نفس المؤمن وتربيتها على العطاء؛ فإن من يتنازل عن شيء من أملاكه - رغم أن النفس مجبولة على حبّ متاع هذه الحياة الدنيا، ورغم العائدات

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم: ٢٧٣٧).

(٢) أخرجه أبو بكر الخصاص في «أحكام الأوقاف».

(٣) من محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني بعنوان «نظام الوقف في الإسلام بين الماضي والحاضر».

(٤) «الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية»: أحمد بن يوسف الدريوش، مع بعض التصرف.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

التي يمكن أن تُدرّها عليه تلك الأملاك فيما لو أبقاها دون وقف- لِيُدُلَّ على رسوخ الإيمان في قلب هذا الواقف، وخشيته من عقاب الله على ما قصّر في هذا الحياة، وخاصة في تأدية حق المال الذي استودعه إياه سبحانه. ويدلُّ أيضًا على رغبته في الحضوة بمزيد من الإنعام والإكرام عند لقاء مالك الملك الذي أنعم عليه بما تحت يده، وهياً له التصرف فيه حسب إرادته سبحانه.

■ علو مكانة الواقف عند أهله وأقربائه، والمجتمع بصفة عامة، والمستفيدين من الوقف بشكل أخص، وذلك لعلم الناس أن التنازل عن ملكية شيء محبوب لآخرين دون رجاء منفعة منهم ليدلُّ على سمو نفس صاحبها، وتقديره لدوره في خدمة المجتمع. كل هذا سيدفع الناس إلى الاقتداء بصنيع هذا الواقف، والدعاء له في حياته أو بعد مماته، وأيضًا إلى النظر إلى أهله وأقاربه نظرة إجلال وإعزاز، مما يزيد من ترابط المجتمع وتآزره.

■ تحقيق كثير من المصالح الإسلامية؛ فإن أموال الأوقاف إذا أحسن التصرف فيها فسيكون لها أثر كبير وفوائد جمة في تحقيق كثير من مصالح المسلمين كبناء المساجد والمدارس وإحياء دور العلم وغيرها من المصالح والشعائر.

■ يُعدُّ الوقف وسيلة مهمة من وسائل التكافل والترابط بين أفراد المجتمع المسلم، وذلك عن طريق ما يبذله الواقف من مال لصالح الجماعة إعانة للفقير، وسدًا لعوز المحتاج، وتشبيدًا لدور الأيتام والملاجئ، وحفرًا للآبار وإقامة للسقايات في سابلة الناس، وطرقاتهم، ومواردهم، وأماكن تجمعاتهم.

■ في الوقف تقوية لجانب الدولة المسلمة وذلك عن طريق ما يوقف من سلاح وعتاد وأعيان على الجند والمجاهدين، والحامين للبيضة، بحيث تبقى مهيبه الجانب، قوية الأركان تُرهب الأعداء، وتدفع كيد الماكرين.

■ يقوم الوقف بدورٍ رائد في انتعاش الاقتصاد من خلال عدة مجالات، أهمها:

✓ تحريك قطاع العقار وتنشيطه في مجال البناء والصيانة خاصة عن طريق بناء المساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس وغيرها.

✓ الاستثمار في مختلف أوجه القطاع التربوي (مدارس، خزانات، سكن طلابي، خدمات مدرسية، إلخ)، أي الاستثمار في الموارد البشرية.

✓ الاستثمار في المجال الإنتاجي خاصة أراضي الوقف الفلاحية.

✓ الاستثمار في المجال المالي عن طريق تأسيس البنوك الإسلامية من أموال الوقف.

من مميزات الوقف وخصائصه

يتميّز الوقف بمزايا عظيمة أكسبته قوة وفاعلية استمر أثرها قروناً طويلة، ولعل من أبرزها^(١):

١ - امتناع التصرف في أصل الوقف، وقد تحقق بهذا المبدأ حماية الوقف وعدم تعريضه لطيش المتولين عليه أو سوء نيتهم، وهو ما جعل الأصل في الوقف الاستمرار والبقاء. وقد درس باحث أمريكي حال أكثر الأسر الأمريكية ثراءً منذ تأسست أمريكا وماذا آل إليه حال الورثة بعد سنوات طويلة، فوجد أن عائلة الثري الأمريكي «روك فلر» هي الوحيدة من بين قدماء العوائل الثرية التي احتفظ أبناءها وبناتها بثرائهم بعد وفاة عميد الأسرة بمائة سنة، والسبب أنه منعهم من بيع أصول التركة، وأوصى بتوزيع العائد عليهم وجزء منه للمشاريع الخيرية.

(١) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

٢- ما استقر لدى الفقهاء من أن شرط الواقف الصحيح مثل حكم الشارع، فتحققت بذلك حماية الوقف واطمئنان الواقف إلى استمرار صرف وقفه في الأغراض التي تهمه ويُعنى بها، وتحقق بذلك سهولة إدارته، بل سهولة تشكيله وإمكانية بناء أنظمتها حسب الحاجة والرغبة بما لا يتعارض مع القواعد الشرعية.

٣- ولاية القضاء على الأوقاف، فتحققت بذلك حماية الوقف من تدخل الحكومات.

٤- تنوع الأموال الموقوفة بحيث يصح وقف ما يملك على الصحيح من أقوال الفقهاء، فكان ذلك سبباً لفتح باب الوقف على مصراعيه أمام مريديه من كل فئات المجتمع.

٥- تنوع مجالات صرفه، بحيث تتسع لاحتياجات الناس ومصالحهم، وهكذا كان الوقف عبر مراحل التاريخ الإسلامي يقوم بجميع مصالح رعايا الدولة المسلمة.

٦- حفظ الله للمال الموقوف ورعايته له، وشواهد التاريخ على ذلك مبرهنة؛ ومن ذلك وقف عائشة المرشد بمحافظة الرس في السعودية^(١)، التي وقفت عام ١٢١٣هـ قطعة أرض خارج البلد، وجعلت ريع الوقف على مُحفّظي القرآن الكريم، وظل الوقف قرابة مائتي عام لا يُعرَف، إلى أن أحياه - بأمر الله - قاضي البلد في تفصيلات طويلة، وفي السنوات الأخيرة صارت الأرض الموقوفة داخل البلد، فبيعت بثلاثين مليون ريال سعودي لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الرس، والآن تُقدَّر قيمة الوقف بـ ١٥٠ مليوناً.

(١) المرجع السابق.

نماذج مشرفة من الأوقاف الإسلامية

في العهود الإسلامية أنشئت أوقاف خلدها التاريخ، حققت مقاصدها، وكانت روائع وثقفا التاريخ، وما خطه الرحالة في كتبهم، والتراجم في كتب السير، أرشدنا إلى أوقاف لم تكن في الحسبان، فقد خُصّص في أوج حضارتنا وقف لكل مطلب وحاجة، ووراء كل وقف دافع وحكاية^(١).

لقد كان للوقف دوره البارز في أعمال البر والخير، وتقديم الخدمات والمنافع للأفراد والمجتمعات، بالإضافة إلى كفالة اليتامى والفقراء والمساكين والسهر على شؤونهم، وأسهم أيضًا في تأسيس وإدارة المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات والمستشفيات والمقابر، وبسببه نشطت الحركة العلمية التي أثّرت الحياة الإنسانية بالنتاج العلمي الغزير، والتراث الإسلامي الخالد، والأفذاذ من العلماء والفقهاء الذين لمعوا في سماء العالم كله في مختلف العلوم والفنون.

وعلى أن ندرك أن كثيرًا من أهل الخير في البلدان الإسلامية، وخاصة بعض الأثرياء والأمراء والملوك، يوقفون مؤسسات لها أثرها البارز في خدمة المجتمع، كالمكتبات والمدارس وحتى الجامعات والمستشفيات، ويوقفون معها أيضًا من الممتلكات ما يكفي العائد منها لتسيير هذه المنشآت الضخمة، حيث كانوا يفكرون في المشروع ويطبقون له الوقف لينفق عليه من دخله، ولا يكتفون بإنشاء المشاريع دون تفكير في مستقبلها وضمان استمرار تشغيلها، ولذلك كانت هذه المنشآت تقوم بدورها في المجتمع بغض النظر عما يحصل لموقفها من طوارئ الزمان^(٢).

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي توالى إسهامات النساء في الوقف، وكما تشير الإحصاءات، فإن أوقاف النساء تبلغ حوالي ٢٥٪ من حجم الأوقاف الحالية في

(١) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٢) «أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف»: صالح كامل، ص ٣١.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

العالم الإسلامي^(١)، ويبدو أن هذه النسبة تمثل متوسط المشاركة النسائية إذ ترتفع النسبة في الدول الخليجية حتى تصل إلى ٤٠٪. ومن فاطمة الفهرية التي أسست جامع القرويين في القرن السابع الميلادي، إلى فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل في القرن العشرين التي وقفت أرضاً لبناء جامعة القاهرة العريقة، مروراً بعدد ضخم من الواقفات في مجال إنشاء المدارس والمكتبات، نلمس امتداداً تاريخياً وتراثاً من الفاعلية النسائية متصلاً من السلف إلى الخلف يُعبّر عن الإيمان بالرسالة الحضارية للأمم^(٢).

ومن اللافت أن المسلمين قد سبقوا العالم الغربي بثلاثة عشر قرناً في ميدان الأوقاف، ذلك الميدان الذي ضمن لهم قدرة غير مسبوقة لإشراك المجتمعات المدنية الإسلامية، ومساهماتها الفاعلة والمؤثرة في مسيرة حضارتنا، وجدير بالذكر أن أول الأوقاف الغربية ذات النفع العام كان وقف كارنيجي؛ الذي أسسه السيد أندرو كارنيجي عام ١٩١١م في الولايات المتحدة الأمريكية، ووقف روكفلر؛ الذي تأسس عام ١٩١٣م^(٣).

إن نظام الوقف في الإسلام كان يقوم بما تحمل أعباءه عدة وزارات مجتمعة كوزارات الشؤون الاجتماعية والعمل والصحة والتربية والتعليم العالي والإنشاء والتعمير والإسكان والدفاع والري، فضلاً عن وزارة الأوقاف، ولقد بلغ من عدل الشريعة أنها قررت أنه يصح - في ظل القانون الإسلامي - أن يوقف غير المسلم على ذريته، وأن له أن يشترط استبعاد من يُسلم منهم من الانتفاع بالوقف، كما أن للمسلم أن يوقف على غير المسلم^(٤).

(١) أوقاف النساء ٢٥٪ من حجم الأوقاف بالعالم الإسلامي: جريدة الوطن القطرية.

(٢) «أوقاف النساء وإشراقاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٣) «الموسوعة الأمريكية»، ص ٦٤٦؛ و «الوقف الإسلامي.. تطوره، إدارته، تنميته»: منذر قحف، ص ٢٣-٢٤.

(٤) «الدور الاقتصادي لنظام الوقف الإسلامي في تنمية المجتمع المدني مع نظرة خاصة للدول العربية شرق المتوسط»: منذر قحف، ص ١٤.

ولقد تشعّبت وتنوّعت مصارف الأوقاف الإسلامية في عصورها المختلفة، وكانت هذه المصارف والمؤسسات الوقفية انعكاسًا لافتًا لمدى ذوق الحضارة الإسلامية وسموّها، وقد سجّل التاريخ نماذج لا تكاد تُصدّق من الأوقاف، كانت تقوم بجميع مصالح رعايا الدولة المسلمة واحتياجاتهم المهمة بلا استثناء؛ لتُخفّف وترفع بذلك عبأً كبيراً عن الدولة المسلمة، وتعطي أماناً وطمأنينةً لرعاياها.

ونشير في هذا السياق إلى تجربة جمعية العون المباشر، وهي منظمة غير حكومية تهتم بالتنمية الاجتماعية في المناطق القروية بإفريقيا، تأسست بتمويل وقفي عام ١٩٨١م وقد قامت ببناء أكثر من ٤٥٠٠ مسجد في مختلف الدول الأفريقية، وكفالة ٢٠٠٠ مُعلّم، وما يزيد عن ٣٠٠٠ طالب للدراسات الجامعية، وتقديم أكثر من ٧٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا، بالإضافة إلى كفالة أكثر من ٦٠ ألف يتيّم، وقامت بإنشاء وتسيير وإدارة أربعة مستشفيات، وبناء وتسيير ٢٥٦ مستوصف، وتنفيذ أكثر من ١٥٠ مخيم طبي متخصص لعلاج أمراض العيون، وقامت بإرسال ٥٥٠ ألف طن من المساعدات والأدوية والأغذية والملابس، وكذلك حفر أكثر من ١٣٠٠٠ بئر ماء سطحي وارتوازي لتوفير الماء النظيف لأهالي القرى والمناطق الفقيرة، وأنشأت عشر محطات إذاعية في أفريقيا^(١).

ولقد رأينا الفوائد والحكم العظيمة للوقف التي من أجلها تبارى الواقفون في ابتكار أغراض ومصارف جديدة للوقف، وفيما يلي نذكر بعضاً من النماذج الوقفية التي زينت التاريخ الإسلامي على امتداد قرونه المتوالية:

١- أوقاف المساجد والجوامع:

كانت المساجد أول وقف في الإسلام، حيث بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء

(١) إحصائية نشرت في موقع الجمعية، تم الاطلاع عليها بتاريخ ١٣/٦/٢٠١٧م.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

كأول وقف في الإسلام، ثم بنى مسجده النبوي الشريف. وقد اهتم المسلمون بعد ذلك وتنافسوا في بناء المساجد، ووقفوا عليها الأوقاف العظيمة لنفقاتها وكفاية القائمين بالشعائر فيها من خطيب وإمام ومؤذن وخادم وغيرهم.

ويُعدُّ الجامع الأموي رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد حَرَمَيَّ مكة والمدينة والمسجد الأقصى، كما يُعدُّ واحدًا من أفخم المساجد الإسلامية، وأحد عجائب الإسلام السبعة في العالم. والتاريخ يسجل بإعجاب كثرة الأموال التي أنفقها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك على بناء الجامع الأموي بدمشق مما لا يكاد يصدق الإنسان لكثرتها، ووفقًا لمؤرخ القرن العاشر ابن الفقيه، تم إنفاق ما بين ٦٠٠ ألف ومليون دينار ذهبي على المشروع، وقد اشتغل به حرفيون أقباط، فضلًا عن عمال فارسيين وهنود ويونانيين ومغاربة، ووصل عدد القوة العاملة في تشييده إلى أكثر من ١٢ ألف شخص^(١).

وجامع القرويين في فاس من أقدم أوقاف نساء الغرب الإسلامي، بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، وأصبح فيما بعد جامعًا وجامعة. وأنشأت أختها مريم بنت محمد الفهري جامع الأندلس بفاس، وكان له دور تاريخي كبير في نشر الدين والعلم والحفاظ على الهوية الإسلامية، ولا يزال إلى الآن تراثًا ينظر^(٢).

٢- أوقاف العلم:

من النماذج التاريخية التي تُجسد الدور الذي قام به الوقف في النهوض بالتعليم أن المدارس أول ما نشأت في المجتمع الإسلامي نشأت على الأوقاف، وكان التعليم فيها مجانيًا تمامًا، وكان يشمل الوقف على هذه المدارس إطعام

(١) «الجامع الأموي (دمشق)»: موقع الويكيبيديا العربية.

(٢) «أوقاف النساء وإشرافاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

الطلاب وإيوائهم وكسوتهم وعلاجهم، وكذلك إيواء الغرباء والوافدين وإطعامهم وإعطائهم رواتب معلومة من أوقاف المدرسة، وكان لكل مدرسة شيخ ومدرسون لهم شروط محددة وأرزاق معلومة بحسب كل وقف.

المدارس والكتاتيب:

يُذكر أنه كان في دمشق وحدها ثلاث وستون مدرسة وقفية للشافعية واثنان وخمسون للحنفية^(١)، ويذكر ابن بطوطة خلال ترحاله في بلاد العرب أن العشرات من المدارس من المستوى الابتدائي إلى الجامعي كانت قائمة على أموال الوقف، وأن الأموال الموقوفة قد فاقت على الطلبة المنتسبين لها، وكان الوقف وراء تشييد أربعمائة مدرسة بدمشق في القرن السابع^(٢).

وأنشأت المدرسة العذراوية وأوقفها الست العذراء بنت أخ صلاح الدين الأيوبي، ودرس بها كبار العلماء، وخرّجت العشرات من طلبة العلم والفقهاء والمحدثين^(٣)، ومن الأوقاف الشهيرة في تركيا وقف (مدرسة جوشكن)^(٤)، وهي من المدارس الوقفية العجيبة والرائعة في أسطنبول؛ إذ إنها تحوي ثمانية مبان، وتقع على تلة مرتفعة مطلة على منظر خلّاب، وتُتبع فيها أحدث النظم التعليمية.

ومن العجيب أن نرى أن القبائل البربرية الآتية من شمال روسيا، والتي اجتاحت العالم الإسلامي، قد تغيّر سلوكها بعد اعتناقها الإسلام وبدأت تساهم في الأعمال الخيرية عن طريق الوقف، ومن ذلك ما قامت به أم هولأكو في بخارى من بناء مدرستين كبيرتين تستوعب كل منهما ألف طالب، وجعلتهما وقفاً^(٥).

(١) من محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني بعنوان «نظام الوقف في الإسلام بين الماضي والحاضر».

(٢) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتحة المعاشي.

(٣) «أوقاف النساء وإشرافاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٤) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٥) «الدور الاجتماعي للوقف»: عبد المالك أحمد السيد.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

وبالنسبة للكتاتيب فقد أحصى ابن حوقل عدد الكتاتيب التي تم تمويلها بأموال الوقف في مدينة واحدة من مدن صقلية فوجدها ثلاثمائة كُتَّاب، وكانت الكتاتيب في بعض البلدان من السعة بحيث تضم مئات وآلافًا من الطلاب، ومما يروى عن أبي القاسم البلخي أنه كان له كُتَّاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان كُتَّابه فسيحًا جدًا إلى درجة أنه كان يحتاج إلى ركوب حمار ليتدبَّر بين طلابه ويشرف على شؤونهم^(١).

المكتبات:

كما كان الوقف وراء أكبر المكتبات العامة وتوفير الكتب ومستلزمات الدراسة، وكمثال على ذلك دار العلم بطرابلس التي تأسست في أواسط القرن الخامس الهجري، حيث اشتملت على ما يزيد على مائة ألف مجلد، وقيل إن مجلداتها بلغت بعد تجديدها في عام ٤٧٢هـ ثلاثة ملايين مجلد^(٢)، وكذلك مكتبة القاهرة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وكانت تتوفر على ٢,٢ مليون كتاب^(٣). ومن بين أشهر المكتبات (مكتبة بني عمار) في طرابلس بسوريا، حيث كان يشتغل فيها ١٨٠ شخصًا ليل نهار في نسخ الكتب، وكان يوجد بها مليون كتاب^(٤).

الجامعات:

وبفضل أموال الوقف تأسست أقدم جامعة في العالم العربي وهي جامعة القرويين، والتي أسستها فاطمة بنت محمد الفهري، كما ذكرنا سابقًا، ثم بفضل

(١) ينظر: معجم البلدان ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠، ومجلة الوعي الإسلامي عدد (٣٨٢) ص ٣٧.

(٢) «الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنموية من خلال الدراسات التي تناولت الوقف عند المسلمين»: السعيد بوركة، ص ٩٠.

(٣) «دعم الوقف للموازنة العامة للدولة»: عمر الكتاني.

(٤) «الجوانب الاقتصادية للوقف»: عمر الكتاني.

الوقف أيضًا تأسست جامعتي الأزهر والزيتونة، وفي القرن العشرين وقفت فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل أرضًا لبناء جامعة القاهرة العريقة^(١).

وفي العصر الحديث، تسابقت - بحمد الله - العديد من جامعات العالم الإسلامي لإيجاد أوقاف لخدمة المسيرة العلمية فيها؛ فمثلاً أنشئت في عام ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م الأمانة العامة لأوقاف جامعة الملك سعود، وتم الحصول على تمويل للوقف قيمته ١٠ مليار ريال سعودي، وتبرعت الجامعة للمشروع بأرض مساحتها ٢٠٠ ألف متر مربع^(٢). ويقوم مجلس النظارة لهذا الوقف بتعيين لجنة الاستثمار التي تتولى مهمة دراسة المشاريع والفرص الاستثمارية لتثمين أموال الوقف وتنميتها وتعظيم العوائد الاقتصادية التي يعود جزء منها إلى الاستثمار مرة أخرى لتنمية رأسمال الوقف، بينما يتم توجيه الجزء الأكبر إلى مصارف الوقف العلمي الشرعية وبحسب شروط الواقفين، والتي منها:

✓ دعم المشاريع البحثية والدراسات العلمية في المجالات الحيوية التي تخدم المجتمع.

✓ دعم مشاريع الموهوبين والمبتكرين وأبحاثهم التي تسهم في إيجاد حلول لمشاكل المجتمع.

✓ ابتكار برامج ومشاريع متميزة لخدمة المجتمع وحل مشكلاته وتنميته في مختلف المجالات.

✓ إقامة اللقاءات العلمية والندوات الثقافية والدورات التدريبية لمختلف فئات المجتمع.

(١) «أوقاف النساء وإشراقاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٢) ينظر «أوقاف جامعة الملك سعود» على الرابط: <http://endowments.ksu.edu.sa/ar>



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

✓ تنظيم برامج تنمية خاصة ببعض فئات المجتمع، مثل: (ذوي الاحتياجات الخاصة، المرضى، والأيتام...).

✓ عقد برامج إدارية متقدمة للتنفيذيين ورجال الأعمال من خارج المملكة؛ لتعريفهم بيئة العمل في المملكة وتشجيعهم على فتح مشاريع جديدة تسهم في دفع عجلة التنمية وتوفير وظائف ورفع مستوى رفاهية المجتمع.

وقد بدأ المشروع بإنشاء أحد عشر برجًا بحوالي ٤,٩ مليار ريال سعودي، شملت أبراجًا مكتبية وطبية وخدمات تجارية وفندقية ومؤتمرات واحتفالات. وهناك العديد من الجامعات الأخرى في السعودية التي لها أوقاف، مثل جامعة البترول والمعادن وجامعة الملك خالد. وتوجد في تركيا قرابة ٨٢ جامعة وقفية، وفي إسطنبول وحدها توجد ٣٣ جامعة وقفية^(١). وأما في ماليزيا فهناك جامعة ماليزيا للعلوم والتكنولوجيا التي تُقدَّر قيمة أوقافها بأكثر من ٥٠٠ مليون دولار، وكذلك فهناك جامعة كريغتون في ماليزيا التي تُقدَّر أوقافها بحوالي ٢٥٠ مليون دولار، وهناك جامعات أخرى في بعض الدول الإسلامية لها أوقاف كبيرة مثل جامعة بنجاب بباكستان وجامعة ماليزيا الإسلامية الدولية.

من غرائب الوقف العلمي:

مَوَّلَت أموال الوقف في الماضي صناعات حيوية عديدة مثل صناعة الورق والتجليد وغيرها، وهناك أوقاف خُصِّصت لتزويد العلماء والنُسخ بالحبر حتى يستمر تأليفهم ونسخهم للكتب، وهذا من تقديرهم لمكانة العلم والعلماء، ونشر العلم بنشر الكتب^(٢). وكان من أوقاف الأزهر وقف البغلة؛ وهو وقف خُصِّصَ

(١) «أوقاف الجامعات في العالم الإسلامي»: منصور جبر.

(٢) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.





أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

للإنفاق على البغال التي يركبها المدرسون بالجامع الأزهر لضمان الراحة لهم^(١). واشتهرت الجامعات الإسلامية العريقة، مثل الأزهر، بتوزيع ما عُرف بالجراية، وهي وجبات طعام يومية على طلابها، وكان يتم تمويل هذه الجرايات من عوائد الأوقاف^(٢).

٣- أوقاف الرعاية الصحية:

أجمع الباحثون والمفكرون المحدثون الذين تناولوا في أبحاثهم مؤسسة الوقف وأبعادها الحضارية على الإشادة بفضل الوقف في توفير الرعاية الصحية لأبناء المجتمعات الإسلامية قبل العصر الحديث؛ إذ إن كثيرًا من مراكز الرعاية الصحية والمستشفيات التي انتشرت في سائر المدن والأمصار الإسلامية كانت تعتمد اعتمادًا كبيرًا على موارد الأوقاف، وأنشئت أوقافٌ خاصة لإمداد المستشفيات بالأدوية ووسائل العلاج اللازمة.

أ- اهتمام المسلمين ببناء المستشفيات:

بلغ الاهتمام بالمستشفيات الموقوفة مَبْلَغًا عَظِيمًا من الرُّقْيِ والاعتناء والتَّقَدُّم؛ حتى ذكر بعض المؤرخين أن شخصًا كان متمارِّضًا في هذا المستشفى فكتب له الطبيب بعد ثلاثة أيام من دخوله: «بأن الضيف لا يُقيم فوق ثلاثة أيام».

وكان من اهتمامهم ودقتهم في هذه المستشفيات التي أقاموها أنه ما كان يُؤذَن لأحدٍ بمباشرة عمله حتى يكون كبير الأطباء قد شهد له بالمعرفة الكاملة وال ضبط والدقة، ونتيجة لخطأ طبي حدث في زمن الدولة العباسية وتحديدًا في زمن الخليفة المقتدر عام ٣١٩هـ توفي بسببه أحد المسلمين، فكان أن أمر الخليفة بمنع سائر المطبِّين إلا من امتحنه كبير الأطباء سنان بن ثابت بن قره.

(١) المرجع السابق.

(٢) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

وقد أبدع المسلمون في وقف المستشفيات؛ حتى إننا وجدنا في ذلك العصر شروطاً تدلُّ على مدى التقدُّم والرحمة التي بلغتها هذه الحضارة آنذاك؛ فلقد كان يُذكر في نصِّ الوقفية وجوب تقديم طعام كلِّ مريض في إناء مستقلٍّ خاصٍّ به من غير أن يستعملها مريض آخر، ووجوب تغطيتها وإيصالها إلى المريض بهذا الشكل^(١).

وتأكيداً على رقي هذه الأوقاف جاء في كتاب الدكتوراة الألمانية زيغريد هونكة «شمس العرب تسطع على الغرب»، وصفاً للمستشفيات في عهد هارون الرشيد من خلال عرض رسالة من مريض إلى أبيه يقول فيها: «أبتي الحبيب، تسألني إن كنت بحاجة إلى نقود، فأخبرك بأنني عندما أخرج من المستشفى سيعطونني ثوباً جديداً وخمس قطع ذهبية حتى لا أضطر إلى العمل حال خروجي.. واليوم قال لي رئيس الأطباء: إن بإمكانني الخروج من المستشفى معافي وأنا أكره ذلك»^(٢).

كان أول مستشفى كبير في تاريخ الحضارة الإسلامية هو البيمارستان الذي أمر ببنائه هارون الرشيد في بغداد، ومن المستشفيات التي أقيمت ببغداد أيضاً مستشفى السيدة أم الخليفة المقتدر بالله، ويسمى مستشفى السيدة، افتتح في اليوم الأول من محرم ٢٠٣هـ، كما أقام المقتدر مستشفى آخر ببغداد، وسمي المستشفى المقتدري، وتعددت المستشفيات الكبيرة وانتشرت حتى كان ببغداد وحدها في مطلع القرن الرابع خمسة مستشفيات^(٣)، ووصلت في عام ١١٦٠م إلى ما يربو على ستين مستشفى. وكثرت المستشفيات والمنشآت الصحية بمدن الأندلس؛ حيث ذكر بعض الباحثين أن مدينة قرطبة كان بها خمسون مستشفى، وقفها وأنفق عليها الخلفاء والأمراء والموسرون^(٤).

(١) «من عجائب الأوقاف الإسلامية»: قناة الجزيرة.

(٢) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.

(٣) «المستشفيات في العالم الإسلامي»: عائشة مبارك.

(٤) المرجع السابق.



وتحدثت كتب التاريخ عن المستشفيات التي أنشئت في مصر بفضل أموال الوقف فذكروا منها مستشفى أنشأه الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله العباسي، ومستشفى آخر أسسه أمير مصر أحمد بن طولون، سمي باسمه، وحبس له من الأوقاف ما يلزم للإفناق عليه، وبنى فيه الحمامات للرجال والنساء. وكان من أشهر المستشفيات في العصر الأيوبي والمملوكي تلك التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، وتحدث المؤرخون والرحالة عن المستشفى الذي أنشأه الملك قلاوون بمصر، وجعله وقفا لعلاج مرضى المسلمين، قال عنه ابن بطوطة: «يعجز الوصف عن محاسنه، وقد أعد فيه من الأدوية والمرافق الخدمية ما لا يحصى»^(١).

ونَهَضت الأوقاف بالرعاية الصحية في المغرب الأقصى كذلك، وأقيمت مستشفيات كبيرة في أهم المدن وتحدث عنها المؤرخون بإسهاب، من أهمها مستشفى سيدي فرج بفاس أسسه السلطان يوسف بن يعقوب المريني ووقف عليه عقارات كثيرة، ويذكر المؤرخون مستشفى آخر بمدينة مراكش أنشأه المنصور الموحدي^(٢).

وبلغ من عناية المسلمين بالرعاية الصحية وتطوير خدماتها أن خُصِّصت أوقاف لبناء أحياء طبية متكاملة؛ فقد حدث ابن جبير في رحلته أنه وجد في بغداد حيًّا كاملاً من أحيائها يشبه المدينة الصغيرة، كان يسمى بسوق المارستان، يتوسطه قصر فخم جميل وتحيط به الغياض والرياض والمقاصير والبيوت المتعددة، وكلها أوقاف وقفت على المرضى، وكان يؤمه الأطباء والصيادلة وطلبة الطب، إذ كانت النفقات جارية عليهم من الأموال الوقفية المنتشرة ببغداد^(٣).

(١) «المستشفيات في العالم الإسلامي»: عائشة مبارك.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.



ب- الاهتمام بالمرضى وذوي العاهات:

أبدى الوليد بن عبد الملك اهتمامًا خاصًا بمرضى الجذام، ومنعهم من سؤال الناس، وأوقف عليهم بلدًا يدرُّ عليهم أرزاقًا، كما أمر لكل مُقْعِدٍ خادمًا، ولكل ضيرير قائدًا^(١). وفي بلاد المغرب وجدت العديد من المستشفيات الوقفية المتخصصة؛ منها مارستان محمد الغازي بالرباط الذي كان مُخصَّصًا لعلاج المجانين والمختلين عقليًا، كما وجدت إقامات حبسية خاصة لبعض أصناف المعاقين والمصابين ببعض الأمراض المعدية المستعصية آنذاك على العلاج^(٢).

ج- الأوقاف وعلوم الطب:

كان للأوقاف أثر حميد في النهوض بعلوم الطب، لأن المستشفيات التي ينفق عليها من الأوقاف لم يكن يقتصر دورها على تقديم العلاج، بل يتعدى ذلك إلى تدريس الطب، وكانت تُخصَّص قاعات داخل المستشفيات الكبيرة للدروس والمحاضرات.

وتروي بعض المصادر أن البيمارستان الطولوني بالقاهرة الذي أنشأه أحمد بن طولون الذي حكم مصر والشام والثغور عام ٢٥٩ هـ كان بمثابة مستشفى وكلية طب، وجعل فيه خزانة كتب احتوت على ما يزيد على مائة ألف مجلد، جزء منها كان في العلوم الطبية^(٣).

د- من غرائب الأوقاف الصحية:

من لطيف الأوقاف الطبية ما يعرف بوقف «مؤنسي المرضى»^(٤) الذي خُصَّص

(١) ينظر: الكامل، ابن الأثير ٢٩٢/٤؛ والجواهر الثمين، ابن دقماق، ص ٦٥.

(٢) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتحة المعاشي.

(٣) «الأوقاف والرعاية الصحية»: أحمد عوف محمد عبد الرحمن.

(٤) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.



آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

ريعه لرعاية قوم عملهم الأساس إدخال السرور على قلوب المرضى وإيناسهم، مما يكون سبباً - بإذن الله - لشفائهم. ومن الأوقاف الغريبة والنافعة في عهد العثمانيين ما ذكره الدكتور مصطفى السباعي أنه حُكي له عن وقف غريب في مدينة طرابلس الشام؛ كان ريعه مخصصاً لتوظيف اثنين يمرّان في المستشفيات يومياً؛ فيتحدّثان بجانب المرضى حديثاً خافئاً؛ لِيَسْمَعَهُ المريض بما يوحى له بتحسُّن حالته، واحمرار وجهه، وبريق عينيه! ^(١)

وقد خُصِّصَت في بعض المستشفيات قاعات مستقلة للمؤرّقين من المرضى؛ إذ كانوا يُعزلون فيها، فيُشَنَّفون آذانهم بسماع الأناشيد، والاستماع إلى القصص التي يرويها عليهم القُصّاص حتى يغلبهم النوم؛ وقد ظلَّت هذه العادة حتى دخول الحملة الفرنسيّة إلى مصر عام ١٧٩٨ م، فشاهدها العلماء الفرنسيون بأنفسهم وكتبوا عنها ^(٢). ومن طريف ما ذكره المؤرخون أن جزءاً من أوقاف مستشفى سيدي فرج بفاس كان مخصصاً لعلاج طير اللقلق، وجزءاً للموسيقين الذين يزورونه مرة كل أسبوع للترفيه عن المرضى ^(٣).

٤- أوقاف للأيتام والأرامل والفقراء وابن السبيل

اعتنى الوقف الإسلامي بالأرامل والمساكين انطلاقاً من توجيهات النبي ﷺ، ويعدُّ الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أول من وقف وقفاً لصالح الأرامل والمطلقات من بناته. وهذا أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - يشير إلى الاهتمام بهذه الفئة فيقول: «لئن سلّمني الله لأدعنَّ أرامل العراق لا يحتجنَّ إلى رجل بعدي أبداً».

(١) «من روائع حضارتنا»: مصطفى السباعي، ص ١١٢، ١١٣.

(٢) «من عجائب الأوقاف الإسلامية»: قناة الجزيرة.

(٣) «المستشفيات في العالم الإسلامي»: عائشة مبارك.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

وأما المؤسسات الوقفية التي بناها المسلمون لإقامة التكافل الاجتماعي بين الناس فكانت من أعجب العجب؛ فمنها مؤسسات للقطاع واليتامى، وللمقعدين والعميان والعجزة، وللمساجين وتغذيتهم، ولتوزيع الشباب وتقديم المهور، ومنها لإمداد الأمهات بالحليب والسكر^(١).

وقد ذكر ابن العماد الحنبلي في ترجمة نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ هـ أنه بنى المكاتب للأيتام ووقف عليها الأوقاف، ومن ذلك وقف منتزه الفقراء^(٢) الذي عمّره في دمشق، فإنه لما رأى ذلك المنتزه مقصوراً على الأغنياء، عزّ عليه ألا يستمتع الفقراء مثلهم بالحياة، فعمرّ القصر ووقف عليه قرية (دارياً) وهي أعظم ضياع الغوطة وأغناها.

وتبارى المسلمون في إنشاء «التكايا» التي كان لها دور بارز في توفير الطعام لطوائف كثيرة من الفقراء والمساكين وابن السبيل والمغتربين في طلب العلم، ولم يقتصر دور التكية على تقديم الطعام والشراب، بل كانت مؤسسة إسلامية متعددة الأغراض تستخدم لاستضافة الغرباء والمسافرين، وإيواء الفقراء، وطلبة العلم. وقد أبدع الواقفون في عمارة التكايا وتصاميمها، بحيث لا تبدو مجرد مأوى أو مطعم.

ومن التكايا الشهيرة في دمشق تكية السلطان سليم وتكية السلطان سليمان. ووقفت «خاصكي سلطان» زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني في القدس بجوار المسجد الأقصى المبارك «تكية خاصكي سلطان» لتقديم الوجبات المجانية للفقراء، وما زالت التكية تعمل وتقدم خدماتها للأسر الفقيرة إلى الآن^(٣).

(١) من محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني بعنوان «نظام الوقف في الإسلام بين الماضي والحاضر».

(٢) «أوقاف النساء وإشراقاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٣) المرجع السابق.



وفي تركيا وقف «لكل محتاج فاكهة»^(١)، وخصّص لتوفير سلال الفاكهة لكل محتاج ومريض؛ لأن الفاكهة في موسمها تكثر ويتمتع بأكلها أهل القدرة على الشراء، وأما الفقير فالوقف يوفر له ولأطفاله سلة من الفاكهة بين حين وآخر، وهناك أيضًا وقفٌ يسمى «وقف الرحلات»^(٢)، وهو مخصّص لتنظيم الرحلات والتعريف بالمعالم التركية، ولا سيما للأيتام والطلبة ضعاف الدخل، وتعريفهم بمعالم وطنهم، وتاريخهم، واعتزازهم بالانتماء لدولتهم.

وفي تركيا أيضًا وقف «خان المسافرين»^(٣)، وهو مأوى يوفر لابن السبيل والمسافرين سبل الراحة والمعيشة والأمان، من إيواء وطعام وشراب واستحمام، ويوفر سبل الراحة لثلاثة أيام، وبعدها يترك المجال لغيره ليستفيد مسافر آخر من ذلك الخان.

وذكر ابن بطوطة «وقف الأواني»^(٤) الذي كان مثار إعجاب به، إذ يقول: «رأيت في دمشق مملوكًا صغيرًا قد سقطت من يده صحيفة من الفخار، فتكسرت واجتمع عليه الناس، فقال له بعضهم: اجمع شقفها، واحملها معك لأوقاف الأواني. فجمعها، وذهب إليه فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن».

هـ- أوقاف دور الإيواء لليتامى واللقطاء والمقعدين وأوقاف للعميان والعجزة

تبارى المسلمون في بناء الدور لإيواء اليتامى واللقطاء ورعايتهم، ولرعاية المقعدين والعميان والشيخوخ، وكذلك أوجدوا الفنادق والخانات، ووقفوها لإيواء

(١) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

الغرباء والنازلين، ومنها لإيواء الحجاج بمكة. وقد وُجدت في كثير من البلدان دور لرعاية الأيتام والتكفل باحتياجاتهم، حتى قيل بأنه «لا يقع بصرك على يتيم في بلاد المغرب إلا وهو مكفول»، كما وُجدت في العديد من المدن المغربية دور للشيوخ والعجزة وأجريت عليهم رواتب كافية لعيشهم وكساوي كل عام تكفيهم^(١).

وقد بلغ من اهتمامهم بالعميان ما رواه الرحالان الأخوان «جان وجيروم تارو» في رحلتها إلى مراكش «أن فيها ملجأ لا يوجد مثله في الدنيا بأسرها، وهو بناء يكاد يكون بلدة وله مساحة لا يكاد الطرف يأتي على آخرها وفي هذا الملجأ ستة آلاف أعمى ينامون ويأكلون ويشربون ويقرؤون ولهم أنظمة وقوانين وهيئة وإدارة»^(٢).

كذلك، فهناك وقف «تعريس المكفوفين»^(٣)، وهو وقف في فاس يحمل اسم (دار الشيوخ)، وكانت معدة لتعريس المكفوفين الذين لا سكن لهم، فكلما اقترن كفيف بنظيرته أقاما بهذه الدار مراسيم الزفاف، وسُوعدا بالمصاريف.

ويوجد في تركيا «وقف آلي نقطة»^(٤)، وهو وقف خُصص ريعه لقراءة المراجع والكتب للمكفوفين، عبر أشخاص تطوعوا لتسجيل قراءتهم في الكتب المخصصة للمكفوفين، وفي «استديوهات» أُعدت خصيصًا لذلك، ثم توضع التسجيلات في أقراص مضغوطة «سي دي»، وتكون متاحة للمكفوف لسماع كتاب بأكمله، ومراجعة أي فصل منه. ويوجد في تركيا أيضًا وقف «أصحاب القوارب والحمالين»^(٥)، وقد خُصص لمساعدة كبار السن من أصحاب القوارب والحمالين، الذين لا يتمكنون من الاستمرار في العمل بسبب كبر السن، فيحفظ هذا الوقف كرامتهم ويرعى حاجاتهم.

(١) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتيحة المعاشي.

(٢) «الوقف والتنمية الاقتصادية»: عبد الله بن سلمان بن عبد العزيز الباحث، ص ١٥١.

(٣) «أوقاف النساء وإشرافاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٤) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٥) المرجع السابق.

ويوجد في القدس «وقف المرباطات»^(١) وقد خُصّص للنساء اللاتي شدّذن الرجال للمسجد الأقصى وتوفي من كان برفقتهن من محارمهن، فيبقين في الوقف إلى أن يأتي من محارمهن من يأخذهن لديارهن أو أن تعيش معززة مكرمة في دار تأويها وتطعمها. وذكر ابن بطوطة عند حديثه عن الأوقاف في دمشق أن منها أوقافاً على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته^(٢).

٦- أوقاف لخدمة النساء

من الأوقاف الغربية واللافتة في ظل الدولة العثمانية وقف «تجهيز العروس»^(٣)، وهو مخصّص لتوفير جهاز للعروس الفقيرة التي تريد الزواج، فيستفيد من هذا الوقف الفقراء بما يلزمهم من الحليّ لأجل التزوّج بها في الأعراس والحفلات، حتى إذا انتهت تلك المناسبات أعادوها إلى موضعها، فيتيسّر للفقير أن يكون يوم عرسه بحلّة لائقة، ولعروسه أن تُحلّى بحلية جميلة لا تكلفها شيئاً؛ مما يدخل عليهما السرور والسعادة، وينسيهما ألم الفقر والفقد. وذكر ابن بطوطة أنه وجد وقفاً بالشام لتزويج البنات الفقيرات اللواتي لا قدرة لأهلهن على تزويجهن^(٤).

ومن عجائب الأوقاف «أوقاف نقطة الحليب»^(٥)، وقد خُصّصت للنساء المرضعات؛ حيث يوزع منها الحليب على المرضعات في أيام محددة في كل أسبوع، إلى جانب الماء المذاب فيه السكر، وقد كان ذلك من صنيع القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي.

(١) «أوقاف النساء وإشرافاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٢) «الوقف والحضارة الإسلامية»: عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي.

(٣) «أوقاف النساء وإشرافاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٤) «حاضر العالم الإسلامي»: شكيب أرسلان، ج ٣، ص ٨.

(٥) «من روائع حضارتنا»: مصطفى السباعي، ص ١٢٨.



٧- أوقاف لتشغيل العاطلين

وكان بعض المحبسين في السابق يقدّمون على تحبيس أراضي زراعية لفائدة الأيتام ليقوموا بزراعتها وأخذ غلتها^(٦)، ومنهم من كان يحبس مقادير من الحبوب لاتخاذها بذورًا للفلاحين الذين لا يجدون بذورًا في موسم الزرع، ثم يعيدونها بعد الحصاد ليستفيد منها غيره.

(١) الدقة: التوابل المخلوطة بالملح، والمقصود هنا: الدار التي تَدُقُّ على يد الزوج الظالم المسيء لزوجته، حتى تَوقفه عند حدِّه.

(٢) «الحضارة العربية الإسلامية»: شوقي أبو خليل، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٣) «دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في البيئة الإسلامية»: المرسى سيد حجازي.

(٤) «أوقاف النساء وإشرقاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي.

(٥) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتيحة المعاشي.

(٦) المرجع السابق.



٨- أوقاف لتوفير المياه

من أوائل أوقاف المياه وقف (بئر رومة) التي وقفها سيدنا عثمان بن عفان، ثم تبارى المسلمون في إنشاء الأسبلة، باعتبارها نوعاً من الصدقة الجارية التي يصل ثوابها إلى صاحبها حتى بعد موته، فقد روي عن سعد بن عباد- رضي الله عنه- أنه قال: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ» ^(١).

وقد أدت الأسبلة دوراً عظيماً في تاريخ الإسلام ودوله؛ فهي تقدم للمسافر أعظم الخدمات، ولابن البلد من الفقراء ما يحتاجه من الماء، والأمر في هذا إنما هو قائم على شعور الغني المسلم بحق أخيه المسلم الفقير فيما له عليه من حق في مال الله الذي منحه إياه. وتوجد في القاهرة اليوم أكثر من ثلاثمائة سبيل عثماني ومملوكي، يظهر فيها جمالية الفن المعماري، وكذلك في القدس وفي دمشق وحلب واستنبول، بل العديد من مدن وحواضر العالم الإسلامي ^(٢).

ومن أعجب الأسبلة عين زبيدة ^(٣) التي تُعدُّ إحدى روائع أوقاف المسلمين، أمرت بإجرائها زبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوجة هارون الرشيد، وقد أنفقت عليها الكثير من أموالها وجواهرها لتوفر للحجاج المياه العذبة والراحة وتحميهم من كارثة الموت. وتذكر لنا كتب التاريخ أنها بعد أن أمرت خازن أموالها بتكليف أمهر المهندسين والعمال لإنشاء هذه العين؛ أسرَّ لها بعظم التكاليف التي سوف يكلفها هذا المشروع، فقالت له: «اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً».

وقد بلغ طول هذه العين عشرة أميال تقريباً، أو ما يعادل ستة عشر كيلو متراً، وقيل إنه بلغ مجموع ما أنفقته السيدة زبيدة على هذا المشروع مليوناً و ٧٠٠ ألف

(١) رواه ابن ماجه (حديث رقم: ٣٦٨٤).

(٢) «الأسبلة وجه من وجوه الحضارة الإنسانية»: عبد الكريم السمك.

(٣) «عين زبيدة»: الويكيبيديا العربية.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

مثقال من الذهب، أي ما يساوي ٥٩٥٠ كيلو غرامًا «أو قرابة ستة أطنان»، ولما تم عملها اجتمع العمال لديها، وأخرجوا دفاترهم ليؤدوا حساب ما صرفوه، وليبرئوا ذممهم من أمانة ما تسلّموه من خزائن الأموال، وكانت زبيدة في قصر مطلّ على دجلة، فأخذت الدفاتر ورمتها في النهر، قائلة: «تركنا الحساب ليوم الحساب؛ فمن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه»، وألبستهم الخلع والتشارييف.

٩- أوقاف لرعاية البيئة والحيوانات والطيور

انتشرت في كثير من بلدان المسلمين أوقاف لإطعام طيور الحرم المكي الشريف، وأنشئت أوقاف لإطعام الطيور والعصافير في مدن عديدة، منها: دمشق والقدس وفاس، وكان في مدينة فاس بلاد موقوفة لأجل شراء الحبوب ونشرها على المرتفعات كل يوم حتى تلتقطها الطيور^(١). وفي مدينة فاس أيضًا خُصّص وقف على نوع من الطير يأتي في موسم معيّن، فوقف له بعض الخيرين ما يعينه على البقاء، ويُسهّل له العيش في تلك المدة من الزمن؛ وكأن هذا الطير المهاجر الغريب له على أهل البلد حقّ الضيافة والإيواء^(٢).

وفي إسطنبول وقف «بيت الطيور»^(٣)، وهو مأوى وعُشّش للطيور بنيت من الحجر بطريقة هندسية رائعة وكأنها تحفة فنية نادرة في الشكل والمقصد، تزيد المدينة جمالاً ورونقاً؛ حيث توفر الحماية للطيور، وتؤمن متطلباتها من مأكّل ومشرب، وقد شيدت من أموال الوقف، ويصرف عليها كذلك من المؤسسة الوقفية في الحضارة العثمانية، ولا يزال هذا الوقف متعة للناظرين والسائحين.

(١) «الرفق بالحيوان من روائع أوقاف المسلمين»: موقع قصة الإسلام.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنموية من خلال الدراسات التي تناولت الوقف عند المسلمين»: السعيد

بوركة، ص ١٠٦.



وفي تركيا أيضًا وقف لإطعام الطيور في وقت الثلوج، وقد خُصّص ليوافر الذرة ونثرها على الثلج لكي لا تموت الطيور من الجوع في فصل الشتاء عندما يكسو الثلج الأرض وتنقطع بالطيور سبل التقاط الطعام، وكان يموت بعض منها من الجوع^(١). وفي بلاد المغرب وُجدت أوقاف خاصة لعلاج بعض الطيور كطائر اللقلاق، حيث كان يحمل إلى المستشفى إذا انكسر أو أصيب بأيّ أذى وتصرف جراحة لمن يضمده ويداويه ويطعمه^(٢).

وُجدت أيضًا أوقاف للحيوانات الأهلية الهرمة أو المعتوهة لإيوائها وعلاجها؛ كما هو شأن وقف «المرج الأخضر»^(٣) في دمشق، بل وجدت أوقاف للقطط تأكل منها وترعى وتنام كما كان في وقف دمشق للقطط، وكان يجتمع في دارها المخصصة لها مئات القطط الفارحة السمينّة التي يُقدّم لها الطعام كل يوم، ويوجد بدمشق أيضًا وقف للكلاب الشاردة يؤويها ويداويها^(٤).

ونجد في العصر المملوكي الكثير من المنشآت الوقفية التي خُصّصت لرعاية الحيوانات؛ فهناك منشآت معمارية كاملة خُصّصت للدواب، مثل «حوض الدواب»^(٥) الذي وقفه السلطان قايتباي في صحراء الممالك؛ لتشرب الدواب أثناء سيرها من هذه الأماكن وتستريح من السير في أماكن ظليلة بعيدة عن الشمس، وتعالج إذا كانت مصابة أو مريضة في العيادة الملحقة بالحوض، أو إسطبلات لينام فيها الحيوان. وكانت الوقفية تنص على أن يحصل أرباب الوظائف من البيطارين والمدرّبين والمسؤولين عن إطعام الحيوانات ورعايتها على رواتب من ريع

(١) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٢) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتحة المعاشي.

(٣) «الرفق بالحيوان من روائع أوقاف المسلمين»: موقع قصة الإسلام.

(٤) «من روائع حضارتنا»: مصطفى السباعي، ص ٨٩.

(٥) «الرفق بالحيوان من روائع أوقاف المسلمين»: موقع قصة الإسلام.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

أراضي زراعية موقوفة على ذلك، وكانت هناك مدارس خاصة لتدريب الخيول على الفروسية.

١٠- أوقاف للمحافظة على البيئة

ومنها وقف «تنظيف البحيرات»^(١) في تركيا، وقد خُصَّص ليصرف من ريعه على تنظيف البحيرات، والمحافظة على جمالها والحياة في مياهها، وتسهيل حركة المرور بها، وللجذب السياحي الذي يُعدُّ موردًا اقتصاديًا مهمًا.

١١- الوقف على الثغور والجهاد وفكاك الأسرى ورعاية المسجونين

صح من قول النبي ﷺ: «مَنْ اخْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وروي أن خالد بن الوليد قد وقف سلاحه للغزو في سبيل الله^(٣)، وهناك من الأوقاف الخاصة للرباط في الثغور لمواجهة الأعداء، وللجهاد وآلاته، وللخيول وما يتعلق بها، وأوقاف لاستنقاذ الأسرى، وأخرى لإنشاء القلاع والحصون والرباطات ووقف الخيل والسلاح.

وقد موّلت أموال الوقف في الماضي صناعات حيوية عديدة مثل صناعة الأسلحة الحربية وصناعة السفن، وجاء في حجة وقف زوجة السلطان سليمان القانوني التي ترجع إلى عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٣م): «بناء سفينتين عظيمتين وتوفير جميع آلاتهما وتمام لوازمهما ولواحقهما لكي تقوما بنقل الغلال من ميناء السويس إلى مينائي جدة وينبع بالحجاز»^(٤).

(١) «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان.

(٢) رواه البخاري (حديث رقم: ٢٨٥٣).

(٣) من محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني بعنوان «نظام الوقف في الإسلام بين الماضي والحاضر».

(٤) «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتحة المعاشي.



ومن المدارس المتخصصة الموقوفة في العصر العثماني ما يعرف بالمدارس الحربية، وهو نظام جديد لم يكن يعرفه العالم الإسلامي من قبل؛ ولقد كان السلطان مصطفى الثالث من أكثر سلاطين العثمانيين اهتمامًا بإنشاء هذه المدارس؛ إذ اهتم بإنشاء مدارس الطبجية (أي المدفعية) وإنشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سانسير الفرنسية، التي أسسها نابليون الأول بفرنسا^(١).

كما بلغ من شأن الوقف أن شمل ضمن اهتماماته تحسين أحوال المساجين ورفع مستواهم والإنفاق على أسرهم ورفع دين المدينين المعسرين منهم^(٢).

إحصائيات وأرقام عن الأوقاف الإسلامية

رغم أنه من المستحيل الآن حصر الأوقاف في الدول الإسلامية، وذلك نظرًا لمرور وقت طويل عليها، واندثار بعضها، والاستيلاء على بعضها الآخر، لكننا سنورد هنا بعض الأرقام والإحصائيات التالية عنها:

■ تم تقدير الأوقاف في مطلع القرن التاسع عشر بحوالي ثلث الأراضي المزروعة في مصر وتركيا وسوريا وفلسطين والعراق والجزائر والمغرب^(٣)، وتقول الإحصائيات أن ١٧٪ من أرض فلسطين كانت وقفًا حتى ١٩٤٨م، وأما في المغرب فتشكّل مساحة العقارات الزراعية الحسبية ١٪ من الرصيد العقاري الزراعي، منها عشرة آلاف هكتار تُستغل مباشرة من طرف نظارات الأوقاف على شكل بساتين للفلاحة أو محيطات حسبية مغروسة بالأشجار الغابوية، وأما الباقي وهو الغالب بنسبة ٨٧٪ فيؤجر سنويًا، وأما المحلات السكنية والتجارية والصناعية والأفرنة والحمامات وغيرها من المباني المؤجرة فيناhez عددها ٤٥ ألف وحدة عقارية^(٤).

(١) «من روائع حضارتنا»: مصطفى السباعي، ص ١٠٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب»: منذر قحف، ص ٤١٨.

(٤) «عرض التجربة الوقفية بالمملكة المغربية»: الدرويش عبد العزيز، ص ١٦٢-١٦٣.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

■ يوجد في الهند ما يربو على ٣٠٠ ألف عقار وقفى إسلامي تُقدَّر قيمتها بحوالي ٩٤ مليار دولار^(١)، وتُقدَّر قيمة الأوقاف في السعودية بنحو ٥٠٠ مليار ريال سعودي (أي حوالي ١٣٣ مليار دولار)^(٢)، وأما أموال الأوقاف في مصر فتُقدَّر بأكثر من ١٠٠ مليار جنيه (نحو ١٤ مليار دولار)^(٣).

■ تمتلك هيئة الأوقاف المصرية^(٤) ما يقرب من مساحة ١٨٠ ألف فدان أراضي فضاء، وجزيرة كاملة في اليونان، ولدى هيئة الإصلاح الزراعي ما يقارب ٤٥ ألف فدان قيمتها الدفترية ٢ مليار جنيه، وهي تساوي الآن ما يتجاوز ٢٠٠ مليار جنيه، ولديها أيضًا ٢١٠ آلاف فدان تبلغ قيمتها حوالي ١٥ مليار جنيه، بالإضافة إلى ٩٠٠ ألف فدان استولت عليها إحدى الشركات وحولتها إلى مزارع سمكية وحيوانية وعقارات، ومساحة ٤٥ فدان في المطرية استولت عليها إحدى المصالح الحكومية، وفي سيدي كرير ٢٨ ألف فدان بيعت بالمليارات إلى المستثمرين وأصحاب القرى السياحية، وهناك عدد من الأراضي استولت عليها محافظة القاهرة والجيزة والجهات الأخرى، ومعهد القلب بإمبابة، ومستشفى الجمهورية، والأرض المقام عليها نادي الزمالك، وغيره الكثير.

الاعتداء على نظام الوقف وممتلكاته

لم تسلم الأوقاف على مرور الحقب الإسلامية من الاستيلاء أو الابتزاز أو تدخل الحكومات في سنِّ قوانين لها مخالفة لما جاء به الشرع الحنيف وأقره علماء الأمة، والمتتبع لمسيرة المجتمعات الإسلامية في التاريخ المعاصر يلاحظ أن

(١) «بعض الإحصائيات عن الوقف الخيري»: موقع هيئة الأوقاف المصرية.

(٢) «٥٠٠ بليون ريال قيمة الأوقاف في السعودية»: جريدة الحياة السعودية.

(٣) «مصر: الأوقاف» تكشف عن «كنزها»: أصولنا المالية ركيزة اقتصادية»: جريدة الأخبار اللبنانية.

(٤) «بعض الإحصائيات عن الوقف الخيري»: موقع هيئة الأوقاف المصرية.

تحوّلاً جذرياً أصاب مؤسسة الوقف؛ فبعد أن كانت مؤسسة أهلية ذات درجة عالية من الاستقلال الإداري والمالي والوظيفي-ارتبطت بها مهام اجتماعية واقتصادية متعددة كالتعليم والصحة والمساجد وغير ذلك- أصبحت مؤسسة حكومية تحكمها أنظمة وسياسات الحكومات وخططها؛ وبالتالي فقدت هذه المؤسسة توهجها ودورها والتفاف الناس حولها، بل رأى الناس وسمعوا كيف بيعت بعض العقارات الوقفية بأبخس الأثمان، وكيف استبدلت عقارات أخرى، وكيف تستغل بعض العقارات بما لا يحلّ في شرع ولا عرف.

والناس عموماً عازفون عن الوقف غير آبهين به لأنهم لا ثقة لهم بالقوانين المنظمة لشؤونهم، وفيها مواد صريحة تخالف نصوص الشريعة الإسلامية، وغالبيتها لا تراعي شروط الواقفين، فضلاً عن الطريقة التنفيذية السيئة التي يعمل بها بهذه القوانين، وصفات الأشخاص القائمين عليها، وقد رأى الناس وسمعوا ما آلت إليه عشرات العقارات الوقفية العظيمة الباذخة التي خولفت فيها شروط الواقفين، وتحوّلت فيها المعاهد العلمية العظيمة إلى أسواق يرتادها من هبّ ودبّ.

وفيما يلي نلخص بعض صور الاعتداء على نظام الوقف وممتلكاته:

■ في الجزائر مثلاً^(١) تم الاستيلاء على محلات وسكنات وأراضٍ وقفية بالتواطؤ مع موثّقين، ووُجِدَت أملاك مؤجرة بـ ١٠٠ دينار جزائري، مع أن دخلها يصل إلى ٦٠ مليار سنتيم، حتى إن مبنى وزارة الدفاع الوطني وقصر الحكومة مقامان على أرض وقفية. وتشير دراسة أجراها الباحث في الأوقاف الدكتور فارس مسدور إلى وجود ٥٨ محلاً تجارياً، و ٨٨ بين مرش وحمّام، و ٥٩٥ مسكناً، و ٥١٣ قطعة أرض، بمجموع ١٢٥٤ مئلكاً وقفياً كلها مستغلة بغير إيجار، وتم الاستيلاء على البعض منها بالتزوير بعد الاستقلال.

(١) «الاستيلاء على محلات وسكنات وأراضٍ وقفية بالتواطؤ مع موثّقين أملاك مؤجرة بـ ١٠٠ دينار ومداخيلها تصل إلى ٦٠ مليار»: نبيل قويدر جلّول.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

■ وقد ذكرنا سابقاً أن في مصر وحدها ما يزيد عن مليون فدان استولت عليها الشركات أو المصالح الحكومية، وبعضها بيعت بالمليارات إلى المستثمرين وأصحاب القرى السياحية، وهناك من الأراضي التي استولت عليها بعض المحافظات وأقامت عليها منشآت حكوميات ونوادي ومستشفيات.

■ كذلك فإن وزارة الأوقاف المصرية تضع يدها على ما يقرب من ٣٦ ألف وقف أهلي، و ٢٥ ألف وقف خيري، ما بين أراضي وعقارات، ويرجع تاريخ ذلك إلى سبتمبر ١٩٥٢م عندما صدر قانون فك أراضي الوقف الأهلي وتوزيعها على مستحقيها^(١).

■ كما أن الأمم المحاربة للإسلام والمسلمين كانت حريصة على إضعاف الأوقاف الإسلامية، لما تعلم من أهمية الوقف في حياة المسلمين، وقد ذكر العلامة الكوثري^(٢) أن بعض سفراء فرنسا لدى الدولة العثمانية ألّف كتاباً في تاريخ الإصلاحات العثمانية يحتوي على وثائق لا يمكن للجمهور الاطلاع عليها، وكان مما جاء فيه الاقتراح على الدولة العلية إلغاء وجعل الأعيان والأراضي الموقوفة في عداد أملاك الأمة.

■ وبعد دخول المحتل الفرنسي الأراضي السورية سعت دولة الاحتلال للهيمنة على الأوقاف الإسلامية والحد من نشاطها، وأخذ المحتل يعمل على إضعاف الأوقاف والاستيلاء على بعضها، ومنها أوقاف الخط الحديدي الحجازي، وبعض الأوقاف العظيمة كأوقاف السلطان سليم والسلطان سليمان وغيرها، ووصلت نسبة ما يقتطع من واردات الأوقاف إلى المالية العامة تحت نير الاحتلال إلى ٤٥٪^(٣).

(١) «خبراء: خسائر أوقاف مصر بالمليارات»: شبكة رصد الإخبارية.

(٢) من محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني بعنوان «نظام الوقف في الإسلام بين الماضي والحاضر».

(٣) المرجع السابق.



وفي عام ١٩٢٦م صدر قانون عن المفوض السامي الفرنسي بفتح باب الاستبدال في العقارات الوقفية على مصراعيه، وبعد الاستقلال صدر المرسوم التشريعي (٧٦) بتاريخ ١٦/٥/١٩٤٩م والقاضي بإلغاء الأوقاف الذرية والمشاركة وتصفياتها، وقد عملت سلطات الاحتلال يد السلب في الأوقاف الإسلامية بالمصادرة والتحويل إلى ملكية الحكومة بحجة الحاجة إليها في الإدارة العامة، وبتوزيعها على المقربين من السلطة والمتعاونين معها.

حساب عائدات الأوقاف

نظرًا لأن الوقف ليس إلزاميًا للأغنياء، فضلًا عن الفقراء، وأيضًا لأن أشكاله تختلف من بلد لآخر ومن شخص لآخر، وحتى من زمن لآخر، ونظرًا إلى أن الكثير من العوائد الاستثمارية للأوقاف تُهدر نتيجة لتزايد القضايا، وعدم إلمام بعض الجهات بعمل الأوقاف، كما أنها لم تأخذ نصيبها في التنمية، وانحصرت في العقارات القديمة مع تدني إدارتها اقتصاديًا، فلذا من الصعوبة التكهّن بقيمة ما يوقف في كل عام، ولكننا سنفترض هنا - على اعتبار أن غالبية المسلمين على الاستقامة - أنه في كل عام يقوم شخص واحد فقط من كل مائة ألف مسلم بوقف شيء من ممتلكاته، وأن متوسط قيمة كل وقف عشرة آلاف دولار فقط.

وافترض وقف واحد لكل مائة ألف ليس بالكثير عندما يكون المسلمون على درجة من الالتزام وحب الخير، فقد أوردنا سابقًا حديث جابر - رضي الله عنه - الذي أشار فيه إلى أن معظم الصحابة الميسورين كانوا يحبسون شيئًا من أموالهم كصدقة جارية. كذلك، فقد ذُكر عن الشافعي أنه قال: «بلغني أن ثمانين صاحبًا من الأنصار تصدّقوا بصدقات محرّمات»^(١)، والشافعي يسمي الوقف (الصدقات

(١) «مغني المحتاج شرح المنهاج»: محمد الخطيب الشربيني، ج ٢، ص ٣٧٦.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

المحرّمات)، وهو يدلُّ بجلاء إلى ما ذهبنا إليه. ويوجد في السودان وحدها خمسة ملايين شخص مُوقَف.

وأما افتراض قيمة الوقف الواحد بعشرة آلاف دولار فهذا أيضًا ليس بالكثير؛ فممّا تذكره كتب التاريخ أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد أنفق أمواله كلها على جهات البرّ وملاً بلاد الشام ومصر بالأوقاف من مساجد ومدارس ومستشفيات ورباطات، ومراكز إقامة للمجاهدين وتزويدهم بالمؤن والأعتاد والخيول^(١). كذلك، فقد كانت هناك من المدارس الوقفية التي بلغت رواتب المدرسين فيها ستين ألف درهم سنويًا، وخُصّصت لهم مخصّصات للانتقال والإنفاق على الخيول والبغال التي تنقلهم بين مساكنهم والمدارس التي يُدرّسون فيها^(٢).

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يُعَدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وفي العصر الحاضر تطالعنا الأرقام التي لا تُصدّق عن قيمة الأوقاف التي يحبسها أصحابها في سبيل الله؛ فقد صرّح الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي - صاحب المؤسسات المصرفية الكبرى في السعودية - بتاريخ ٢٠١٧/٤/١٨م بأن قيمة الأوقاف التي وقفها بنفسه قد بلغت ستين مليار ريال سعودي، أو ما تعادل ثمانية عشر مليار دولار^(٣). كذلك، فإن افتراض قيمة الوقف بعشرة آلاف دولار ليس بالكثير في زماننا هذا، إذ إن أسعار الأراضي والعقارات قد ارتفعت إلى حدّ الهوس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بمثل هذه الافتراضات البسيطة يمكننا حساب قيمة الأوقاف التي توقّف سنويًا في هذا الزمان، كما يلي:

(١) «الإيمان واهتمام الوقف بالعلم والتعليم»: أحمد بن محمد المغربي.

(٢) «الدور الاجتماعي للوقف»: عبد الملك أحمد السيد، ص ٢٣٨.

(٣) تصريح بالفيديو نشر على صفحة «الراجحي الدولية» بالفيس بوك بتاريخ ٢٠١٧/٤/١٨م.



لغة الأرقام

✕ عدد الواقفين في العالم الإسلامي في كل عام = ٢ مليار مسلم ÷ ١٠٠,٠٠٠ = ٢٠,٠٠٠ شخص.

✕ قيمة ما يوقف سنوياً = ٢٠,٠٠٠ شخص × ١٠,٠٠٠ دولار متوسط قيمة كل وقف = ٢٠٠ مليون دولار في السنة.

قد يقول قائل: بأن ٢٠٠ مليون دولار في السنة لا تمثل شيئاً يذكر - وخاصة أن الحسابات التي أجريناها هنا هي على مستوى العالم الإسلامي بأسره -، وكذلك فإن ما يعنينا أكثر هو عائدات الوقف وليست أصولها، وهي - بلا شك - ستكون أقل من هذا بكثير، وهذا كلام صحيح. لكن علينا أن نتذكر أن الأوقاف - على عكس الزكوات والصدقات - لا تُستهلك وإنما تبقى إلى يوم القيامة، وعلى ذلك فإن أصول الوقف تراكمية، بمعنى أنه لو قام عشرون ألف شخص بوقف شيء من ممتلكاتهم في هذا العام، فإننا سنحصل في هذا العام على عائدات عشرين ألف وقف فقط، وأما في العام التالي فسيقوم عشرون ألف شخص آخرون بوقف عشرين ألف ممتلك إضافية، وعندها يصبح لدينا أربعون ألف وقف، وفي السنة الثالثة تزيد عدد الأوقاف إلى ستين ألف وقف، وهكذا.

وأما بالنسبة لعائدات الوقف، فلو افترضنا أنها تعادل فقط ١,٠٪ من قيمة الأصول الوقفية، بمعنى أنه من كل ألف دولار سنحصل على دولار واحد فقط، وبحسب تقديراتنا السابقة بأن قيمة كل وقف هي عشرة آلاف دولار فقط، فإن هذا يعني أن العائد من ذلك الوقف هو عشرة دولارات سنوياً فقط، وهو ما يساوي مئتي ألف دولار لمجموع الأوقاف التي افترضنا وقفها في العالم الإسلامي في كل عام. ولا ننسى أن كثيراً من عائدات الوقف - وخاصة في هذا الزمان - صارت تُثمر للحصول على عائدات إضافية، مما يعني أن مقدار العائدات السنوية هو أكثر مما سقناه في هذه الأرقام.

الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

وحسب التقارير المالية للجامعات الأمريكية^(١)، فإن عائدات الوقف لهذه الجامعات تتراوح بين ١٠٪ إلى ٢٥٪ من قيمة الوقف الاجمالي، إذ إن جُلّ الجامعات الأمريكية تحقق مداخيل تتجاوز العشرة بالمائة، في حين أن جامعة كورنيل (Cornell) حققت عائدات بنسبة ٩, ٢٥٪ من قيمة استثمارات أوقافها للسنة المالية ٢٠٠٦م، كما أن أكثر الجامعات تستخدم ٤-٥٪ من عائداتها لدعم ميزانية الجامعة في حين أن بقية العائدات يعاد استثمارها لتعظيم رأس المال.

وباستخدام هذه التقديرات البسيطة نوضح في الجدول التالي إيرادات الأوقاف بعد ٥، ١٠، ٢٠ سنة من الآن:

لغة الأرقام				
السنة	عدد الأصول الموقوفة	قيمة الأصول الموقوفة في هذه السنة	قيمة الأصول الموقوفة التراكمية (دولار)	العائدات التراكمية للأوقاف (دولار)
١	٢٠ ألفاً	٢٠٠ مليون	٢٠٠ مليون	٢٠٠ ألف
٢	٤٠ ألفاً	٤٠٠ مليون	٦٠٠ مليون	٦٠٠ ألف
٣	٦٠ ألفاً	٦٠٠ مليون	١,٢ مليار	١,٢ مليون
٤	٨٠ ألفاً	٨٠٠ مليون	٢ مليار	٢ مليون
٥	١٠٠ ألف	١ مليار	٣ مليار	٣ مليون
١٠	٢٠٠ ألف	٢ مليار	١١ ملياراً	١١ مليوناً
١٥	٣٠٠ ألف	٣ مليار	٢٤ ملياراً	٢٤ مليوناً
٢٠	٤٠٠ ألف	٤ مليار	٤٢ ملياراً	٤٢ مليوناً

مما لا شك فيه أن عائدات إضافية للأمة بقيمة ٤٢ مليون دولار لن يكون لها أثر كبير في مسيرة التنمية الحضارية للأمة، وفي معالجة الأزمات التي قد تمر بها

(١) «الجامعات المرموقة تمثل عائداتها من الأوقاف ٣٠٪ من ميزانية الجامعات»: موقع مركز الوقف الدولي.

واحتوائها، ولكن لا ننسى أن مسيرة الأوقاف قد بدأت منذ عهد رسول الله ﷺ واستمرت على امتداد الأزمنة.

إن التوسّع الكبير في إنشاء الأوقاف الإسلامية والمحافظة على الموجود منها خلال العصور التاريخية المتتابعة تطبيقاً لمبدأ التأييد أدى إلى تراكم حصيلة كبيرة من الأوقاف الإسلامية، ذات تنوع كبير سواء من حيث نوع الأموال الموقوفة، أم أغراض الوقف وأهدافه، أم من حيث الشكل القانوني للوقف، أم من حيث المضمون الاقتصادي، أم من حيث أنواع الواقفين، أم من حيث إدارة الوقف.

كذلك فإن طبيعة الوقف الإسلامي - كما أسلفنا - يجعل منه ثروة استثمارية متزايدة؛ فالوقف الدائم في أصله وشكله العام، سواء أكان مباشراً أم استثمارياً، إنما هو ثروة إنتاجية توضع في الاستثمار على سبيل التأييد، يمتنع بيعه واستهلاك قيمته، ويمنع تعطيله عن الاستغلال، وتجب صيانتها والإبقاء على قدرته على إنتاج السلع والخدمات التي خُصص لإنتاجها، ويحرم الانتقاص منه والتعدي عليه؛ فالوقف المؤبد ليس استثماراً في المستقبل فقط، وإنما هو أيضاً استثمار تراكمي، من أهم خصائصه أنه يتزايد يوماً بعد يوم، بحيث يُستدام الوقف السابق الذي أنشأته الأجيال الماضية، وتنضم إليه الأوقاف الجديدة التي ينشئها الجيل الحاضر.

وينبغي أن نلاحظ أن ثمة عاملاً آخر برز منذ أوائل القرن العشرين وأدّى أيضاً إلى تزايد ملحوظ في القيمة الإنتاجية للتراكم الوقفي الموروث من الماضي، ويرجع هذا العامل إلى التزايد السكاني، والنمو الاقتصادي في البلدان والمجتمعات الإسلامية، معبراً عنه بتزايد حجم الإنتاج القومي، وذلك لأن معظم الأموال الوقفية الموروثة من الأجيال الماضية صارت اليوم توجد في أفضل وأحسن المناطق السكنية والتجارية بالنسبة للمدن، وأخصب الأراضي الزراعية بالنسبة للأرياف،



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

وسبب ذلك تاريخي بحث لأن هذه الأوقاف أنشئت في عصور كانت فيها المدن أصغر مما هي عليه اليوم، وعدد السكان أقل أيضًا، والأراضي الزراعية أقل مساحة وأقرب لتلك المدن الصغيرة.

كذلك فقد ساعد على ارتفاع القيمة الإنتاجية لكثير من الأوقاف المتراكمة، التطور الكبير في تكنولوجيا البناء الذي جعل التوسع العمودي في المباني ممكنًا، مما زاد كثيرًا في القيمة التبادلية للأراضي الموقوفة في المدن، بل إن كل ذلك أدى إلى التطلع إلى إعادة تشكيل بعض الأموال الوقفية المباشرة كالمساجد والمسكن بحيث يُنقَض البناء القديم وينبى بدلًا منه بناء متعدد الأدوار، يستعمل واحد منها مسجدًا، أو مسكنًا للموقوف عليهم، ويُسْتَغَل الباقي استغلالًا استثماريًا يعود نفعه على غرض الوقف نفسه، وهذا أمر حدث فعلاً في كثير من العواصم الإسلامية؛ مثل مكة المكرمة وبغداد ودمشق وبيروت والقدس وغيرها.

ولعلنا نشير إلى واقعة تاريخية مهمة يمكن اعتبارها إنشاء أكبر وقف عرف في التاريخ البشري كله، وتطبيقاً موسَّعاً لفكرة الوقف نفسها، وهذه الحادثة التاريخية المهمة هي فعل عمر بأراضي البلاد المفتوحة، بعد الفتوح الكبرى في الشام ومصر وعراقي العرب والعجم، وذلك أن الخليفة الثاني بعد جدال وحوار طويلين مع المعارضين، واستشارات واسعة لأعلام الصحابة، رأى أن لا يوزع الأراضي الزراعية على المجاهدين الفاتحين، واعتبر أن فيها حقاً للأمة أولها وآخرها، فقرر اعتبار هذه الأراضي وقفاً على الأمة بأجيالها كلها، تصرف إيراداته في مصالحها ويكون فيه حق للأجيال القادمة لا يقل عن حق الجيل الأول، وأخذ أجره لهذه الأراضي ممن هي في أيديهم، عُرِفَت في التاريخ الاقتصادي الإسلامي باسم خاص بها هو الخراج^(١).

(١) «كتاب الأموال»: أبو عبيد القاسم بن سلام، باب أراضي السواد.

أخذًا بهذه الاعتبارات، وسيّرًا على ما سُقناه في «لغة الأرقام» السابقة، يمكننا وضع تقديرات بعائدات الوقف في العالم الإسلامي في هذا الزمان، حيث سنفترض أنه - منذ عهد النبوة وإلى يومنا هذا - تتزايد أصول الوقف في كل عام - وعلى مستوى العالم الإسلامي بأكمله - بمعدل ألف وقف جديد سنويًا، وسنفترض أن قيمة كل وقف هو ١٠ آلاف دولار فقط، ولهذا فستكون عدد الأصول الوقفية في هذا الزمان قد وصلت إلى ١,٤٣٨ مليون وقف، وقيمة هذه الأصول هي ١٤,٣٨ مليار دولار. وإذا افترضنا أن عائدات الوقف تعادل سنويًا ١٠٪ من قيمة الأصول، فهذا يعني أن عائدات الوقف في هذا الزمان ستكون في حوالي ١,٤٣٨ مليار دولار.

لغة الأرقام

- ☒ عدد الأوقاف منذ عهد النبوة وإلى زماننا هذا = ١٤٣٨ سنة × ١٠٠٠ وقف سنويًا = ١,٤٣٨ مليون وقف.
- ☒ قيمة الأصول الوقفية = ١,٤٣٨ مليون وقف × ١٠ آلاف قيمة كل وقف = ١٤,٣٨ مليار دولار.
- ☒ عائدات الوقف في هذا الزمان = ١٤,٣٨ مليار × ١٠٪ = ١,٤٣٨ مليار دولار سنويًا.

كل هذه الأرقام والأمثلة تعطينا انطباعًا إيجابيًا بأن الأوقاف - متى انتشرت أهميتها بين الناس وأحسن العناية بها وتوجيهها لتنمية مصالح الأمة - فإنها لا ريب ستكون لبنة صلبة في بنية الأمة المرصوص، وستشكّل عائداتها رافدًا يمكن أن يبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ونختم الحديث عن الأوقاف بتوصيات مجمع الفقه الإسلامي والمتعلق بشأن استثمار الوقف:



قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن استثمار الوقف

قرار رقم ١٤٠ (٦/ ١٥) بشأن الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه^(١):

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) من ١٤ إلى ١٩ المحرم ١٤٢٥ هـ، الموافق ٦-١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤ م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، وبالرجوع إلى قرارات وتوصيات الندوات والمؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض، قرر ما يأتي:

أولاً- استثمار أموال الوقف:

- ١- يقصد باستثمار أموال الوقف تنمية الأموال الوقفية سواء أكانت أصولاً أم ريعاً بوسائل استثمارية مباحة شرعاً.
- ٢- يتعين المحافظة على الموقوف بما يحقق بقاء عينه ودوام نفعه.
- ٣- يجب استثمار الأصول الوقفية سواء أكانت عقارات أم منقولات ما لم تكن موقوفة للانتفاع المباشر بأعيانها.
- ٤- يعمل بشرط الواقف إذا اشترط تنمية أصل الوقف بجزء من ريعه، ولا يُعد ذلك منافياً لمقتضى الوقف، ويُعمل بشرطه كذلك إذا اشترط صرف جميع الريع في مصارفه، فلا يؤخذ منه شيء لتنمية الأصل.
- ٥- الأصل عدم جواز استثمار جزء من الريع إذا أطلق الواقف ولم يشترط

(١) يمكن الحصول على نص القرار من موقع المجمع، على الرابط التالي: <http://www.iifa-aifi.org/2157.html>.

استثماره إلا بموافقة المستحقين في الوقف الذري، أما في الوقف الخيري فيجوز استثمار جزء من ريعه في تنمية الأصل للمصلحة الراجحة بالضوابط المنصوص عليها لاحقاً.

٦- يجوز استثمار الفائض من الربح في تنمية الأصل أو في تنمية الربح، وذلك بعد توزيع الربح على المستحقين وحسم النفقات والمخصصات، كما يجوز استثمار الأموال المتجمعة من الربح التي تأخر صرفها.

٧- يجوز استثمار المخصصات المتجمعة من الربح للصيانة وإعادة الإعمار ولغيرها من الأغراض المشروعة الأخرى.

٨- لا مانع شرعاً من استثمار أموال الأوقاف المختلفة في وعاء استثماري واحد بما لا يخالف شرط الواقف، على أن يحافظ على الذمم المستحقة للأوقاف عليها.

٩- يجب عند استثمار أموال الوقف مراعاة الضوابط الآتية:

أ- أن تكون صيغ الاستثمار مشروعة وفي مجال مشروع.

ب- مراعاة تنوع مجالات الاستثمار لتقليل المخاطر وأخذ الضمانات والكفالات، وتوثيق العقود، والقيام بدراسات الجدوى الاقتصادية اللازمة للمشروعات الاستثمارية.

ج- اختيار وسائل الاستثمار الأكثر أماناً وتجنب الاستثمارات ذات المخاطر العالية بما يقتضيه العرف التجاري والاستثماري.

د- ينبغي استثمار أموال الوقف بالصيغ المشروعة الملائمة لنوع المال الموقوف بما يحقق مصلحة الوقف وبما يحافظ على الأصل الموقوف ومصالح الموقوف عليهم. وعلى هذا، فإذا كانت الأصول الموقوفة أعياناً فإن استثمارها



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

يكون بما لا يؤدي إلى زوال ملكيتها، وإن كانت نقودًا فيمكن أن تستثمر بجميع وسائل الاستثمار المشروعة كالمضاربة والمرابحة والاستصناع.. الخ.

هـ- الإفصاح دوريًا عن عمليات الاستثمار ونشر المعلومات والإعلان عنها حسب الأعراف الجارية في هذا الشأن.

ثانيًا - وقف النقود:

١- وقف النقود جائز شرعًا، لأن المقصد الشرعي من الوقف وهو حبس الأصل وتسهيل المنفعة متحقق فيها؛ ولأن النقود لا تتعين بالتعيين وإنما تقوم أبدالها مقامها.

٢- يجوز وقف النقود للقرض الحسن، وللاستثمار إما بطريق مباشر، أو بمشاركة عدد من الواقفين في صندوق واحد، أو عن طريق إصدار أسهم نقدية وقفية تشجيعًا على الوقف، وتحقيقًا للمشاركة الجماعية فيه.

٣- إذا استثمر المال النقدي الموقوف في أعيان كأن يشتري الناظر به عقارًا أو يستصنع به مصنعًا، فإن تلك الأصول والأعيان لا تكون وقفًا بعينها مكان النقد، بل يجوز بيعها لاستمرار الاستثمار، ويكون الوقف هو أصل المبلغ النقدي.

ويوصي بما يأتي:

١- دعوة الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمجتمعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية إلى المحافظة على الوقف ورعايته والعناية به، وعدم الاعتداء عليه، وإحياء بعض أنواع الوقف، مثل الوقف الذري الذي قامت بإلغائه بعض التشريعات العربية والإسلامية.

٢- دعوة الدول العربية والإسلامية والهيئات والمؤسسات المعنية بشؤون

الأوقاف، وكذلك المنظمات العالمية المتخصصة إلى تحمّل مسؤوليتها نحو الأوقاف في فلسطين بصورة عامة، وفي القدس الشريف بصورة خاصة، وحمايتها وبذل الجهود للحفاظ على معالمها، والدعوة إلى تنميتها لتتمكن من تحقيق أهدافها وأداء رسالتها.

٣- دعوة الحكومات الإسلامية لتحمل بعض مصروفات إدارة الوقف ما أمكن ذلك من باب المصلحة العامة، ولأنها المسؤولة عن رعاية مصالح العباد والبلاد.

٤- دعوة الهيئات المتخصصة لوضع معايير شرعية ومحاسبية للتدقيق الشرعي والمالي والإداري في أعمال الناظر، سواء أكان فردًا أم جماعة أم مؤسسة أم وزارة. وينبغي أن تخضع إدارة الوقف لقواعد الرقابة الشرعية والإدارية والمالية والمحاسبية.

٥- ضرورة وضع ضوابط معيارية لنفقات الوقف سواء أكانت تسويقية أم إعلامية أم إدارية أم أجورًا أم مكافآت لتكون مرجعًا عند الرقابة والتفتيش وتقويم الأداء.

٦- الدعوة لإحياء نظام الوقف بجميع أنواعه التي كان لها دور عظيم في الحضارة الإسلامية وفي التنمية البشرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

٧- الاستفادة من التجارب الرائدة في إدارة الوقف وحمايته وتنميته في بعض الدول العربية والإسلامية.

٨- ضرورة إعطاء الأولوية في استثمارات الأوقاف للبلاد الإسلامية.



٤- الأضاحي

تختلف أعيادنا نحن المسلمين عن أعياد غيرنا بأمور، منها:

✓ أنها ربانية شرعها لنا ربنا ومولانا، وسنّها حبيبنا ومصطفانا.

✓ أنها تأتي بعد عبادات عظيمة؛ فعيد الفطر يأتي تنويجاً للإنجاز العظيم الذي يحققه المسلم الصائم القائم في شهر رمضان، وعيد الأضحى هو بمثابة المهرجان الذي يبارك التجمّع الهائل للمسلمين في عرصات الحج المباركة والتي ترمز إلى تلاحم ووحدة المسلمين، وتذكّر بعزة الإسلام وأهله.

✓ أعيادنا نقوم فيها بأعمال جليّة، كصدقة الفطر والأضاحي.

✓ أعيادنا ليست أعياد كآس وغانية وانفلات أخلاقي، وإنما أعياد شكر لمن يملك الأرض ومن عليها، وحثٌّ على الحب والتسامح، والبرِّ والصّلات.

والأمم تحاول أن تُخلّد أحداثها، وتجسد ذكرياتها العظيمة وتحتفل بأيام مجدها؛ فتحفل بيوم الاستقلال، ويوم الجلاء، ويوم النصر، الخ. ولهذا فعيد الأضحى هو من أيام الله المباركة، ومن أيام الإنسانية الخالدة، ومن أيام الإيمان العظيمة، ومن أيام البطولة والفداء، التي خلّدها الله لنا بشعيرة الأضحية، لئذكرنا بحدث التضحية من أبينا إبراهيم عليه السلام، عندما امتثل لأمر الله - عزَّ وجل - فهمم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام لولا أن الله فداه بكبش عظيم.

والأضحية سنة أبينا إبراهيم ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام، وهي من

أعظم القربات إلى الله في يوم النحر. يقول ربنا سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةٍ دَمَ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأُظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا » ^(١).

والأضحية تكون من بهيمة الأنعام؛ أي من الإبل أو البقر أو الضأن أو المعز على اختلاف أصنافها، ولا تجزئ إلا بشرطين: الأول أن تبلغ السنّ المعتبر شرعاً ^(٢)، والثاني أن تكون سليمة من العيوب التي بينها النبي ﷺ حين قال: « أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَصْحَائِي: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي » ^(٣)، وكلما كانت الأضحية أكمل في ذاتها وصفاتها فهي أفضل.

ويستحب أن يُطعم المُضْحِي أهل بيته ثلث الأضحية، ويهدي ثلثاً للفقراء من جيرانه وأقاربه، ويتصدق بالثلث الباقي على مَنْ يسألها، لقول الحق سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، والقانع هو السائل، والمعتر هو الذي يعتري الناس، أي يتعرض لهم ليطعموه، ولا يسألهم ذلك، ولما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في صفة أضحية النبي ﷺ قال: « وَيُطْعِمُ أَهْلَ بَيْتِهِ الثَّلَاثَ، وَيُطْعِمُ فَقَرَاءَ جِيرَانِهِ الثَّلَاثَ، وَيُتَصَدَّقُ عَلَى السُّؤَالِ بِالثَّلَاثِ » ^(٤)، وروى عن

(١) رواه ابن ماجه (حديث رقم: ٣١٢٦).

(٢) يقول سماحة الشيخ الخليلي - حفظه الله -: «يجزي الشئ من الماعز وهو ابن عامين والجذع من الضأن وهو ابن عام واحد، ومن الإبل والبقر بقدر أسنانها، فقد ذكر علماؤنا أن كلاً من ابن مخاض أو ابنة مخاض يجزي عن واحد وكذلك ابن لبون وابنة لبون والحق والحقة، والجذع والجذعة يجزيان عن خمسة، والشئ والثنية عن سبعة، وكذلك البقر فجذعة البقر عن ثلاثة والثنية عن خمسة والمسنة عن سبعة». انظر فتاوى الأيمان والكفرات والنذر والذبايح لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي..

(٣) رواه ابن ماجه (حديث رقم: ٣١٤٤).

(٤) رواه الحافظ أبو موسى الأصفهاني في الوظائف، وقال: حديث حسن. انظر مرعاة المفاتيح (٥/ ٢٤٧ -



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: « **الضحايا والهدايا: ثلث لك، وثلث لأهلك، وثلث للمساكين** »^(١).

مشروع الاستفادة من أضاحي العيد

تشير بعض التقارير^(٢) إلى أن عدد الأضاحي في السعودية تصل إلى ١٢ مليون رأس بالإضافة إلى مليوني رأس لأضاحي الحجاج، وتتراوح أسعار هذه الأضاحي بين ١٠٠٠ إلى ١٨٠٠ ريال سعودي، مما يعني أن ما يُنفق في السعودية على أضاحي عيد الأضحى المبارك قد تتجاوز ٩ مليارات ريال سعودي، وأما في البلدان التي تعاني من الحصار - كفلسطين - فإن أسعار الأضاحي قد تصل إلى أكثر من ٣٠٠ دولار^(٣).

وتبني الكثير من المؤسسات الخيرية المحلية والقُطرية مشروع أضاحي العيد، وخاصة في البلدان الفقيرة والمتضررة كفلسطين واليمن والصومال، ويتم في هذه المشاريع توزيع أضاحي العيد لآلاف الأسر الفقيرة. ومن المؤسسات الرائدة في هذا المجال البنك الإسلامي للتنمية الذي يتبنى «مشروع المملكة للإفادة من الهدي والأضاحي» الذي بدأ تنفيذه في حج عام ١٤٠٣هـ، وفي كل عام يعمل في هذا المشروع أكثر من ٣٥ ألف شخص، ما بين جزارين ومساعدتهم، وأطباء بيطريين، ومشرفين شرعيين، وإداريين، وغيرهم من الفنيين والعاملين^(٤).

ويتم في كل موسم حج ذبح ما يزيد عن ٧٠٠ ألف رأس من الأغنام والإبل

٢٤٨)، وأورده ابن قدامة في (المغني) (٨ / ٦٣٢)، وقال الألباني بأنه لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

(١) «أحكام الأضحية والذكاة»: محمد بن صالح العثيمين، ج ٢، ص ٢٥١.

(٢) «السعوديون ينفقون ٩ مليارات ريال على أضاحي العيد»: موقع جوهر معلومات الشرق الأوسط التجارية.

(٣) «مشروع الأضاحي.. التسابق إلى نصره غزة»: حسن محمود.

(٤) «مليار ريال تكلفة مشروع المملكة للإفادة من الهدي والأضاحي»: جريدة الوطن السعودية.



والأبقار وسلخها وتنظيفها وتجميدها خلال فترة ٨٠ ساعة فقط، ويتم توزيع لحوم الهدّي والأضاحي على مستحقيها من فقراء الحرم وفقراء المسلمين في نحو ٢٧ دولة. وقد قام المشروع منذ تدشينه بتوزيع ما يزيد عن ١٢,٥ مليون رأس من الأغنام^(١)، ويقوم حالياً بإعداد الترتيبات لاستخلاص الجيلتين الحلال من مخلفات الأضاحي^(٢).

وهناك من المؤسسات الأخرى التي قد لا تصل في إمكانياتها المالية والبشرية إلى مستوى البنك الإسلامي للتنمية، ولكنها مع ذلك تقوم بدور يفوق التصوّر؛ فمثلاً قدّمت «الهيئة الإسلامية للرعاية» في لبنان خدماتها ولمدة ٢٨ عاماً منذ إطلاقها لمشروع أضاحي العيد في عام ١٩٨٧م لأكثر من ٢١٤ ألف أسرة لبنانية^(٣). أما في جمعية الأعمال الخيرية الفلسطينية، فقد قدّم مشروع أضاحي العيد خدماته لقربة ٣٩ ألف أسرة فلسطينية بين عاميّ ٢٠٠٢م و٢٠٠٦م^(٤).

رأي العلماء في مشروع أضاحي العيد

أجاز بعض العلماء^(٥) توكيل المؤسسات التي تقوم بالاستفادة من لحوم الأضاحي، بحيث يمكن إرسالها إلى الدول التي تكثّر بها الكوارث والأزمات، وأجازوا بيع مخلفات الأضاحي كالجلود والأعضاء، بشرط توزيعها على فقراء المسلمين. غير أن هناك من العلماء من لا يقول بجواز ذلك، وأدلة هؤلاء هي:

(١) المرجع السابق.

(٢) «مشروع إنتاج الجيلتين الحلال من مخلفات مجازر المشروع»: موقع مشروع المملكة للإفادة من الهدّي والأضاحي.

(٣) «الرعاية: شاركنّا الأضحى، ساهم بأضحيتك مشروع أضاحي العيد للعام ٢٠١٥»: موقع صيدا الآن.

(٤) «مشاريعنا في أرقام»: موقع جمعية الأعمال الخيرية الفلسطينية.

(٥) «مشروع إنتاج الجيلتين الحلال من مخلفات مجازر المشروع»: موقع مشروع المملكة للإفادة من الهدّي والأضاحي.



الفصل الثاني: عائدات الزكوات والأوقاف والأضاحي

عدم التسمية في كل الذبائح، وأنَّ مَنْ يقومون بالذبح لا يُحدِّدون المُهدى عنه في كل ذبيحة، ولا يُحدِّدون كذلك نوع الذبيحة؛ هل هي فدية أو هدي أو غير ذلك. كذلك، فإن بعض ضعاف النفوس يقومون ببيع كوبونات مزورة للحجاج بأسعار زهيدة، وكثير منهم لا يقوم بالذبح أصلاً، وآخرون يقومون بذبح عشوائي مخالف لأنظمة الذبح المقررة.

وقد سُئل سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله -: «ما قولكم في تكفُّل البنك الإسلامي بذبح هدي المُحرَّم بالحج، وذلك بإعطائه قيمة الأضحية؟»، فردَّ سماحته: «من أين للحاج أن يعلم عند التحلل أن الهدي بلغ محلَّه، مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فدعوا المُشْكِل، واثمَّسوا في الطريق الواضح»^(١).

حساب عائدات الأضاحي

لنفترض أن مَنْ تجب عليهم زكاة المال (أي ٦٠ مليون شخص في العالم الإسلامي) هم مَنْ بمقدورهم أن يُضحَّوا، وكما بينا فإنه من السُّنة تقسيم الأضحية إلى ثلاثة أقسام: قسم لأهلك، وقسم توزعه على أقاربك وجيرانك، وقسم ثالث توزعه على الفقراء. لذلك، فسنفترض أن كل مُضحِّي سيتبرع بثلث أضحيته للفقراء. ورغم أن التقارير تشير إلى أن قيمة الأضاحي في بعض البلدان قد تصل إلى ١٨٠٠ ريال سعودي، إلا أننا سنفترض هنا أن قيمة كل أضحية هي فقط ٤٠٠ ريال سعودي (أي حوالي ١٠٠ دولار)، لذا فإن القيمة النقدية للثلث الذي سيتم التبرع به هو حوالي ٣٠ دولار. بهذه الأرقام البسيطة يمكننا حساب عائدات الأضاحي، كما يلي:



لغة الأرقام

✕ عائدات الأضاحي = ٦٠ مليون شخص في العالم الإسلامي قادر على التضحية
 $30 \times$ دولار مقدار الثلث الذي يتم التبرع به للفقراء من كل أضحية = ١٨٠٠
 مليون = ١,٨ مليار دولار في السنة.

لقد استثنينا في حساب عائدات الأضاحي الثلث الثاني الذي عادة ما يوزعه المُضحّي على أقربائه وجيرانه، مع العلم أن كثيرًا من المستفيدين من هذا الثلث سيكونون أيضًا من ذوي الحاجة. كذلك، فنحن نعلم أنه باعتبار أن كل أسرة مسلمة تتكون من خمسة أشخاص «الزوج والزوجة وثلاثة أطفال»، فستكون هناك حوالي ٤٠٠ مليون أسرة مسلمة في العالم. ومما لا شك فيه أن غالبية الأسر المسلمة تُضحّي في يوم العيد، لكننا لم نحسب إلا حوالي سبع هذا العدد من الأسر.

وبالرغم من ذلك، فقد رأينا أننا سنحصل على ما قيمته ١٨٠٠ مليون دولار في كل عام كمساعدات للفقراء. وإذا تصوّرنا كيف يكون الوضع فيما لو أصبحت الأمة مستقيمة على دين الله، واختفت منها معظم الأمراض الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها حالياً، فسنجد أن غالبية الأسر المسلمة ستكون قادرة على ذبح أضاحيها يوم العيد، اقتداءً بأبينا إبراهيم - عليه السلام - وحبينا محمد ﷺ. هذا يعني أنه سيتم التبرع بما مقداره ١٢ مليار دولار (٤٠٠ مليون أسرة $\times 30$ دولار قيمة الثلث المتبرّع به). لذا، نلاحظ أهمية هذه الشعيرة من الناحية الاقتصادية، بالإضافة إلى فوائدها الجمة من النواحي الإيمانية والاجتماعية والنفسية.



٥- خاتمة الفصل

لقد رأينا في هذا الفصل كيف جاء الإسلام بنظامه الاقتصادي الرائع الذي لا يكتفي فقط بحل المشكلات المالية، من توفير الاحتياجات الأساسية للفقراء والمعوزين، وتنظيم الثروة وتوزيعها، وإنما في الوقت نفسه يبنى الجوانب الروحية والاجتماعية والأمنية. لقد وجدنا أن الزكوات والوقف والأضاحي فقط يمكن أن توفر للأمة في كل عام (والأمة في وضعها الحالي) حوالي ٩,٣٥ مليار دولار (٣,٧٥ مليار عائدات زكاة المال + ١,٨ مليار عائدات زكاة الفطر + ٤٢ مليون عائدات الأوقاف + ١,٨ مليار عائدات الأضاحي).

والسؤال هنا هو: كيف ستتغير هذه الأرقام لو استقامت الأمة على دين الله؟ مما لا شك فيه أن الأرقام ستقفز بشكل ملحوظ. مثلاً، رأينا في الباب الأول أن البطالة مرض من الأمراض التي ابتليت بها الأمة، ورأينا كذلك أن البطالة تختفي عندما يستقيم المسلم على منهج ربه، وهذا يعني أنه عندما تستقيم الأمة على دين الله فسيكون عندنا حوالي ٢٨٠ مليون عامل إضافي (٢ مليار مسلم $\times$ ١٤٪ شخص عاطل عن العمل حالياً)، وهؤلاء إذا دفعوا زكاة المال وزكاة الفطر وذبحوا أضحياتهم فيكون العائد من كل ذلك «حسب التقديرات التي ذكرناها في هذا الفصل» هي ١,٣٠ مليار دولار إضافية (كما هو مبين في «لغة الأرقام» التالية)، مع ملاحظة أننا لا زلنا نستخدم التقديرات البسيطة في حساب هذه العائدات الإضافية. هذا فقط في تشغيل العاطلين عن العمل، فماذا يكون الحال عندما تُحل كل أو معظم المشاكل التي تعاني منها الأمة؟

لغة الأرقام

- ✕ عائدات زكاة المال التي سيدفعها العاطلون عن العمل بعد تشغيلهم = ٢٨٠ مليون شخص $\times ٢٥٠٠$ دولار $\times ٢,٥\%$ = ١٧,٥ مليار دولار.
- ✕ عائدات زكاة الفطر التي سيدفعها العاطلون عن العمل بعد تشغيلهم = ٢٨٠ مليون شخص $\times ٥$ أشخاص (عدد أفراد الأسرة) $\times ٣$ دولار عن كل فرد = ٤,٢ مليار دولار.
- ✕ عائدات الأضاحي التي سيدفعها العاطلون عن العمل بعد تشغيلهم = ٢٨٠ مليون شخص $\times ٣٠$ دولار قيمة ثلث الأضحية المتبرع به للفقراء = ٨,٤ مليار دولار.
- ✕ مجموع العائدات السنوية من زكوات وأضاحي العاطلين عن العمل بعد تشغيلهم = ١٧,٥ + ٤,٢ + ٨,٤ = ٣٠,١ مليار دولار.





الفصل الثالث:

إحياء الأرواح



لقد تعرضت الأمة الإسلامية منذ نشأتها وإلى يومنا هذا إلى نكبات أودت بحياة عشرات- بل ربما مئات- الملايين من أبنائها. وقد اختلفت هذه النكبات في نوعها ومسبباتها وآثارها على الأمة؛ فهناك العوامل الداخلية من حروب قبلية وحزبية، وهناك الأمراض الفتاكة التي تفني الملايين من الأرواح في كل عام، وهناك المجاعات والفيضانات، وهناك المؤامرات والمخططات الدولية التي أصبحت معلّما من معالم «الحضارات» الغربية والشرقية.

بعض هذه المؤامرات الدولية ما هو واضح للعيان كزرع أنجس خلق الله «اليهود» في قلب الأمة وما تبع ذلك من إزهاق للأرواح وتدمير للبنى التحتية لكيان الأمة بأكمله، وبعضها ما يجري في الخفاء وبتواطؤ فاضح حتى ممّن ينتسبون إلى الإسلام وإلى أمة الإسلام. كذلك، لا ننسى حرب الخليج و«الحرب ضد الإرهاب» التي تقود زمامها أمريكا وأعوان الشر، والحروب الأخرى التي أصبحت- لكثرتها- تعتبر من سمات العالم الإسلامي. وهناك أيضًا مؤامرات إهلاك الحرث والنسل من مثل الحصار الاقتصادي والجوي والعسكري الذي يُفرض قسراً وزوراً على بلدان العالم الإسلامي المختلفة. وقد أودت تلك المؤامرات بأرواح الملايين من أبناء الأمة وأرجعت الأمة ثقافياً وفكرياً وصحياً وبنوياً قروناً للوراء.

ولا ننسى أيضًا عمليات القتل والإبادة عبر أنظمة تحديد النسل وبرامجه،



والأدوية المُعقّمة والفاسدة والناشرة للأمراض، التي يرسل بها الغرب عبر شحنات الأغذية والمساعدات التي تدخل بلاد المسلمين المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائية، ناهيك عن عمليات التصفية والمجازر التي تقوم بها الحكومات وأنظمتها الطاغوتية لشعوبها، وخاصة للشباب المسلم في حال شعورها بأيّ خطر، وقوائم جرائمهم طويلة؛ فقد قتل صدام خلال حكمه في العراق أكثر من مليون إنسان، وقتل الملك حسين في الأردن في أيلول الأسود ١٩٧٠م عشرين ألف فلسطيني، وقتل حافظ الأسد في مطلع الثمانينات أكثر من ٤٠,٠٠٠ من الشعب السوري، وفي تل الزعتر في بيروت نحو ٦٠,٠٠٠ من الفلسطينيين، وفي طرابلس أكثر من ٢٠,٠٠٠ لبناني، كما حصد النظام الجزائري بعد الانقلاب العسكري عام ١٩٩١م وإلى اليوم أكثر من ١٥٠,٠٠٠ إنسان^(١).

والدينَ والمجدَ والأخلاقَ قد هدموا^(٢)
سُمُ الخيانةِ والأحقادِ فاحتكموا
إن الذنابِ إذا ما استؤمنوا نقموا
بيضاءَ سطرها دمعُ لنا ودمُ
كانت شموساً لما أطبقت ظلمُ
ثوبَ الفضيلةِ حتى ضاعتِ القيمُ
عهدٌ ولا شرفٌ كلا ولا ذمُّ
وهل يُهادنُ نذلٌ صاغه العجمُ
هذي مخازيكُم ضاقتُ بها الأممُ

الحرثَ والنَّسلَ والأوطانَ قد درسوا
دُمى على رقعةِ الإفسادِ حركهمُ
للغدرِ والتنكيلِ والهوى سَفَهَا
يا قادةِ السُّوءِ كم لطختمو ضُحفاً
يا راحةَ الغدرِ كم أطفأتمو مَقْلاً
يا عُصبةَ الإفكِ كم ألبستمو رَجْسا
يا صُحبةَ الشيطانِ لم يعد لكمو
يا سادةَ التهريجِ إنا لن نهادنكم
هذي مثالبكم في كل واقعةٍ

(١) «١٠» من أشهر عمليات الإبادة التي تعرضت لها شعوبنا المسلمة: موقع أمة بوست.
(٢) من قصيدة بعنوان «قادة السوء» للدكتور عبد العزيز الرنتيسي، نشرها في موقعه على الإنترنت.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وليس القتلى والجرحى هم نهاية المطاف في الحروب التي تشنها أمريكا وحلفاؤها على المسلمين وبلدانهم، وإنما تتجاوز ذلك لتخلّف إعاقات مستديمة وأمراضًا لا حصر لها. ويُعد من أهم الأسباب في تلك الإعاقات والأمراض ما تقذفه طائرات المعتدين من اليورانيوم المخصّب، حيث كشفت مصادر وزارة الخارجية البريطانية أن وزن اليورانيوم الذي أُلقي في حرب كوسوفا قد بلغ ١٠ أطنان، وبلغ ٣٠ طنًا في حرب البوسنة والهرسك، وبلغ ٣٠٠ طن في حرب الخليج الثانية^(١).

كذلك، فلا ننسى ملايين المشردين الذين يفرون من بلدانهم التي ولدوا فيها، وترعرعوا على ترابها، ليقضوا حياتهم في العراء، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، وليس لهم من يعطف عليهم ويواسي همومهم إلا من أصحاب القبعات السوداء أو من حملة الصليب. ولقد فتن هؤلاء المشرّدون ليس في أعراضهم وأموالهم فحسب ولكن في دينهم وعقيدتهم، حيث أن منظمات الإغاثة- التي في غالبيتها تنصيرية- لا تقدّم مساعداتها لهم من وجهة إنسانية وإنما تُغلّف تلك المساعدات بتعاليم الإنجيل وأساطير التوراة.

لقد خلّفت حروب كوسوفا والبوسنة والهرسك ما يزيد عن مليوني لاجئ. أما العدو الصهيوني فقد تسبّب في تشريد ما يزيد عن خمسة ملايين فلسطيني تاهوا في الأرض بحثًا عن السلام الذي أبادته دولة الكيان الصهيوني منذ أن وضعت أقدامها في أرض الإسرائء. كذلك فقد لعبت حربا الخليج الأولى والثانية وما يسمى بالحرب على الإرهاب وأخيرًا داعش ومَن على شاكلتها دورًا كبيرًا في تهجير مئات الآلاف من المسلمين.

(١) «٢٠٠ طن يورانيوم منضب.. ضرب بها العراق في حربي الخليج الأولى والثانية»: صحيفة المدى.



ولم تؤدّ هذه الحروب فقط إلى هجرة الملايين من أبناء المسلمين، وإنما أيضًا إلى هجرة أموالهم، والتي كثيرًا ما تتجه إلى الدول المحاربة للمسلمين، فتزداد بذلك قوة ودعمًا للفتك بالمسلمين. وتشير بعض الإحصائيات أن السنين المتوالية للحرب في سوريا قد أدت إلى هجرة ما يزيد عن ٢٤ مليار دولار من أموال السوريين خلال الأعوام ٢٠١٢م إلى ٢٠١٦م^(١).

«ورغم وحشية الغزو العسكري في فلسطين وأفغانستان والعراق ومناطق أخرى ظاهرة للعيان، إلا أن العالم الإسلامي يقف أمامها مشلول القوى، خائر العزائم، غير قادر على صدّها، بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات وتمزّق المحاولات، فنزل بالمسلمين من الهزائم ما لم يشهده تاريخ المسلمين أبدًا»^(٢). وديننا الإسلامي الحنيف يأمرنا أن نتصدى لهذه الاعتداءات، ويفرض علينا أن نبذل كل ما في وسعنا لإنقاذ ما نستطيع إنقاذه من أرواح. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ولأننا لا نقصد في هذا الكتاب استقصاء الوقائع وتحليل ما وقع للأمة من ويلات ونكبات، وإنما التدليل على دور الاستقامة في النهوض باقتصاد الأمة، لذا فإننا سنسوق في هذا الباب أربعة نماذج من قضايا الأمة الساخنة، وسنحاول دعمها بالوقائع والأرقام التي ستعين القارئ- بإذن الله- على تبين مرارة الواقع الذي تعيشه الأمة حاليًا، وجمال ونبل غايات المستقبل الذي نسعى بها للوصول إليه. ومن خلال طرح هذه النماذج سنستجلي ما حدث للأمة عندما ضعفت الاستقامة في نفوس أبنائها، واستهان المسلمون بأوامر ربهم، ونرى أيضًا آثار ذلك على اقتصاد الأمة؛ سواءً أكان بصورة مباشرة أم غير مباشرة. فمن الصور المباشرة لتدمير اقتصاد الأمة ما يلي:

(١) «أكثر من ٢٤ مليار دولار أموال سورية مهاجرة.. لبنان المستفيد الأكبر منها»: شبكة السورية.

(٢) «العالم الإسلامي بين الغزو العسكري والغزو الفكري»: عدنان علي رضا النحوي.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

١ - استنزاف موارد الأمة في شراء الأسلحة التي انتعشت بسببها مصانع السلاح في بلدان الكفر، وأيضًا رصد ميزانيات ضخمة للإنفاقات العسكرية الأخرى، وكل ذلك يَحْرُم الأمة من مقومات التنمية في التعليم والصحة وغيرها من المجالات.

٢ - تدمير المنشآت والبنى التحتية ومقومات الحياة في بلدان المسلمين بسبب الحروب والصراعات التي تسبَّب فيها أبنائها أو شَنَّها عليها أعداؤها.

٣ - استنزاف الكثير من موارد الأمة في معالجة الجرحى والمعاقين والمتضررين بسبب هذه الحروب والصراعات.

وأما عن الصور غير المباشرة فمنها:

١ - إزهاق أرواح الأبرياء من أبناء هذه الأمة الذين يُعْتَبَرُون أهم ثروة فيها.

٢ - إشاعة الهلع والرعب وانتشار مظاهر الفقر والبطالة والجهل والمرض، وكلها تعتبر أسبابًا جوهرية لإيجاد حالة من الركود الاقتصادي واستنزاف الموارد بسبب ضعف الإنتاج وإشاعة الفوضى وتحوُّل الكثير من الناس من حالة الإنتاج إلى حالة الاستهلاك.

٣ - تلوث البيئة وتدمير الكثير من معالم الحياة الطبيعية والتاريخية التي تميَّزت بها الدول الإسلامية، مما يُفَوِّت على الأمة الكثير من الفرص الاستثمارية، وبدوره يهزُّ اقتصادها إلى أبعد الحدود.

١- أفغانستان

تقع أفغانستان في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وهي دولة قارية حبيسة «أي بلا منافذ بحرية»، وتُقدَّر مساحتها بحوالي ٦٥٢ ألف كم^٢، ويقطنها قرابة ٣٥ مليون نسمة، حسب إحصائيات عام ٢٠١٦م. ويحدُّها من الشمال تركمانستان وطاجكستان وأوزبكستان، وتحاذيها الصين الشعبية من أقصى الشمال الشرقي، وعلى حدودها الشرقية والجنوبية تجاورها باكستان، وعلى حدودها الغربية تقع جمهورية إيران. وتضمُّ أفغانستان سلاسل جبلية عالية، وصحارى شاسعة وأودية خصبة وسهولاً متموجة. وقد أدَّى هذا الموقع الجيولوتيكي لها أن أصبحت مسرحاً لتدخل القوى الكبرى فيها، سواء من جيرانها أم ممن يُسيطرون على هؤلاء الجيران من قوى خارج آسيا. وقد شكَّل موقعها دائرة التقاء لثلاثة عوالم حضارية: المشرق الإسلامي وجذوره العربيَّة، وآسيا الوسطى وجذورها التركيَّة المغوليَّة، وشبه القارة الهنديَّة بما فيها من حضارات متنوّعة ومتشابكة.

موجز تاريخ أفغانستان السياسي

دخل الإسلام أفغانستان في نهاية القرن الأوَّل الهجري «السابع الميلادي»، وفي منتصف القرن الثالث الهجري «التاسع الميلادي» عمَّ الإسلام الديار الأفغانيَّة، مما كان له تأثير كبير وواضح على الحضارة هناك. وحكمت أفغانستان الجماعات التركيَّة من شرق فارس وآسيا الوسطى في الفترة الممتدَّة بين عامي ٩٠٠م و١٢٠٠م، وهاجمها المغول بقيادة جنكيز خان في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، والتموريُّون بقيادة تيمورلنك في القرن الرابع عشر الميلادي.

وتنافس على حكمها كلُّ من السافاديين من بلاد فارس والمغول من الهند من

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

منتصف القرن السادس عشر حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وفي عام ١٧٤٧م توحدت القبائل الأفغانية لأول مرة، واستطاعت السيطرة على البلاد تحت قيادة أحمد شاه ديراني، وفي عام ١٨١٩م نشبت حرب أهلية بين القبائل المتنازعة على حكم البلاد، واستمرت حتى سنة ١٨٣٥م، حيث سيطر على الحكم آنذاك «دوست محمد خان» الملقب بالأمير الصغير.

وخلال القرن الثالث عشر الهجري «التاسع عشر الميلادي» تنافست بريطانيا وروسيا في السيطرة عليها؛ حيث كانت روسيا تسعى إلى مخرج لها يصلها بالمحيط الهندي، وبدأت التوسع باتجاه أفغانستان، وبالمقابل كانت بريطانيا تريد حماية إمبراطوريتها في الهند من تهديد التوسع الروسي.

وقد غزت الجيوش البريطانية أفغانستان ثلاث مرات؛ حيث اندلعت الحرب الإنجليزية الأفغانية الأولى بين عامي ١٨٣٩م و ١٨٤٢م، وفيها قتل ما يزيد عن ١٦ ألف جندي بريطاني. أما الحرب الثانية فكانت في عام ١٨٧٨م، والثالثة في عام ١٩١٩م عندما ازداد التأثير الروسي بمحاذاة أفغانستان في منتصف القرن التاسع عشر، وبعدها قرّر الإنجليز إنهاء تدخلهم في أفغانستان، حيث حصلت البلاد على استقلالها التام في أغسطس عام ١٩١٩م.

وقد تعاقب على حكم أفغانستان العديد من الأمراء والملوك؛ فتولى إمارتها عام ١٨٨٠م عبد الرحمن خان، وبعد وفاته في عام ١٩٠١م تولى الإمارة ابنه حبيب الله، وانتهج نفس سياسات أبيه الرامية إلى تقوية الحكومة الوطنية وتقليص سلطة زعماء القبائل. وفي عام ١٩١٩م اغتيل حبيب الله، وتولى ابنه أمان الله خان الحكم، وقام بمهاجمة الإنجليز. وقد بدأ أمان الله بإصلاحات عديدة تهدف إلى تحديث أفغانستان، فوضع أول دستور للبلاد في عام ١٩٢٣م، وتمّ تغيير لقب الأمير إلى ملك سنة ١٩٢٦م، غير أن زعماء القبائل وقادة المسلمين أخذوا يقاومون حركة

الإصلاحات التي أتى بها أمان الله حتى أُجبرَ على التخلي عن العرش عام ١٩٢٩م، وفي نهاية ١٩٢٩م أصبح محمد نادر خان ملكاً لأفغانستان، ثم ما لبث أن اغتيل في سنة ١٩٣٣م، وتولّى ابنه محمد ظاهر شاه الحكم.

العلاقات الروسية الأفغانية

بدأت العلاقة بين أفغانستان والاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢١م عندما أبرم الملك أمان الله معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي، وضاعف من حجم التبادل التجاري بين بلده والاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٥٣م تولى محمد داود رئاسة وزراء أفغانستان، وهو ابن عم الملك ظاهر شاه، وكانت اتجاهات محمد داود يسارية واضحة، مما جعله يستعين باليساريين في الحكم وانفتح على الاتحاد السوفيتي. وفي ديسمبر ١٩٥٥م، وبعد أن رفضت الولايات المتحدة الأمريكية بيع معدات عسكرية حديثة لأفغانستان، زار خرشوف وبولجانين أفغانستان لتقديم القروض لها، ثم أعقب ذلك بيع الطائرات والأسلحة. لم تُرضِ الملك ظاهر شاه سياسات محمد داود اليسارية، فقام بعزله وعيّن مكانه محمد يوسف المعروف بميله للغرب^(١).

في عام ١٩٦٥م تم تأسيس حزب الشعب الشيوعي، وذلك لتوحيد القوى الشيوعية في أفغانستان، وتولى «نور محمد تره كي» زعامة الحزب. وفي عام ١٩٧٣م تزعم محمد داود انقلاباً عسكرياً سلمياً استولى به على الحكم بمساعدة حلفائه السابقين من حزب الشعب، وقام بإلغاء الملكية، وإقامة جمهورية أفغانستان على أساس دستور جديد وحزب واحد.

وفي عام ١٩٧٨م حدث الانقلاب العسكري الشهير الذي قام به حزب

(١) «أفغانستان.. معلومات أساسية»: شيرين حامد فهمي.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الشعب الشيوعي الديمقراطي؛ فأطاح بداود وعائلته، واستلم نور محمد تره كي- السكرتير العام للحزب- الحكم؛ فصار رئيسًا للمجلس الثوري، ورئيس وزراء جمهورية أفغانستان الديمقراطية. وتبع ذلك اعتقال كثير من القيادات الإسلامية والشخصيات الدينية وجميع من عادى القرارات الشيوعية الثورية، وقتل الآلاف في السجون والمذابح الجماعية، وهو ما أثار حفيظة الشعب الأفغاني بوجه عام ودفعه للقيام ضد الحكومة الشيوعية^(١).

في ديسمبر ١٩٧٨م وقّع كل من بريجنيف وتره كي معاهدة الصداقة الأفغانية- السوفيتية الثانية، وقد استخدمت هذه المعاهدة فيما بعد لتبرير الغزو السوفيتي لأفغانستان. وسنعرض في النقاط التالية لتفاصيل بعض المراحل التي مرت بها أفغانستان في تاريخها الحديث، بدءًا بغزو الروس وانتهاءً بغزو الأمريكان، وسنحاول الوقوف على بعض الجرائم البشعة التي قام بها الروس والأمريكان في أفغانستان.

الاجتياح الروسي البلشفي لأفغانستان

بعد قتل تره كي على يد حفيظ الله أمين، واستيلائه على الحكم، غزت آلاف من القوّات السوفيتية أفغانستان في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م، وقتلوا حفيظ الله أمين- الذي كان رافضًا لهيمنة السوفييت- وأحضرُوا بابرak كارمل من موسكو ليتولى حكم أفغانستان، وعلى إثر ذلك انتشرت المقاومة في أنحاء البلاد، مما جعل الروس يتحالفون مع قوّات الحكومة الأفغانية في قتالها ضدّ المجاهدين.

أشارت التقارير العسكرية الأولى إلى الصعوبات التي واجهت السوفييت أثناء القتال في المناطق الجبلية؛ فالجيش السوفيتي لم يكن معتادًا على ذلك الشكل من القتال، ولم يحظَ بتدريبٍ لمواجهة حرب غير نظامية وحرب عصابات، وكانت

(١) المرجع السابق.

آلياتهم العسكرية- وخاصة السيارات المصفحة والدبابات- في كثير من الأحيان عاجزة عن التوغّل في المناطق الجبلية، وتعرضت لهجمات المجاهدين، مما جعل الروس يستخدمون المدفعية الثقيلة بشكل مكثف أثناء قتال قوات المجاهدين.

كذلك، فقد استخدم السوفييت في الهجوم الجوي المروحيات المدعومة بقاذفات القنابل المقاتلة، وفي بعض المناطق استخدموا أسلوب الأرض المحروقة مدّمرين القرى والبيوت والمحاصيل والماشية، إلخ. وقد قصفت القوات السوفيتية والحكومية العديد من القرى الأفغانية حتى أجبرت العديد من قاطني القرى على النزوح منها، ومع استمرار الحرب الضارية والقصف المتواصل، نزح أكثر من ثلاثة ملايين نسمة من أفغانستان إلى باكستان المجاورة، واستقروا في مخيمات مؤقتة، بينما لجأ بعضهم الآخر إلى إيران.

ارتفع صوت الاستنكار الدولي ضد الحرب الروسية بسبب الجرائم التي كان الروس يرتكبونها ضد المدنيين العزل، وكانت محاولات الروس للقبض على تشكيلات المجاهدين تمنى بالفشل بسبب وعورة المنطقة التي لم يعتد الروس الحرب فيها، وبسبب التكتيكات التي كان المجاهدون يستخدمونها في جهادهم للروس الغازين، مما اضطر الروس لتكثيف قواتهم في أفغانستان.

لقد كان غزو السوفييت لأفغانستان أكبر خطأ ارتكبهته القيادة الروسية؛ فعندما قررت النخبة الحاكمة في موسكو- على مضض- إرسال الجنود إلى أفغانستان، واجهت معارضة شديدة من رئيس الأركان المارشال نيكولاي أورجاكوف الذي أخبر بصراحة وزير الدفاع ديمتري أوستينوف ولاحقاً زعيم الحزب ليونيد بريجنيف بأن الحرب في أفغانستان ستكون خطأ فادحاً. وقد استدعى الأمر من موسكو عشر سنوات من الحرب المتواصلة لتصل إلى قناعة بأن حربها في أفغانستان كانت خطأ



كبيراً^(١). ويرى المؤلف والكاتب الصحفي جريجوري فيفر في كتابه «المغامرة الكبرى: الحرب السوفيتية في أفغانستان» بأن إقدام السوفييت على غزو أفغانستان كان مغامرة لم تقم على حسابات استراتيجية دقيقة، فكانت نتيجتها تكلفة مالية بشرية باهظة في الجانب السوفيتي، إلى جانب كونها أحد عوامل الضعف التي لحقت بالاتحاد السوفيتي وساهمت في انهياره^(٢).

خلال هذه العشر سنوات حقق المجاهدون انتصارات عديدة، وأسقطوا ١٥٠ - ٢٠٠ طائرة سوفيتية، وخاض الروس حرباً استنزافية مريعة تكبدوا خلالها أكثر من ٧٥ ألف قتيل، بجانب الخسائر السياسية والاقتصادية، مما كان له مردودات سلبية على الأصعدة الاجتماعية والمعنوية داخل الاتحاد السوفيتي، أدت إلى تفككه بعد ذلك، وسقوط الشيوعية في معقلها على أرضه. وانتهت الحرب بخروج السوفييت في ١٤ فبراير ١٩٨٩م، مخلفة وراءها أكثر من ٢٥, ١ مليون شهيد أفغاني؛ واستمر القتال بين المجاهدين والحكومة الشيوعية حتى عام ١٩٩٢م^(٣).

حكومة المجاهدين

خرج السوفييت من أفغانستان في ١٩٨٩م لكنهم تركوا حكومة شيوعية قوية يقودها سياسي محنك هو محمد نجيب الله، فبقي الطريق إلى كابل غير ممهد أمام المجاهدين. بقي نجيب الله يناور حتى ١٩٩٢م، ومع قيام الأمم المتحدة بإرسال مبعوث لها هو بينون سيفان للتوفيق بين المجاهدين والحكومة في صيغة تقاسم للسلطة، فإن نظامه حصل على دعم إضافي، غير أن تمرد أحد جنرالاته وهو الجنرال عبد المؤمن واستيلائه على «سامنغان» وقيامه بقطع الإمدادات عن كابل أدى إلى

(١) «حرب أفغانستان: المهمة ودروس التاريخ»: وولتر روجرز.

(٢) «دروس الوحل الأفغاني»: عبد الجبار عبد الله.

(٣) المرجع السابق.

قلب المقاييس؛ إذ إن أحمد شاه مسعود- وهو أحد قادة فصائل المجاهدين- استغل هذه الفرصة وقام بدعم تمرد الجنرال عبد المؤمن، كما واصل اتصالاته داخل النظام، واستفاد أيضًا من تمرد الجنرال عبد الرشيد دوستم الأمر الذي مهّد له وحده الطريق إلى كابل. غير أن مسعود لم يكن صاحب الاتصالات الوحيد داخل النظام؛ فقلّب الدين حكمتيار- وهو أحد أقوى قادة المجاهدين- كانت له حساباته أيضًا، والولايات المتحدة الأمريكية وباكستان لهم حساباتهم الخاصة. وأخيرًا، اتفق المجاهدون على صيغة لدخول كابل، بحيث يصبح صبغة الله مجددي رئيسًا لمدة شهرين، يليه في الرئاسة برهان الدين رباني لمدة أربعة أشهر، وتذهب رئاسة الوزراء إلى قلب الدين حكمتيار ووزارة الدفاع إلى أحمد شاه مسعود.

في يناير ١٩٩٢م اتّفق على وقف إطلاق النار ووضع السلطة في يد الحكومة الإسلامية التي كانت تُحاصر العاصمة كابول، وإجراء الانتخابات تحت رعاية الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي، فدخلت قوّة المجاهدين كابول، وكونت الحكومة الإسلامية. تولّى الرئاسة في الشهرين الأولين الأستاذ صبغة الله مجددي، حيث قام برئاسة «مجلس الجهاد الإسلامي» الذي عيّن بدوره مجلسًا مؤقتًا للوزراء. وفي ٢٨ يونيو ١٩٩٢م سلّم مجددي الرئاسة- حسب المقترحات التي تقدمها اتفاقية بيشاور- إلى الأستاذ برهان الدين رباني، الذي قام برئاسة هيئة تنفيذية جديدة وهي «مجلس القيادة»، وتولّى قلب الدين حكمتيار رئاسة الوزراء.

أمسك ربّاني بالسلطة حتى نهاية شهر أكتوبر ١٩٩٢م، وفي ٣٠ ديسمبر قام مجلس استشاري خاص بانتخاب رباني كرئيس للدولة حتى عام ١٩٩٤م. وفي مارس ١٩٩٣م قامت معظم جماعات المجاهدين بتوقيع معاهدة سلام في إسلام آباد، كان من نتائجها إيجاد حكومة مؤقتة متعددة الفصائل في جنوب كابول في يونيو ١٩٩٣م؛ وفي يونيو ١٩٩٤م قامت المحكمة العليا بتمديد فترة ربّاني الرئاسية



إلى ستة أشهر قادمة، وبالرغم من انتهاء هذه الفترة في بداية عام ١٩٩٥م إلا أن ربّاني استمر في ممارسة السلطة.

وخلال الفترة من إبريل ١٩٩٢م حتى سقوط حكومة الرئيس رباني في كابل بيد طالبان في سبتمبر ١٩٩٦م، تضخّمت الخلافات بين أطراف الحكومة مع تمسك برهان الدين رباني بالسلطة، ورفض قُلبُ الدين حكمتيار الدخول إلى كابل وقبول صيغة التراضي، كما تضخّمت خلافاته مع أحمد شاه مسعود بشأن تسليح الفصائل، وسيطرة وزارة الدفاع على كابل. وصلت الخلافات إلى نقطة مسدودة، فبدأ قُلبُ الدين حكمتيار يعاونه عبد الرشيد دستم في قصف كابل الأمر الذي أدى إلى تدميرها، وردّت عليهم قوات أحمد شاه مسعود، فانفجرت الحرب الأهلية الأفغانية مخلفة الدمار الهائل الذي لا تزال أفغانستان تعاني منه إلى اليوم. في هذه الحرب شهدت العاصمة أسوأ أيامها إطلاقاً، وتدمّر أكثر من ٦٠٪ منها خلال هذه المعارك، وقتل أكثر من عشرة آلاف شخص في كابل العاصمة وحدها، وعمّت البلاد الفوضى، وانتشرت ثقافة لوردات الحرب وعدم الأمن^(١).

وتشير التقديرات إلى أن الصراع الذي دار بين قادة المجاهدين قد أوقع أكثر من ٤٠ ألف قتيل، إضافة إلى خسائر مادية أخرى جسيمة. ولم ينجح الوسطاء الدوليون في وضع حد لهذه الحروب، بل على العكس من ذلك، تحوّلت أفغانستان مع هذا الاقتتال الداخلي إلى ساحة لا وجود للأمن فيها، ولم يكن أمام السكان قوة موحّدة تجبرهم على احترام القانون والتقيّد بقراراته. كذلك، فقد استشرى الفساد نتيجة لرواسب الحقبة الشيوعية التي عاشتها، وتحكّم القائد الشيوعي عبد الرشيد دستم في بعض الولايات، مما أدى إلى فوضى إدارية جعلت من الصعوبة على جهة معينة

(١) «أفغانستان.. معلومات أساسية»: شيرين حامد فهمي.

محاربة الرذائل التي انتشرت في المجتمع الأفغاني المحافظ بطبيعته^(١).

لقد حوّل المجاهدون الجهاد المبارك الذي قادوه ضد أعتى قوى الشر في ذلك الوقت، وهو الاتحاد السوفيتي، إلى حروبٍ ومعارك مدمرة بين جميع الفصائل الجهادية؛ وبسببها «أهلكوا الضرع والزرع وأفقدوا الشعب الأفغاني الأمن والأمان والاطمئنان على نفسه وأمواله وأعراضه بصراعمهم على السلطة»^(٢). وصاروا «مدخلاً وحجة ومبرراً لأعداء الإسلام للهجوم على الإسلام السياسي، فكلما أراد أحد من أعداء الله أن يستشهد بدليل يتهجّم به على الإسلام أخذ هؤلاء الأوباش وما فعلوه في الشعب الأفغاني دليلاً».

لكن من الملفت للنظر أن بعض قادة المجاهدين قد أحسّوا بالخطر الداهم من جراء الفرقة التي دبّت في صفوفهم، وخاصة بعد مجيء حكومة الطالبان ثم الغزو الأمريكي، فحاول بعضهم إصلاح ما أفسد وذلك بالانضواء تحت إمرة المجاهدين الجدد (ابن لادن والطالبان). ففي السابع من ربيع الثاني لعام ١٤٢٧هـ الموافق ٤ مايو ٢٠٠٦م وجّه قلب الدين حكمتيار خطاباً باللغة العربية يباع فيه الشيخين أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، وكان لهذه البيعة صداها في العالم أجمع، وخاصة في العالم الإسلامي ونظرتة للغزو الأمريكي وموقفه من حكومة الطالبان. «فإنّ الاحتلال السوفيتي لأفغانستان كان حكمتيار يشغل الدنيا! فهو نار على علم! بل أزعّم أن كل التنظيمات الجهادية في ذلك الوقت في كفة وحكمتيار وحزبه الإسلامي في كفة أخرى! فقد كان أكبر التنظيمات الجهادية تدريباً وانضباطاً وحنكة وأعظمها بلاء وتضحية وأكثرها شعبية وقبولاً في أفغانستان!!»^(٣).

(١) «حركة (طالبان) بين الدعاية الغربية وحقائق التاريخ»: علي عبد العال.

(٢) «الطالبان.. من هم ومتى وكيف ولماذا؟»: محمد أسعد بيوض التميمي.

(٣) «حكمتيار والبيعة الكبرى»: هاني السباعي.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

أما مولوي جلال الدين حقاني- وهو أيضًا من قادة الجهاد أيام الاحتلال الروسي- فقد بايع هو الآخر الملا محمد عمر في وقت مبكر، مما جعل أمريكا وأعوانها يلاحقونه وأهله وعشيرته، ويرسلون القذائف والصواريخ لقتل مَنْ تبقى من أهله وأولاده، فقد «فَقَدَ في يوم واحد في بداية الاحتلال الأنجلو أمريكي لأفغانستان العشرات من أبنائه وأحفاده وبني عمومته وكرام عشيرته! يوم أن قصفت طائرات الغدر والشر مسجدًا في خوست يؤدي فيه بسطاء المسلمين صلاة العشاء والتراويح! فاستباححت قوات الإجرام الأمريكية دماء هؤلاء العباد من شيوخ ونساء وأطفال كانوا يؤدون الصلاة مع ذويهم!!»^(١).

قَتْلُ امْرِئٍ فِي غَابَةٍ جَرِيمَةٌ لَا تُغْتَفَرُ
وَقَتْلُ شَعْبٍ آمِنٍ مَسْأَلَةٌ فِيهَا نَظَرُ

إن ما قام به قادة المجاهدين من تحويل الجهاد- الذي هو ذروة سنام الإسلام- إلى وسيلة للحصول على مكاسب دنيوية، أو تصفية حسابات شخصية، ليشير بجلاء إلى أن حقيقة الاستقامة هي ليست في الشعارات الزائفة ولا في الأشكال والهيئات، وإنما هي في التطبيق العملي والشامل لمنهج الله. إن المولى- جلَّ شأنه وعزَّ سلطانه- يوضح لنا هذه الحقيقة في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، فالاستقامة تطبيق متواصل لمنهج الله- سبحانه وتعالى- المتجسّد في إقامة الشعائر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما سوى ذلك فليس من الإسلام في شيء.

(١) «قوات الاحتلال الأمريكي والناتو قتلة أطفال المسلمين ونسائهم»: هاني السباعي.

حركة الطالبان

«طالبان» هي «الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية» الذين كانوا يدرسون في باكستان، وهم من «البشتون» الذين يمثلون حوالي ٤٠٪ من سكان أفغانستان، ويتركزون في جنوب وشرق البلاد. ظهرت الخلية الأولى للحركة الطلابية في يوليو ١٩٩٤م، عندما اجتمع ٥٣ طالباً من طلاب المدارس في منطقة (سنج سار) بقندهار ثم انتقلوا إلى منطقة (كشك نخود) وبدؤوا في نزع السلاح من مجموعات المقاتلين، وإزالة نقاط التفطيش الموضوعة لجمع الإتاوات على الطرق العامة، وفي أغسطس ١٩٩٤م بايع هؤلاء الطلاب الملا محمد عمر أميراً لهم، وتعاهدوا على جمع السلاح واستعادة الأمن والاستقرار وإزالة نقاط التفطيش، وأخذوا على عاتقهم محاربة كل مظاهر الفساد التي استشرت في المجتمع^(١).

في شتاء عام ١٩٩٥م حاصرت طالبان العاصمة كابول وأطلقت الصواريخ على المدينة، وقطعت الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة كابول مما استدعى من كل من رئيس أفغانستان برهان الدين رباني وقلب الدين حكمتيار المتناحرين إلى التوقف عن القتال فيما بينهما وتوحيد الصفوف في مواجهة العدو المشترك طالبان. قام حكمتيار بالتحالف مع أحمد شاه مسعود، لكن هذا التحالف فشل، وانتهى بهروب حكمتيار إلى إيران، وعبد الرشيد دوستم إلى أوزباكستان، وبقية قادة المجاهدين إلى الخارج، وانسحاب أحمد شاه مسعود إلى وادي بانشير حيث تحصن هناك ليبدأ قتاله ضد طالبان.

وبعد أن استطاعت الحركة فرض الأمن في عدد من الولايات، ولقيت قبولاً لدى قطاعات الشعب الأفغاني، تطورت أهدافها ليصبح هدفها الأول إقامة حكومة

(١) «حركة (طالبان) بين الدعاية الغربية وحقائق التاريخ»: علي عبد العال.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

إسلامية تشمل مناطق البلاد. وفي ٣ إبريل ١٩٩٦م، اجتمع ١٥٠٠ من علماء أفغانستان من مناطق مختلفة وبايعوا الملا محمد عمر أميراً على البلاد، وصرّح في كلمته التي ألقاها أمام العلماء في قندهار يوم ٤ إبريل ١٩٩٦م أن الهدف هو إقامة حكومة إسلامية تحكم الأراضي الأفغانية.

أما الأهداف الأخرى فيمكن تلخيصها فيما يلي^(١):

- ✓ أن يكون الإسلام دين الشعب والحكومة جميعاً.
- ✓ أن يكون قانون الدولة مستمداً من الشريعة الإسلامية.
- ✓ اختيار العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب المهمة في الحكومة.
- ✓ قلع جذور العصبية القومية والقبلية.
- ✓ حفظ أهل الذمة والمستأمنين، وصيانة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ورعاية حقوقهم المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية.
- ✓ التركيز على الحجاب الشرعي للمرأة وإلزامها به في جميع المجالات.
- ✓ تعيين هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء الدولة.
- ✓ قمع الجرائم الأخلاقية ومكافحة المخدرات والصور والأفلام المحرمة.
- ✓ إعداد جيش مدرب لحفظ الدولة الإسلامية من الاعتداءات الخارجية.
- ✓ اختيار منهج إسلامي شامل لجميع المدارس والجامعات وتدريس العلوم

العصرية.

(١) المرجع السابق.

في ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٩٦م، ترك حكمتيار ورباني كابول العاصمة واتّجها شمالاً، وتخلياً عنها لتقع في يد طالبان التي تسلّمت مقاليد الأمور في العاصمة في ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦م، وأنشأت إمارة أفغانستان الإسلامية. تزعم رئاسة الإمارة أمير المؤمنين الملا محمد عمر، الذي تمت مبايعته من قبل مجلس كبير للشيخ والعلماء قبل سقوط كابل بيد طالبان، وتم تعيين مجلس وزاري مؤقت يدير شؤون البلد. لم تعترف سوى ثلاث دول بحكومة طالبان (السعودية والإمارات وباكستان)، وبعد اتهام الولايات المتحدة طالبان لاحقاً بدعم الإرهاب سحبت السعودية والإمارات اعترافهما بحكومة طالبان.

أما في الأوساط الشعبية، فإن طالبان وجدت لها تأييداً كبيراً داخل أفغانستان وفي الكثير من بلدان المسلمين، وخاصة باكستان؛ ففي بلوشستان مثلاً أيد ٨٠٪ من سكانها، وخاصة البشتون، حركة طالبان، وتعاونوا معها، وقدموا لها مختلف أنواع الدعم، بما فيه مساعدة قادتها وعناصرها على العثور على ملاجئ آمنة لهم داخل الإقليم. وقد كان تعاطف البشتون الباكستانيين في السابق مقصوراً على المهاجرين الأفغان الذين يزيد عددهم عن مليون نسمة؛ لكنهم - بعد أن شنت أمريكا حربها على طالبان، كما سنبينه لاحقاً - أصبحوا يُبدون تعاطفاً واضحاً مع طالبان؛ إذ إنها في نظرهم تقود الحرب على الصليبية العالمية، وزاد تعاطفهم معها بعد أن شرعت قوات الاحتلال الأمريكي في قتل المدنيين العزل من نساء وأطفال في أفغانستان^(١).

ولم يهدأ أعداء طالبان؛ فبعد عودة عبد الرشيد دوستم، وخروج إسماعيل خان من السجن، واستقرار برهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف، عقد القادة المنفيون حلف الجبهة المتحدة أو تحالف الشمال، واستمروا في قتال طالبان. نعم، لقد نسي أو تناسى مَنْ كانوا يوماً يُسمّون بقيادة الجهاد أنهم قد تَوَحّدوا سابقاً تحت راية «لا إله إلا الله» والجهاد في سبيل الله. أما الآن، فقد صارت أخوة المصالح

(١) «طالبان تسيطر على إقليم بلوشستان بالقوة الصامتة»: موقع مجلة المجتمع.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

والمناصب تتعالى على أخوة الدين والإيمان، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ^١ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ^٢ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

استمرت الحركة في زحفها نحو الشمال، غير أنها تكبدت خسائر كبيرة، أهمها تلك التي مُنيت بها في مدينة مزار شريف في أغسطس ١٩٩٧م، حينما تم أسر أكثر من ٨٠٠٠ من عناصرها وتم قتلهم فيما بعد^(١). كذلك، نفذ جنود تحالف الشر برعاية أمريكا (مذبحة الحاويات)، حيث وضع آلاف الأسرى من الطالبان والمجاهدين المتطوعين معهم في حاويات البضائع، وأغلقت بإحكام حتى يموتوا خنقًا، والذي لم يمت خنقًا مات بالرصاص الذي انهمر على الحاويات من كل صوب^(٢)، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبعد أن اجتاحت العدو الأمريكي أفغانستان وأباد شعبها وأرضها، رأت طالبان أن لا سبيل للمواجهة، ولكنها بعد فترة سكون دامت عدة سنوات، استطاعت استرجاع أنفاسها ولملمة شملها، وبدأت تكتسح معازل الشر للأمريكان والحكومة العميلة وتحالف الشمال. كل هذا دعا الولايات المتحدة إلى التنازل عن قيادة تحالف الشمال إلى الحلف الأطلسي، وبعد أن تواصلت هجمات الطالبان على الأعداء، ازداد توتر جموع الخونة؛ مما جعلهم يطلبون الدخول في مفاوضات مع طالبان، ومشاركتها في السلطة. وحاولت حكومة كرزاي العميلة استمالة البشتون (التي ينتمي إليها الطالبان) بمنحهم مراكز سياسية في حكومة الخونة، واستمالة زعمائهم المنشقين، لكن طالبان لم تغرها هذه التنازلات، حيث إن هدفها كان تحرير البلاد والعباد من جور الطغاة وأعوانهم.

(١) «من هم طالبان؟»: شيرين حامد فهمي.

(٢) «الطالبان.. من هم ومتى وكيف ولماذا؟»: محمد أسعد بيوض التميمي.

ولكي نفهم أثر الاستقامة في حياة المسلم، نورد واحدًا من الأمور الكثيرة المشرفة للطلّابان، والتي تدلُّ على استقامتهم على دين الله، وهو القضاء على زراعة المخدرات في أفغانستان. لقد كان العالم - وما زال - يعاني من وباء المخدرات التي تغزو سائر البلاد في عقر دارها، وكانت أفغانستان قبل مجيء طالبان من أكبر مصادرها في العالم، وتصدّرت قائمة الدول المنتجة لها، وصارت تنتج ثلاثة أرباع الإنتاج العالمي من الأفيون.

ورغم محاولات العالم في القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة - سواءً في أفغانستان أم في غيرها -، لم تحتج أفغانستان - عندما جاءت طالبان - إلا مرسومًا واحدًا من أمير إمارة أفغانستان الإسلامية، وامثل الناس أمر أمير المؤمنين - طوعًا أو كرهًا -، حتى إن المصادر المناوئة للإمارة الإسلامية وتقارير الأمم المتحدة تذكر أن أفغانستان بعد هذا المرسوم صارت دولة خالية من الحشيش^(١).

وبعد أن تسلّم الأمريكيان والحكومة الموالية لهم زمام الأمور في أفغانستان، وانزاحت سلطة الشرع وهيبته من قلوب الناس، عادت زراعة المخدرات بقوة في أفغانستان، وانتشرت في ٣٢ إقليمًا من الدولة وصار يعمل بها ١,٧ مليون نسمة^(٢). وقد أظهر مكتب الأمم المتحدة للمخدرات والجريمة في تقريره بشأن الأفيون الأفغاني لعام ٢٠٠٧م أن أفغانستان تنتج حوالي ٩٠٪ من الإنتاج العالمي للمخدرات، وأن إجمالي صادرات الأفيون في أفغانستان بلغت نحو أربعة مليارات دولار^(٣). وأشار التقرير أيضًا إلى أن ما تنتجه أفغانستان من الأفيون قد زاد بواقع الثلث عما كان عليه في عام ٢٠٠٦م، ليصل إلى ٨٢٠٠ طن، وأن المساحة المزروعة بالخشخاش قد زادت بنسبة ١٧٪ لتصل إلى ١٩٣ ألف هكتار.

(١) «أفغانستان؛ بين الأمس واليوم»: أبو المنذر الساعدي.

(٢) «حركة (طالبان) بين الدعاية الغربية وحقائق التاريخ»: علي عبد العال.

(٣) «التمرد والأفيون والمجاعات.. ثلاثة دامية يعيشها الأفغان»: شبكة الأنباء المعلوماتية.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وقد اعترفت الأمم المتحدة بأن زراعة المخدرات وتجاريتها قد نشطت في أفغانستان بعد سقوط حركة طالبان، حيث إن إنتاج المخدرات قد ارتفع في أفغانستان بمعدل ١٧٪ مما جعل أفغانستان تصدر الدول المنتجة للأفيون في العالم، وللعام الثاني على التوالي منذ سقوط حركة طالبان^(١). وقد باتت بعض الدول المجاورة لأفغانستان قلقة من زيادة معدل تهريب المخدرات إليها بعد عهد طالبان، حيث ذكرت صحيفة «اطلاعات» الإيرانية؛ أن معدل تهريب المخدرات إليها من أفغانستان زاد بمعدل ٦٠٪ عما كان عليه في عهد طالبان^(٢).

إن معايير الناس حول الاستقامة والأخلاق قد لا تتفق مع المعايير التي وضعها المولى سبحانه لعباده؛ فالمنهج الرباني لا يُخلّص العباد من مأساة ليجعلهم عبيداً لمأساة أخرى، كما هو حال الأنظمة الوضعية. فالعالم - إلا بعض المخلصين - قد وقف ضد طالبان، لا لشبهة في دينهم وأخلاقهم وصلاتهم، وإنما لأن ما جاؤوا به يتعارض مع الأهواء والأطماع.

ورغم تبجح أمريكا وعملائها بأنهم جاؤوا لتحرير أفغانستان، فهم - في حقيقة الأمر - قد أدخلوا أفغانستان في مآسي لن يخرجها منها إلا عودة إلى كتاب الله ومنهج المصطفى ﷺ. وقد رأينا كيف أنه عندما طُبِّقَت الاستقامة على أرض الواقع بدأت مظاهر الفساد والجرائم تختفي دون تكاليف مالية أو إدارية تُذكر، إذ كان الخوف من الله هو الرقيب الأول. وبمجرد أن بدأت طالبان تنسحب من الساحة، وبدأت مظاهر الاستقامة تخبو، عادت الجرائم على أشد ما كانت عليه من قبل، وكلفت المجتمع الدولي المليارات دون أن يكون لذلك أي جدوى، فسبحان القائل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

(١) المرجع السابق.

(٢) «أفغانستان؛ بين الأمس واليوم»: أبو المنذر الساعدي.



الغزو الأمريكي لأفغانستان

لم يكن يخفى على أحد أطماع أمريكا في ثروات أفغانستان، إذ إنها ظلت تتحين الفرصة التي تستطيع فيها الاستيلاء على أفغانستان، إلى أن جاءت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. ويعتبر البعض أن احتلال السوفييت لأفغانستان في أواخر السبعينات قد أظهر أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تحتله أفغانستان، وخاصة فيما يتعلق بمصالح الغرب. كان الاتحاد السوفيتي مُستهدفًا من خلال احتلاله لأفغانستان توجيه ضربة استراتيجية ثلاثية الأبعاد للغرب والمتحالفين معه؛ فإن ما قام به آنذاك هو عملية اقتراب استراتيجي من حدود ثلاث دول متحالفة مع الغرب في ذاك الوقت؛ وهي باكستان والصين وإيران، إضافة إلى أنه استهدف إضعاف الضغط الغربي على حليفته الهند، وكذا فإنه خطا خطوة في الاقتراب من البوابة الخلفية للخليج العربي^(١). كل هذا جعل أمريكا تغزو هذا البلد الفقير المنكوب، ووجهت الاتهام إلى أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة الذي يتزعمه والذي كان يتخذ من أفغانستان مقرًا له، دون انتظار إثبات أو حتى تأكيد بأن القاعدة هي من قام بالأحداث، ودون مشاورة أو اتفاق لا دولي من خلال الأمم المتحدة ولا على صعيد الدول الغربية المتحالفة معها. لقد طالبت أمريكا حكومة طالبان بتسليم ابن لادن تمهيدًا لمحاكمته، وهو ما رفضته حكومة طالبان لعدم وجود دليل - من وجهة نظر طالبان - على ضلوعه في تلك التفجيرات.

لقد كان بوسع القيادة الأمريكية أن تسلك مسار التعلم من هجمات ١١ سبتمبر، فتبنى منهج البحث في جذور الشر، ثم تتوصل إلى التعاطي مع الحادث بحكمة، أساسها الاعتراف بخطايا الماضي ومظالمه، وفتح صفحة جديدة من العلاقات مع العالم الإسلامي، ولكن القيادة الأمريكية فضّلت أن تستغل مظلة ١١ سبتمبر لتحقيق مزيد من التدخل في المنطقة، والسعي إلى بسط النفوذ فيها، ونهب ثرواتها،

(١) «لم كل هذا الإجماع على احتلال أفغانستان؟»: طلعت رميح.

وابتزاز قاداتها الخاضعين لها أصلاً^(١).

بدأ الغزو الأمريكي الصليبي لأفغانستان في مساء يوم ٧/١٠/٢٠٠١ م بكل ما في الترسانة الأمريكية من أسلحة حديثة وفتاكة، حيث حشدت لحرب أفغانستان ما يزيد عن ٥٠٠ طائرة مقاتلة من قواتها الجوية من مختلف الأنواع تحمل آلاف الأطنان من القنابل ذات الأوزان والأنواع المختلفة، وأربع مجموعات من حاملات الطائرات تتكون كل مجموعة على الأقل من أربع حاملات يدعمها أكثر من ١٥٠ سفينة حربية بينها عشرة بوارج ومدمرات مسلحة بما لا يقل عن ٣٠٠٠ من صواريخ كروزز توماهوك، وحشد من القوات البرية والخاصة ومشاة الأسطول يتعدى حجمه ٢٥٠ ألف رجل، بجانب قوات أخرى من دول حلف الناتو خاصة بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وكندا وأستراليا، مع احتمالات غير مستبعدة للجوء لأسلحة دمار شامل!

لقد كان توقيت أمريكا لضرب أفغانستان يخدمها هي بالدرجة الأولى؛ إذ إن الرأي العام العالمي كان لا يزال يحاول الخروج من صدمة الحادي عشر من سبتمبر. لهذا، بدا الرأي العام العالمي مؤيداً لأمريكا، حيث شارك في هذه الحملة الظالمة من قوات النصارى وحلفاء أمريكا أكثر من ٦٠ دولة، وتنوّعت المشاركات ما بين عسكرية مباشرة ولوجستية. ولم تكن الدول الإسلامية بعيدة عن هذا الموقف؛ فغالبية الدول كانت مؤيدة لأمريكا، ومنها من قدّم تسهيلات للقوات الأمريكية لاستخدام أراضيها وقواعده، وسهّلت كثير من البلدان ومنها طاجيكستان وأوزبكستان وجيرانهما لأمريكا استعمال كثير من قواعدها العسكرية كمنطقات للطائرات والصواريخ الأمريكية، وقدّمت دول الخليج مساعدات خفية لم يكن لأمريكا أن تنجح في حملتها دون حصولها عليها، وكان لدور باكستان الأثر الأكبر في نتيجة الحرب^(٢).

(١) «١١ سبتمبر وأخواتها.. دروس من وراء الجراح»: محمد بن المختار الشنقيطي.

(٢) «المعلن والخفي في أهداف الحملة الأمريكية على الإسلام»: أبو عمر عبد الحكيم حسان.

أما حجم قوات حكومة طالبان الحقيقية في كل أفغانستان فهو لا يتجاوز خمسين ألف جندي نظامي، ويصل بعد التعبئة الشاملة وقت الحرب إلى ما يقارب ١٥٠ ألف جندي ومتطوع، ودباباتهم وعرباتهم المدرعة الروسية الصنع المتقدمة لا يزيد عددها عن ١٢٠ دبابة و ٨٠-٩٠ عربة مدرعة، بالإضافة إلى ١٥٠٠ قطعة مدفعية وراجمة صواريخ، وما لا يزيد عن ١٠ طائرات حربية قديمة، و ١٠٠ من مجموعات الصواريخ المضادة للطائرات، وضعفها تقريباً من الصواريخ المضادة للمدرعات^(١).

وبمقارنة سريعة بين حجم القوات التي حشدتها أمريكا وما كان لدى حكومة طالبان والمجاهدين معهم من قوات ومعدات تجعل من الصعب للمراقب الوقوف عند حدود الأهداف المعلنة لهذه الحشود، وتدفعه للبحث عن الأهداف غير المعلنة. والحقيقة أن الأسباب التي تندعيها أمريكا في حربها لأفغانستان ليست إلا مجرد ذريعة لتحقيق أهداف مبيتة عندهم، أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - عنها في كتابه العزيز حين قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إنهم حقيقة يريدون أن يقضوا على أي بذرة لنشوء الدولة الإسلامية، وإلا ففي أي شرع أو قانون تجوز معاقبة شخص لمجرد شبهة اتهام لم تثبت، فضلاً عن معاقبة أمة بسبب ذلك الشخص؟! «لقد صارت لحوم ودماء المسلمين الوجبة اليومية للقوات الغازية! وصار الولوغ في هذه الدماء الزكية يروي عطش وظماً شذاذ الآفاق في الجيش الأمريكي وقوات الناتو وكل من هبَّ ودبَّ على وجه



الأرض!»^(١)، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].
لقد أَلِفَ الناس صور الجثث الممزقة، والجماجم المهشمة، والأعضاء المتطايرة،
والدماء الملطخة بالجدران!! لقد أَلِفُوا صور البيوت المهدمة على أصحابها، ولم
يسأل سائل منهم بأيّ ذنب قتلوا؟! وبأيّ جريمة أخذوا؟!

لقد سقطت المدن الأفغانية تباعاً في أيدي القوّات الأمريكيّة وقوّات التحالف،
حيث تراجعت قوّات طالبان عن معظم المدن دون قتال، وذلك بعد جرائم بشعة
في صفوف طالبان والمدنيين، والتي كان منها مذبحتي قندز وقلعة جانجي بشمال
أفغانستان. ورغم أن الحرب قد وضعت أوزارها بانتصار عسكري للولايات
المتّحدة وقوّات التحالف إلا أن محاولات اعتقال كبار قادة حركة طالبان وتنظيم
القاعدة باءت بالفشل، وقد نُقلت الولايات المتحدة أسرى حركة طالبان وتنظيم
القاعدة إلى سجن «غوانتانامو» بكوبا.

في بداية الحرب كان الخبراء الاستخباراتيون والعسكريون الأمريكيون
يقولون بأن «أفغانستان لن تصبح فيتنام أخرى»، وأنها لن تكرر أخطاء بريطانيا في
القرن التاسع عشر أو الاتحاد السوفيتي الذي غاص في الوحل الأفغاني من عام
١٩٧٩م حتى ١٩٨٩م^(٢). وتدّعي أمريكا بأن خبراءها قد درسوا الهزائم التي مُني
بها البريطانيون والسوفييت أمام مقاتلين بدائيين كانوا يدافعون عن أراضيهم رغم
الموارد الضخمة التي كانت تملكها بريطانيا والاتحاد السوفيتي السابق.

(١) «قوات الاحتلال الأمريكي والناتو قتلة أطفال المسلمين ونسائهم»: هاني السباعي.

(٢) «أمريكا واثقة من أنها لن تكرر في أفغانستان أخطاء السوفييت والبريطانيين وكذلك أخطاءها في فيتنام»: باربرا

سلافين.



ولكن فيما يبدو أن كل الأكاذيب الاستخباراتية الأمريكية قد تبددت، ووجدنا أن أمريكا قد غاصت فعلاً في الوحل الأفغاني، وارتكبت من الأخطاء ما لم ترتكبها لا بريطانيا ولا الاتحاد السوفيتي، إذ إن الدراسات تشير إلى أن انتصار أمريكا في أفغانستان كان يستدعي ما بين ٧٥٠ ألفاً إلى مليون جندي^(١)، وحتى لو قامت أمريكا بإرسال مثل ذلك العدد إلى أفغانستان، فإنه لن يجديها شيئاً، لأن ذلك لم ينجح في فيتنام.

إن تحويل أفغانستان إلى نقطة آمنة لإقامة قواعد غربية لحلف الأطلسي وللقوات الأمريكية بصفة خاصة، لتحقيق الوجود الفعّال في تلك المنطقة والأخطر في تقرير مصير تغيير التوازنات الدولية، أصبح نقطة استنزاف للقوة العسكرية ولاقتصاديات الدول التي تشارك في الاحتلال، حيث إن حركة طالبان لم تستطع فقط التراجع عند بداية العدوان عليها، ولكنها عادت لشن حملات ذات طابع استراتيجي أثبتت فيها قدرتها على التخطيط الاستراتيجي والإنهاك للجنرالات والقوات وما خلفها من تكنولوجيا ومعاهد وأكاديميات عسكرية^(٢).

ولما هُزمت طالبان في بداية الأمر، «فُتحت المشاهد وعُبدت الأوثان، وبُدلت شريعة الرحمن بقوانين الفرنج من عباد الصليبان وما أملاه الشيطان بحتالة الأفكار وزبالة الأذهان، ومُجّدت الأصنام باسم الحضارة والمحافظة على الآثار، وانتشرت الملل الكفرية باسم حرية الأديان، وعُطّلت الحدود باسم حقوق الإنسان، وظهرت مواخير الزنا والفحش والخنا ودور السينما والغنى، وشُرِبت الخمر والحشيش، وفُتحت أوكار الربا باسم الحرية الشخصية والاقتصاد والتنمية، وأُخرجت العذارى من خدورهن، ونُزع الحجاب، وأُلقي الجلباب، وبدت العورات، واختلطت الحرائر بالمومسات باسم حقوق المرأة، واختلط النساء بالرجال باسم التقدم والازدهار.

(١) «حرب أفغانستان: المهمة ودروس التاريخ»: ولتر روجرز.

(٢) «لم كل هذا الإجماع على احتلال أفغانستان؟»: طلعت رميح.



فمشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، وستته ماضية، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]»^(١). وما صار إليه وضع أفغانستان في تلك الفترة يصدق عليه ما قاله أبو البقاء الرندي عندما تغلب النصارى على بلاد الأندلس في قصيدة طويلة، مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولُ
فلا يُغَرُّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وبعد أن سرّد مشاهد من حال بلدان الأندلس عندما كانت تنعم بحكم الإسلام وعدله، يصف حالها بعدما عاث النصارى فيها ظلمًا وجورًا وتقتيلًا، فيقول:

وواديار غدت بالكفر عامرة
تبكي الحنيفة البيضاء من أسفٍ
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد أمست كنائس ما
وردّ توحيدها شركٌ وطغيانُ
كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
حتى المنابر تبكي وهي عيدانُ
قد أقفرت ولها بالكفر عمرانُ
بها إلا نواقيسٌ وصلبانُ

ويرى المتتبعون لشؤون الجهاد الأفغاني ضد المحتل الأمريكي، أنه - وإن حققت أمريكا بعض الانتصارات المؤقتة على المجاهدين في أفغانستان - إلا أن الجهاد حقق الكثير من النتائج، منها^(٢):

١ - كشف القناع الأمريكي الصليبي الزائف المصبوغ بالديمقراطية الكاذبة، وحقوق الإنسان التي اتضح أنهم أول من انتهكوها، وحقوق المرأة التي تعني إباحة

(١) «رسالة إلى أمير المؤمنين ومن يراه من المجاهدين»: أحمد بن حمود الخالدي.

(٢) «الجهاد العالمي وجهة أفغانستان»: عبد المجيد عبد الماجد، مع بعض الزيادات.

الفجور والفواحش، وإصلاح التعليم الذي يعني إغلاق المدارس الإسلامية.

٢- انتشار شعلة الجهاد في كل مكان بحيث لا يستطيع أحد أن يوقفه أو يَحْجِّمَهُ.

٣- زيادة اهتمام العالم بالجهاد، وانتشار ثقافة الجهاد بين المسلمين، وبحث المسلمين عن أحكام الجهاد وما يتبع ذلك من بذل المال وتوجيه الزكوات وغيرها لنصرة دين الله.

٤- انهيار هيبة الأمريكان في العالم، وتجروء العديد من الدول عليها، حيث بدت الحكومة الأمريكية والدولة الأمريكية برمتها وبكل قوتها وهيلمانها عاجزة بائسة فاقدة للقدرة على الحركة والتصرف إلى حدّ أن أحداث ١١ سبتمبر تركت فراغاً حقيقياً في السلطة لأكثر من اثنتي عشرة ساعة كانت فيها C.N.N هي الحاكم الحقيقي في أمريكا، لقد اختفى طاغوت النصارى الأمريكي بوش كما اختفى نائبه معه في أحد الخنادق المحصنة بمجرد سماعهم نبأ ارتطام الطائرات بالبرجين ومبنى البنتاجون، وسادت موجة من الرعب والفرع والحزن لدى المواطن الأمريكي، وبدت أمريكا ومواطنوها ضعيفة عاجزة وعُرْضة للنوائب التي تُصيب الدول الأخرى^(١).

٥- تشتت جهود الأمريكان في المعركة؛ فكما نعلم أن أفغانستان تُشكّل الجبهة العسكرية المباشرة الثانية مع العراق، بالإضافة إلى جبهات أخرى كالجبهة الداخلية في أمريكا نفسها ومصالحتها حول العالم، مما يُشكّل عليها ضغطاً عسكرياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً خطيراً.

٦- بث الرعب في قلوب الكفار؛ فأمريكا وأعوانها- وحتى المنتسبين إلى

(١) «المعلن والخفي في أهداف الحملة الأمريكية على الإسلام»: أبو عمر عبد الحكيم حسان.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الإسلام منهم - عندما يرون المخلصين من أبناء هذه الأمة قد هبوا لنصرة إخوانهم في أفغانستان - وفي أي بقعة تدوسها قدم كافر - فإن العدو سيحسب لذلك ألف حساب. وقد يظن البعض أن الفئة القليلة من المجاهدين - مع قلة عدتها - قد لا تؤثر في الحشود الجارفة من أعوان الصليب وأشياعهم، ولكن الحقيقة هي أن الله هو الذي يثبت الذعر والرعب في قلوب الأعداء وليس كثرة عدد المسلمين ولا قوة شوكتهم، فالله - سبحانه - يقول: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فالعبرة ليست بكثرة العدد وقوة العتاد، ولكن بالثقة بنصر الله، النابع من الإيمان الصادق به سبحانه.

وإذا كان الموقف العالمي قد بدا مؤيدًا لأمريكا، فلا غرابة في ذلك، فالكفر ملة واحدة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]. لكن الغريب هو أن تتجه غالبية الدول الإسلامية إلى تأييد قيام أمريكا بتدمير بلد إسلامي، وقتل الآلاف، وتشريد الملايين، بحجة أنهم يعلمون أنها أوهى من بيت العنكبوت، ولكنها الرهبة من أعداء الله التي قذفها الله في قلوب هؤلاء عندما ابتعدوا عن منهج الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، ويقول: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠] - [٨١]. وقد شدد علماء الإسلام على من يتولى المشركين، ويظاهرهم ويناصرهم على المسلمين، واعتبروه ردة عن الإسلام وكفراً به^(١).

(١) «ألا هل بلغت: اللهم فاشهد»: ناصر بن سليمان العمر.

أما موقف علماء المسلمين - وأيضاً موقف غالبية الشعوب الإسلامية - باستنكار العدوان الأمريكي على أيّ شبر من أراضي المسلمين، فهو أقلّ القليل فيما يجب أن يفعلونه، فالله - سبحانه وتعالى - يناديهم ليهبوا للدّود عن كل شبرٍ من هذه الأمة في قوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، ثم ينادي المتقاعسين عن نصره هذا الدين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ويقول الرسول ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَالْأَسْتِكْم»^(١)، ويقول: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»^(٢)، ويبيّن لنا أن ديار الإسلام واحدة، وأن المسلمين جسدٌ واحدٌ، فيقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٣)، ويقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

ونصرة هذا الدين هي في الحقيقة تخلص للعبد من عذاب الله؛ فالله - عزّ من قائل - يخبرنا بأنه ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]. وأما سكوت المسلمين عامة، والعلماء خاصة، عن نصره هذا

(١) رواه أحمد (حديث رقم: ١٢٢٤٦)، وأبو داود (حديث رقم: ٢٥٠٤)، والنسائي (حديث رقم: ٣٠٩٦).

(٢) رواه البخاري (حديث رقم: ٢٨٤٣)، ومسلم (حديث رقم: ١٨٩٥).

(٣) رواه مسلم (حديث رقم: ٢٥٨٦).

(٤) رواه البخاري (حديث رقم: ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث رقم: ٢٥٨٠).

الدين - بما في ذلك دعم الجهاد أيًا كان بالنفس والمال - فلا يزيد المسلمين إلا ضعفًا، ولا يزيد العدو إلا تسلُّطًا وبغيًا. والعدو لن تفر عينه بسجن العلماء، ولا بإغلاق مدارس تحفيظ القرآن، ولا بتغيير المناهج، ولا بإفساد أبناء المسلمين وتغريبهم، فهذا كله لا يُشفي غيظ قلوبهم حتى يسفكوا دماء أبناء المسلمين، كما فعلوا في كشمير والشيشان والفلبين وأندونيسيا والعراق وفلسطين وأفغانستان، وغيرها من بلاد الإسلام. إن قتل المسلمين وتشريدهم وتمزيق أجساد أطفالهم هو فقط الذي يمكن أن يطفى نار صدور اليهود والصليبيين والوثنيين ومن سار على ملتهم^(١).

حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في أفغانستان

إذا ركّزنا فقط على الخسائر الاقتصادية التي سببتها الحروب المتتابعة على أفغانستان من خلال الأرقام البسيطة التي سقناها هنا والمتعلقة بالأرواح التي تم إزهاقها والمدن والممتلكات التي تم تدميرها، فإنه يمكننا حساب العائدات الاقتصادية للأمة فيما لو استقامت على دين الله، أفرادًا وحكومات، ولاستطعنا أن نتصور الآثار الاقتصادية للتمسُّك بشرع الله، والاستقامة على دينه. كذلك فإنه لو كانت الأمة مالكة لزمam أمورها، باسطة نفوذها على أراضيها لاستطاعت دحر أعدائها، ولما تجرَّؤوا على المساس بمقدراتها والاستيلاء على خيراتها. في الجدول الآتي نلخص بعض الأرقام التي سقناها في هذا الفصل، ونفترض أن كل شهيد أو قتيل من المسلمين لو شاء الله أن يعيش عشرين عامًا أخرى لأضاف لاقتصاد الأمة ما لا يتصوره العقل.

(١) «خطاب موجه إلى علماء باكستان»: مجموعة من العلماء.

لغة الأرقام

- ✗ عدد الشهداء والقتلى من الأفغان في حروب المغول والتموريين والسفاديين = ١٠,٠٠٠ قتيل لكل حرب $\times ٤$ حروب = ٤٠,٠٠٠ قتيل.
- ✗ عدد الشهداء والقتلى من الأفغان في حرب الإنجليز الأولى والثانية = ١٠,٠٠٠ قتيل $\times ٢$ = ٢٠,٠٠٠ قتيل.
- ✗ عدد الشهداء والقتلى من الأفغان في حرب السوفيت = ١,٢٥ مليون قتيل.
- ✗ عدد القتلى من الأفغان في الصراع بين المجاهدين = ٤٠ ألف قتيل.
- ✗ عدد القتلى من الأفغان في الصراع بين طالبان والمجاهدين = ٢٠ ألف قتيل.
- ✗ عدد الشهداء والقتلى من الأفغان في جهاد طالبان مع الأمريكان = ٢٠ ألف قتيل.
- ✗ مجموع عدد الشهداء والقتلى = ١,٣٩ مليون.
- ✗ العائد الإنتاجي السنوي فيما لو بقي هؤلاء على قيد الحياة = ١,٣٩ مليون شخص $\times ٨$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times ٢٣٠$ يوم عمل في السنة $\times ٢٠$ سنة كمتوسط للعمر الإنتاجي لكل فرد من هؤلاء = ٥١,١٥٢ مليار دولار.

وهناك عائدات أخرى تتمثل في توفير قيمة السلاح المستنزف في هذه الحروب، بالإضافة إلى توفير المبالغ الضخمة التي عادة ما تصرف عقب كل حرب لإعادة إعمار القرى والمدن مما يكون قد لحقها من دمار بسبب الحرب، ولا ننسى أيضًا المبالغ الطائلة التي تصرف أثناء وبعد الحرب على مداواة الجرحى والمعاقين المتضررين بسبب الحرب، والإنفاقات الهائلة على اللاجئين والمشرّدين بسبب هذه الحروب.



لغة الأرقام

☒ قيمة الأسلحة المستخدمة من قبل الأفغان أثناء هذه الحروب = ١٠ حروب × مليون قطعة حربية مستخدمة في كل حرب × ١٠٠ دولار قيمة كل قطعة = مليار دولار.

☒ قيمة ما يصرف على إعمار القرى والمدن بعد كل حرب = ١٠ حروب × ١٠٠ قرية تتضرر من جراء كل حرب × مليون دولار قيمة إعمار كل قرية = مليار دولار.

☒ قيمة ما يصرف على مداواة الجرحى والمعاقين = ١٠ حروب × ١٠ آلاف من الجرحى والمعاقين الذين يتضررون من كل حرب × ١٠,٠٠٠ دولار تكاليف علاج كل واحد منهم = مليار دولار.

☒ قيمة الإنفاقات على اللاجئين والمشردين = ١٠ حروب × مليون مشرد ولاجئ من آثار كل حرب × ٣٦٥ يومًا مدة بقائهم كمشردين ولاجئين × ١٠ دولار تكلفة إعاشة كل واحد منهم في اليوم الواحد = ٣٦,٥ مليار دولار.

☒ مجموع ما كان يمكن توفيره من مصاريف الحروب في أفغانستان = ٣٩,٥ مليار دولار.

☒ مجموع ما يمكن أن توفره الأمة لو كانت قد استطاعت تجنب هذه الحروب والصراعات في أفغانستان = ٥١,١٥٢ مليار العائد الإنتاجي للشهداء والقتلى فيما لو بقوا على قيد الحياة + ٣٩,٥ مليار ما كان يمكن توفيره من مصاريف هذه الحروب لو تم تلافيها = ٩٠,٦٥٢ مليار دولار.



آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد



٢- العراق

عندما تُذكر العراق لا بُدَّ أن يُذكر معها تاريخها العريق والتميّز بالحضارات المُتعاقة على العيش فيها؛ فموقعها المتميّز ونهر دجلة والفرات كانا سبباً في ذلك، وكانت أول حضارة تسكنها هي حضارة سومر تَبِعَتْها الحضارة البابلية، والآشورية، والسلوقية، والإمبراطورية الرومانية، لتأتي بعدها الخلافة الإسلامية، ثم المغول، والدولة الأفشارية، والدولة العثمانية. وقد بلغت مساحة الدولة الكلية ٣١٨, ٤٣٨ كيلومترٍ مربع، ويسكنها حوالي ٣٦ مليون نسمة، وفق إحصائيات عام ٢٠١٦م التي نشرتها وزارة التخطيط العراقية.

كُلُّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالْتُّومِ^(١)
هَوَى عَلَى أَثَرِ النِّيرانِ وَالْأَيْمِ
فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ لَا فِي نَهْضَةِ الْمَهْرَمِ
دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَمِ
وَلَا حَكَّتْهَا قَضَاءٌ عِنْدَ مُخْتَصِمِ
عَلَى رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمِ
تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ وَالنُّخَمِ
فَلَا يُدَانُونَ فِي عَقْلِ وَلَا فَهَمِ

دَعِ عَنْكَ رُومًا وَآثِينًا وَمَا حَوَاتَا
وَحَلِّ كَسْرَى وَإِيوَانًا يَدِلُّ بِهِ
وَاتْرُكْ رَعْمَسِيْسَ إِنَّ الْمَلِكَ مَظْهَرُهُ
دَارُ الشَّرَائِعِ رُومًا كُلَّمَا ذُكِرَتْ
مَا ضَارَعَتْهَا بَيَانًا عِنْدَ مُلْتَأَمِ
وَلَا احْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قِيَاصِهَا
مَنْ الَّذِينَ إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُمْ
وَيَجْلِسُونَ إِلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ

موجز تاريخ العراق

فتح المسلمون العراق في عصر الخلفاء الراشدين في القرن الأول الهجري بعد

(١) من قصيدة لأحمد شوقي بعنوان «ريثم على القاع بين البان والعلم».

أن أراحوا الدولة الساسانية، وأصبح مركزاً للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، ثم كان العصر الذهبي للعراق خلال عهد الخلافة العباسية في العصور الوسطى، وبعد سلسلة من الغزوات والفتوحات أصبح تحت حكم البويهيين والسلاجقة الأتراك، ثم سقط بيد المغول عام ١٢٥٨ م، ثم تم ضمه إلى الدولة العثمانية في القرن السابع الهجري.

كان من أبرز التغيرات على الصّعيد السياسي في عهد معاوية بن أبي سفيان، أنه نقلَ عاصمة الدولة من الكوفة إلى دمشق، بعد أن كان الإمام علي بن أبي طالب قد نقلها من المدينة إلى الكوفة، وقد أثار هذا سُخطَ بعض أهل العراق والحجاز، ثم نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق إلى الكوفة، ثم الأنبار قبل أن يقوموا بتشييد مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم، والتي ازدهرت طيلة ثلاثة قرون من الزمن، وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها، وخصوصاً في عهد هارون الرشيد الذي اقترنت بغداد باسمه في روايات ألف ليلة وليلة وباقي الآداب العالمية، لكن نجمها أخذ في الأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل. انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م، عندما أقدم هولاكو خان التتري على غزو المدينة.

بدأ القائد المغولي هولاكو خان سنة ١٢٥٧ م بتجميع عدد ضخم من جيوش الإمبراطورية المغولية بغية احتلال بغداد، وعند وصوله لعاصمة الخلافة الإسلامية طلب من الخليفة العباسي المستعصم بالله الاستسلام ولكن الخليفة رفض، مما أثار غضب هولاكو فأمر بتدمير العاصمة وهو ما يتفق مع استراتيجية المغول في تثبيت المقاومة، وقد دُمّرت بغداد بالكامل، وتراوحت التقديرات إلى أن عدد القتلى كان ما بين مليون إلى مليوني شخص، إضافة إلى حرق مكتبة بيت الحكمة التي كانت تعتبر أعظم مكتبة علمية وأدبية وفنية في ذلك الوقت، حيث كانت تحتوي على عدد لا يحصى من الكتب القيمة والوثائق الأثرية التي لا تُقدّر بثمن.

ويصف ابن كثير ما جرى لبغداد على يد التتار، فيقول: «حين قتل التتار الخليفة وأعيان البلد مالوا على بغداد، فقتلوا جميع مَنْ قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان، وأعملوا السيوف في الرقاب مدة أربعين يومًا، حتى دخل كثيرٌ من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ، وكمنوا لذلك أيا ما لا يظهرون، وكان الفئام من الناس يجتمعون في الحانات، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر أو بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي المكان، فيقتلونهم في الأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة».

لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادِ أَخْبَارُ
يَا زَائِرِينَ إِلَى الزُّرُورِ لَا تَفِدُوا
تَا جُ الْخَلِيفَةِ وَالرُّبُعِ الَّذِي شَرُفَتْ
عَلَا الصَّلِيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَا
فَمَا وَقُوفُكَ وَالْأَخْبَابُ قَدْ سَارُوا^(١)
فَمَا بِذَاكَ الْحِمَى وَالِدَارُ دِيَارُ
بِهِ الْمَعَالِمُ قَدْ عَضَاهُ إِقْضَارُ
وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَحْوِيهِ زُنَارُ

وبعد الغزو المغولي حكم العراق الجلائريون، وفي سنة ١٤٠١م غزا تيمور لنك العراق، ودمّر بغداد بعد استسلامها له، وقد قُتِلَ جراء التدمير حوالي ٢٠,٠٠٠ من الأهالي العزل، وقد أمر تيمور لنك كل جندي أن يعود إليه ومعه رأسين من رؤوس الضحايا، ومن شدة خوف الجنود منه، قتلوا الأسرى الموجودين عندهم قبل دخولهم بغداد ليروه الرؤوس عند حضورهم إليه، وضمها للدولة التيمورية.

بلغ الصراع أشده في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بين ثلاث قوى إسلامية بهدف السيطرة على الوطن العربي، وهذه القوى هي: العثمانيون والمماليك والصفويون، وقد حُسِمَ هذا الصراع بانتصار العثمانيين على الصفويين في موقعة جالديران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، وعلى المماليك في موقعة

(١) من قصيدة لابن أبي اليسر بعنوان «السائل الدمع عن بغداد أخبار».

مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، والقضاء على دولتهم بدخول السلطان سليم الأول إلى القاهرة سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م لبدأ الوطن العربي- والعراق جزء منه- مسيرته التاريخية الحديثة والمعاصرة ضمن فترتين متميزتين هما الحقبة العثمانية والحقبة المعاصرة.

حكم الصفويون وهم سلالة من الشاهات بلاد فارس (إيران) بين عام ١٥٠١م و ١٧٨٥م، وسيطروا على بغداد في عام ١٥٠٩م بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي، وبقيت تحت حكمهم حتى انتزعها العثمانيون من يد الصفويين عام ١٥٣٥م، ولكن ما لبث الصفويون أن عادوا ليسيظروا عليها عام ١٦٢٤م، وحدثت فيها مذبحة عند دخول جيش الشاه، وبقت تحت الحكم الصفوي حتى عام ١٦٣٩م، حيث دخلها السلطان العثماني مراد الرابع عام ١٦٣٨م.

وخلال الفترة ١٧٤٧م - ١٨٣١م حكم العراق ضباط ممالك من أصل شركسي، نجحوا في الحصول على حكم ذاتي من الباب العالي العثماني، وقاموا بقمع الثورات القبلية، وحدوا من سلطة الإنكشارية واستعادوا النظام، وقدّموا برنامجاً لتحديث الاقتصاد والنظام العسكري، وفي عام ١٨٣١م، نجح العثمانيون في الإطاحة بنظام الحكم المملوكي، وفرضوا سيطرتهم المباشرة على العراق.

استقرت الأوضاع في العراق بعض الشيء في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، باستثناء بعض الفترات، كان فيها الكرد في الشمال وبعض قبائل العرب في الوسط والجنوب، يتمردون فيها على الدولة بسبب مظالم بعض الولاة، غير أن العراق صار مسرحاً للصراع الحاد والتنافس المحموم ما بين الدول الاستعمارية (فرنسا، بريطانيا، روسيا) الطامعة بخيراته وموارده من جهة وبموقعه المهم من جهة أخرى، وكانت الغلبة في نهاية الأمر لبريطانيا.

استمر الحكم العثماني على العراق حتى الحرب العالمية الأولى عندما وقف العثمانيون إلى جانب ألمانيا ودول المركز، وبعد إعلان الحرب تمكّن الجيش



البريطاني من الدخول إلى بغداد في ١١ مارس ١٩١٧م، وخسر البريطانيون ٩٢,٠٠٠ جندياً في هذه الحملة، وكانت خسائر العثمانيين غير معروفة لكن القوات البريطانية أسرت ٤٥,٠٠٠ جندياً من الجيش العثماني، وبحلول نهاية عام ١٩١٨م كان هنالك ٤١,٠٠٠ جندياً بريطانياً منتشراً في المنطقة.

المطامع الاستعمارية البريطانية

إن المتتبع لتاريخ العراق يلاحظ أن بريطانيا كانت تخطط لاحتلاله والسيطرة على موارده وموقعه منذ القرن السابع عشر، وبعد سيطرتها على مصر وقناة السويس في عام ١٨٨٢م، ارتأت الحكومات البريطانية المتعاقبة مدّ سكة حديد تربط ما بين ميناءي حيفا والبصرة لمنافسة ألمانيا التي حصلت فيما بعد على إنشاء خط حديد برلين-بغداد، وبعد إعلان الحرب العالمية الأولى بأيام بدأت بريطانيا بتنفيذ خطتها للسيطرة على العراق، حينما استولت على البصرة سنة ١٩١٤م وبغداد سنة ١٩١٧م والموصل سنة ١٩١٨م، متجاهلة الوعود التي كانت قد قطعتها على نفسها تجاه العرب، مستغلة نقيمتهم على الدولة العثمانية.

ثم جاء نشر اتفاقية سايكس-بيكو (Sykes - Picot) من قِبَل حكومة الثورة الشيوعية في روسيا، والكشف عن وعد بلفور، ليؤكد خيانة البريطانيين وغدرهم بالأمة العربية، مما أدى إلى اشتعال ما يعرف بثورة العشرين العراقية التي أبدى فيها العراقيون على اختلاف مشاربهم من البسالة والإقدام، ما جعل البريطانيين يتجهون مرة أخرى إلى الهاشميين، ويعترفون بفيصل ملكاً على العراق، وبعد توليه عرش البلاد قام بتوقيع معاهدة ١٩٢٢م، التي أقرّت الانتداب البريطاني، على الرغم من المعارضة الوطنية، فثار العراقيون مرة ثانية في أبريل ١٩٢٤م، ولم تهدأ الأوضاع في البلاد إلا بتوقيع معاهدة ١٩٣٠م التي نصّت على الاستقلال.

بعد وفاة الملك فيصل سنة ١٩٣٣م، تولى العرش ولده غازي، فتصاعدت في أيامه النقمة الشعبية ضد البريطانيين والموالين لهم من رجال الحكومة، فوقع انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦م، وتولى الوزارة حكمت سليمان، بيد أن بكر صدقي قُتل بعد مدة قصيرة من حركته، ولحق به الملك غازي، إثر حادث سيارة غامض، فتولى الوصاية على العرش الأمير عبد الإله بن علي (١٩١٢م - ١٩٥٨م) ليكتمل به وبرئيس الوزراء نوري السعيد (١٨٨٨م - ١٩٥٨م) مشهد العراق الخاضع للإملاءات البريطانية، ومرة ثانية اندلعت ثورة وطنية بقيادة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، انتهت بهروب قائدها وتنفيذ أحكام الإعدام بالعديد من رجالها الوطنيين.

قيام الجمهورية العراقية

كُلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة عدة مرات حتى عام ١٩٥٨م، وشهد العراق في أثنائها العديد من الثورات والانتفاضات الشعبية، كانتفاضة كركوك عام ١٩٤٧م، ووثبة عام ١٩٤٨م، وانتفاضة عام ١٩٥٢م، وانتفاضة عام ١٩٥٦م، مهّدت جميعها لقيام الجيش العراقي بثورته صبيحة ١٤ يوليو ١٩٥٨م، التي وضعت نهاية للحكم الملكي بإعلان النظام الجمهوري، وعاد العراق ليأخذ دوره العربي بتحقيق إلغاء القواعد الأجنبية، والانسحاب من حلف بغداد، وإجراء إصلاحات اقتصادية واجتماعية، ووضع دستور جديد للبلاد، يكفل للجميع ممارسة الحقوق وتأدية الواجبات ضمن الأطر الديمقراطية.

غير أن الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء انفرد بالحكم، وأخذ يتعدى عن المسار القومي والأهداف التي قامت من أجلها ثورة تموز، فنشأت بينه وبين القوى الوطنية الأخرى خلافات حادة جعلته ينقلب



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

على شركائه في الثورة، معتمداً على بعض العناصر الشيوعية، مما دعا إلى التفكير بالتخلُّص من دكتاتوريته، في الوقت الذي كانت بعض العناصر المشبوهة شمالي العراق تلقي بظلالها على مجرى الحياة السياسية، وخوفاً من ضياع مكتسبات ثورة تموز وحرصاً على الأهداف التي قامت من أجلها، تحرك الجيش العراقي ليلة ٨ فبراير ١٩٦٣م بقيادة مجموعة من الضباط القوميين يتقدمهم عبد السلام عارف الذي سيطر على مقاليد الأمور، وشرع بعد أن تولى منصب رئاسة الجمهورية، بإجراء مفاوضات مع القيادتين السورية والمصرية بهدف إقامة وحدة تضم الأقطار الثلاثة في دولة واحدة.

ومع أن هذه الخطوة لم يُكتب لها النجاح غير أن عارف أمم بعض الشركات، وفي مقدمتها شركة نفط العراق، وأبرم اتفاقاً مع الأكراد في الشمال لوقف إطلاق النار، ووقع مع مصر بعض المعاهدات الاقتصادية والعسكرية، غير أن هذه العلاقة بدأت بالتراجع بسبب اعتماد عارف على بعض رموز الطبقة البرجوازية المحافظة التي كانت تبدي مخاوفها من سياسات مصر ذات الطابع القومي والاشتراكي، وخاصة بعد حركة الانقلاب الفاشلة التي قام بها عارف عبد الرزاق سنة ١٩٦٥م، فتراجع عارف عن بعض المواقف قبل أن يلقي حتفه في حادث طائرة عام ١٩٦٥م.

استيلاء حزب البعث على مقاليد الحكم

بعد مقتل عبد السلام عارف تولى أخوه عبد الرحمن رئاسة الجمهورية من بعده، فأتسع في فترة حكمه القصيرة نطاق المعارضة مما أدى إلى الإطاحة به في ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٨م، وتمكّنت عناصر حزب البعث من تولي القيادة، وأصبح أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية وصادام حسين نائباً له، ووضع دستور جديد في عام ١٩٧٠م، حدّد فيه هوية النظام السياسي.

حكم الجناح اليميني من حزب البعث العراق من يوليو ١٩٦٨م إلى أبريل ٢٠٠٣م، وهو الجناح الموالي لمؤسس الحزب ميشيل عفلق، وتدلُّ الكثير من المؤشرات إلى ارتباط عفلق بالقوى الصليبية والصهيونية؛ فقد نشرت صحيفة المنار السورية عام ١٩٦٢م أن عفلق ألقى كلمة في مؤتمر الاشتراكية العالمية في فيينا عام ١٩٥٣م، جاء فيها أن حزب البعث سيقبل التعامل مع إسرائيل إذا حكم إسرائيل حزبٌ اشتراكي^(١).

أسهمت حكومة البكر في إبرام اتفاقية الجزائر حول مسألة الحدود مع إيران، وبدأت صفحة جديدة من العلاقات بين البلدين أثَّرت إيجابياً في وضع شمال العراق، وفي تموز ١٩٧٩م أعلن في بغداد تنحّي أحمد حسن البكر لمصلحة نائبه صدام حسين، الذي وجد في إقدام أنور السادات على إبرام اتفاق منفرد مع إسرائيل انهياراً عربياً وشيكاً في وجه الأطماع الصهيونية، فعمد إلى اتباع استراتيجية تستهدف بناء الجبهة الشرقية لتكون بديلاً للمواجهة، إذا ما تم تحييد مصر.

بيد أن تعثر العلاقات مع إيران- التي لم تكن القوى الاستعمارية والصهيونية بريئة من تأزيمها- أدّى إلى اشتعال ما يُعرف بحرب الخليج الأولى بين العراق وإيران التي استمرت نحو ثماني سنوات، استنزفت موارد البلدين، وكان من أخطر نتائجها توتر العلاقات ما بين العراق والكويت في ظل قراءة خاطئة للمتغيرات الدولية، بدأت بخلاف حول أسعار النفط وحصص الإنتاج، وانتهت بمطالبة العراق بحقه التاريخي في الكويت.

اجتاحت القوات العراقية أرض الكويت عام ١٩٩٠م، الأمر الذي كانت تنتظر حدوثه القوى الاستعمارية للسَّطو على العراق الذي أصبح منذ ذلك التاريخ رهناً لقرارات دولية صيغت في الدوائر الاستعمارية، استهدفت التدخل بشؤونه العسكرية والسياسية، إلى أن احتُلَّ سنة ٢٠٠٣م من قبل القوات الأمريكية والبريطانية بذرائع

(١) صفحة «شيء من التاريخ» على الفيس بوك.



وادعاءات كاذبة أثبت الواقع أنها كانت محض خطط، هدفها عزل العراق عن محيطه العربي والقضاء على أيّ مواجهة عربية للمخطط الصهيوني على المدى البعيد.

حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية: ١٩٨٠م - ١٩٨٨م)

بعد تسلّم صدام حسين السلطة في العراق في تموز ١٩٧٩م، كانت المهمة الأساسية التي أنيطت به هي إدخال العراق في حروب لا تنتهي، وكانت أولها حرب الثمان سنوات مع إيران والتي بدأت في سبتمبر ١٩٨٠م، ولا يعني هذا أن إيران بريئة في نواياها اتجاه العراق؛ بل إن إيران خطّطت لابتلاع العراق، بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية، باسم تصدير الثورة، وكانت كل من أمريكا والصهيونية العالمية تدفع باتجاه هذا الصّدام، فقد وقف الغرب في العلن مع النظام العراقي وفي الخفاء مع إيران، وكان دور الكويت ودول الخليج الدعم المادي.

الخلفية التاريخية للحرب

في سنة ١٩٦٩م ألغى شاه إيران محمد رضا بهلوي من جانب واحد اتفاقية الحدود المبرمة بين إيران والعراق سنة ١٩٣٧م، وطالب بأن يكون خط منتصف النهر هو الحدّ الفاصل بين البلدين، وفي عام ١٩٧١م احتلت البحرية الإيرانية الجزر الإماراتية طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وقطعت العراق علاقاتها مع إيران في ديسمبر ١٩٧١م، وفي ١٩٧٢م بدأ الصدام العسكري بين إيران والعراق وازدادت الاشتباكات على الحدود، وزاد نشاط الحركات الكردية المسلحة في الشمال، وبعد وساطات عربية وقّعت العراق وإيران اتفاق الجزائر سنة ١٩٧٥م، واعتُبر على أساسه منتصف النهر في شط العرب هو خط الحدود بين إيران والعراق، وتضمّن الاتفاق كذلك وقف دعم إيران للحركات الكردية المسلحة في شمال العراق.

بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م تأزمت العلاقات السياسية بين العراق وإيران؛ حيث تبادل البلدان سحب السفراء في مارس ١٩٨٠م وخفض مستوى التمثيل الدبلوماسي، وفي ٤ سبتمبر ١٩٨٠م اتهمت العراق الإيرانيين بقصف البلدات الحدودية العراقية، واعتبر العراق ذلك بداية للحرب، فقام الرئيس العراقي صدام حسين بإلغاء اتفاقية عام ١٩٧٥م مع إيران في ١٧ سبتمبر ١٩٨٠م، واعتبر مياه شط العرب كاملة جزءاً من المياه الإقليمية العراقية، وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠م هاجم العراق أهدافاً في العمق الإيراني، وردّت إيران بقصف أهداف عسكرية واقتصادية عراقية.

الدعم العربي والغربي للعراق

خلال الحرب العراقية الإيرانية دعمت دول الخليج العراق اقتصادياً، فقد قُدّرت مساهمة الدول الخليجية للعراق بـ ٢٠٠ مليار دولار، كما تكفّلت السعودية والكويت بـ ٣٠٠ ألف برميل نفط يومياً لتعويض العراق عن تراجع إنتاجه النفطي، بسبب الدمار الذي لحق بحقولته ومنشآته النفطية، وسمحت السعودية للعراق ببناء خط أنابيب قادرة على نقل ١,٥ مليون برميل نفط يومياً تصبّ في ميناء ينبع على الساحل السعودي في البحر الأحمر^(١).

وقد تقاربت العلاقات بين الغرب والعراق في فترة الحرب، وبلغ هذا التقارب ذروته بتدخّل الغرب في الحرب إلى جانب العراق؛ حيث كان يخشى من تزايد قوة النظام الإسلامي للمرشد الروحي للثورة الإيرانية آية الله الخميني، وأراد أن يحول دون انتصار إيران في الحرب، وأزالت الولايات المتحدة العراق من قائمة الدول الراحية للإرهاب عام ١٩٨٢م، وبعد عامين أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع بغداد بعد أن كانت قد قطعتها منذ حرب يونيو حزيران عام ١٩٦٧م بين العرب والكيان

(١) «قراءة في موقف دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨»: عبد الرزاق خلف محمد الطائي.



الصهيوني^(١).

وكان الاتحاد السوفيتي، الحليف الرئيسي للعراق هو المصدر الرئيسي لأسلحته، إلا أن عدة دول غربية من بينها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أمدّت العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية، كما تبادلت واشنطن المعلومات الاستخباراتية مع نظام صدام حسين. ومع تطور «حرب ناقلات البترول»، دمّرت الولايات المتحدة عددًا من منصّات النفط الإيرانية، كما أسقطت طائرة ركاب إيرانية تقلّ ٢٩٠ شخصًا، فيما قالت واشنطن أنه حادث وقع نتيجة خطأ.

الخسائر البشرية والاقتصادية لحرب الخليج الأولى

دامت الحرب ثماني سنوات، لتكون بذلك أطول نزاع عسكري في القرن العشرين، وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، وأثّرت على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط، وكان لتأثيرها بالغ الأثر في العوامل التي أدّت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة.

وحصدت الحرب أرواح نحو ٤٠٠ ألف شخص من الجانبين^(٢)، وبعض التقديرات توصلها إلى نحو مليون قتيل من الطرفين، كما خلّفت نحو ٧٥٠ ألف مصاب، وكانت جثث ضحايا الحرب لا تزال تكتشف حتى عام ٢٠٠١م، وفقد العراق ما بين ١٥٠ ألف و٣٧٥ ألف عسكري، بالإضافة إلى ١٠٠ ألف مدني عراقي^(٣).

وتقدّر قيمة خسائر العراق الاقتصادية وخسائر عائدات النفط لكل من البلدين ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مليار دولار^(٤)؛ حيث كانت صادرات النفط من العراق قبيل

(١) «حروب العراق الثلاثة»: موقع قصة الإسلام.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الزمن الجميل»: يوسف أبو الفوز.

(٤) «حروب العراق الثلاثة»: موقع قصة الإسلام.

اندلاع الحرب تبليغ ٣,٣ مليون برميل يوميًا في المتوسط خلال سنتي ١٩٧٩م و١٩٨٠م، إلا أن هذا المعدل انخفض كثيرًا خلال سنوات الحرب بسبب تعذر تصدير النفط من الموانئ البحرية على الخليج العربي والاعتماد على خط أنابيب كركوك-جيهان لتصدير النفط^(١).

حرب الخليج الثانية (حرب الكويت عام ١٩٩١م)

الكويت دولة صغيرة المساحة يحكمها آل الصباح منذ القرن السابع عشر الميلادي، وسكانها قبائل تعمل بالتجارة عن طريق البحر وخاصة تجارة اللؤلؤ. أبدت بريطانيا طمعًا بمنطقة الخليج، ووقّعت معاهدة مع حاكم الكويت في عام ١٨٩٩م تتعهد فيها بحماية استقلال الكويت، وحسب هذه المعاهدة تكون الكويت غير خاضعة للحكم العثماني كما أنها مستقلة عن العراق، إلا أن العراق لم يعترف بشكل فعلي بانفصال الكويت عنه على الرغم من توقيعه على الكثير من الاتفاقيات التي تنصُّ على ذلك.

الغزو العراقي للكويت

في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م شنَّ الجيش العراقي هجومًا على دولة الكويت، بذريعة سرقة الكويت للنفط العراقي، واستغرق الهجوم يومين، وانتهى باستيلاء القوات العراقية على كامل الأراضي الكويتية. وقد جاء غزو العراق للكويت وسط أزمة اقتصادية حادة يعيشها العراق بسبب الديون التي تراكمت عليه عقب انتهاء حربه مع إيران، التي قدَّرها صندوق النقد الدولي بستين مليار دولار^(٢).

(١) «حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران»: منتديات الحزين فلسطين.

(٢) «صندوق النقد الدولي يقدر الديون العراقية للكويت بـ ٦٠ مليار دولار»: موقع السومرية- الشبكة الفضائية العراقية.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

فمن وجهة نظر القيادة العراقية أن دول الخليج، وعلى رأسها الكويت، لم تتعاون بالشكل الكافي مع العراق الذي خرج مديوناً من حربه مع إيران، وقد اعتقدت القيادة العراقية أن أقل ما يمكن أن تصنعه دول الخليج هو إلغاء مديونتها على العراق، أو تخفيفها لقاء دفاع العراق عن دول الخليج ضد المطامع الإيرانية، كما صرَّح صدام حسين في أكثر من مناسبة أن الحرب العراقية الإيرانية كانت بمثابة دفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي^(١).

ويمكن أن نُجمل أسباب الغزو بالنقاط الآتية^(٢):

✓ أطماع العراق بالكويت قديمة، وقد تجسّدت في عدة محاولاتٍ للدخول إلى الكويت، إلا أن بريطانيا كانت تمنع ذلك.

✓ اكتشاف احتياطي نفطي ضخم في الأرض الكويتية، مما أدّى إلى زيادة أطماع دول الجوار بها، وخاصة العراق.

✓ الحرب العراقية الإيرانية؛ فعلى الرغم من الدعم المادي الكبير الذي قدمته الكويت وغيرها من دول الخليج العربي للعراق كدّين أو مساعداتٍ إلا أن العراق كان يعتبر ذلك غير كافٍ؛ لأنه يرى أنه بتلك الحرب كان يدافع عن كامل دول الخليج من وصول الثورة الإيرانية إليها.

✓ انخفاض أسعار النفط، وكان العراق يتهم الكويت بأنها جزءٌ من مؤامرة لتخفيض أسعار النفط ممّا ألحق بالعراق خسائر كبيرة نتيجة الفروق في السعر.

✓ عدم قدرة العراق على سداد الديون التي تراكمت عليه للكويت وغيرها من دول الخليج.

✓ اتهام العراق الكويت باستغلالها لحوضٍ نفطيٍّ مشتركٍ بينهما أثناء انشغال العراق بحربه مع إيران، وقيام الكويت باستخراج كمياتٍ كبيرةٍ من النفط وبيعها

(١) «تاريخ غزو الكويت»: موقع موضوع. كوم.

(٢) «أسباب غزو العراق للكويت»: موقع موضوع. كوم.



لحسابها.

✓ رغبة العراق في الحصول على مساحاتٍ مائيةٍ أكبر على الخليج، خاصةً بعد أن دُمّرت الحرب الموانئ العراقية، وتخوّف العراق من إمكانية تجدد هذه الحرب.

✓ تعرّض العراق إلى التضليل من الدول الكبرى بتشجيعه على حل مشكلته مع الكويت على طريقته الخاصة.

أما عن مطالب العراق من الكويت، كما عرضتها جريدة الواشنطن بوست الأمريكية بعددها بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٩٠م، فيمكن تلخيصها بالآتي^(١):

✓ تقديم عشرة مليارات دولار كمساعدة للعراق.

✓ تقديم مليارين وأربعمائة مليون دولار كتعويض عن النفط المسروق من حقل الرميّة.

✓ إلغاء ديون الحرب والتي تُقدَّر بعشرة مليارات دولار.

✓ تخلي الكويت عن حقل الرميّة.

✓ إبرام عقد إيجار طويل المدى يسمح للعراق بالسيطرة على جزيرة بوبيان.

وبعد دخول العراق الكويت بيومين قام بتشكيل حكومة صورية برئاسة العقيد علاء حسين تحت مسمى جمهورية الكويت، واستمرت لأربعة أيام فقط، ثم أعلنت الحكومة العراقية في ٩ أغسطس ١٩٩٠م، ضم الكويت للعراق وإلغاء جميع السفارات الدولية في الكويت، إلى جانب اعتبار الكويت المحافظة رقم ١٩ من محافظات العراق.

وكان الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت، وكثيرٌ من وزرائه وأعضاء

(١) «من أسباب الغزو العراقي للكويت»: مدونة أخبار من كل مكان.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

حكومته وأفراد القوات المسلحة الكويتية، قد فرّوا إلى السعودية. لذلك، ردّاً على ما قامت به العراق في الكويت، تشكّلت حكومة كويتية في المنفى في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية؛ حيث يوجد أمير الكويت وولي عهده الشيخ سعد العبد الله الصباح والعديد من الوزراء وأفراد القوات المسلحة الكويتية.

وبعد ساعات من الاجتياح العراقي للكويت طالبت الكويت والولايات المتحدة عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن، وتم تمرير قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ الذي شجب الاجتياح، وطالب بانسحاب العراق من الكويت، وفي ٣ أغسطس عقدت الجامعة العربية اجتماعاً طارئاً، وقامت بنفس الإجراءات، وفي ٦ أغسطس أصدر مجلس الأمن قراراً بفرض عقوبات اقتصادية على العراق.

عملية درع الصحراء

بعد مضي خمسة أيام على غزو الكويت بدأت أمريكا - حسب زعمها - حملة لحماية السعودية من العدوان العراقي، أسميتها بـ «عملية درع الصحراء»، وفي بداية الأمر صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب بأن الهدف من الحملة هو منع القوات العراقية من اجتياح الأراضي السعودية، وتمت المباشرة بهذه العملية بشكل رسمي في ٧ أغسطس، عندما أرسل الرئيس بوش وحدات جوية وبرية إلى السعودية. بدأت القوات الأمريكية بالتدفق إلى السعودية في ٧ أغسطس من عام ١٩٩٠م، وفي اليوم الذي أعلن العراق فيه ضمّه للكويت واعتبارها المحافظة الـ ١٩ وصل حجم الحشد العسكري الأمريكي في السعودية إلى ٥٠٠,٠٠٠ جندي، وتواصل توافد القوات الأمريكية إلى ١٦ يناير ١٩٩١م عندما بدأت عملية عاصفة الصحراء.

وخلال الأشهر الخمسة من عملية درع الصحراء، استطاعت أمريكا تنظيم تحالف عسكري من قوات من ٣٤ دولة، وذلك لاستخدام القوة إذا لزم الأمر من أجل إخراج وطرده العراق من الكويت، ولم ترسل ألمانيا واليابان أية قوات، بل

اكتفت بتقديم إمدادات عسكرية وتمويل مالي، ووصل عدد قوات التحالف أكثر من ٩٥٠ ألف جندي.

صدرت سلسلة من قرارات مجلس الأمن والجامعة العربية، وكانت أهمها قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٧٨ في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٠م الذي حدّد فيه تاريخ ١٥ يناير ١٩٩١م موعدًا نهائيًا للعراق لسحب قواتها من الكويت، وإلا فإن قوات التحالف سوف تستعمل كل الوسائل الضرورية لتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠. وفي ١٢ يناير ١٩٩١م سمح الكونغرس الأمريكي للرئيس بوش بشنّ الحرب ضدّ العراق.

عملية عاصفة الصحراء

في مطلع فجر ١٦ يناير من سنة ١٩٩١م، أي بعد يوم واحد من انتهاء المهلة النهائية التي منحها مجلس الأمن للعراق لسحب قواته من الكويت، شنت طائرات قوات الائتلاف حملة جوية مكثفة وواسعة النطاق شملت العراق كله من الشمال إلى الجنوب، وسُميت بعاصفة الصحراء، وتسمى كذلك حرب الخليج الثانية أو حرب تحرير الكويت، وقامت قوات التحالف خلالها بأكثر من ١٠٠ ألف غارة جوية خلال ٤٣ يومًا، أي بمعدل ٢٥٥٥ غارة يوميًا، واستخدم خلالها أكثر من ٦٠ ألف طن من القنابل، الأمر الذي أدى إلى تدمير الكثير من البنى التحتية للعراق^(١).

وحققت العمليات العسكرية نصرًا هامًا مهّد لقوات التحالف للدخول داخل أجزاء من العراق، وتركز الهجوم البري والجوي على الكويت والعراق وأجزاء من المناطق الحدودية مع السعودية، وقامت القوات العراقية بالرد عن طريق إطلاق عدد من صواريخ سكود على إسرائيل والعاصمة السعودية الرياض.

وفي ٢٣ يناير ١٩٩١م قام العراق بعملية سكب متعمدة لما يقارب من مليون طن من النفط الخام إلى مياه الخليج العربي، وتكوّنت بسبب ذلك أكثر من ١٢٨

(١) «٢٠٩ أيام... كانت الكويت فيها محور العالم كله»: جريدة الرأي الكويتية.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

بقعة نفطية مسببةً أكبر حادث انسكاب نفطي، وقام بإشعال النار في أكثر من ٧٢٧ بئر نفطي كويتي^(١)، مما كان له الأثر المدمر لجميع عناصر البيئة، ولم يقتصر تأثير حرائق الآبار النفطية على الكويت فقط، بل وصل آثار الدخان المرئي إلى اليونان غربًا والصين شرقًا، بل حتى وصلت آثار السحابة الدخانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإن كانت بتركيزات منخفضة.

وفي ٢٦ فبراير سنة ١٩٩١ م بدأ الجيش العراقي بالانسحاب، وتَشكَّل خط طويل من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود على طول المعبر الحدودي الرئيسي بين العراق والكويت، وقصفت قوات التحالف القطع العسكرية المنسحبة من الكويت إلى العراق مما أدَّى إلى تدمير ما يزيد عن ١٥٠٠ عربة عسكرية عراقية، وبالرغم من ضخامة عدد الآليات المدمرة إلا أن عدد الجنود العراقيين الذين قتلوا على هذا الطريق لم يزد عن ٢٠٠ قتيل لأن معظمهم تركوا عرباتهم العسكرية ولاذوا بالفرار، وسُمي هذا الطريق فيما بعد بطريق الموت أو ممر الموت. وفي اليوم التالي، أي ٢٧ فبراير، أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عن تحرير الكويت بعد ١٠٠ ساعة من الحملة البرية.

الخسائر البشرية والاقتصادية والبيئية لحرب الخليج الثانية

دخل العراق الكويت وخرج منها بحرب كانت نتیجتها السيطرة الأمريكية على منطقة الخليج، وتدمير الجيش العراقي، وتدمير البنية التحتية لكل من العراق والكويت. ويُقدَّر الأمريكيون وحلفاؤهم أن الجيش العراقي تكبَّد خسائر تراوحت بين ٦٠ ألفًا إلى ٢٠٠ ألف قتيل^(٢)، وقد دفن قتلى العراق في مقابر جماعية في

(١) «حرب الخليج الثانية «عاصفة الصحراء» ١٩٩١»: مجلة درع الوطن.

(٢) «حروب العراق الثلاثة»: موقع قصة الإسلام.



الصحراء، وهناك تقارير أخرى^(١) تشير إلى أن الخسائر العراقية في المتوسط قد شملت:

■ ما بين ٧٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ قتيل.

■ حوالي ٣٠,٠٠٠ أسير.

■ تدمير ٤٠٠٠ دبابة و ٣١٠٠ قطعة مدفعية و ١٨٥٦ عربة لنقل القوات.

■ تدمير حوالي ٢٤٠ طائرة.

■ لا توجد إحصائيات تحدد مدى حجم الخسائر في صفوف المدنيين، ومعظم التقارير تقدر عدد خسائر المدنيين بين ٢٣٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠، وسبب الاختلاف الواضح في الأعداد يعود إلى اختلاف المعطيات في التقدير، وخاصة أن عددًا كبيرًا من المدنيين تم استعمالهم كدروع بشرية لمنع قوات التحالف من قصف المواقع العسكرية.

■ تدمير بنية العراق التحتية وجيشه وحرسه الجمهوري الذي كان يُعد من أقوى جيوش المنطقة؛ فالأضرار التي لحقت بالبنية التحتية للعراق من مصافي النفط ومولدات الطاقة الكهربائية ومحطات تصفية المياه أدت إلى تدنٍّ هائل في جميع المرافق الاقتصادية والصحية والاجتماعية في العراق. وقد نتج عن الحرب الجوية تدمير ٩٦٪ من مولدات الطاقة الكهربائية لتعيد مستويات إنتاج الكهرباء في العراق لما قبل عام ١٩٢٠ م.

الحصار الأمريكي الجائر على العراق

في ٦ أغسطس ١٩٩٠ م أعلنت الأمم المتحدة قرارها رقم ٦٦١ بفرض

(١) «العراق ما بين مطرقة حرب الخليج وسندان الحرب على الإرهاب»: موقع بوابة العاصمة.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

عقوبات اقتصادية خانقة على العراق لتجبر قيادته، آنذاك على الانسحاب الفوري من الكويت، واستمر الحصار قرابة ١٣ عامًا؛ حيث انتهى عملياً بمقتل صدام حسين وسقوط نظام حزب البعث العربي الاشتراكي سنة ٢٠٠٣م. وقد عانى العراق في هذه الفترة من عزلة شديدة من معظم دول العالم سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً، وأصبح بعدها من أكثر دول المنطقة تأخرًا، وخاصة بعد السنوات التي تلت حرب الخليج الثانية.

وقد عانى العراقيون الأمرين من هذه العقوبات التي حرمتهم من الغذاء والدواء، فضلاً عن كل وسائل التقدم والتكنولوجيا التي وصل إليها العالم في حقبة التسعينات من القرن الماضي، وكان له تأثير كبير شمل جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ فقد أدى إلى ارتفاع نسبة التضخم لتصل إلى ٢٤٠٠٪ في عام ١٩٩٤م، كما أدى إلى هجرة أكثر من ٢٣ ألف باحث وطبيب ومهندس عراقي إثر انخفاض معدلات أجر الفرد إلى أكثر من النصف^(١).

وصاحب الحصار أيضاً ارتفاع معدلات وفيات الأطفال، وسوء التغذية، وانخفاض معدلات التحصيل العلمي، وتعرض أكثر من ٤٥٠٠ طفل عراقي شهرياً للوفاة نتيجة سوء التغذية والأمراض حسب تقديرات اليونسيف^(٢)، وتوفي قرابة مليون ونصف مليون طفل خلال فترة الثلاثة عشر عامًا للحصار^(٣).

وقد ذكرت مقالة منشورة في البي بي سي^(٤) بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٠٠م أنه قبل فرض العقوبات على العراق من قبل الأمم المتحدة في عام ١٩٩٠م كان معدل وفيات الرُّضّع يبلغ ٤٧ لكل ١٠٠٠ ولادة حية بين عامي ١٩٨٤م - ١٩٨٩م،

(١) «لا زلنا ندفع أثمان غزو الكويت»: شبكة الأنباء المعلوماتية.

(٢) «انتهاكات مسندة إلى صدام حسين»: الويكيبيديا العربية.

(٣) «نحو مليون فتاة عراقية تزوجن قبل سن ١٥ عامًا»: مجلة طريق الشعب.

(٤) «Child death rate doubles in Iraq»: BBC News، 25/5/2000.

مقارنة ب ٧ وفيات لكل ١٠٠٠ طفل تقريباً في المملكة المتحدة، وخلصت دراسة قامت بها كلية لندن للصحة والطب الاستوائي^(١) إلى أنه في جنوب ووسط العراق ارتفع معدل وفيات الرُّضّع بين عامي ١٩٩٤م - ١٩٩٩م إلى ١٠٨ وفاة لكل ١٠٠٠ ولادة حية.

لقد كان بالإمكان أن يتجاوز العراق تأثير الحصار لو أن النظام كان جاداً، وذلك بالعمل على زيادة الإنتاج الزراعي، والاستغناء عن الاستيراد، والاكتفاء الذاتي؛ فكلُّ مقومات هذا الاتجاه موجودة من خلال وفرة المياه، وسعة الأراضي الزراعية، ووفرة اليد العاملة الزراعية، ولو فعل ذلك لكان بالإمكان أن يظهر أثر ذلك بعد سنة من الحصار، أي دورة زراعية واحدة، ومن ثمَّ يبدأ العد التنازلي للوصول إلى الاكتفاء الذاتي وتحقيق مستوى متقدّم من الأمن الغذائي.

جرائم صدام حسين

خلال فترة حكم الرئيس صدام حسين حدثت عمليات قتل وإعدامات إما بصورة متقطعة أو عبارة عن حملات اتخذت شكلاً أشبه بالحرب الواسعة، وقد تم تنفيذ القتل المتقطع تطبيقاً لسلسلة من القوانين والأوامر التي أصدرها صدام حسين أو أمر بتنفيذها، وكان القتلى إما معارضين سياسيين حقيقيين، أو مشتبهاً فيهم، أو هاربين من الخدمة العسكرية.

ووفقاً للأرقام التي نشرتها جريدة الشرق الأوسط في ٧ إبريل ٢٠٠٣م^(٢) فقد قُتل ما يزيد على ١٠٠ ألف مواطن عراقي في حملات صدام للقضاء على الثورات التي نشبت في شمال وجنوب العراق بالإضافة إلى ١٨٢ ألف كردي

(١) «Sanctions and childhood mortality in Iraq»: The Lancet• Volume 355• No. 9218• p1851-1857• 27 May 2000.

(٢) «حروب العراق الثلاثة»: موقع قصة الإسلام.



أبيدوا بالأسلحة الكيماوية خلال حملات «الأرض المحروقة». وهناك العديد من الجرائم الشنيعة التي قام بها النظام العراقي بقيادة صدام حسين، ولا تزال عالقة في ذاكرة الشعب العراقي، ونذكر منها ما يلي:

حملة الأنفال

تعتبر حملة الأنفال إحدى عمليات الإبادة الجماعية التي قام بها النظام العراقي السابق برئاسة صدام حسين سنة ١٩٨٨م ضد الأكراد في إقليم كردستان شمالي العراق، وقد أوكلت قيادة الحملة إلى علي حسن المجيد الذي كان يشغل منصب أمين سر مكتب الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي وبمثابة الحاكم العسكري للمنطقة، وكان وزير الدفاع العراقي الأسبق سلطان هاشم القائد العسكري للحملة، وقد اعتبرت الحكومة العراقية آنذاك الأكراد مصدر تهديد لها، وسمّيت الحملة بـ «الأنفال» نسبة للسورة رقم ٨ من القرآن الكريم، و«الأنفال» تعني الغنائم أو الأسلاب، كما ورد في الآية رقم ١١١ من هذه السورة. وقد نتج عن هذه الحملة ما يلي^(١):

■ ذبح وقتل ما يتراوح بين ٥٠ ألف إلى ١٠٠ ألف من المدنيين غير المقاتلين بمن فيهم النساء والأطفال.

■ تدمير حوالي ٤٠٠٠ قرية (من أصل ٤٦٥٥ قرية كردية) في كردستان العراق، بين أبريل ١٩٨٧م وأغسطس ١٩٨٨م، وتعرضت ٢٥٠ مدينة وقرية كردية للأسلحة الكيماوية.

■ تدمير وهدم ١٧٥٤ مدرسة و٢٧٠ مستشفى و٢٤٥٠ مسجدًا و٢٧ كنيسة.

(١) «انتهاكات مسندة إلى صدام حسين»: الويكيبيديا العربية.

الهجوم الكيميائي على حلبجة

حدث الهجوم الكيميائي على حلبجة في الأيام الأخيرة للحرب العراقية الإيرانية، وبالتحديد في يوم ١٦ مارس ١٩٨٨م، حيث كانت مدينة حلبجة آنذاك محتلة من قبل الجيش الإيراني، ويدخل هذا الهجوم في نطاق الإبادة الجماعية ضد قومية معينة وهم الأكراد، وعندما تقدّم الجيش العراقي إلى حلبجة تراجع الإيرانيون، وصرّحت بعض وسائل الإعلام أن الجيش الإيراني غادر في الصباح السابق للهجوم، وقُصفت المدينة بأسلحة كيميائية.

وقد تباينت الاتهامات حول المسؤول عن هذا الهجوم؛ فإدارة المخابرات العسكرية الأمريكية وجّهت الاتهام في البداية إلى إيران، ولكنها بعد فترة أعادت صياغة الأمر على أنه هجوم عراقي على القوات الإيرانية وقوات كردية موالية لإيران وسكان حلبجة أثناء معارك ضارية، ولم تُقدّم إدارة المخابرات العسكرية أيّ دليل يؤكد حدوث القصف من طرف العراقيين.

غير أن صحيفة نيويورك تايمز قد نشرت في ٣١ يناير ٢٠٠٣م^(١) تصريحات لستيفان سي بيليتيري، كبير محللي وكالة الاستخبارات الأمريكية والمتخصّص في الحرب العراقية الإيرانية، أعلن فيها كذب رواية قتل الأكراد بغاز الخردل العراقي، وذلك ردّاً على تصريحات الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بشأن غزو العراق كون صدام حسين قاتل لشعبه بالغاز، حيث أكّد ستيفان أن الاستخبارات الأمريكية قامت فور القصف بالوصول إلى حلبجة وقامت بتحليل دماء المصابين والقتلى، وتوصّلت إلى وجود غاز الخردل العراقي الذي لم يسبب وفيات ضمن المصابين، وأن غاز سيانيد الهيدروجين المستعمل في إيران هو الذي تسبب في قتل سكان المدينة، وأكد ستيفان أن القصف العراقي كان ضمن عملية عسكرية موجهة ضد

(١) «انتهاكات مسندة إلى صدام حسين»: الويكيبيديا العربية.



الإيرانيين وليس ضد سكان المدينة الذين وقعوا ضحية الاشتباك بين الطرفين.

إضافة إلى ذلك اتهم طارق عزيز إيران باستخدامها السلاح الكيميائي في قصف حلبجة، وقال بأن العراق لم يستخدم السلاح الكيميائي في قصف حلبجة، واستشهد بما ورد في تقرير معهد الدفاع التابع للبتاغون الأمريكي الذي أكد أن إيران هي المسؤولة عن قصف حلبجة بالسلاح الكيميائي وليس الجيش العراقي، وكشف عزيز في شهادته الاتفاق الأمني الذي تم بين تركيا والعراق، والذي يسمح بوجود شكل من أشكال الأحزمة الأمنية في شمال العراق، كما أكد أنه التقى في عام ١٩٩١م مع وفد كردي يرأسه جلال الطالباني الذي لم يذكر المجازر أو عمليات القصف بالسلاح الكيميائي. وأكد عزيز أن التقرير يشير إلى أن السلاح الذي استخدمه العراق في تلك الفترة هو غاز الخردل وهو لا يؤدي إلى الوفاة وأن نسبة الوفاة الناجمة عن استخدام هذا الغاز لا تتعدى نسبة ٢٪، بينما معظم الوفيات حدثت نتيجة للتعرض لغاز السيانيد الذي كانت تمتلكه إيران وقتها ولا يمتلكه العراق.

وبغض النظر عن المسؤول عن الهجوم، فقد أشارت التكهّنات إلى مقتل ما بين ٣٢٠٠ إلى ٥٠٠٠ شخص كنتيجة مباشرة وغير مباشرة للقصف، وإصابة ما بين ٧٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ من المدنيين^(١)، ويذكر بعض الكتّاب الأكراد موت الآلاف من سكان البلدة في السنوات التي تلت الهجوم نتيجة للمضاعفات الصحية والأمراض والعيوب الخلقية التي خلفها الهجوم.

تجفيف أهوار العراق

الأهوار عبارة عن مجموعة من الأراضي الرطبة أو المسطحات المائية الخلابة

(١) «انتهاكات مسندة إلى صدام حسين»: الويكيبيديا العربية.

يغذيها أساسًا نهرا دجلة والفرات، وتمتد في جنوب العراق على شكل مثلث بين مدن العمارة بمحافظة ميسان والناصرية بمحافظة ذي قار والبصرة بالمحافظة ذاتها. وبعد انسحاب الجيش العراقي من الكويت، وتدمير آلياته من قبل القوات الأمريكية، بدأت انتفاضة من مدن جنوب العراق، وتحديداً مدينة البصرة، الأمر الذي اضطر الجنود العراقيين للعودة إلى العراق سيراً على الأقدام.

وعلى إثر هذا بدأ الآلاف من المدنيين والجنود الهاربين والثوار بالهرب من بطش السلطة؛ حيث هربوا إلى الأهوار الواقعة في جنوب العراق مثل هور الحويزة وهور الحمار وغيرها، وحينها وقعت عمليات انتقام واسعة من قبل قوات الحرس الجمهوري والجيش العراقي ضد الثوار الهاربين إلى الأهوار، وتم أيضاً تجفيف أهوار العراق من خلال تحويل تدفق نهري دجلة والفرات بعيداً عن الأهوار، مع نقل إجباري للسكان المحليين إلى مناطق أخرى، بالإضافة إلى إعدام وقتل الآلاف من الثوار الهاربين، حيث قال كلاوس توبفر (المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة) عن جريمة تجفيف الأهوار أنها «كارثة بيئية كبرى ستبقى في ذاكرة الإنسانية كواحدة من أسوأ الكوارث البيئية التي سببها إنسان»^(١).

تجريف الأراضي الزراعية

الدجيل مدينة بها عدد كبير من السكان الشيعة يصل إلى ٧٥ ألف نسمة وقت الحادث، وكانت معقل حزب الدعوة الشيوعي الذي شارك في التمرد المدعوم من إيران ضد صدام حسين خلال حرب العراق وإيران. وفي ٨ يوليو ١٩٨٢م زار صدام حسين مدينة الدجيل لإلقاء خطاب يشيد فيه بالمجندين المحليين الذين خدموا العراق في الحرب ضد إيران، وبعد الانتهاء من خطابه استعد للعودة إلى

(١) «الانتفاضة الشعبانية»: موقع المعرفة.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

بغداد، وعند ظهور موكبه على الطريق الرئيسي، أطلق ما يزيد عن عشرة مسلحين كانوا متخفين في بساتين النخيل التي تصطف على جانبي الطريق النار عليه، مما أسفر عن مقتل اثنين من حرس صدام حسين قبل أن يفرا هاربين عدواً، ثم أعقب ذلك اشتباكات بالنيران لمدة أربع ساعات حيث قتل معظم المهاجمين وألقي القبض على العديد منهم.

وبعد محاولة الاغتيال أصدر صدام حسين أوامره بجمع المشتبه فيهم من أعضاء حزب الدعوة، ثم أمر بتدمير وتجريف ما يقارب ١٠٠٠ كم^٢ من الأراضي الزراعية والبساتين المثمرة من الطريق من قضاء بلد إلى الدجيل لمنع تكرار مثل هذه المحاولات، وفي أواخر ديسمبر تم اعتقال ٣٩٣ من الرجال فوق سن ١٩ عامًا و٣٩٤ من النساء والأطفال من الدجيل ومدينة بلد القرية. وفي ١٤ يونيو ١٩٨٤م، أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام الإلزامي على ١٤٨ من المعتقلين الذين أذلوا باعترافاتهم تجاه قضية الاغتيال، وفي ٢٣ يوليو وقع صدام حسين أوراق المحكمة بالموافقة على الإعدام، وأمر بتدمير المنازل والمباني وأشجار النخيل وبساتين الفاكهة التي يمتلكها المدانون^(١).

الغزو الأمريكي للعراق

منذ انتهاء الحرب الباردة، أصبحت القوات الأمريكية تظهر في المنطقة بين الحين والآخر، إما كجزء من مهمة سلام مشتركة (كما في لبنان في الأعوام ١٩٨٢م - ١٩٨٣م) أو لإنقاذ وحماية حكومات عربية من جيران أعداء (كما في الكويت والسعودية في الأعوام ١٩٩٠م - ١٩٩١م)، ولكن الكثيرين في العالم العربي والإسلامي كانوا يرون هذه الأنشطة على أنها إمبريالية أمريكية صارخة الواضح^(٢).

(١) «مجزرة الدجيل»: الويكيبيديا العربية.

(٢) «العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حراً أخيراً؟»: برنارد لويس.



وبعد انتهاء حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١ م استمرت العلاقات المتوترة بين العراق من جهة وأمريكا وبريطانيا والأمم المتحدة من جهة أخرى، وبدأ الائتلاف القوي الذي أخرج الجيش العراقي من الكويت بالتصدّع، ولم يكن من السهولة إصدار قرارات ضد العراق في مجلس الأمن بالإجماع كما كان الحال في عام ١٩٩١ م. وأثناء ولاية الرئيس الأمريكي بيل كلنتون استمرت الطائرات الأمريكية في مراقبتها لمنطقة حظر الطيران وأصدرت الإدارة الأمريكية في أكتوبر ١٩٩٨ م «قانون تحرير العراق» الذي كان عبارة عن منح ٩٧ مليون دولار لقوى «المعارضة الديمقراطية العراقية»، وكان بيل كلنتون متفقاً مع رئيس الوزراء البريطاني توني بليز بأن أيّ عملية عسكرية واسعة النطاق سوف تكون غير مبررة في تلك الظروف، ولكن بعد مجيء الحزب الجمهوري الأمريكي بقيادة بوش الابن، ووقوع أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م، وإدراج اسم العراق في «محور الشر»، بدأت الجهود الدبلوماسية الأمريكية بالتحرك للإطاحة بحكومة صدام حسين من خلال دعم أحمد الجلبي وحزب المؤتمر الوطني العراقي، واطمأن العدو الأمريكي إلى أن احتلال العراق أصبح مُيسراً، وذلك لعدة معطيات، منها:

■ فقدان النظام للقاعدة الشعبية التي يمكن أن تلتف حوله لو أراد المقاومة حقاً، ولا يعني ذلك أن العراقيين فقدوا روح المقاومة.

■ انتزاع روح التحدي والمقاومة لدى الجندي العراقي، وذلك بما مورس عليه من إفقار وإذلال، وكذلك ظهور ظاهرة الهروب من الجيش ولسنوات عدة دون ملاحقة لهم من قبل أجهزة الدولة المختصة.

■ تدمير المؤسسة العسكرية في حربَي الخليج الأولى والثانية، حتى صار سلاح الجيش لا يعني شيئاً أمام الآلة العسكرية الأمريكية.

■ صنف العدو الأمريكي الشعب العراقي إلى ثلاث فئات: السُنّة، الشيعة،



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

والأكراد، وحاول من خلال وسائل الإعلام إعطاء صورة أن السُنّة هم النظام، وأن كل ما ارتكبه النظام بحق العراقيين - ويقصد بهم الأكراد والشيعة - هو مسؤولية السُنّة، فضلاً عن لعبة الأكراد والأقلية وقلب حقيقة هذه النسب، وأما الأكراد فقد حُيّدوا منذ انتهاء حرب الكويت عام ١٩٩١م.

بدأت عملية غزو العراق في ٢٠ مارس ٢٠٠٣م من قبل ائتلاف تقوده أمريكا، وقد حاولت أمريكا وبريطانيا قبيل بدء الحملة العسكرية الحصول على تشريع دولي للحملة العسكرية من خلال الأمم المتحدة، ولكن هذه المحاولات فشلت، ولذلك شكّلت القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية ٩٨٪ من هذا الائتلاف الذي بلغ تعدادة أكثر من ٣٠٠ ألف جندي.

وعندما أصدر مجلس الأمن قراره رقم (١٤٤١) الذي دعى فيه إلى عودة قوات التفيتش الدولية، وحذّر العراق من «عواقب وخيمة» في حالة عدم تعاونه مع هذه الفرق، لم يكن ذلك مبرراً لاستخدام القوة العسكرية، وقد صرّح السكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان بعد سقوط بغداد أن الغزو كان منافياً لدستور الأمم المتحدة، ويرى الكثيرون أن هذا الغزو كان مخالفاً للبند الرابع من المادة الثانية من القانون الدولي الذي ينص على أنه «لا يحق لدولة عضو في الأمم المتحدة من تهديد أو استعمال القوة ضد دولة ذات سيادة لأغراض غير أغراض الدفاع عن النفس».

وقد كان من أهم مبررات بوش الابن لإقناع الحكومة الأمريكية بالسماح له بشنّ هذه الحرب عدم انصياع صدام حسين لقرارات الأمم المتحدة بشأن إزالة أسلحة التدمير الشامل، ومواصلتها لامتلاك هذه الأسلحة، وعدم التعاون مع فرق التفيتش الدولية للكشف عن أماكن هذه الأسلحة وتدميرها.

وقد تبين لاحقاً أن غزو العراق قد تم التخطيط له قبل وقوع أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ حيث قام دك تشيني ودونالد رامسفيلد وپول ولفويتس في سبتمبر ٢٠٠٠م، أي قبل عام من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، بكتابة مذكرة تحت عنوان «إعادة بناء القدرات الدفاعية للولايات المتحدة»، وقد ورد في هذه المذكرة أنه بالرغم من الخلافات مع نظام صدام حسين والذي يستدعي وجوداً أمريكياً في منطقة الخليج العربي إلا أن أهمية وأسباب الوجود الأمريكي في المنطقة يفوق بقاء صدام حسين في السلطة^(١). وقد صرح وزير الخزانة الأمريكي الأسبق (بول أونيل) في كتابه (ثمن الولاء): «إن قرار الغزو اتخذته الإدارة الأمريكية قبل ضربات القاعدة»^(٢). إذن، لم يكن ضرب العراق تأدياً لها لامتلاكها أسلحة الدمار الشامل - كما يزعم بوش-، ولا لارتباطها بتنظيم القاعدة، وإنما هناك أسباب أخرى غير معلنة دعت لهذا الغزو الهمجي من «دولة الحضارة والحرية والديمقراطية».

وقد انضمت لأمريكا وبريطانيا نحو عشرين دولة، إضافة لقوى المعارضة العراقية، كقوات البشمركة التابعة للحزبين الرئيسيين بكردستان العراق بزعامة جلال طالباني ومسعود البارزاني، والتنظيمات المقيمة بالمهجر مثل الأحزاب الشيعية اللاجئة بإيران كحزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحركات أخرى وشخصيات تعيش في الغرب يأتي في طليعتها أحمد جليبي الذي لعب دوراً كبيراً في حيك خيوط عملية الغزو.

وقد بدأت تظاهرات مناهضة للحرب في معظم الدول العربية، وأعلن وزير الخارجية السعودية أن بلاده لن تسمح باستخدام قواعدها للهجوم على العراق، ورفض البرلمان التركي الشيء نفسه، وأعربت الجامعة العربية ودول الاتحاد

(١) «الغزو الأمريكي للعراق»: موقع المعرفة.

(٢) «بشائر الهزيمة الأمريكية وتحديات ما بعد أمريكا»: عبد العزيز مصطفى كامل.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الأفريقي معارضتها لغزو العراق. كذلك، فقد كانت هناك احتجاجات عالمية، بما في ذلك حشد من ثلاثة ملايين شخص في روما، وهي المذكورة في كتاب غينيس للأرقام القياسية باعتبارها أكبر مسيرة مناهضة للحرب، وقد شارك في الفترة من ٣ يناير إلى ١٢ أبريل ٢٠٠٣ م ما يزيد عن ٣٦ مليون شخص في جميع أنحاء العالم في ما يقارب ٣٠٠٠ احتجاج ضد الحرب على العراق^(١).

كان الغزو سريعاً بالفعل؛ فبعد حوالي ثلاثة أسابيع سقطت الحكومة العراقية، وخوفاً من تكرار ما حدث في حرب الخليج الثانية من قيام صدام بإشعال النيران في حقول النفط، قامت القوات البريطانية بإحكام سيطرتها على حقول نفط الرميلا وأم قصر والفاو بمساعدة القوات الأسترالية، وتوغّلت الدبابات الأمريكية في الصحراء العراقية متجاوزة المدن الرئيسية في طريقها تجنّباً منها لحرب المدن.

وفي هذه الأثناء قامت مجموعة من القوات الخاصة الأمريكية بإنزال بالمظلات في شمال العراق لأن البرلمان التركي لم يسمح باستعمال الأراضي التركية لدخول العراق، وقامت هذه القوات الخاصة وبإسناد من القوة الجوية الأمريكية ودعم معلوماتي من الأحزاب الكردية بدك معاقل حزب أنصار الإسلام.

وبعد ثلاثة أسابيع من بداية الحملة، بدأت القوات الأمريكية تحركها نحو بغداد، وفي ٥ أبريل قامت مجموعة من المدرعات الأمريكية بشنّ هجوم على مطار بغداد، وقوبلت بمقاومة شديدة من قبل وحدات الجيش العراقي التي كانت تدافع عن المطار، وفي ٧ أبريل قامت قوة مدرعة أخرى بشنّ هجوم على القصر الجمهوري، واستطاعت من تثبيت موطئ قدم لها في القصر، وبعد ساعات من هذا حدث انهيار كامل لمقاومة الجيش العراقي لأسباب لا تزال محط جدل؛ إذ إن هناك

(١) «غزو العراق»: الويكيبيديا العربية.

من يقول بأن قيادات الجيش الأمريكي تمكنت من إبرام صفقات مع بعض قيادات الجيش العراقي الذي اضمحل فجأة بعد أن كان الجميع يتوقعون معارك عنيفة في شوارع بغداد.

وقبض على الرئيس الأسبق صدام (بحسب ما ذكرت السلطات الأمريكية) بتاريخ ٦ ديسمبر عام ٢٠٠٣م، قرب تكريت بعملية سميت بالفجر الأحمر، وتمت عملية الإعدام في مقر الشعبة الخامسة في منطقة الكاظمية ببغداد. وقد سقطت بغداد في ٩ أبريل، ثم دخلت القوات الأمريكية مدينة كركوك في ١٠ أبريل وتكرت في ١٥ أبريل. وحسب إحصاءات ١٢ يناير ٢٠٠٧م فإن عدد القتلى من المدنيين في هذا الغزو لا تقل عن ١٠٠,٠٠٠ قتيل^(١).

في أوائل ٢٠٠٤م تفجرت فضيحة سجن أبو غريب من قبل الأمريكان، وفي حزيران ٢٠٠٤م انتقلت السلطة إلى الحكومة العراقية المؤقتة ليكون غازي عجيل الياور أول رئيس للعراق بعد الاحتلال، وتنصيب إياد علاوي رئيساً للوزراء، ثم انتخبت حكومة دائمة في تشرين الأول عام ٢٠٠٥م، وأصبح إبراهيم الجعفري رئيساً لوزراء العراق.

استمرت عمليات الغزو من بدايته وحتى احتلال بغداد ١٩ يوماً، واجهت فيها القوات الغازية مقاومة من الجيش العراقي الذي كان يقاتل دون غطاء جوي، وقد وصل عدد الجنود الأمريكيين ذروته في عام ٢٠٠٧م بانتشار ١٧٠ ألف جندي لـ «توفير» الأمن ومواجهة عمليات المقاومة العراقية المسلحة، ثم بقي منهم حوالي خمسين ألفاً إلى أن انتهت العمليات القتالية في أغسطس ٢٠١٠م^(٢). وفي ١٨ ديسمبر ٢٠١١م، أعلنت أمريكا أن جيشها أكمل انسحابه من العراق في ذلك اليوم.

(١) «الغزو الأمريكي للعراق»: موقع المعرفة.

(٢) «الغزو الأمريكي للعراق.. مبررات واهية ونتائج كارثية»: قناة الجزيرة.



تبريرات احتلال العراق

رغم أن أمريكا حاولت أن تُهيّج الرأي العالمي ضد الإسلام والمسلمين، بعد أن ضُربت مصالحها في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ورغم أنها تدّعي أن تنظيم القاعدة هو الضالع في هذه التفجيرات، وأن صدام حسين متورط في هذه التفجيرات أيضًا، وأن له علاقات مع تنظيم القاعدة، غير أن الواقع يقول عكس ذلك، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]؛ فأمريكا كانت تخطط لاحتلال مناطق العالم الإسلامي - وخاصة منطقة الشرق الأوسط - منذ أمد، وذلك لمواقعها الاستراتيجية و ثرواتها الطبيعية.

ورغم ذريعة أسلحة الدمار الشامل المعلنة فإن أسبابًا أخرى مختلفة (سياسية واقتصادية وحتى حضارية) ظلت قيد التناول في وسائل الإعلام العالمية وأروقة السياسة الدولية، وأصبح بعضها أكثر إقناعًا للمراقبين انطلاقًا من سير الأحداث ومآلات الحرب وتكشف أسرار تحضيراتها.

إن من الأهداف الحقيقية للغزو هي ضمان عدم حصول أزمة وقود في الولايات المتحدة وذلك بسيطرتها بصورة غير مباشرة على النفط العراقي، وقد قال «توماس فريدمان» في مقالة له عام ٢٠٠٣م نشرتها جريدة «هيرالد تريبيون»: «إن النفط هو أحد أسباب الإعداد للحرب ضد العراق، وإذا حاول أي شخص أن يقنعنا بغير ذلك فإنه قطعًا لا يحترم عقولنا»، وهو يشير إلى الدراسات التي تؤكد أن العراق يملك أكثر من ٢٠٠ مليار برميل كاحتياط نفطي، أو ما يعادل ١٥٪ من احتياطي نفط العالم، مع العلم أن احتياطي أمريكا من النفط لا يمثل سوى ٢٪ من احتياطي العالم^(١).

وقد تحدثت تقارير عديدة عن التحريض على غزو العراق من طرف مسؤولي

(١) «صناعة وتسويق الحرب ضد العراق»: مهند العزاوي.

شركات نفط أمريكية كبيرة، من بينها مثلاً مجموعة هاليبيرتون النفطية التي كان ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي آنذاك يتولى إدارتها حتى عام ٢٠٠٠م^(١). وأكدت وثائق سرية حكومية بريطانية وجود علاقة قوية بين عملية غزو العراق واتفاقيات مع كبريات الشركات النفطية العالمية، وخاصة البريطانية منها مثل «شل» و«بي بي» و«بي جي» قبل عام من تاريخ غزو العراق^(٢).

ومن غير المستغرب أن يكون للصهاينة ضلع كبير في الحروب التي تشنها أمريكا على بلدان العالم الإسلامي، وفي هذا تقول صحيفة (إيكونوميست) الأمريكية في مقالة لها بتاريخ ٢٧/٩/٢٠٠٧م: «منذ صدور بروتوكولات حكماء صهيون خلال القرن التاسع عشر، عمل اليهود على تمرير خدع كبيرة للحروب لا داعي لها، وهذا هو السبب الذي دعا اثنين من الأكاديميين الأمريكيين - هما جون ميرشيمر وستيفن والت - إلى نشر مقالة في مارس ٢٠٠٦م، تسببت في غضب كبير؛ إذ قالوا: إن النشاطات المحرجة لإسرائيل ومؤيديها تسببت بغزو أمريكا للعراق، وجورج بوش وديك تشيني ودونالد رامسفيلد الذين يعتقد الكثيرون أنهم يعملون لصالح أمريكا، إلا أنهم في الواقع يعملون لصالح إسرائيل»^(٣). وتضيف الصحيفة: «إن هذا يعني أن أبناء أمريكا يموتون في العراق لمصلحة إسرائيل». لذلك فإن تأمين مستقبل الكيان الصهيوني من تهديدات أطلقها صدام عندما قال: «سأحرق نصف إسرائيل»، قد يكون من الأسباب الرئيسية لغزو العراق.

وهناك من يرى أن تخطيط أمريكا لغزو العراق لم يهدف فقط للحصول على النفط أو للتمركز العسكري في الشرق الأوسط، ولكن أيضاً الرغبة في عمل دراسة على أرض الواقع ومن ثم وضع ترتيبات مستقبلية عن إمكانية بدء مخطط آخر لنشر

(١) «الغزو الأمريكي للعراق.. مبررات واهية ونتائج كارثية»: قناة الجزيرة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الإعلام الأمريكي والغربي.. والاعترافُ بالهزيمة في العراق»: عمر حميدان.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الفوضى في العالم، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، بحيث يبدأ تنفيذ المخطط من الأراضي العراقية، وذلك لفرض النفوذ الصهيوني الأمريكي من خلال ظهور جماعة إرهابية قوية في مجتمع مزقته الحرب والخلافات الطائفية التي ازدادت أثناء فترة الغزو، وقد حققت أمريكا ذلك من خلال تنظيم داعش^(١).

ولكن أمريكا تريد أن تبقى على أرض العراق تنفيذًا لمشروع بوش الأب عن (إمبراطورية القرن الحادي والعشرين)، واختيار «الشرق الأوسط» ليكون ساحة ابتدائية لتنفيذه، واختيار العراق ليكون نقطة انطلاق للوصول إليه^(٢). واستراتيجية العراق موقعًا ومساحة وثروة تدعم مشروع بوش الأب؛

✓ فالموقع: يُمكنها من إيجاد قوة فاعلة على أرض العراق قادرة على شلّ إيران، وإخضاع دول الخليج، والتحكّم بمسارات السياسة لكل من سوريا والأردن ولبنان، وسرعة نجدة إسرائيل إذا اقتضى الأمر.

✓ واتساع مساحة العراق يضمن إقامة قواعد بعيدة عن مناطق السكن مما يخفف من ردود فعل الشارع العراقي.

✓ وثروات العراق تُمكن أمريكا من الإنفاق إلى حدّ كبير على مشاريعها في المنطقة.

✓ وبتحكمها بنفط العراق ودول الخليج العربي تستطيع أن تؤثر على القرار السياسي الدولي، وخاصة في القارة الأوروبية واليابان.

ومن الأسباب الأخرى للغزو الأمريكي للعراق الهيمنة على سوق النفط العالمية ودعم الدولار الأمريكي؛ حيث إن صدام حسين كان قد اتخذ قرارًا عام

(١) «داعش.. صناعة صهيونية – أمريكية بمباركة أوروبية»: عمرو محرم.

(٢) «بشائر الهزيمة الأمريكية وتحديات ما بعد أمريكا»: عبد العزيز مصطفى كامل.

٢٠٠٠م باستعمال اليورو كعملة وحيدة لشراء النفط العراقي، وأيضاً لضمان عدم حصول أزمة وقود في الولايات المتحدة بسيطرتها بصورة غير مباشرة على ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم لتحقيق المصالح الشخصية لبعض شركات الأعمال والدفاع الكبرى في الولايات المتحدة.

ومن المبررات التي رُوِّجت لها أمريكا في فترة الغزو والسنوات التي أعقبتها أنها جاءت لإزالة أسلحة الدمار الشامل، ولكنه بعد سقوط بغداد قام الرئيس الأمريكي بإرسال فريق تفتيش برئاسة ديفيد كي الذي كتب تقريراً سلّمه إلى الرئيس الأمريكي في ٣ أكتوبر ٢٠٠٣ نص فيه أنه لم يتم العثور على أي أثر لأسلحة دمار شامل عراقية. وعندما انتقد بيل كلنتون ما قام به بوش من تسرّعه في غزو العراق، رد بوش قائلاً: «حتى لو كنت أعرف قبل الحرب ما أعرفه الآن من عدم وجود أسلحة محظورة في العراق فإني كنت سأقوم بدخول العراق»^(١).

وقد كشفت أمريكا القناع عن وجهها القبيح حينما أصدر بول بريمر - الحاكم المدني في العراق - في ١٩/٩/٢٠٠٣م الأمر رقم ٣٩ سيء الصيت، أعلن فيه أن ٢٠٠ شركة عراقية مملوكة للدولة سوف تُخصّص؛ وأن المشروعات الأجنبية تستطيع الاحتفاظ بـ ١٠٠٪ من ملكية البنوك، والمناجم، والمصانع العراقية؛ وسمح لهذه الشركات أن تنقل ١٠٠٪ من أرباحها إلى خارج العراق^(٢). وكما نرى فلا يمكن لقرار مثل هذا أن يكون خطوة نحو إزالة أسلحة الدمار الشامل التي تدّعيها أمريكا، أو أن يكون تأديباً للعراق لعلاقته بأحداث ١١ سبتمبر، وهذا ما فهمته صحيفة «الإيكونوميست» حين قالت بأن «الأحكام الجديدة حلمٌ رأسماليّ». نعم إنه الحلم الرأسمالي - أضف إليه الحلم الصليبي - اللذان لا ينفكان عن كونهما

(١) «الغزو الأمريكي للعراق»: موقع المعرفة.

(٢) «العراق ليست ممتلكات أمريكية حتى تباع»: نعومي كلاين.



صفة بارزة للحضارة الأمريكية، وهي في حقيقتها أحلام النهب والسلب والقتل.

ويقول نعومي كلاين - الكاتب في صحيفة الجارديان - تعقياً على هذا القرار الظالم: «فحتى لو كانت عملية بيع العراق تتم بالشفافية الكاملة والمناقصات العامة المفتوحة، سوف تبقى مع هذا فعلاً غير قانوني لنفس السبب البسيط وهو أن العراق ليست من ممتلكات أمريكا حتى تباعها»^(١). ويقول بعد ذلك: «فات أوان إيقاف الحرب، ولكن ما يزال أمامنا الوقت لنسحب أكايليل الغار التي يريد غزاة العراق ارتدائها في شكل مغنم اقتصادية وهي التي جعلتهم يذهبون إلى الحرب لجمعها في المقام الأول».

وفيما يبدو أن أمريكا لن ترح الأراضى العراقية طوعياً، حيث ألمح الرئيس الأمريكي المنتخب باراك أوباما في خطابه بتاريخ ٢٧/٢/٢٠٠٩م أن القوات الأمريكية ستبقى في قواعدها في العراق لتدريب وتقديم الاستشارات لقوات الأمن العراقية، وللقيام بعمليات ضد الإرهاب، ولحماية المصالح الأمريكية في العراق^(٢). كذلك، فقد قامت أمريكا بترسيخ أقدامها على أرض العراق، بطريقة تتناسب وجعل العراق مركزاً إقليمياً للإمبراطورية الأمريكية في الشرق الأوسط، والذي من خلاله تستطيع أن تمُدَّ أذرعها لتطال كافة بلدان العالم الإسلامي. ومن الشواهد الحية بناء أكبر سفارة أمريكية في العالم تضم أكثر من ٤٠٠٠ موظف، وإنشاء ٥٨ قاعدة عسكرية أمريكية محصنة دائمة في عموم العراق.

وليس من سبيل لتخليص العراق من هذا الورم الخبيث إلا باستئصاله من خلال المقاومة الباسلة، ولا ريب أن نجاح المقاومة العراقية قد أدى إلى تفكيك التحالف الدولي المتعاون مع الأمريكيين، بإجبار العديد من الدول على سحب قواتها أو

(١) المصدر السابق.

(٢) «بداية مرحلة جديدة من الاحتلال الأمريكي في العراق»: علي العبادي.

الشروع في ذلك، فانسحبت أكثر من ١٥ دولة من التحالف، وهو ما تسبب في ردع دول أخرى كانت ترتب لإرسال قوات مساعدة^(١). كذلك، فالمقاومة تكلف المحتل تكاليف باهظة، حيث بلغت نفقات أمريكا على حرب العراق حتى شهر سبتمبر ٢٠٠٥م ما يصل إلى ٧٠٠ مليار دولار في أقل من ثلاث سنوات فقط، في حين أن حرب فيتنام بكاملها التي استمرت ١٨ سنة كلفت الاقتصاد الأمريكي ٦٠٠ مليار دولار^(٢). والرئيس أوباما يقولها بصريح العبارة: «لا يمكننا الإبقاء على التزامنا إلى ما لا نهاية لأنه يجهد جيشنا، وسيكلف الأمريكيين حوالي تريليون دولار»^(٣).

نَضِرًا عَلَيْهِ مِنَ الْجَلَالِ بَرُودُ^(٤)
مَا لَاحَ صَبْحُ أَوْ شِدَا غَرِيدُ
تَسْعَى بِهِ بَعْدَ الْبُرُوقِ رَعُودُ
أَيُّ الْكِتَابِ الزُّهْرُ وَالتَّمْجِيدُ
تَهْدِيهِ فَهُوَ مَبَارَكٌ وَسَدِيدُ
يَمْتَدُّ لَا أَفْقٌ لَهُ وَحُدُودُ
وَصَهِيلُ خَيْلٍ قَدْ عَدَتْ وَبُنُودُ
لَكِنَّهُ لِلْمَعْتَدِينَ لُحُودُ
إِلَّا حَلَفْتُ بِأَنَّهُ سَيَعُودُ
يَعْلُو وَيَقْتَحِمُ الدُّنَى وَيَرُودُ

أَبْشُرُ عِرَاقٌ فَإِنْ مَجْدُكَ رَاجِعُ
وَالْمَجْدُ أَنْتَ وَأَنْتَ عِنَاؤُ لَهْ
هُوَ قَادِمٌ إِنِّي لَأَسْمَعُ خَطْوَهُ
فِي سَيْفِهِ وَجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ
وَعَنَايَةُ الرَّحْمَنِ جَلْ جَلَالِهِ
سَيَكُونُ مَجْدُكَ يَا عِرَاقُ بِظِلِّهِ
إِنَّ الْعِرَاقَ حَضَارَةٌ وَرِيَادَةٌ
هُوَ رَوْضَةٌ لِلطَّيْبِينَ حَفِيَّةٌ
مَا مَرَّ خَطْبٌ أَوْ عَرْتُهُ شِدَّةٌ
وَهُوَ الْمَظْفَرُ رَايَةٌ وَمَكَانَةٌ

آثار الغزو الأمريكي على العراق

وبالنسبة لعواقب الغزو الأمريكي على العراق؛ فقد نشرت مجلة لانسيت دراسة

(١) «بشائر الهزيمة الأمريكية وتحديات ما بعد أمريكا»: عبد العزيز مصطفى كامل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «بداية مرحلة جديدة من الاحتلال الأمريكي في العراق»: علي العبادي.

(٤) من قصيدة بعنوان «قل للعراق» للدكتور حيدر غدير.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

في ٢٠٠٦م^(١) قارنت فيها بين معدلات النمو السكاني في العراق في مرحلتي ما قبل الغزو وما بعده، وخلصت إلى القول بأن هناك ٦٥٥ ألف حالة وفاة إضافية منذ بدء الحرب على العراق في ٢٠٠٣م.

بعد ٩ أبريل ٢٠٠٣م بدأت عمليات سلب ونهب واسعة النطاق في بغداد وبعض المدن الأخرى، وقد نقلت هذه العمليات للعالم كله عبر شاشات التلفاز؛ حيث قام الجيش الأمريكي بحماية مباني وزارتي النفط والداخلية فقط، ومن ضمنها المخابرات العراقية، وبقيت المؤسسات الأخرى كالبنوك ومشاجب الأسلحة والمنشآت النووية والمستشفيات بدون أي حماية، وعزت قيادات الجيش الأمريكي ذلك إلى عدم توفر العدد الكافي لجنودها لحماية المواقع الأخرى.

ومن الأماكن التي تعرضت إلى النهب والسلب وتركت جروحاً عميقة في ذاكرة العراقيين سرقة المتحف الوطني العراقي؛ حيث سرق من المتحف أكثر من ١٧٠ ألف قطعة أثرية، وكانت بعض هذه القطع من الضخامة في الحجم ما يستحيل سرقته من قبل أفراد عاديين، وبرزت شكوك على أن تكون هذه السرقة بالذات منظمة. ومن السرقات التي حصلت وكان لها دور بارز في الأوضاع السياسية في العراق بعد ٩ أبريل ٢٠٠٣م، سرقة آلاف الأطنان من الذخيرة الحربية من معسكرات الجيش العراقي، وسرقة مركز للأبحاث النووية في التويثة والتي كانت تحتوي على ١٠٠ طن من اليورانيوم، حيث قامت شاحنات بنقل محتويات هذا المركز إلى جهات مجهولة.

أَخَانُكَ الْمَجْدُ أَمْ أَوْدَتْ بِكَ الْمَضَادُ
أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ رَجْزًا لَا مَرَدَّ لَهُ
أَمْ كَادَ مِنْ حَوْلِنَا بِالْأَشْرِ أَوْغَادُ^(٢)
وَشَعَبُنَا غَارِقٌ فِي اللَّهْوِ مَعْتَادُ

(١) «الغزو الأمريكي للعراق.. مبررات واهية ونتائج كارثية»: قناة الجزيرة.

(٢) من قصيدة منسوبة لشاعر يُدعى (ابن المقفع).



فأحرق الأرض لا يلوي على أحد
أنت الذي بالأمس نعرفه
أنت الذي تأبى كرامته
أصبحت في حالة جرباء مزرية
أصبحت في حالة تبكي السماء لها
رمتك ألف يد بالسوء طامعة
جحافل الروم قد عاثت بأمتنا
وأصبح الدين إرهاباً ومثلبة
والمسلمون على خير وفي دعة
فمن لنا بعلي يوم خيبره؟
وأين منا صلاح الدين يصلحها؟
وهل سنبقى عبيداً لا خلاص لنا

فليس يمنعه صد وإخماد
خلاصة الحسن تتلى عنه أورا
أن يستحيل ركاماً بات يزداد
فكيف تصفو لقومي الآن أعياد
أأنت أنت الذي أهله أسياد؟
وغالك القوم زهاداً وحساد
ويستبيح حماها الآن موساد
وغاب عن عالمي المجنون إرشاد
رعاهم الله نؤام ورقاد
وأين منا المثني؟ أين مقداد؟
وأين منا حماة الدين رؤاد؟
يلف أرواحنا خزي وأصفاد؟

جرائم ومخازي نوري المالكي

كان نوري المالكي قيادياً في حزب الدعوة ومسؤولاً عن الجناح العسكري فيه إبان الحرب العراقية الإيرانية، وقد أشرف على عدة عمليات إجرامية تخريبية نفذتها زمر من حزب الدعوة العميل لإيران داخل العراق خلال الحرب ضد المدنيين والقوات المسلحة العراقية. وقد انضم إلى صفوف حزب الدعوة في عام ١٩٦٨م، ثم تولى رئاسة اللجنة الجهادية للحزب في الخارج، وهي التي خططت لضرب المصالح العراقية في الداخل والخارج، وانتهاء بما يتعلق بحقبة حكمه في العراق.

وقد ساهمت الظروف والأحداث في صعود نجم المالكي بعد وصول صدام حسين إلى سدة الحكم في العراق وآية الله الخميني في إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، وانتقال حزب الدعوة إلى الحضان الإيرانية وتبنيه العمل المسلح؛ ففي أعقاب إعدام زعيم الحزب محمد باقر الصدر في عام ١٩٨٠م



من قِبَل النظام العراقي حدث انقلاب في مسيرة الحزب الذي قرر تشكيل جناح مسلح لمواجهة النظام ورموزه.

وبعد سقوط صدام، عاد المالكي إلى العراق - بعد أكثر من عشرين عامًا في الخارج - تحت المظلة الأمريكية وعاد حزب الدعوة إلى ممارسة العمل السياسي. وإبان فترة الحاكم الأمريكي للعراق بول بريمر تم اختيار المالكي لشغل منصب نائب رئيس لجنة خاصة لاجتثاث عناصر حزب البعث، وهنا لمع نجم المالكي في عالم السياسة. وتحت ذريعة محاربة البعث، تمت تصفية عدد من الشخصيات من طرف المالكي بهدف إقصائهم من أي دور سياسي في العراق مستقبلاً.

وقد تم تسريب العديد من الوثائق ذات الطابع الأمني والتي تتعلق بأحداث أمنية وقعت في عهد المالكي، شملت التعذيب والسجون والقتل على الهوية والإعدام خارج إطار القانون والاختفاء القسري، وكلها صُنِّفت كجرائم ضد الإنسانية.

أولى هذه المخازي والجرائم المكتشفة حديثاً لعميل طهران في العراق هو ما ذكرته قناة الجزيرة الفضائية عن ضلوع «نوري المالكي» في عملية اغتيال المئات من العلماء النوويين والطيارين العراقيين بالتنسيق مع كل من إيران والاحتلال الصهيوني^(١). وقد «اغتالت مليشيات بدر الغادرة والبشمركة والدعوة ومرتزة الجلبي وجيش المهدي والمخابرات الإيرانية أكثر من [٣٠٠٠٠] ثلاثين ألف ضابط وعسكري وطبيب ومهندس وعالم وأكاديمي وإعلامي أغلبهم من كوادر الدولة العلمية والإدارية والفنية وقياداتها»^(٢).

وقد كشفت قناة الجزيرة عن وثيقة سرية لويكيليكس^(٣) تُظهر كيف زوّد نوري المالكي كلاً من «إسرائيل» وإيران بمعلومات ساهمت في تصفية المئات من العلماء النوويين والطيارين العراقيين. وأشارت الوثائق المكتشفة عن دور

(١) «ما لم يُعلن من جرائم المالكي أعظم»: زيد الشامي.

(٢) «متفقو الاحتلال وما يطرحوه من أكاذيب وأفكار»: خالد عزيز الجاف.

(٣) «ما لم يُعلن من جرائم المالكي أعظم»: زيد الشامي.

المالكي في توفير معلومات خاصة بالسَّير الذاتية للعلماء العراقيين وطرق الوصول إليهم لغرض تصفيتهم، وكيف سُلِّمت هذه المعلومات لفرق اغتيال تابعة للموساد الإسرائيلي وإيران. كما كشفت وثيقة تعود إلى عام ٢٠٠٧م سُرِّبت من مكتب المالكي وموقعة باسمه بصفته رئيس الوزراء عن التنسيق المباشر للمالكي مع الحرس الثوري الإيراني لتصفية شخصيات عراقية خاصة برلمانية منها.

وبغض النظر عن عدد علماء العراق النوبيين الذين تورط المالكي في تسهيل جريمة اغتيالهم، والذي تقول الجزيرة في تقريرها بأنهم ٣٥٠ عالمًا نوويًا عراقيًا بالإضافة إلى ٨٠ ضابط طيران من القوات الجوية العراقية، إلا أن المَهم في الوثيقة هو ضلوع المالكي في اغتيال العقول العراقية ولو كان عالمًا واحدًا. كذلك، فإنه بحسب وثائق ويكليكس الأمريكية فإن المالكي يدير ويوجّه ميليشيات مسلحة عسكرية لقتل وتعذيب مواطنين عراقيين، وأن سلطات الاحتلال الأمريكية تغاضت عنه في بعض الأحيان إبان الاحتلال والذي تستر على أعمال التعذيب الذي مارسه قوات الأمن العراقية، التابعة لوزارة الداخلية.

كما يؤكد الشيخ الدكتور حارث الضاري - الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق - أن مطالب الشعب العراقي أقل بكثير من المظالم التي تعرّض لها الشعب على يد المالكي. وذكر الدكتور الضاري أنه تم سجن أكثر من خمسة آلاف امرأة من قِبَل حكومة المالكي ومرزقته، وأن الكثير منهم قد أنجبن في السجون نتيجة الانتهاكات وعمليات الاغتصاب التي اقترفها جلادو المالكي ضدهن.

ومن بين الوثائق ما يكشف عن مسؤولية المالكي في دخول تنظيم الدولة الإسلامية وانتشاره في العراق، ففي تقرير صادر عن لجنة تحقيق برلمانية عليا تمت التوصية بإحالة نوري المالكي إلى القضاء العراقي باعتباره المتهم بتسليم الموصل لتنظيم الدولة دون قتال في حزيران ٢٠١٤م^(١).

(١) «وثائقي يكشف دور المالكي بتصفية علماء العراق»: قناة الجزيرة.



الجرائم التي ارتكبتها الأمريكان في العراق

خَلَّفت الحرب الأمريكية على العراق والتي ابتدأت في مارس ٢٠٠٣م ما لا يحصى من القتلى والمصابين والمهجرين والأيتام. فعن عدد القتلى المدنيين، يقول ناشطو مجموعة «بادي كاونت» التي تختص في عد قتلى الحرب من المدنيين أن عددهم منذ بداية الغزو وإلى منتصف عام ٢٠٠٦م يتراوح بين ٣٨٣٥٥ و٤٢٧٤٧^(١). وتعتمد بادى كاونت في تعدادها على التقارير الصحفية، وتؤكد أن عدد القتلى على أرض الواقع أكثر من ذلك بكثير. وقد أشارت دراسات أخرى إلى أن عدد ضحايا الحرب الأمريكية على العراق تجاوز المليون قتيل إلى نهاية ٢٠٠٧م، وهناك من يُوصل عدد الشهداء والمغدورين والمفقودين من مختلف شرائح المجتمع العراقي منذ بداية الاحتلال إلى أكثر من مليون وستمائة وخمسين ألف حالة من المدنيين^(٢). ونزح عن العراق إلى دول الجوار ما يزيد عن ستة ملايين شخص. أما المشوهون والمعاقون والمصابون بأسلحة قوات الاحتلال ومليشيات وعصابات الموت الحاكمة فقد تجاوز المليون شخص.

أما عن أطفال العراق، فوفق بيان صدر عن مكتب المتحدث الرسمي باسم الحكومة العراقية «علي الدباغ» بتاريخ ١٨ / ٤ / ٢٠٠٩م، يوجد في العراق نحو مليونين ونصف المليون طفل يتيم^(٣). لكن مركز العراق للدراسات الاستراتيجية ذكر إحصائيات رسمية دقيقة تشير إلى وجود مليون و٦٠٠ ألف مشرد، وستة ملايين طفل يتيم، بالإضافة إلى ٩٠٠ ألف طفل معوق^(٤). كذلك، فأكثر من نصف مليون طفل عراقي قد فارقوا الحياة منذ بدء الغزو المشؤوم.

(١) «عدد القتلى الأمريكيين في العراق يبلغ ٢٥٠٠-بي بي سي»: هدى المنور.

(٢) «مثقفو الاحتلال وما يطرحونه من أكاذيب وأفكار»: خالد عزيز الجاف.

(٣) «الحكومة العراقية تعترف بوجود ٢,٥ مليون طفل يتيم في البلاد»: موقع الإسلام اليوم.

(٤) «مثقفو الاحتلال وما يطرحونه من أكاذيب وأفكار»: خالد عزيز الجاف.



وقالت صحيفة ذي ديلي تلغراف البريطانية^(١) إن غزو العراق أسفر عن مقتل أكثر من ١١٦ ألفاً من المدنيين العراقيين في غضون ثماني سنوات، وأضافت أن الغزو كلف الولايات المتحدة ما يزيد على ٨٠١ مليار دولار. وأشارت ديلي تلغراف إلى أن الدراسة تُبدي تحفظات بالنسبة للتكلفة المالية للغزو، مضيفة أنه لو أن الدراسة أضافت الفوائد المرتفعة المترتبة على الديون الأمريكية بسبب الحرب، فإن فاتورة الغزو قد تزيد على ثلاثة تريليونات دولار.

حرب إبادة شاملة

يقول «جيمي ماسي»، أحد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في غزوة بوش لتدمير العراق، والذي أصدر كتاباً عنوانه «اقتل .. اقتل» يحكي فيه قصته في العراق: «لقد بدأ التحول والغضب حين أخذت الحرب مسار الإبادة المعلنة. كانت الأوامر الآتية من الإدارة العسكرية العليا واضحة وصارمة: إطلاق النار على كل ما يتحرك. والحال أن ذلك كان يعني إبادة الأطفال والنساء والشيخوخة بغير ذنب»^(٢). ويعترف هذا الجندي بأنه قام - كغيره من الجنود الأمريكيين - بتنفيذ الأوامر الصادرة إليهم من مرؤوسيهم والتي تقضي بمواصلة إبادة الشعب العراقي. ويضيف جيمي ماسي: «واكتشفنا أننا أطلقنا النار على أطفال أيضاً.. كنا نمارس القتل العمد، وكانت الأوامر المستمرة التي تصلنا هي مزيد من القتل .. اقتل .. اقتل. إلى درجة فقداننا فيها إنسانيتنا تماماً!».

جريمة لا تُغتفر
مسألة فيها نَظَر

قتل أمري في غابة
وقتل شعب آمن

(١) «حرب العراق بالأرقام»: موقع BBC العربية.

(٢) «جرائم الجيش الأمريكي بالعراق في كتاب جديد»: ياسمينه صالح.



انتهاكات حقوق الإنسان

قامت القوات المتعددة الجنسيات باعتقال العراقيين بصورة تعسفية، ودون مبررات واضحة لاعتقالهم. وفي انتهاك للقانون الدولي لحقوق الإنسان، احتُجز عشرات الآلاف من المعتقلين طوال أسابيع أو أشهر، والآلاف منهم قضوا مدة اعتقال تزيد على عام من دون توجيه الاتهام إليهم أو محاكمتهم، هذا بالإضافة إلى أعدادٍ غير معروفة من الأشخاص الذين تسميهم القوات الأمريكية بـ «المعتقلين الأشباح»، والذين يتم اعتقالهم ولا يسمح لهم بأيّ اتصال بالعالم الخارجي، ويتم إخفاؤهم عن الأنظار لمنع اللجنة الدولية للصليب الأحمر من زيارتهم، وبعض هؤلاء كانوا أُلوية وضباطاً كباراً في الجيش العراقي في عهد صدام حسين.

وفي أحيان كثيرة يتم نقل هؤلاء «المعتقلين الأشباح» سرّاً إلى خارج العراق لاستجوابهم من قبل أفراد الاستخبارات الأمريكية (السي. آي. إيه)^(١). وإضافة إلى هؤلاء، قامت القوات الأمريكية باحتجاز مَنْ يُعرفون بـ «المعتقلين ذوي القيمة العالية»، وهم الأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب رفيعة في عهد صدام حسين، أو علماء وخبراء من ذوي الصيت العالمي. كذلك، قامت القوات المتعددة الجنسيات باعتقال النساء والأطفال، رغم أنه - بحسب ما قالته السلطات البريطانية - لا توجد مرافق اعتقال بريطانية أو أمريكية مخصصة للنساء أو الأطفال في العراق.

كأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ^(٢)

وَالْعَيْنُ بَاكِيةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ

إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ

وغادةٌ ما رأتها الشمسُ بارزةً

يقودها العجُّ عند السُّبى صاغرةً

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

(١) «الاعتقال والتعذيب في العراق بعد أحداث أبو غريب»: منظمة العفو الدولية.

(٢) من قصيدة في رثاء الأندلس بعنوان «لكل شيء إذا ما تم نقصان» لأبي البقاء الرندي.



ولم تكن القوات المتعددة الجنسيات لتُتيح أيَّ سبيل للانتصاف أو اللجوء إلى المحاكم، بل إنها كانت تنكر حتى حقهم في الطعن في قانونية اعتقالهم أمام المحكمة. أما من تُفرج عنهم، فإنها لا تُقدِّم لهم أيَّ توضيح لأسباب اعتقالهم أو اعتذار أو تعويض بعد قضاء أشهر قيد الاعتقال. وأدهى من ذلك، أن القوات المتعددة الجنسيات والسلطات العراقية لم تكن تسمح للسجناء بالاتصال بأقربائهم ومحاميهم، ولا تسمح للهيئات المستقلة بمراقبة مرافق الاعتقال.

تعذيب السجناء

نقلت قناة الجزيرة في ١١ / ٥ / ٢٠٠٤ م عن محسن عبد الحميد (عضو مجلس الحكم العراقي المنحل) أن عدد المعتقلين في سجن أبي غريب بلغ مئة ألف، رغم أن الحكومة تدّعي أن العدد لا يتجاوز الخمسة آلاف^(١). ووفقاً للموقع الإلكتروني الرسمي للقوة المتعددة الجنسيات، فإنه في نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥ م، كان هناك أكثر من ١٤٠٠٠ معتقل محتجزين لدى القوة المتعددة الجنسيات^(٢). ويعيش غالبية هؤلاء المعتقلين ظروفاً قاسية في السجن، بالإضافة إلى قيام الكثير من الجنود بتعذيب السجناء بشتى الوسائل. وليست قوات التحالف وحدها التي تقوم بتعذيب المدنيين، بل وردت أنباء حول العديد من حالات التعذيب والمعاملة السيئة للمعتقلين المحتجزين في مرافق تخضع لسيطرة السلطات العراقية منذ انتقال السلطة إليها في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤ م.

ومن جملة الطرق التي يتعرض لها السجناء: الصعق بالصدمات الكهربائية والضرب بالكابلات البلاستيكية، ونزع الأظافر، وكَيِّ الوجوه بالسجائر المشتعلة^(٣).

(١) «بين الخاطف والمخطوف»: أمير سعيد.

(٢) «الاعتقال والتعذيب في العراق بعد أحداث أبو غريب»: منظمة العفو الدولية.

(٣) المرجع السابق.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وقد توفي العديد من المعتقلين وهم في السجن بسبب التعذيب أو بسبب الاختناق عندما تُركوا في شاحنات أو أماكن مغلقة لأكثر من ١٤ ساعة، وقد وُجدت في جثثهم إصابات وجروح تؤكد التعذيب الذي تعرّضوا له. ويقوم الجنود الأمريكيون في بعض الأحيان بإلقاء السجناء من فوق جسور نهر دجلة، مما يؤدي إلى غرق بعضهم، وتقوم قوات التحالف والسلطات العراقية بإجبار المعتقلين، تحت وطأة التعذيب على القول بأنهم ينتمون لمنظمات مسلحة أو أنهم قاموا بتفجيرات، وفي أحيانٍ أخرى يُجبر أقرباء المعتقلين على الإدلاء بتصريحات ملفقة مفادها انتماء ذويهم لمنظمات إرهابية.

لكن صور التعذيب هذه لا تساوي شيئاً مقابل ما تعرض له السجناء العراقيون في سجن «أبو غريب». من صور التعذيب في هذا السجن أن المعتقلين الذكور كانوا يُجبرون على ممارسة العادة السرية أمام الجنديات، ويُجبرون أحياناً على ممارسة العادة السرية فوق زملائهم المعتقلين، وفي أحيان أخرى كانوا يُعرّون ويُرغمون على الاستلقاء بعضهم فوق بعض، والجنود الأمريكيون - الذين جاؤوا لتحرير العراق ونشر الديمقراطية فيه - حولهم يستمتعون بالمشهد ويتضحكون ويلتقطون صوراً تذكارية لهذه المشاهد. وقد تم إبقاء بعضهم عراة لعدة أيام، وتم الاعتداء على آخرين وتهديدتهم بالاعتصاب، كذلك فكان يُرغمون أحياناً على أكل لحم الخنزير، وتناول المشروبات الكحولية، وتدخين السجائر، والتنقل على الأطراف الأربعة تقليداً للكلاب^(١).

كذلك، فقد شهدت الساحة العراقية ظاهرة غريبة، وهي العثور على عشرات الجثث يومياً في أنحاء متفرقة من بغداد لأشخاص تم اختطافهم من بيوتهم أو من مقرات عملهم أو من المساجد أو من قبل نقاط تفتيش أثناء تنقلهم بين أحياء بغداد،

(١) المصدر السابق.

ويتم العثور على تلك الجثث ملقاة في مزابل الصرف الصحي والأنهر ومناطق رمي النفايات. وتشترك جميع الجثث تقريباً في كون الضحايا مُقيّدي الأيدي ومعضوبي العيون مع طلبة في الرأس من الخلف، ووجود آثار تعذيب وحشي على مناطق مختلفة من أجساد الضحايا المضروبة بالسياط وأدوات حادة ولسعات كهربائية، وأحياناً تبدو عليها آثار آلات كهربائية حارقة أو تهشيم عظام الضحية بالمشابك الكهربائية أو بآلات حديدية حادة^(١).

أين كل هذه الصور البشعة التي يُعامل بها السجناء العراقيون- الذين لا جُرم لهم ولا ذنب- من قِبَل الأمريكان وزمرتهم، من تلك المعاملة التي لاقتها الصحفية الإنجليزية «إيفون رايلي» التي اعتقلتها حركة الطالبان وحبسها لمدة عشر أيام لم تجد خلالها إلا سمو الأخلاق ونباله المعاملة. لقد خرجت «إيفون رايلي» من محبسها لتعلن إسلامها، ولتقول للعالم أجمع في نهاية محاضرة لها في الكويت: «إنني ألقى محاضرتي عليكم باللبس الشرعي الإسلامي الذي أعطاني إياه نظام طالبان في السجن هناك، وأحمد الله أنني سجت في نظام طالبان الذي يصفونه بالشرير، ولم أسجن في معتقل [غوانتانامو] أو [أبو غريب] للنظام الأمريكي الديمقراطي كيلا يغطوا رأسي بكيس ويلبسوني مريولاً برتقالياً، ويربطوا رقبتي بحزام ويجروني على الأرض بعد أن يُعروني»^(٢).

ومع قساوة الصور الوحشية التي كان ينتهجها الجنود الأمريكيون والبريطانيون، بالإضافة إلى قوات الأمن العراقية، في تعذيب السجناء، إلا أن غالبية الجنود المجرمين الذين قاموا بهذه الأعمال الوحشية، فضلاً عن مرؤوسيهـم، لم تطلهم يد العدالة، ومن حوكم، أُصدِرَت في حقه أحكام بالإيقاف أو السجن المؤقت، والتي لا تساوي شيئاً مع الجرائم التي ارتكبوها.

(١) «المرترقة في العراق.. ميليشيات وشركات مأجورة»: رائد العزاوي.

(٢) «حركة (طالبان) بين الدعاية الغربية وحقائق التاريخ»: علي عبد العال.



وبعض الذين حوكموا أدلوا بشهادات تدين قيادات عليا في القوة البريطانية في العراق بأنهم كانوا على علم بما يجري، وأنهم أجازوا إساءة المعاملة الشديدة للسجناء، وفي بعض الأحيان كانوا- أي القادة- يصدرون أوامره لجنودهم بتعذيب المعتقلين والسجناء.

انتشار الألغام

لم تقتصر مصيبة العراق فقط في فقد خيرة بنيها وتدمير شبه كامل لبُنائها التحتية، ولكن الأمر صار أبعد من ذلك بكثير؛ فالحروب المتعاقبة التي مرَّ بها العراق، ابتداءً من الحرب مع إيران إلى حرب الكويت، وأخيراً غزو واحتلال العراق من قبل الأمريكان وقوات التحالف، جعل من العراق ساحة ملغومة بالألغام والمتفجرات. ولقد قامت مؤسسة قدامى الحرب الأمريكية في فيتنام بمسح لـ ١٣ محافظة عراقية، من أصل ١٨ محافظة، وخُلصت إلى أن العراق هو المنطقة الأكثر خطراً في العالم على الأفراد من ناحية وجود الألغام في أرضه، وأن نسبة ٩٩,٣٪ من المدنيين الذين يسقطون في العراق هم من ضحايا الألغام الموجودة هناك، إضافة إلى وجود بعض المناطق الزراعية التي سقط فيها الكثير من القنابل العنقودية، والتي تنفجر بين الحين والآخر على المواطنين. وباعتراف وزيرة البيئة العراقية نرمين عثمان، فإن الأراضي العراقية تحوي ٢٥ مليون لغم أو أكثر، أي ما يقارب لغماً لكل مواطن عراقي، وحسب مصادر الحكومة العراقية فإن تنظيف الأراضي العراقية من الألغام قد يستمر إلى سنة ٢٠٢٠م^(١). وحيث إن كلفة نزع الألغام في العالم تُقدَّر بنحو ٣٣ مليار دولار^(٢)، فإن نسبة كبيرة من تلك الأموال ستُنفق على نزع الألغام العراقية.

(١) «لغم لكل مواطن عراقي»: إسراء البدر.

(٢) «المرتزقة يتحولون إلى عمال إغاثة»: ميدل إيست أون لاين.



استخدام اليورانيوم المنضب

اليورانيوم المنضب هو يورانيوم طبيعي، تمت زيادة نسبته (٢٣٥)، وذلك على حساب اليورانيوم (٢٣٨)، لكي تصلح هذه المادة لعمل المفاعلات كوقود، وفي هذه الحالة يسمى اليورانيوم بالمستنفد «المنضب»^(١). ولا شك أن سلاح اليورانيوم المنضب هو من الأسلحة المحرمة دولياً، ومن الأسلحة الفتاكة التي تفتك بمن يتعرض لها، سواء في ساحة المعركة أم من يكونون بعيدين بمسافة كبيرة عن ساحة المعركة؛ وذلك لقدرته على الانتشار وبمساحة كبيرة جداً، قد تتجاوز مساحة الدولة التي تعرضت للحرب، وإلى إلقاء هذا السلاح عليها.

وعندما تُريد البلدان الكبرى التخلص من نفاياتها النووية، فالحاوية الوحيدة هي دول العالم الثالث؛ إذ تُدفن هذه النفايات في أراضيها؛ لتكون في الوقت نفسه إبادة سريعة وفعالة، حيث يتغير في شكل اليورانيوم؛ نتيجة لتحلله، ويخرج منه غاز الرادوم الذي يسبب سرطان الرئة، وهذا التلوث الذي يسببه اليورانيوم المستنفد لا يمكن القضاء عليه؛ لأن فترة عمر النصف - أي: الاضمحلال والانهاء - تصل إلى (٤, ٥) مليون سنة؛ أي أن الغرام الواحد من اليورانيوم يحتاج إلى ٧ ملايين سنة لينتهي ويصبح غير ذي تأثير^(٢).

ويؤثر الإشعاع الصادر من اليورانيوم على أنسجة الجسم المختلفة؛ مثل الجلد، وانسداد الأوعية الدموية، وتلف الجهاز العصبي، والأجهزة الرئيسية كالقلب والكلى، وحدوث نزيف في الجهاز الهضمي، والتأثير السلبي على نخاع العظم، وعدم تجديد خلايا الدم بصورة طبيعية، الأمر الذي يؤثر على جهاز المناعة للأمراض، وإمكانية التجلط في حال حدوث الجروح، إضافةً إلى تعطيل نمو العظام

(١) «إرهاب اليورانيوم .. مخاطره الصحية والنفسية والتربوية»: مآرب المولى.

(٢) المصدر السابق.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

لدى الأطفال. كما تؤدي الإشعاعات إلى فشل الجهاز التنفسي، وتلف الرئتين والغدة الدرقية، وهذه التأثيرات تمتد إلى الجيل الجديد والأجنة، من خلال التأثير على الجينات الوراثية، إضافةً إلى تقليل معدل عمر الإنسان، والتسبب بالعقم لدى الرجال والنساء. وأيضًا فالتعرض للإشعاع يُعتبر السبب الرئيسي للإصابة بأمراض السرطان المختلفة، خاصة (اللوكميا)؛ لأن السرطان يحدث نتيجة خلل بالجين الموجود على الكروموسوم، الموجود داخل نواة الخلية^(١).

وتشير التقارير الطبية إلى أن خطر هذه الإشعاعات يتجاوز حدود المنطقة الجغرافية التي قصف فيها، نظرًا لتحوُّله بعد الانفجار إلى جزيئات في غاية الصغر، قابلة لأن تكون موجودة في كل ما يتعلق بالحياة من ماء وهواء، وهناك إمكانية لامتداد هذه الآثار إلى الدول المحيطة بالعراق وفلسطين؛ مثل سوريا والأردن ومصر^(٢). وفي ما يسمى بـ «حرب تحرير الكويت» تم إلقاء كميات كبيرة من اليورانيوم المنضب في المنطقة الواقعة بين العراق والكويت؛ فأمريكا أطلقت ٩٤٠ ألف قذيفة يورانيوم منضب صغيرة، و ١٤ ألف قذيفة دبابة، وأعدت عربتين محملتين بقذائف اليورانيوم أثناء حرب الخليج، بهدف نشر جزيئاتها السامة في الجو، وأسقطت ٨٨ ألف طن من مختلف أنواع وأحجام القنابل، وهو ما يساوي سبعة أضعاف ونصف القوة التفجيرية والحارقة للقنبلة النووية التي أُطلقت على هيروشيما، وهناك ما بين ٢٧٠ إلى ٦٨٠ ألف كيلو غرام من نفايات اليورانيوم المنضب تُركت في ساحة العمليّات بين العراق والكويت^(٣).

ولقد اعترفت إدارة وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، في نوفمبر ٢٠٠٥م بأن الفوسفور الأبيض وأسلحة حارقة قد استخدمت في الهجوم على مدينة

(١) المصدر السابق.

(٢) «اليورانيوم المنضب وتبعات إلقائه على العراق»: إسراء البدر.

(٣) المصدر السابق.



الفلوجة، هذا علاوة على الاستخدام المكثف لأسلحة اليورانيوم المنضب DU - الحاوية عليه، وتعترف البنتاغون باستخدام ١٢٠٠ طن من اليورانيوم المنضب في العراق^(١). وقد بدت تظهر آثار الإشعاعات بعد الحرب مباشرة، فقد تزايدت الحالات المرضية الجديدة، والموت بين الأطفال في كثير من مناطق العراق، وانتشرت حالات الإصابة بالسرطان بشكل رهيب، وظهرت أمراض جديدة، متمثلة في تصلب وتليف الأعصاب، والتي لم تكن من نصيب العراقيين فحسب، بل انتشرت وبكثرة بين الجنود الأمريكيين، الذين قاتلوا بالعراق، وغيرهم من القوات الأخرى. كذلك، فقد أظهرت بعض الدراسات أن مساحات واسعة من الأراضي في البصرة ملوثة بمواد مشعة وتحديداً باليورانيوم المنضب، حتى إنه قد تسرب إلى المياه الجوفية. وظهرت نسبة تشوهات عالية في الأغنام، وانخفضت الثروة الحيوانية بشكل ملحوظ، وانتشرت الأمراض في الجبوب مما أدى إلى انخفاض إنتاجها بنسبة ٥٠٪.

وذكرت التقارير والدراسات أن اليورانيوم المنضب الذي استخدم في العراق من أخطر الأنواع وأبشعها، لم تستخدم أمريكا مثيلاً له لا مع اليابان ولا مع يوغسلافيا^(٢). وإذا كان ما يزيد عن ثلث الجنود الأمريكيين في حرب الخليج الثانية قد أصيبوا بمختلف الأعراض المرضية، بما فيها الإصابة بسرطان الدم، بسبب تعرضهم لأشعة اليورانيوم، فإن سكان منطقة الشرق الأوسط بأكملها وخاصة سكان الخليج والعراق قد عانوا وما يزالون يعانون من نتائج الأوبئة التي أتت بها الحرية والديمقراطية التي تُصدّرها أمريكا للمسلمين في «هدايا» مغلفة تعارف الناس على تسميتها بالقنابل.

(١) المصدر السابق.

(٢) «إرهاب اليورانيوم .. مخاطره الصحية والنفسية والتربوية»: مآرب المولى.



استئجار المرتزقة في قتل الأبرياء

المرتزقة هم عبارة عن أفراد يقومون بأدوار منافية لقيم المجتمعات الإنسانية مقابل أجر، دون أن تكون لهم قضية يقاتلون من أجلها، وغالبًا ما يكونون من العسكريين المتقاعدين، خاصة الذين سبق وعملوا رسميًا كأفراد حماية لمسؤولين في دولهم، أو حماية الأثرياء والمشاهير وغيرهم^(١). ومقابل الربح المادي يمكن استغلال المرتزقة من قبل أنظمة أو دول أو جيوش أو شخصيات لتنفيذ سياساتها وتحقيق غاياتها بوسائل يحدونها، وهي في عمومها وسائل لا أخلاقية. أغلب المرتزقة مجرمون سابقون أو مطلوبون للشرطة الدولية، ويُشكّلون العمود الفقري للكثير من عصابات الجريمة المنظمة التي تستخدمها قوات الاحتلال أو المخابرات الأجنبية أو قوى سياسية عراقية لها مصلحة في إشاعة القتل وتصفية الحسابات وصولاً لأهدافها الذاتية أو تنفيذًا لسياسات مخابرات الدول التي يعملون لصالحها.

ورغم التاريخ الإجرامي لهؤلاء المرتزقة والشركات التي يعملون من خلالها، إلا أن كوفي عنان عندما كان أمينًا عامًا مساعدًا للأمم المتحدة فكّر في الاستعانة بهؤلاء المرتزقة لإحلال السلام في رواندا، وأصدر تصريحًا شهيرًا في ذلك الوقت قال فيه: «يوم احتجنا إلى جنود مدربين للفصل بين المقاتلين واللاجئين، فكّرت في احتمال اللجوء إلى شركة خاصة لكن العالم ليس مُهيأً ربما لخصخصة السلام»^(٢). أجل، إن أمريكا خير مثال لما كان يطمح لفعله أمين عام الأمم المتحدة، وهو إحلال السلام. ألم تأت أمريكا إلى العراق وأفغانستان والصومال وغيرها غازية مدمرة، ولكن بحجة نشر الديمقراطية والسلام؟ لقد أصبح المجرمون هم من ينشرون السلام والأمن في العالم!!

(١) «المرتزقة في العراق.. ميليشيات وشركات مأجورة»: رائد العزاوي.

(٢) «المرتزقة يحكمون العالم»: محمد جمال عرفة.



ولكون الشركات التي يعمل فيها المرتزقة لا تقدم تقارير إلى الحكومات أو المنظمات الإنسانية في بلدانهم الأصلية أو التي يعملون فيها، يكون من المستبعد مثلهم أمام القضاء في الدول التي يرتكبون فيها تجاوزات وانتهاكات، وفي العراق صار الأمر أشنع من ذلك؛ حيث تم منح الحصانة لكافة المرتزقة المتعاقدين مع شركات الحماية الأمنية العاملين لحساب قوات متعددة الجنسيات، حسب قرار سلطة الائتلاف رقم ١٧ الذي أصدره الحاكم المدني بول بريمر في يونيو ٢٠٠٤م قبل نقل السيادة للعراقيين في ٣٠/٦/٢٠٠٤م^(١). هذا يعني أن المرتزقة الموجودين في العراق لا يتم إخضاعهم لأيّة ملاحقات قضائية بشأن تصرفاتهم، بالرغم أن بعض الجنود التقليديين (الأمريكيين والبريطانيين) قد تم مثلهم أمام محاكم في بلدانهم بسبب بعض الجرائم التي اقترفوها في حق الشعب العراقي.

ويشير عدد من الخبراء إلى وجود آلاف الشركات التي توفر المرتزقة في العالم، وكانت توجد منها في العراق أكثر من خمسين شركة، أغلبها أمريكية، إضافة إلى شركات بريطانية وإسرائيلية ومن جنوب أفريقيا أيضًا. وقد اخترع وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد، حسبما أوردته صحيفة لوتون السويسرية، مفهوم «التجنيد من خارج صفوف الجيش»، كما ظهر مصطلح «الميليشيات الصديقة» التي طالب نائب وزير الدفاع الأمريكي بول فولفوفيتز في العاشر من أغسطس ٢٠٠٤م الكونغرس بتخصيص ميزانية لفائدتها بحوالي ٥٠٠ مليون دولار، من أجل محاربة «الإرهاب والثورات» على حد قوله^(٢).

وتشير إحصائيات أخرى إلى أنه كان يوجد في العراق أكثر من عشرين ألف مرتزق في عام ٢٠٠٤م، ثم زاد عددهم في عام ٢٠٠٦م ليتجاوز مئة وعشرين

(١) «شركات الحماية الأمنية في العراق»: رائد الحامد.

(٢) «المرتزقة الجدد والقانون الدولي»: محمد شريف.



ولم يقتصر استخدام المرتزقة على الحكومة الأمريكية، بل إن بريطانيا تقوم بالشيء نفسه. وقد نقلت صحيفة الإندبندنت البريطانية عن جون هيلاري مدير منظمة «وور أون ونت» قوله: «إن احتلال العراق سمح للمرتزقة البريطانيين بجني أرباح هائلة، فيما فشلت الحكومة في تفعيل قوانين تعاقبهم على انتهاك حقوق الإنسان، ومن ضمنها إطلاق النار على المدنيين العراقيين»^(١). ويصل أعداد المرتزقة في بعض الأحيان إلى أضعاف عدد الجنود النظاميين؛ فبريطانيا مثلاً لها ٧ آلاف من الجنود النظاميين في العراق، في حين أن عدد المرتزقة البريطانيين في العراق يفوق ٤١ ألف مرتزق^(٢).

ولا غرو أن يتسابق الغربيون في العمل كمرتزقة في أماكن الصراعات الدولية، حيث إنهم يحصلون على الكثير من المغريات، والتي من أهمها الأجور العالية المعروضة عليهم، والتي تتراوح ما بين «٥٠٠ - ١٥٠٠ دولار أمريكي يومياً»^(٣). وتحقق الشركات الأمنية الخاصة «عوائد سنوية تصل إلى ١٠٠ مليار دولار في العراق وأفغانستان، وتتصدر الشركات البريطانية القمة في تحقيق هذه العوائد»^(٤)، وقد وصلت قيمة التعاقدات مع شركات المرتزقة في عام ٢٠٠٥م إلى ٢٢ مليار دولار^(٥).

وكيف ننسى أم المصائب، إسرائيل؟ لقد كشفت الكثير من المصادر العراقية عن وجود ما يزيد عن ٢٤٠٠ عنصر من القوات الخاصة الإسرائيلية، ومهمة هؤلاء تنفيذ عمليات الاغتيال والخطف والتفجيرات ضد من تعتبرهم إسرائيل أهدافاً لها،

(١) صحيفة الإندبندنت / عن وكالة سانا، ٣٠/١٠/٢٠٠٦م.

(٢) «منشآت الأمن الخاصة تُسيء للعراقيين»: عبد الوهاب حميد رشيد.

(٣) «المرتزقة الجدد والقانون الدولي»: محمد شريف.

(٤) «منشآت الأمن الخاصة تُسيء للعراقيين»: عبد الوهاب حميد رشيد.

(٥) «المرتزقة يتحولون إلى عمال إغاثة»: ميدل إيست أون لاين.



رواتب بعض الخبراء والمتمرسين منهم ما بين ألف وعشرة آلاف دولار في اليوم الواحد^(١). وإلى جانب المرتزقة العراقيين - والذين غالبيتهم من الأكراد والشيعة العراقيين - يعمل المصريون والكويتيون والسودانيون واليمنيون والسعوديون، هذا بالإضافة إلى مرتزقة من إيران وتركيا وباكستان، وغالبية المرتزقة العرب هم إما من المسيحيين أو من الذين يعيشون في الغرب^(٢).

إن من يتابع أحداث العراق يستطيع بلا تردد أن يصمها بأنها حربٌ صليبية، وليس أدل على ذلك من تقاطر المسيحيين العرب للهجرة إلى العراق والعمل في شركات أمنية لا يعرف عنها غير أنها تقوم بذات الشيء الذي تقوم به الجيوش الأمريكية والبريطانية، وهو إبادة الشعب العراقي. وتوجه المرتزقة المسلمين من العرب وغيرهم للانضمام في صفوف «إخوانهم» الكفرة الصليبيين لينبئ عن حالة الذهول والغفلة التي تعيشها الأمة بعيدًا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذ كيف ترضى نفس المؤمن أن يقتل إنسانًا آمنًا، حتى وإن كان غير مسلم، فكيف بقتل العراقيين المسلمين؟ وأين يقين المؤمن بالله وتوكله عليه الذي يحجبه حتى عن سؤال الآخرين، فكيف بإراقة دم مسلم؟ إن الحالة المعيشية التي تعيشها الشعوب الإسلامية لا تبرر بأي حال أن ينقلب المسلم على أخيه المسلم غدراً وقتلاً وانتهاكاً لأمواله وحرماته. إن الصورة التي يرسمها أولئك الخونة لدينهم وعروبتهم تجعلنا في تعطش لأن ترجع الأمة إلى استقامتها على منهج ربها، وإلا لرأينا صوراً شتى أخرى من أصناف الابتعاد عن منهج الله، والتي ما هي في حقيقتها إلا حربٌ على الله ورسوله.

(١) «لبنانيون مسيحيون مرتزقة في العراق يقاتلون مع الاحتلال الأمريكي»: موقع دنيا الوطن.

(٢) «العراق في ظل شركات بدر الأمنية وبلاك ووتر وغيرها»: قاسم سرحان.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي دعت الحكومتين البريطانية والأمريكية إلى المضيّ قدماً في خصخصة قواتيهما إلى ما يلي^(١):

✓ الفشل في تجنيد ما يسدُّ حاجة القوات من الجنود النظاميين بسبب تصاعد عمليات فصائل المقاومة العراقية.

✓ تزايد أعداد الهاربين من جنود الاحتلال الذين يرفضون الالتحاق إلى العراق ثانية، بعد تمتعهم بإجازاتهم.

✓ التقليل من الخسائر في صفوف جنود الاحتلال، تجنباً للأثر الإعلامي الذي تتركه الأرقام الحقيقية لقتلى الاحتلال على الرأي العام، حيث لا يتم تسجيل المرتزقة ضمن قوائم قتلى قوات الاحتلال.

✓ حاجة قوات الاحتلال للقيام بتنفيذ عمليات إجرامية مخالفة للقانون الدولي لتجنب قواتها المساءلة أمام القانون الدولي بصفتها قوات احتلال.

وحيث إن من ذكرنا هم المرتزقة التقليديون الذين لا ترى أمريكا والإعلام الغربي حرجاً في الإفصاح عنهم، غير أن هناك أنواعاً شتى من المرتزقة الذين ينهبون خيرات الشعوب، وهم أخطر على الأمة من المرتزقة التقليديين. إن الحكومات المستأجرة التي تنصبها أمريكا بعد أن تسحق الأرض والشعب لهم أوضح مثال على هؤلاء؛ فأمثال هؤلاء فُوضوا من قِبَل ولية أمرهم - أمريكا - أن يتصرفوا في الشعب بالتقتيل والسجن والتعذيب وأية وسيلة أخرى تُبقي لهم سلطانهم وهيمنتهم. كذلك، فقد أعطوا الضوء الأخضر ليمتصوا ما بقي من خيرات البلد

(١) «المرتزقة في العراق.. ميليشيات وشركات مأجورة»: رائد العزاوي.

الذي يعيشون فيه فسادًا. ولا غرو أن نشاهد تشبث هؤلاء بمناصبهم، وتآليهم للعدو المحتل، ومحاولتهم كبج أية صورة للمقاومة أو حتى التنديد بالغازي الغاشم، بل لقد صارت الشعوب المنكوبة تعاني من الحكومات التي أعقبت الحرب الأمريكية أكثر مما تعانيه من الغزاة التقليديين. ولو أننا رجعنا إلى تاريخ هؤلاء لوجدنا أنهم حقيقة ليسوا بمسلمين وإنما تربوا في أحضان الكفر وصُنِعوا على عينه.

ولا تقتصر حشود المرتزقة في بلداننا على أصحاب المناصب العليا في الحكومات التي تزرعها أمريكا في أفئدة الشعوب المنكوبة، وإنما الأمر يمتد ليشمل قوات الأمن والإعلاميين والتربويين، بل حتى أصحاب العمائم واللحى، وغيرهم من الذين تستأجرهم أمريكا أو الحكومات الموالية لها. فعناصر «قوة حماية المنشآت في العراق»، والتي تم تشكيلها في زمن السفير بول بريمر، تعتبر مرتزقة من الطراز الأول، ويعتقد أنها تعمل خارج سيطرة قوات الاحتلال والحكومة العراقية «وهي تمتلك إمكانات كبيرة، وتوجد أدلة تكشف عن تورط ميليشيات حماية المنشآت في عمليات العنف الطائفي في العراق»^(١).

وقد حمّل وزير الداخلية العراقي جواد البولاني قوة حماية المنشآت المسؤولية عن عمليات قتل جماعية، واعترف لمراسل صحيفة واشنطن بوست في بغداد بأن الاعتقالات كشفت عن وجود أفراد من القوات المسلحة النظامية بين عصابات القتل، وأن التحقيق غالبًا ما يكشف عن انتمائهم إلى قوة حماية المنشآت التي يبلغ تعدادها نحو ١٥٠ ألفا أسستها قوات الاحتلال منذ عام ٢٠٠٣م، وهي تعادل قوات الاحتلال مجتمعة، وأن الكثير منهم يعمل في فرق الحماية الخاصة بالمسؤولين^(٢).

ومن أهم الشركات العسكرية والأمنية (أي التي توظف المرتزقة) شركة «دايني

(١) هادي العامري قائد فيلق بدر وعضو البرلمان العراقي، كلمة أمام البرلمان البريطاني، ١١/١١/٢٠٠٦م.

(٢) «المرتزقة في العراق.. ميليشيات وشركات مأجورة»: رائد العزاوي.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

كورب» الأمريكية. كانت هذه الشركة قد تعاقدت أيام حرب البوسنة لتدريب شرطة البوسنة، واتهم موظفوها بارتكاب جرائم اغتصاب ومتاجرة بفتيات قاصرات في البوسنة، لكن لم يخضع أيُّ منهم للعقاب. وقامت هذه الشركة لاحقاً بتدريب الشرطة العراقية! والشركة هي المسؤولة عن نشر البضائع الإسرائيلية في الأسواق العراقية، حيث إنها معروفة بتوفيرها المرتزقة للكيان الصهيوني لقتل أطفال فلسطين^(١). كذلك، فهناك شركة «فينيل كورب»، وهي أمريكية قامت بتدريب الجيش العراقي، ولديها مسرح عمليات واسع في الشرق الأوسط والعراق، وتشرف على تدريب الحرس الوطني السعودي. أما شركة «كوستر باتلز للخدمات الأمنية»، وهي أيضاً أمريكية، فإنها قامت بتأمين حماية مطار بغداد الدولي، وتأمين التموين ومهام النقل، وهذه الشركة متهمة في قضايا تحايل وسرقة مليارات الدولارات من ثروات العراق.

وقد دفعت المجازر التي تقوم بها الشركات المرتزقة العاملة في العراق، كشركة بلاك ووتر الأمريكية، إلى مطالبة الشعب للحكومة العراقية بإلغاء تعاقداتها مع هذه الشركات، فما كان لهذه الشركات إلا أن تجد بديلاً عن «الفقاعة الأمنية» التي أثّرت حولها، وذلك بالتعاقد مع حكومات وشركات ومؤسسات كـ«عمال إغاثة إنسانيين»، حيث إن «انتقال السلطة من الحكومات إلى المنظمات غير الحكومية يناسب شركات الأمن الخاصة»، كما صرح بذلك كريستوفر سبيرين رئيس مجلس إدارة دائرة الأمن والشؤون الدولية في معهد القوات الكندية^(٢).

أما شركة بلاك ووتر، أضخم شركة مرتزقة في العراق، فقد قامت بتغيير اسمها، وذلك بعد أن اهتزت سمعتها بعدما وجه القضاء الأمريكي إلى خمسة من

(١) المصدر السابق.

(٢) «المرتزقة يتحولون إلى عمال إغاثة»: ميدل إيست أون لاين.

عناصرها تهمة إطلاق النار على عراقيين عُزّل مما أدى إلى مقتل ١٧ مدنيًا عراقيًا في ١٦/٩/٢٠٠٧م. وهذه الحادثة هي واحدة فقط من مئات الجرائم التي ارتكبتها عناصر الشركة ضد الأبرياء. وقد ذكرت صحيفة «وول ستريت جورنال» أن موظفي الشركة تلقوا عبر البريد الداخلي إشعارًا بأن «اسم الشركة سيصبح أكس آي [تلفظ زي]»^(١). ورغم أن «إيريك برينس» رئيس الشركة اعترف بأن شركته نفذت أكثر من ٣٥ ألف «مهمة أمن شخصية» في العراق وأفغانستان، إلا أنه زعم قائلًا: «لم يقتل أو يصب أحد تحت رعايتنا»، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١-١٢]. وما قاله هذا المجرم يناقض ما هو مشتهر عن الشركة من أن الكثير من هذه المهمات كان في الواقع قتل مأجورة نفذها مرتزقة الشركة ضد أهداف مدفوعة الثمن، ولا ريب أن تكون عائدات الشركة في ٢٠٠٨م قد تجاوزت ٦٠٠ مليون دولار^(٢).

تنظيم داعش والدولة الإسلامية

منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي والساحة الإسلامية تعجّ بتيارات وتنظيمات ترفع راية الإسلام والجهاد ضد أعداء الأمة وإقامة الخلافة الإسلامية، وهذه جميعًا شعارات يتبناها ويتمناها كل مسلم متمسك بدينه وحريص على الإسلام، ولكن في الوقت الذي نجد فيه هذه التنظيمات ترفع شعارات الجهاد ضد أمريكا وإسرائيل وأعداء الأمة، نجدهم في - حقيقة الأمر - لا يقتلون إلا المدنيين العزّل من المسلمين ومن ينتمون إلى الجماعات الإسلامية المناوئة والمقاومة للنفوذ والطغيان الأمريكي والإسرائيلي إلا في حالات نادرة ولأغراض مشبوهة^(٣).

(١) «بلاك ووتر.. اسم مختلف للجريمة والارتزاق»: ميدل إيست أون لاين.

(٢) «رئيس بلاكووتر يستقبل بعد ٦٠٠ مليون دولار من العائدات»: ميدل إيست أون لاين.

(٣) «داعش صناعة أمريكية صهيونية بتمويل عربي»: محمد سعدان.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وكثير من هذه التيارات والتنظيمات تمويلها الأجهزة المخبرانية الأوروبية والأمريكية، وتدعمها سرًا لخدمة مصالحها، وتحقيق أهدافها، وتشويه صورة الإسلاميين في العالم ووصفهم بالإرهاب، لبلورة رأي عام غربي وعالمي أن الإسلام هو منبع الإرهاب في العالم، ومن ثمَّ يجب على الجميع محاربته والمساعدة في غزو دوله للسيطرة عليها.

يذكر أن تاريخ تنظيم «الدولة» يعود إلى عام ١٩٩٩م، عندما أسَّس الأردني أبو مصعب الزرقاوي تنظيمًا أطلق عليه «جماعة التوحيد والجهاد»، وفي عام ٢٠٠٤م أعلن الزرقاوي مبايعة «القاعدة»، وتغيير اسم التنظيم إلى «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، وتبنَّى التنظيم مسؤولية معظم الهجمات التي ارتكبت في العراق ضد الأمريكان خلال الأشهر اللاحقة، الأمر الذي جعله مركز استقطاب للشباب العراقي الذي يسعى لمواجهة الاحتلال الأمريكي لبلاده.

وفي عام ٢٠٠٦، خرج الزرقاوي على الملا في شريط مصور معلنا عن تشكيل «مجلس شورى المجاهدين» بزعامة عبد الله رشيد البغدادي، وقتل الزرقاوي في الشهر نفسه من إعلانه، وعيّن أبو حمزة المهاجر زعيمًا للتنظيم في العراق، وفي نهاية عام ٢٠٠٦م تم تشكيل تنظيم عسكري يختصر كل تلك التنظيمات، ويجمع كل التشكيلات الأصولية المنتشرة على الأراضي العراقية، إضافة إلى أنه يظهر أهدافها عبر مسماه الجديد «الدولة الإسلامية في العراق» بزعامة أبو عمر البغدادي.

وفي أبريل ٢٠١٣م قُتل كلُّ من أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر في عملية عسكرية أمريكية استهدفت مكانهما، وبعد أسابيع انعقد مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق ليختار أبا بكر البغدادي خليفة لأبي عمر البغدادي، وتم تغيير اسم التنظيم إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (أو «داعش» اختصارًا)، وزعم البغدادي بأنه اندمج مع جبهة النصرة في سوريا، ولكن الجبهة



سرعان ما نفت هذا الاندماج، وبعد شهرين أعلن أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة إلغاء هذا الاندماج^(١)، وأصبح تنظيمًا مسلحًا إرهابيًا يتبنى الفكر السلفي الجهادي التكفيري، ويتخذ من العراق وسوريا مسرحًا لعملياته وجرائمه، ودارت بينه وبين العديد من التنظيمات الأخرى في سوريا، وخاصة جبهة النصرة والجيش السوري الحر صراعات إعلامية، ثم تحوّلت إلى مواجهات دموية؛ حيث كَفَّرَ تنظيم داعش هذه التنظيمات واعتبرها موالية للكفار.

يعتمد البغدادي على مساعدين يمثلانه في كل من سورية والعراق، ويرى محلّلون سياسيون أنه على عكس قادة تنظيم القاعدة الذين حاربوا الاتحاد السوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي ورفضوا ترك السلاح وخوض حرب ضارية ضد الغرب باسم الإسلام، انشق مقاتلو داعش عن القاعدة واختار البغدادي حشد التأييد لإقامة ما أسماها بـ «دولة الخلافة»، ونجح في استقطاب قادة عسكريين في الجيش العراقي وحزب البعث وقيادات سنية غاضبة من سيطرة الشيعة على دواليب السلطة، واستطاع تسويق فكرة الخلافة والحصول على الأسلحة. ووفقًا لصحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية فإن الأذرع القيادية للتنظيم الذين يعملون كمعاونين للبغدادي كانوا جنرالات في الجيش العراقي أيام صدام حسين^(٢).

بدأ هجوم «داعش» على الموصل في ٦ يونيو ٢٠١٤م، وفي ١٠ يونيو سقطت المدينة بالكامل بيد التنظيم بعد فرار عناصر الجيش العراقي منها، وفوجئ العالم وعلت الدعوات إلى إطلاق حملة دولية لمحاربة التنظيم، ولكن أمريكا صاحبة أكبر وأقوى جيش في العالم رفضت إرسال قواتها البرية إلى العراق مجددًا، مما يُشير بوضوح إلى ضلوعها في تأسيس ودعم هذا التنظيم^(٣).

(١) «من هي داعش؟ وما هي اهدافها؟»: موقع قناة العالم.

(٢) «هكذا يعمل تنظيم داعش.. أسرار دولة البغدادي»: موقع مغرس.

(٣) «وثائق سرية: واشنطن سمحت بقيام الدولة الإسلامية»: موقع أخبار ٢٤.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وقد تضاربت الآراء حول حقيقة هذا التنظيم؛ فهناك مَنْ يرى أنها أحد فروع تنظيم القاعدة في سوريا، كما أسلفنا قبل قليل، وفئة أخرى تراه تنظيمًا مستقلًا يسعى لإقامة دولة إسلامية، وفئة ثالثة تراه صنيعة النظام السوري للفتك بالمعارضة وفصائلها، وهناك مَنْ يعتبره تحالفًا مشتركًا بين إيران والدول الغربية وعلى رأسها أمريكا، وذلك للقضاء على التنامي الإسلامي السُّني في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة بعد أحداث الربيع العربي في عام ٢٠١١م^(١)، وهناك مَنْ يعتبره صناعة صهيونية^(٢)، ولا يُستبعد أن تكون لجميع هذه الأطراف يد في نشوء هذا التنظيم؛ إذ إن الجرائم البشعة التي يرتكبها باسم الإسلام لا يمكن أن تُفسَّر إلا أنها حملة من هذه الأطراف لتشويه الإسلام.

داعش فبركة أمريكية صهيونية إيرانية لبسط النفوذ والتدخل في شؤون الدول العربية من حيث الموارد الطبيعية والاستيلاء عليها وكذا إضعاف هذه الدول واستسلامها والتحكم في مصيرها والقضاء على العدو الذي كان يهدد سلامة اليهود باستنزاف قوتها البشرية والتكنولوجية، والفرد العربي يشكل خطرا على الديمقراطية وعلى حرياتهم القومية وسلامتهم بتعصبه^(٣). وقد رصدت صحيفة نيويورك تايمز انتشار هذه القناعة في صفوف العراقيين، في مقال لها نشرته بعنوان «في العراق الشكوك عميقة في أن داعش هي فعلاً صنيعة السي آي إيه»^(٤).

كبح جماح المقاومة العراقية التي بدأت تلملم أجنحتها وتوحد صفوفها لتحرّر العراق من الحكومة الفاسدة التي نصبها أمريكا لنهب نفط العراق وأمواله وتحطيم بناء التحتية وحضارته وذلك بتشويه صورة المقاومة وتجنيد ترسانتها

(١) «حقيقة تنظيم الدولة الإسلامية «السيناريو والأهداف»: هلال جزيلان.

(٢) «وثائق سرية أمريكية تثبت أن داعش صناعة صهيونية»: موقع إجابة.

(٣) «داعش صناعة أمريكية صهيونية لتنفيذ مشاريع هيمنة جديدة في الشرق الأوسط»: محمد لهزاوي.

(٤) «داعش صناعة أمريكية فاخرة»: علي أديب.

الإعلامية والمخابراتية لصناعة وجه دموي لها وتسميته «داعش»، وكذا لتكون أقرب إلى الشرق الأوسط فتعيد ترتيب البيت السوري بما يخدم مصالحها النفطية والإستراتيجية ويحفظ لإسرائيل أمنها واستقرارها من عواصف الشعوب العربية وربيعها الذي قد يغير موازين القوى^(١).

وهناك العديد من التساؤلات التي سيقى لتأكيد فكرة أن داعش صناعة أمريكية صهيونية، ومنها^(٢):

■ من أين جاءت هذه الجماعة الإرهابية بكل هذه الأسلحة الحديثة؟

■ ومن أين أتوا بكل هذا الدعم المادي؟

■ رغم أن داعش تطلق على نفسها «الدولة الإسلامية»، فإذا كانوا يدعون أنهم مسلمين حقاً فلماذا هاجمت في نشأتها معظم الدول العربية دون توجيه أيّ تهديد إلى الكيان الصهيوني رغم أنه العدو الحقيقي للمسلمين؟

■ هل تعجز الولايات المتحدة وحدها بما لديها من تكنولوجيا وأسلحة متطورة عن التخلص من داعش ومن يقومون بدعمها ومباركتها؟

الأضرار والخسائر الاقتصادية للعراق بعد مجئ داعش

تعرض الاقتصاد العراقي لانتكاسة كبيرة بعد سيطرة تنظيم داعش على مساحة ثلث البلاد في العاشر من يونيو ٢٠١٤م، إذ دُمّرت البنى التحتية لأكثر من ثلاث محافظات بسبب المعارك والقصف المستمر من طيران الجيش والقوة الجوية والتحالف الدولي، إضافة إلى أن التنظيم استحوذ على أموال البنوك، وأوقف

(١) «داعش صناعة أمريكية صهيونية لتنفيذ مشاريع هيمنة جديدة في الشرق الأوسط»: محمد لهزاوي.

(٢) «داعش.. صناعة صهيونية - أمريكية بمباركة أوروبية»: عمرو محرم.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

العديد من المنافذ التجارية، وقسّم السوق العراقية إلى شمالية وجنوبية. وقد قُدرت الخسائر الاقتصادية للعراق خلال عام ٢٠١٤م بأكثر من ٣٠٠ مليار دولار^(١)، وهناك مَنْ يوصلها إلى أكثر من ٥٠٠ مليار دولار إذا تم اعتبار الخسائر الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، ولا ننسى أيضًا الخسائر غير المباشرة وطويلة الأمد والمتمثلة بفقدان فرص التعليم والصحة والتنمية الاقتصادية، سواءً في قطاعات الزراعة أم الصناعة أم الخدمات.

وتفيد تقارير عراقية^(٢) بأن حجم الأضرار في البنى والممتلكات والمشاريع العامة في العراق جراء سقوط المدن بيد داعش بين أبريل ٢٠١٤م ويوليو ٢٠١٦م قد تجاوزت ٢٣ مليار دولار، وأن عدد النازحين قد تجاوز ٣ ملايين و٥٠٠ ألف نازح منتشرين في محافظات العراق. ويفيد تقرير للأمم المتحدة^(٣) بأنه في الفترة من يناير ٢٠١٤م وأكتوبر ٢٠١٥م قتل قرابة ١٩ ألف مدني، وأصيب أكثر من ٣٦ ألف، وأضحى أكثر من ثلاثة ملايين شخص نازحين داخل العراق، بمن فيهم ما يزيد على المليون طفل في عمر الالتحاق بالمدارس، وقد ارتفعت نسبة البطالة إلى ١٥٪ بعدما كانت ١٢٪ بعد مجيء داعش، وارتفعت معدلات الفقر إلى ٣٠٪ بعدما كانت ١٩٪^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن العائدات السنوية لتنظيم داعش قُدرت في عام ٢٠١٤م بحوالي ١,٨ مليار دولار^(٥)، ثم تراجعت في عام ٢٠١٦م إلى أقل من ٢٠٠ مليون دولار، وذلك بسبب التقهقر على مدى ارتكاز النظام الاقتصادي للتنظيم

(١) «أكثر من ٣٠٠ مليار دولار خسائر العراق الاقتصادية خلال العام الماضي»: وكالة نون الخيرية.

(٢) «العراق يسجل خسائر بقيمة ٢٣ مليار دولار بسبب الحرب على الإرهاب»: الشرقية للأخبار.

(٣) «خسائر العراق البشرية: أرقام في أرقام»: كاظم الموسوي.

(٤) «أكثر من ٣٠٠ مليار دولار خسائر العراق الاقتصادية خلال العام الماضي»: وكالة نون الخيرية.

(٥) «نفت ونهب... هل أصبح تنظيم «الدولة الإسلامية» على حافة الإفلاس؟»: سياسيتان سايت.



على السيطرة على الأراضي وأيضا على التوسع الذي يمكنه من الاستيلاء عليها وسلبها. وتأتي عائدات التنظيم أساسًا من الضرائب والنهب والنفط وبدرجة ثانوية من فديات مقابل إطلاق سراح الرهائن. وأوضح دانييل جلاسر مساعد وزير الخزانة الأمريكي لشؤون تمويل الإرهاب بمكتب الإرهاب والمخابرات المالية بوزارة الخزانة بأن عائدات التنظيم تعتمد كثيرًا على الضرائب التي تُجمع في مناطق خاضعة للدولة الإسلامية، وأن أحد السبل لمقاومة التنظيم هو تجفيف السيولة في المناطق الخاضعة للدولة الإسلامية^(١).

حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في العراق

لقد رأينا في هذه الجولة السريعة في تاريخ العراق القديم والحديث كيف أزهدت ملايين الأرواح من الأبرياء باسم الدين والحرية والديموقراطية، وكيف أن الحروب والصراعات المتواصلة على بلاد الرافدين قد أهكت الحرث والنسل، وكيف خسرت الأمة بأكملها خيرة علمائها وشبابها وأطفالها لا من أجل هدف نبيل يعود بمنفعة على هذا الإنسان بغض النظر عن انتمائه وعقيدته، ولكنه الإيمان والعقيدة عندما يذبلان في قلب المؤمن.

إن مكائد الأعداء، وإن كانت عظيمة الخطب جليلة الخطر، غير أنها ما كانت لتحدث لولا تمكين المسلمين رقابهم لسيوف أعدائهم. إن التفرق والتشردم، والانقسام إلى مذاهب متباغضة وطوائف متناحرة وأحزاب بأيديولوجيات لا تمت إلى الإسلام والأمة بصلة، كل ذلك قد أعان الأعداء أن يجدوا لهم موطئ قدم على أرض العراق، ولو تناسى أهل العراق اختلافاتهم المذهبية ونزعاتهم الطائفية لاستطاعوا أن يقفوا سدًا منيعًا أمام كل من تُسوّل له نفسه المساس بشعب أو خيرات العراق.

(١) «مسؤول أمريكي: تراجع عائدات الدولة الإسلامية من النفط إلى النصف»: موقع رويترز العربية.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

إن الأمة عندما تستقيم على دين الله فإن كل فردٍ فيها سيضع نصب عينيه مخافة الله ورقابته عليه، ولن تُحدّثه نفسه بالمساس بعرض أو دم أو مال أخيه، وسيكون أحرص الناس للحفاظ على ترابط الأمة وتماسكها، وحينها سينعم الفرد والمجتمع والأمة بأسرها بطمأنينة اليقين بالله والسعادة بالعيش في كنف دينه والهناء برغد الألفة والمحبة التي يقذفها سبحانه في قلوب عباده.

من خلال ما سُقناه في هذا الفصل من الأرقام والإحصائيات المتعلقة بالأرواح التي تم إزهاقها والمدن والممتلكات التي تم تدميرها، يمكننا استخدام بعض التقديرات لحساب العائدات الاقتصادية التي يمكن أن تجنيها الأمة فيما لو استقامت على دين الله، وكانت مالكة لزمان أمورها، بأسطة نفوذها على أراضيها.

لغة الأرقام

- ✖ عدد الشهداء والقتلى من العراقيين في غزو المغول = مليون شخص.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في غزو تيمورلنك = ٢٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في حروب الصفويين = ١٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في حروب المماليك = ١٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في الصراع بين العثمانيين وأعدائهم = ١٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في الصراع مع البريطانيين = ١٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في الصراعات الداخلية = ١٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في الحرب العراقية الإيرانية = ٤٠٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في حملات صدام للقضاء على الثورات الداخلية = ١٠٠,٠٠٠ قتيل.
- ✖ عدد الأفراد الذين أيدوا بالأسلحة الكيميائية = ١٨٠,٠٠٠ شخص.
- ✖ عدد القتلى من العراقيين في حرب الخليج الثانية = ٦٠,٠٠٠ قتيل.



- ✕ عدد القتلى من العراقيين بسبب الغزو الأمريكي للعراق والسنوات التي أعقبت ذلك = مليون قتيل.
- ✕ عدد القتلى من العراقيين بسبب تنظيم داعش = ٢٠,٠٠٠ شخص.
- ✕ عدد وفيات الأطفال العراقيين بسبب الحصار = ١,٥ مليون طفل.
- ✕ عدد المعاقين والمشوّهين والمصابين بأسلحة الاحتلال ومليشيات وعصابات الموت = مليون شخص.
- ✕ مجموع عدد الشهداء والقتلى = ٤,٩٧ مليون شخص.
- ✕ العائد الإنتاجي السنوي فيما لو بقي هؤلاء على قيد الحياة = ٤,٩٧ مليون شخص $\times ٨$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times ٢٣٠$ يوم عمل في السنة $\times ٢٠$ سنة كمتوسط للعمر الإنتاجي لكل فرد من هؤلاء = ١٨٢,٨٩٦ مليار دولار.

وكما ذكرنا في الفصل السابق المتعلق بأفغانستان، فإن هناك عائدات أخرى يمكن أن تحصل عليها الأمة من خلال توفير قيمة السلاح المستنزف في هذه الصراعات والحروب، بالإضافة إلى المبالغ الضخمة التي يمكن توفيرها من إعمار القرى والمدن التي يلحقها الدمار بسبب هذه الحروب، وما يصرف على مداواة الجرحى والمعاقين المتضررين بسببها، وما يتم إنفاقه على اللاجئين والمشرّدين، إضافة إلى ملايين العقول التي تخسرها الأمة عندما تهاجر من أوطانها، أو تعيش في بلادها تقاسي المرض والجوع، وتتجرّع الغصص والويلات من فقدان الأحبة وتدمير الديار.



لغة الأرقام

- ☒ قيمة الأسلحة المستخدمة من قبل العراقيين أثناء هذه الحروب والصراعات = ١٠ حروب × مليون قطعة حربية مستخدمة في كل حرب × ١٠٠ دولار قيمة كل بندقية = مليار دولار.
- ☒ قيمة ما يصرف على إعمار القرى والمدن بعد كل حرب = ١٠ حروب × ١٠٠ قرية ومدينة تتضرر من جراء كل حرب × مليون دولار قيمة إعمار كل قرية = مليار دولار.
- ☒ قيمة ما يصرف على مداواة الجرحى والمعاقين = ١٠ حروب × ١٠ آلاف من الجرحى والمعاقين الذين يتضررون من كل حرب × ١٠,٠٠٠ دولار تكاليف علاج كل واحد منهم = مليار دولار.
- ☒ قيمة الإنفاقات على اللاجئين والمشردين = ١٠ حروب × مليون مشرد ولاجئ من آثار كل حرب × ٣٦٥ يوماً مدة بقائهم كمشردين ولاجئين × ١٠ دولار تكلفة إعاشة كل واحد منهم في اليوم الواحد = ٣٦,٥ مليار دولار.
- ☒ مجموع ما كان يمكن توفيره من مصاريف الحروب في العراق = ٣٩,٥ مليار دولار.
- ☒ مجموع ما يمكن أن توفره الأمة لو كانت قد استطاعت تجنب هذه الحروب والصراعات في العراق = ١٨٢,٨٩٦ مليار العائد الإنتاجي للشهداء والقتلى فيما لو بقوا على قيد الحياة + ٣٩,٥ مليار ما كان يمكن توفيره من مصاريف هذه الحروب لو تم تلافيها = ٢٢٢,٣٩٦ مليار دولار.

إن هذه الأرقام لا تساوي شيئاً مع الخسائر الفعلية؛ حيث ذكرنا أن الخسائر الاقتصادية لحرب الخليج الأولى قُدرت بما لا يقل عن ٤٠٠ مليار دولار، وقُدرت خسائر الأمريكان في غزو العراق بأكثر من ثلاثة ترليونات، ولا بُدَّ أن تكون خسائر العراقيين أكبر من ذلك بكثير. كذلك، فقد رأينا أن خسائر الاقتصاد العراقي بسبب داعش تُقدَّر بأكثر من ٥٠٠ مليار دولار.

٣- حرب الإبادة ضد الشعب الكشميري

تشتهر (كشمير) على امتداد العالم بجمالها الأخاذ، وتعتبر (شرينجار) العاصمة الصيفية لولاية (جامو وكشمير)، ويقال إن الإمبراطور (أشوكا) (٢٣٢ - ٧٢ ق.م) هو الذي قام ببنائها، ويتدفق (نهر الجهيلم) عبر وسط (شرينجار)، وفوقه تسعة جسور، تربط الجزأين. وفي وسط المدينة ربوة صغيرة ولكنها رائعة الجمال يطلق عليها (ربوة هاري باربات)، وتنبؤ الحياة في الربوة عندما تزهو أشجار اللوز في بداية فصل الربيع، وفي هذا الوقت من العام تتدفق جموع الكشميريين إلى هذه الربوة حاملين معهم السخانات التي يُعدّون عليها الشاي الكشميري تحت ظلال الأشجار.

ولعل أول ما يلفت النظر داخل المدينة آلاف الحرفيين الذين يعملون في جماعات أو بمفردهم، وتزخر المدينة بمحال المشغولات اليدوية، وفيها أيضاً السوق الحكومي المركزي للمشغولات اليدوية، ومركز المعارض والعديد من المراكز الفنية الحكومية، والبازار الكبير الذي يضم العديد من المحال الخاصة على ضفاف بحيرة دال. وبحيرة دال هي مجرى مائي رائع الجمال، مياهها زرقاء تميل إلى الفضي، والقوارب فيها ذات ألوان زاهية، وتعدّ قلب (شرينجار) النابض. وتزين زهور اللوتس بحيرة دال وغيرها من المسطحات المائية في (كشمير)، وجمالها الطبيعي يجعلها الملهمة المفضلة لدى صانعي المشغولات اليدوية.

عَيْنِي بِأَجْمَلٍ مِنْ جَنَاتِ كَشْمِيرِ^(١)
عَلَى جِبَالٍ مُضِيئَاتٍ مِنَ النُّورِ

كَشْمِيرُ جَنَّةُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَا نَظَرْتُ
عَبَرْتُ فِي أَقْفِهَا فِي طَائِرٍ فَسَرَى

(١) «ديوان نغمات من أرض النخيل»: عباس الخزام.

كَأَنَّهَا غَابَةٌ مِنْ فَضْءٍ، فَإِذَا
نَظَرْتُهَا صِرْتُ مِنْهَا شِبْهَ مَسْحُورٍ
مَشَيْتُ فِي رِبَوَاتٍ كُلُّهَا كُسِيَتْ
بِالْوَرْدِ، مَا بَيْنَ قُمْرِيٍّ وَشَحْرُورٍ

تبلغ مساحة (كشمير) حوالي ٢٤٢ ألف كم^٢، وتختلف المصادر التي تتحدث عن تعداد السكان ما بين المصادر الباكستانية والهندية، فالهنود يقولون ٦ ملايين، أما الباكستانيون فيقولون ١٣ مليوناً، ٥, ٨ ملايين تحت سيطرة الهند في جامو وكشمير، و٥, ٢ مليون نسمة في كشمير الحرة، غير أن جميع الإحصاءات تؤكد الأغلبية الإسلامية. ويتكون الشعب الكشميري من أجناس مختلفة أهمها الآريون والمغول والأتراك والأفغان، وعندهم عدة لغات أهمها الكشميرية والهندية والأوردو، ويستخدمون الحروف العربية في كتاباتهم.

يعود تاريخ دخول الإسلام إلى كشمير إلى القرن الأول الهجري، زمن محمد بن القاسم الثقفي الذي دخل السند ووصل إلى كشمير، وانتشر الإسلام في أغلبية البلاد خلال القرن الرابع عشر الميلادي؛ عندما اعتنق رينجن شاه- وهو حاكم كشميري بوذي- الإسلام في ١٣٢٠م على يد سيد بلال شاه (المعروف كذلك باسم بلبل شاه)، وهو رَحَّالٌ مسلم من تركستان. وقويت شوكة الإسلام خلال حكم شاه مير (١٣٣٨م - ١٣٤٤م)، وأنحَرَطَ العلماء في صفوف الجماهير لتبليغ دين الله، ومعظم هؤلاء العلماء قَدِمُوا من وسط آسيا، وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كان أغلبية سكان كشمير قد اعتنقوا الإسلام، واستمر الحكم الإسلامي في كشمير قرابة خمسة قرون، من ١٣٢٠م إلى ١٨١٩م، ويعتبر هذا العهد «العصر الذهبي» لتاريخ الولاية، وذلك لما كان يتمتع به الشعب الكشميري من الرفاهية والحرية والأمن والسلام تحت رعاية حكام مسلمين.

تاريخ الصراعات الدائرة في كشمير

في سنة ١٨١٩م قام حاكم البنجاب السيخي «رانجيت سينغ» بغزو كشمير،



وحكمها حتى سنة ١٨٤٦م، وأذاق شعبها الويلات؛ ففرض الضرائب الباهظة، وأجبر الناس على العمل دون أجر، وسنَّ قوانين عنصرية تجاه المسلمين، وأغلق العديد من المساجد، ومنع إقامة الصلوات فيها، وكان دم المسلم أرخص من سواه، في حين كان القانون يعتبر ذبح بقرة جريمة عقوبتها الموت!! وعندما سيطرت بريطانيا على الهند سنة ١٨٤٦م قامت ببيع ولاية كشمير لـ «غلاب سينغ» بمبلغ ٥,٧ مليون روبية، بموجب «اتفاقية أمريتسار» (مارس ١٨٤٦م)، وذلك غداة الحرب الأولى التي نشبت بين الإنجليز والسيخ. وقد استطاع غلاب سينغ بمزيج من الغزو والدبلوماسية أن يسيطر على جامو وكشمير، بما في ذلك مناطق لاداخ وبلتستان وجلجت، وأنشأ نظام حكم لعائلة «دوغرا» التي حكمت كشمير حتى سنة ١٩٤٧م.

وكانت هذه أول مرة يقع فيها أغلبية المسلمين تحت حكم أقلية غير مسلمة منذ دخولها الإسلام، وعانى المسلمون طوال قرن من الظلم والاضطهاد والإبادات، وتم منعهم من تولي الوظائف العسكرية والمدنية؛ حيث تولت خلال هذا القرن ٢٨ حكومة لم يكن فيها مسلم واحد، وفرضت ضرائب شديدة لأداء عباداتهم فقط، كما أن الهندوسي إذا أسلم صودرت أملاكه، وبالمقابل فإن المسلم إذا ارتد فإنه ينعم بحياة رغيدة. وهكذا عاش ٨٠٪ من الشعب المسلم مضطهدًا من قلة حاكمة لا تزيد على ٢٠٪ من السكان، وكان لهذا الأمر أثر بالغ في إحساس المسلمين بالمرارة والظلم؛ فأدى ذلك إلى ظهور انتفاضات للمسلمين في تلك المناطق.

وقد اندلعت الحركة الشعبية الكشميرية في سنة ١٩٣١م حينما منع موظف حكومي إمام المسجد من إلقاء خطبة الجمعة، فقام شخص يدعى عبد القدير بإلقاء خطاب حماسي حول القرارات التي يصدرها المهراجا ضد المسلمين. تبنت المقاومة الإسلامية في الولاية الأسلوب السلمي لمواجهة التحدي الهندوسي



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

مثل إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية والنموذجية، ونشر الدعوة الإسلامية بالأساليب الميسرة والوسائل المتوفرة، وتوحيد كلمة المسلمين، والمطالبة بإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية وفقاً لقرارات جمعية الأمم المتحدة.

وقد تفجّرت مشكلة كشمير بعد قرار تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م بين الهند وباكستان، ونصّ القرار على انضمام الولايات ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، والولايات ذات الأغلبية غير المسلمة إلى الهند، وكان يُفترض وفقاً لذلك القرار انضمام كشمير ذات الأغلبية المسلمة التي تزيد على ٨٥٪ إلى باكستان، لكن الهند رفضت القرار، وقاوم الشعب الكشميري الاحتلال الهندي للإقليم، واستطاع استرداد ثلث الإقليم المعروف الآن باسم آزاد كشمير أو كشمير الحرة، وانضم هذا الجزء إلى باكستان، بينما ظل الجزء الثاني في حوزة الهند. وقد حارب شعب آزاد كشمير الجيش الهندي لمدة ١٥ شهراً من أجل استرداد ذلك الجزء، وكاد الحُلم أن يتحقق لولا المؤامرة الدولية، حيث تدخلت الولايات المتحدة بناءً على طلب رئيس وزراء الهند الذي تقدّم بطلب للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار عام ١٩٤٩م، الأمر الذي اعتُبر تعطيلاً لمسيرة التحرير؛ حيث كان من المتوقع تحرير كشمير في فترة لا تزيد عن شهرين.

وبالرغم من ذلك صدر قرار من الأمم المتحدة يقضي بإجراء استفتاء لتقرير المصير لشعب كشمير، ويُقرر سكان الإقليم إما الاستقلال، أو الانضمام إلى باكستان، أو البقاء تحت سيطرة الهند، ولكن الأخيرة لم تقم بتنفيذ القرار على اعتبار أن سكان الإقليم سيقرون الانضمام إلى إخوانهم في آزاد كشمير، ومن ثم تفضيل الجانب الباكستاني.

ومن العجيب أن هناك زعماء هنود قد اعترفوا بأحقية الشعب الكشميري في تقرير مصيره فقد أكد (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند ذلك الوعد في برقيته

إلى رئيس وزراء باكستان آنذاك السيد (لياقت علي خان) في ٣١ أكتوبر ١٩٤٧م قائلاً: «إننا تعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور، وأن نترك مواطنيها ليمارسوا حقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا التعهد لا نعلنه أمام حكومتكم فحسب، بل نعلنه أمام أهالي كشمير وأمام العالم كله»^(١). وقال في مؤتمر صحفي عُقد في لندن بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥١م: «لقد قبلنا دائماً ومنذ البداية فكرة أن يُقرّر شعب كشمير مصيره بالاستفتاء العام، وفي نهاية المطاف فإن قرار التسوية النهائية - وهو آتٍ بلا ريب - لا بُدَّ أن يتّخذ في المقام الأول شعب كشمير أساساً». وقال أيضاً في البرلمان الهندي بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٥١م: «لقد تعهّدنا لشعب كشمير، ومن ثمّ للأمم المتحدة، وقد التزمنا بتعهّدنا وما زلنا نلتزم به اليوم، فليكن القرار لشعب كشمير».

وبسبب التعتُّ والصِّلَف الهندي الذي أفشل كل الجهود السلمية ولأكثر من ٦٠ سنة، رفع قادة حركة المقاومة الإسلامية في ولاية جامو وكشمير المسلمة راية الجهاد في بداية عام ١٩٩٠م، وبذلك تحوّلت حركة المقاومة الإسلامية في الولاية إلى حركة جهادية شاملة. وقد عملت الحركة الجهادية على القضاء على المعالم الحضارية الهندوسية في أنحاء الولاية؛ حيث أغلقت مراكز الخمر ومجلات الفيديو ودور السينما والملاهي وجميع المراكز التي أقيمت من قِبَل الحكومة الهندية لنشر الإباحية والفساد. وقررت النساء المسلمات في الولاية ترك ارتداء الزّي الهندوسي الذي كُنَّ يلبّسنه نتيجة الهجمة الثقافية الهندوسية، وأقبلن بصورة كبيرة على ارتداء اللباس الشرعي. كذلك، فقد قامت الحركة الجهادية بإنشاء المجالس التشريعية الإسلامية، والتي هي بمثابة محاكم إسلامية تستند إلى أحكام الشريعة في معاملاتها، وبدأ الناس يتجهون إلى تلك المحاكم الإسلامية للفصل في قضاياهم وفقاً للشريعة الإسلامية.

(١) «المسلمون حول العالم»: موقع فيس بوك.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على النزيف الدموي وانتهاكات حقوق الإنسان في ولاية كشمير، لم يقم المجتمع الدولي بأيّ جهد لإيقاف هذا النزيف، وإعادة الحق إلى أهله، وتمارس القوات الهندية جرائم وحشية لا مثيل لها في التاريخ؛ من قتل وتعذيب وتشريد للسكان، وهتك للأعراض، وحرق للمنازل والمتاجر والحقول.

ومن أهم أسباب تأزم القضية الكشميرية ما يلي:

١ - السعي الهندي لتغيير هوية الأزمة الكشميرية، وتحويلها من قضية إنسانية إسلامية إلى نزاع سياسي، وحصرها في النطاق الداخلي الهندي، وليس اعتبارها أزمة إقليمية دولية، ولذلك لا يسمح حكام الهند بطرح هذه القضية أمام المحافل الدولية.

٢ - إن باكستان التي تدّعي بأنها تريد ضم كشمير إليها تستخدم قضية كشمير كأداة للضغط على الهند، فنظرة الساسة الباكستانيين إلى كشمير نظرة مصلحة تستخدم لكسب الأصوات الانتخابية، وفي المقابل يبدو أن الكشميريين أنفسهم يفضلون الاستقلال وليس الضم إلى أية جهة.

٣ - يعود قسم من أسباب الاضطرابات في كشمير إلى السياسات المتطرفة لحزب بهاراتيا جاناتا الذي يقوده رئيس الوزراء الهندي؛ فهذا الحزب وعد بإعادة ١٠٠ ألف هندوسي طردوا في بداية التسعينيات إلى كشمير، وعلى هذا فإنه على العكس من الحكومات السابقة التي كانت تريد إنعاش السياحة والاقتصاد في كشمير من أجل إرساء الاستقرار والهدوء، فإن حكومة حزب بهاراتيا جاناتا رفعت شعارات هندوسية متطرفة، وانتهجت أسلوب القمع لإسكات الكشميريين، وبذلك أصبح الصراع في كشمير دينياً بين المسلمين والهندوس.

٤ - يعتقد الساسة والعسكريون الهنود بأن انفصال كشمير عن الهند المتعددة القوميات سيؤدي إلى تقسيم الهند وبدء صراعات الانفصال الدامية، ومن جهة أخرى فإن لكشمير موقعًا ومكانة استراتيجية هامة في المنطقة.

٥ - يؤدي تجاهل الشعب الكشميري إلى استمرار هذه الأزمة؛ إذ إن القرارات الدولية الصادرة حول كشمير تهتم فقط بمصالح الهند وباكستان وتجاهل حقوق الشعب الكشميري.

٦ - السياسات الاستراتيجية والأمنية لأمريكا وبريطانيا هي أيضًا من عوامل تعقيد الأزمة الكشميرية وبقائها من دون حل؛ فواشنطن ولندن لا ترغبان في حل قضية كشمير من أجل إبقاء الهند وباكستان النوويتين تحت سيطرتهما.

يقول الخبير في قضايا كشمير «روح الله رضوي»^(١) بأن وجود الأزمات الإقليمية حال دون الاهتمام بالقضية الكشميرية كما يجب وخاصة في السنوات الأخيرة، فالهند وباكستان تنظر كل منهما إلى هذه القضية من منظارهما الخاص، وهذا منع بلورة رؤية دولية تجاه قضية كشمير، إن الهند تعتبر قضية كشمير قضية داخلية، وباكستان تستخدم القضية كأداة ضغط على الهند، ومن أجل المصلحة فقط، وهذا تسبّب في عدم انتشار أخبار ومعلومات صحيحة عن الأوضاع الداخلية لكشمير إلى الخارج، وقد زاد وجود الأزمات الإقليمية من تشتت الانتباه وتجاهل وتهميش كشمير.

وبغض النظر عن رغبة الشعب الكشميري في تقرير مصيره، فإن باكستان ترغب في ضمها بأكملها إليها، ويمكن إيجاز مبرراتها لذلك كما يلي:

(١) «لماذا يتجاهل العالم مأساة كشمير، وأين يكمن الحل؟»: موقع الوقت.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

✓ تُعدُّ كشمير من الناحية الحضارية ألصق بباكستان؛ ذلك لأن ٨٠٪ من سكانها مسلمون، وهناك تقارب بينهما في اللغات والتقاليد والعادات.

✓ تشترك كشمير مع باكستان بحدود سياسية تعادل ضعف حدودها مع الهند، وتتصل بباكستان اتصالاً طبيعياً، يوضحه انحدار السطح مع مجاري الأنهار التي تأتي روافدها من كشمير، وهناك طرق برية عديدة تمتد بجوار مجاري الأنهار والروافد. وفي مقابل هذا كله، فإن الهند ليس لها اتصال طبيعي بكشمير إلا في منطقة ضيقة في الجنوب الشرقي، وهي منطقة جبلية ليس بها ممرات أو طرق جيدة، ومن ثم فإن أغلب الاتصال يتم الآن بواسطة الطائرات.

✓ ترتبط كشمير وباكستان بعلاقات اقتصادية وثيقة؛ فالأخشاب التي تُقَطَّع من غابات كشمير تُعدُّ من أهم مواردها، وهذه تُلقى في مجاري الأنهار، ويحملها التيار إلى أسواق الخشب الباكستانية، وتُسهم هذه بنحو ٢٥٪ من الدخل القومي لكشمير، وكذلك فإن الفاكهة تُعدُّ أحد موارد كشمير المهمة، وهي أيضاً تتجه إلى باكستان، وبالإضافة إلى هذا فإن كشمير ترتبط بالعالم الخارجي عن طريق ميناء كراتشي الباكستاني.

✓ تستورد كشمير من باكستان ما يلزمها من واردات، ومن أهمها الملح والحمص والقمح والصوف والزيوت، ويجد كثير من عمال كشمير سبلاً للرزق في سهول باكستان.

جرائم الهندوس

قضية كشمير قضية إسلامية عالمية فيها مأساة حقيقية لشعب قد ظلم وذاق مرارة الاحتلال، وطالت بليّته، وعلا صراخ حرائره وآهات معدّيه وأصوات علمائه، ولا يزال شعب كشمير يعاني ويلات الحرب. وقد قامت القوات الهندوسية خلال هذه



الصراعات بقتل أكثر من ٣٠ ألف مسلم في إقليم (جامو) وحده، وأجبرت حوالي ٥٠٠ ألف مسلم على الهجرة إلى باكستان، فتحوّلت (جامو) من مقاطعة ذات أغلبية مسلمة إلى مقاطعة ذات أقلية مسلمة^(١). وتزامنت هذه الأوضاع مع تزوير الحكومة الهندية وثيقة باسم الملك الهندوسي للولاية (هري سينغ)، وجعلتها مبرراً لإدخال قواتها في الولاية في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ م^(٢).

وفي تقرير مشترك أصدرته منظمة مرصد آسيا وأطباء لحقوق الإنسان في عام ١٩٩٣ م قُدِّر عدد الضحايا المدنيين الذين سقطوا على يد القوات الهندية بين عامي ١٩٩٠ م و ١٩٩٣ م فقط بستة آلاف شخص^(٣)، في حين يؤكد تقرير فريق حقوق الإنسان التابع للبرلمان البريطاني أن العدد يتراوح بين ١٠ آلاف و ٢٥ ألفاً^(٤). وتفيد تقديرات صندوق أنصار بورني، وهي مؤسسة باكستانية لحقوق الإنسان، أن عدد القتلى بلغ ٦٢ ألفاً^(٥). وبحسب تقديرات باحثين محايدين فإن عدد القتلى المدنيين على يد القوات الهندية خلال تلك السنوات (١٩٩٠ م-١٩٩٣ م) بلغ ٣٠ ألفاً، وكانت أعداد المحتجزين حوالي ٦٠ ألفاً تعرض معظمهم للتعذيب وأصيب العديد منهم بعاهاث مستديمة.

أما منظمة مراقبة حقوق الإنسان (Human Rights Watch) فقد ذكرت في تقريرها عام ٢٠٠٠ م استناداً إلى تقارير صحفية اعتمدت بدورها على مصادر طبية وأمنية أن أعداد القتلى منذ نهاية ١٩٨٩ م حتى ١٩٩٣ م بلغ ما بين ١٦-١٧ ألفاً. ويؤكد البروفيسور أليف الدين الترابي- الأمين العام لهيئة الإغاثة في كشمير- في حوار أجرته معه «إخوان أون لاين» على أن عدد القتلى منذ انطلاق الحركة الجهادية

(١) «القضية المنسية - إقليم كشمير»: دعاء عمر.

(٢) «كشمير.. قضية لا تموت»: يوسف عبد الرحمن.

(٣) «حقوق الإنسان في كشمير»: قناة الجزيرة.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الكشميرية في عام ١٩٩٠م وإلى عام ٢٠٠٦م قد بلغ قرابة ٨٩ ألفاً، هذا غير القادة السياسيين الذين اغتالهم الهندوس وبلغ عددهم ٤٥٠، وغير الشهداء من العلماء والمشايخ وأئمة المساجد الذين اغتيل منهم أكثر من ٤٧٠ شخصاً^(١).

ورغم أنه يسود أحياناً بعض الهدوء إلا أن المواجهات تنفجر بين المجاهدين - وأحياناً بين الشعب الكشميري - والهندوس؛ كما حدث في عام ٢٠٠٨م حينما قررت حكومة ولاية كشمير إعطاء قطعة أرض للهندوس غير الساكنين في كشمير لبناء معبد لهم، فقاد الشعب الكشميري نضالاً سلمياً كبيراً ضد هذا الأمر، ولكنه قوبل بالقمع، مما أدى إلى مقتل ٩٢ شخصاً، واستمرت الاضطرابات عامّاً كاملاً، وفي شوال ١٤٣٧هـ (يوليو ٢٠١٦م) نزل أنصار جماعة «حزب المجاهدين» المسلحة إلى الشوارع احتجاجاً على مقتل زعيمهم «برهان مظفر واني» وأحرقوا ٣ مقرات للشرطة ومبنيين حكوميين، وقتل ٧٤ كشميرياً وجرح ٣ آلاف منهم.

ومنذ أن تسلّم رئيس الوزراء الهندي ناريندا مودي السلطة في عام ٢٠١٣م شرع في سياسة تؤكد أن بلاده تريد القضاء على هوية إقليم كشمير الخاصة، وتريد أن تُنهي نزاعها مع باكستان ليس من خلال تلبية قرارات الأمم المتحدة في الإقليم بل بالقضاء على الإقليم وجعله جزءاً لا يتجزأ من الهند برمتها، ومن الإجراءات التي اتبعتها ناريندا مودي والهادفة إلى طمس هوية الإقليم والقضاء على وضعه الخاص^(٢):

■ منع باكستان من مزاعمها في انتماء الإقليم إليها، أو بحق الإقليم في أن يشهد استفتاءً عامّاً لتقرير مصيره.

■ فرض الحكم المباشر على إقليم كشمير بعد أن كان يتمتع بحكم شبه خاص، وكان يُدير شؤونه عبر برلمان خاص به وحكومة إقليمية.

(١) «إخوان أون لاين» يحاور رئيس تحرير مجلة كشمير المسلمة: موقع إخوان أون لاين.

(٢) «كشمير الواقعة في الشطر الهندي.. مهددة»: مجلة المجتمع.



■ الشروع ولأول مرة في تاريخ الصراع الهندي الباكستاني على كشمير في بناء مستوطنات للهندود القادمين إلى الإقليم للعمل والإقامة فيه؛ حيث شرعت الحكومة المتطرفة في الهند بتحريض وتشجيع الهندوس والسيخ بالهجرة إلى كشمير مقابل رواتب سخية، وسهولة حصولهم على حق السكن والتعليم والعلاج وغيره؛ وهو الأمر الذي شجّع عشرات الآلاف منهم للهجرة إلى كشمير تحت دعوة العمل في مؤسسات حكومية وشركات أجنبية، لكن السبب الحقيقي كان في أنهم أخذوا يُغيّرون التركيبة السكانية للإقليم؛ حيث يمثل فيها المسلمون الكشميريون ٨٠٪، وتوزع النسبة المتبقية بين الهندوس والسيخ والبوذيين وغيرهم، وراحت الحكومة تُسكّن الهندوس الراغبين في الإقامة في كشمير في مناطق سكنية داخل العمق السكاني للمسلمين، وتوزعهم على مناطق محدّدة لتسهيل عملية تغيير التركيبة السكانية، حتى يمكنها القول بأن المسلمين لا يمثلون الغالبية، وحتى إذا وافقت الهند على إجراء استفتاء في المستقبل فإنها قد تضمن إخفاق المسلمين في إعلان انفصالهم عنها وانضمامهم إلى باكستان في حالة تساوي السكان المحليين بين مسلمين وغير مسلمين، ومنذ تولي «مودي» الحكم وهو يسعى جاهداً لتغيير تركيبة المنطقة السكانية، وأخذ يستولي على أراضي المسلمين الكشميريين تحت دعاوى مختلفة، وإسكان الهندوس والسيخ وغيرهم فيها.

■ شرعت الحكومة الهندية في كشمير في الحقبة الأخيرة إلى تحويل السكان الهندوس والسيخ الموالين لدلهي إلى مواطنين من الدرجة الأولى، وتوفير فرص عمل لهم في قطاعات الدولة وأهم مفاصلها، بينما يتم إبعاد المسلمين عن هذه الوظائف المهمة، وعن تولي مهمات مؤثرة، وجعلهم مع مرور الوقت سكاناً من الدرجة الثانية، وينظر الهندود على أنهم كلما أوصلوا هندوس ليشرفوا على مفاصل الحكومة الإقليمية وللسيطرة على قطاعات الإدارة والإعلام والأمن وغيرها؛ ضمنوا تغيير رؤية السكان إلى مستقبلهم، والتراجع عن تأييد فكرة الاستقلال أو الانضمام إلى باكستان.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

■ تدويل الصراع وإظهاره على أنه صراع بين الهند والمجموعات المسلحة الموالية لباكستان، وأغلبها تنتمي إلى منظمات إرهابية عالمية قررت الأمم المتحدة إدراجهم فيها ومعاينة من يتعامل معهم، وتحاول الحكومة الهندية إلصاق تهمة «القاعدة» و«داعش» وغيرها من المنظمات غير المشروعة في قائمة الأمم المتحدة، ودعوة المنظمة إلى القيام بمسؤولياتها في الضغط على إسلام آباد حتى تكف عن تحريض الإرهابيين ضدها في كشمير ودعمهم بمختلف وسائل الدعم.

■ أطلقت تهديدات رسمية كشفت فيها أن كشمير المتنازع عليها ليست الواقعة تحت السيطرة الهندية، بل إن كشمير الباكستانية هي المتنازع عليها بين البلدين، وأنها تاريخياً جزء من الأراضي الهندية، وأن على باكستان أن توقف تدخلها في شؤونها الداخلية، واعتبار أن كشمير الواقعة تحت سيطرة الهند أو سيطرة باكستان جميعها أراضي هندية، وأن باكستان قد قامت باحتلالها، وأن لديها كامل الحق والصلاحيات في إعادة كشمير الباكستانية إليها وفرض الحكم الهندي عليها.

وبعد انتخاب الحكومة الهندوسية في عام ٢٠١٤م، برئاسة رئيس الوزراء ناريندا مودي، انعكست سياساتها على كشمير بشكل كبير؛ حيث تم السماح لقوات الأمن بممارسة القتل المتعمد والإعدام دون العودة للقضاء، وسُمح للقناصة الهندية بإطلاق النار بحجة مكافحة الإرهاب، وهو ما يجعل سياسة التطرف تزداد وتستشري ضد أبناء المنطقة مع مرور الزمن. وكانت منظمة العفو الدولية قد أصدرت في عام ١٩٩٣م تقريراً^(١) عن حوادث القتل التي ارتكبتها الجيش الهندي في منطقة (سوبور) والتي راح ضحيتها ١٠٠ مدني أحرق بعضهم أحياء، ووصفت المنظمة الحادثة بقولها «كان أفراد الجيش يطلقون النار في كل اتجاه، وكان الناس يتساقطون تحت الرصاص».

(١) «روايات صادمة عن قتل المسلمين على يد القوات الهندية في كشمير»: موقع الوقت.

وتشير الإحصائيات الحديثة إلى ما يلي^(١):

✓ بلغ عدد الجرحى والمصابين أكثر من ٥٧ ألف شخص، في حين بلغ عدد المهاجرين والمصابين على الحدود أكثر من ٤٢ ألف شخص، وقُدِّر عدد المفقودين بالآلاف.

✓ بلغ عدد المسجونين في السجون ومراكز التفتيش الهندية أكثر من ٨٩ ألف سجين، وتم عزل آلاف الموظفين المسلمين من وظائفهم بدون أي مبرر.

✓ وصل عدد المسلمات المعتصبات أكثر من ٤٧٤٧ امرأة، وتم العثور على جثث أكثر من ٤٥٧ امرأة مسلمة، تم اغتصابهن ثم قتلهن وإلقاؤهن في الأنهار.

✓ تُقَدَّر عدد المواشي والأنعام التي قام الهندوس بحرقها بالآلاف.

انتهاكات حقوق الإنسان

تعرضت حقوق الإنسان في كشمير لانتهاكات لا حصر لها نتيجة للصراع الهندي الباكستاني، ولم تأخذ هذه المسألة حظها من النقاش المستفيض نتيجة لسياسة التعتيم الإعلامي الذي حرص الجانب الهندي عليه طوال السنوات الماضية، غير أن منظمات حقوق الإنسان المعنية بهذا الأمر استطاعت توثيق بعض الحالات. فعلى سبيل المثال، قامت القوات الهندية بزج ما يزيد عن ٦٠ ألفاً من الكشميريين في السجون، تعرض معظمهم لعاهات مستديمة أثناء تعذيبهم. وفي ظل حكم عائلة «دوغرا» تعرض المسلمون لشتى أصناف الاضطهاد؛ من فرض للضرائب الباهظة، وسنّ للقوانين التمييزية، وسدّ سبل التعليم في وجوههم.

ومن مظاهر هذا الاضطهاد كذلك: نظام الجباية الذي كان قاسياً، إضافةً إلى أخذ ٥٠٪ من المحاصيل، كان المسؤولون يأخذون ضرائب على النوافذ والمواقف

(١) «القضية المنسية - إقليم كشمير»: دعاء عمر.

المسلمة في هذه الولاية قد تعرضت لألوان من الاضطهاد الطائفي، غير أنه منذ عام ١٩٨٩م لا يكاد تقرير سنوي للمنظمات الدولية لحقوق الإنسان يخلو من الحديث عن الانتهاكات التي تُرتكب في كشمير. ويعتقد بعض المحللين أن عدم اهتمام الدعاة الكاذبين لحقوق الإنسان، وخاصة أمريكا، بالقضية الكشميرية سببه عدم وجود منافع ومصالح لهذه القوى السلطوية في كشمير، لأن هؤلاء يهتمون فقط بالمصالح ولا يكثرثون للحقوق المغتصبة للشعب الكشميري المظلوم، ولذلك لا يحركون ساكنًا لإنهاء احتلال هذه المنطقة.

وتتخذ السلطات الهندية من محاربة الإرهاب ذريعة لتمرير انتهاكها لحقوق الإنسان في كشمير، وهي انتهاكات توصف بأنها سياسة رسمية ومدروسة؛ ففي تقرير^(١) لـ «لجنة المبادرة من أجل كشمير» وهي منظمة لحقوق الإنسان لخصت هذه الانتهاكات بقولها: «قتل دون تمييز، احتجاز عشوائي، عمليات تفتيش غير قانونية، إضافة إلى الشلل الكامل الذي يضرب مظاهر الحياة بسبب فرض حظر التجول»، فيما تؤكد لجنة حقوق الإنسان في سرينغار أن «الاعتداء الوحشي ضد الأغلبية المسلمة في كشمير أمر روتيني يحدث كل يوم»، وتعدّ عمليات حرق أحياء كاملة واحدة من أشنع صور انتهاك حقوق الإنسان في كشمير طيلة عقود من الزمن.

وكشفت صحيفة الـ «غارديان» البريطانية^(٢) تواطؤ موقع «فيسبوك» للتواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت مع جرائم الهند ضد مسلمي كشمير، مشيرة إلى أن الموقع فرض رقابة على عشرات المنشورات والحسابات بعد قتل القوات الهندية للقيادي في حزب المجاهدين «برهان واني». وأشارت كذلك إلى أن «فيسبوك» حذف صورًا وفيديوهات وحسابات كاملة لأكاديميين وصحفيين وصحف محلية، بعدما نشرت أخبارًا وتقارير تتعلق بالأحداث التي تجري في كشمير.

وذكرت الصحفية الهندية «سكمانى سنغ» مراسلة مجلة «إلسترايتد ويكلي أوف

(١) «روايات صادمة عن قتل المسلمين على يد القوات الهندية في كشمير»: موقع الوقت.

(٢) «فيسبوك يعطل أدوات منع ظهور الإعلانات لإنقاذ ملياراته»: موقع مفكرة الإسلام.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

إنديا» (Illustrated weekly of India) في تقرير^(١) كتبه تحت عنوان «المحافظون أم المفترسون؟» قالت فيه: «إن أفراد الجيش الذين تقوم الحكومة الهندية بإرسالهم إلى كشمير بمبرر إعادة الأوضاع إلى الحالة الطبيعية والحفاظ على القانون والنظام وحراسة الشعب من الإرهاب، هم في الحقيقة قتلة وزناة وناهبون لأمتعة الشعب، وبرابرة في أعين الشعب الكشميري؛ لأنهم يعذبون المدنيين الأبرياء بمجرد الاتهام والشك، وهم فوق القانون فلا يحاسبهم أحد، ولا يمنعهم قانون من إذلال الشعب وإراقة دماء الأبرياء، وإن مشاهدة إنسان في الزيِّ العسكري في كشمير اليوم يعني إشعال غيظ أهالي كشمير؛ سواء أكانوا من المدنيين أم القرويين، حيث تزداد مخاوفهم من السلوك الوحشي معهم ومع نساءهم. والمدن والقرى في كشمير كلها تشهد حوادث الاغتصاب وهتك الأعراض لعدد لا يُتصوَّر في هذا العالم المتمدّن، والحكومة الهندية تُعدُّ عملية الاغتصاب وهتك الأعراض أمرًا داخليًا في مهمة الجيش الرسمية، بل لعلها تُعدُّه عملًا مهمًّا لاضطهاد المسلمين الكشميريين وإذلالهم، وأسلوبًا مناسبًا لإلقاء الذعر في قلوب مسلمي كشمير».

وقد شهد الأمين العام للجمعية الشعبية الهندية «ساهي بابا»، الذي قام بزيارة كشمير للتأكد مما تقوم به القوات الهندية من انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان وإرهاب ضد المدنيين الأبرياء، حيث يقول^(٢): «إنني أشعر بالخجل، بعد أن شاهدت ما تقوم به القوات الهندية من إرهاب وجرائم بشعة ضد المدنيين الأبرياء في كشمير».

أوضاع المرأة الكشميرية

المرأة المسلمة الكشميرية كانت - ولا تزال - هدفًا رئيسيًا للغزو الحضاري الهندوسي، وذلك للدور الكبير الذي تقوم به المرأة في بناء المجتمع ولا سيما في

(١) «الأصولية الهندوسية»: تميم بن عبد العزيز القاضي.

(٢) «المقابر الجماعية في «كشمير».. جريمة تخفيها الهند»: منتديات بوابة العرب.

إعداد الجيل الناشئ. وقد كان الاستعمار الهندوسي يدرك تمامًا أنه حين ينجح في نشر الفساد في المحيط النسائي الكشميري فإن الفساد سيعمُّ المجتمع الكشميري بأسره. من أجل ذلك قام الهندوس باستيراد الأفلام الخليعة ونشرها في التلفاز، وتوزيع الأشرطة التي تحوي هذا الفساد مجانًا، ودعم دور السينما ومحلات الفيديو، كما قاموا بإنشاء منظمات نسائية خاصة لنشر الإباحية والسفور، وتبادل وفود النساء المتبرجات بين الهند وكشمير، وتعليم الرقص في المدارس والكلليات النسائية، وتشجيع التزاوج بين المسلمين والهندوس، إلى غير ذلك من المخططات الهدامة.

وقد أثرت برامج الفساد المكثفة هذه على النساء الكشميريات فصرن يرتدين الزي الهندوسي، وقلّدن الهندوسيات في وضع العلامة الصفراء على جباههن، وتركت غالبيتهن الحجاب لاعتقادهن بأنه علامة تخلف ورجعية. لكن الله - سبحانه وتعالى - سحر لكشمير المسلمة حركة المقاومة الإسلامية التي أدركت خطورة هذه الغارة الهندوسية منذ بدايتها، فقررت مقاومتها بما تملك من إمكانيات متواضعة؛ ففي بداية الثمانينات تأسست منظمتان نسائيتان لنشر الوعي والعمل الحضاري الإسلامي من ناحية ولمقاومة الغارة الهندوسية من ناحية أخرى؛ وهما منظمة (بنات الإسلام) ومنظمة (بنات الأمة المسلمة).

أيضًا تعرضت النساء الكشميريات لشتى أنواع الاضطهاد والاعتصاب والتعذيب من قبل المجرمين الهندوس؛ فلا يكاد يمر يوم في كشمير إلا ويلقى في نهر جهلم العشرات من الحرائر الكشميريات اللواتي تم اغتصابهن من قبل الهندوس الملاعين، ثم يُرمين في النهر لإرهاب بقية الكشميريات. وتشير الإحصائيات^(١) إلى قتل ما يزيد عن ٨ آلاف امرأة على يد الجيش الهندي، واغتصاب أكثر من ٧ آلاف

(١) «القضية المنسية - إقليم كشمير»: دعاء عمر.

امرأة، وهناك أكثر من ٣٠ ألف أرملة و ١٠٠ ألف طفل يتيم. وحسب إحصائية^(١) مركز المعلومات والبحوث التابع لوكالة (كي إم إس) بلغ عدد الأيتام ٢١٦٩ يتيمًا خلال عام ٢٠٠٣م، نتيجة لعمليات القتل الإرهابية التي تمارسها قوات الاحتلال الهندية، وفقدت ٦٥١ امرأة أزواجهن، وتعرضت ٣٠٠ امرأة للاعتداء عليها على يد قوات (راشتريا رايفلز) التابعة لجيش الاحتلال الهندي والمتخصصة في قمع الانتفاضة الكشميرية.

الأوضاع الاجتماعية

بعد أن كانت ولاية جامو وكشمير تعرف بـ «جنة الله في الأرض»، لما فيها من حقول يافعة، وأزهار وورود جميلة، وبحيرات عذبة، وتلال خلابة، وطقسها اللطيف، ونسيمها العليل، فقدت الولاية المسلمة زُخرفها ورَونقها، وتحولت إلى قفار منعزلة، وقبورٍ موحشة مهجورة، بسبب ما تقوم به القوات الهندية التي بلغت ٨٠٠ ألف جندي هندوسي، يمثلون ٤٤٪ من تعداد الجيش الهندي^(٢)، من جرائم وحشية بربرية لا مثيل لها من تقتيل وتعذيب وتشريد للسكان، وهتك للأعراض، وإفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، وحرق للمنازل والمتاجر والحقول.

فَنَاءٌ.. دَاسَهَا أَبْغَى اللَّعِينُ^(٣)
أَيْقُطِفُ يَنْعَهَا الْوَعْدُ الْمَشِينُ!
لَبِيتِ الْعِزَّ فِي دَمِهَا عَرِينُ
فِي قَلْبِي لَهَا وَدٌّ مَكِينُ
يُؤَيِّدُ بَطْشَهُمْ حَقْدُ دَفِينُ

دِيَارُ الْجَنَّةِ الْفِيحَاءِ عَادَتْ
رُبَى كَشْمِيرَ يَانَعَةِ الْمَجَانِي
رُبَى كَشْمِيرَ مَا أَعْلَى هَوَاهَا
يَعِزُّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى دَوُوَهَا
يَعِيثُ بِرَهْرَهَا الْهِنْدُوسُ ظُلْمًا

(١) «كشمير وجرحها النازف»: شبكة الناقد الإعلامي.

(٢) «كشمير المسلمة على خطى كوسوفا»: أحمد أبو زيد.

(٣) من قصيدة للشاعر حسين الحكيمي.

وقد قام الهندوس بهتك حرمت المقدسات الاسلامية في كشمير، وحرقوا عشرات الآلاف من المصاحف، ودنسوا نحو ألف مسجد، ودمروا وأحرقوا المنازل والمتاجر والمواشي، وأتلفوا البساتين الكثيرة التي تشتهر بها كشمير، والتي تُقدَّر قيمتها بملايين الدولارات.

التعاون الصهيوني الهندوسي

تمثل كشمير نقطة صراع ملتهبة ليس بين الهندوس والمسلمين فقط، بل بين الهندوس والصهيونية من ناحية والمسلمين من الناحية الأخرى. والتحالف الصهيوني الهندوسي ضد الإسلام والعالم الإسلامي بدأ منذ أكثر من نصف قرن، وهو آخذ في التصاعد، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]. والمثير أن تحاول الهند الربط بين قضية كشمير وقضية فلسطين المحتلة، إذ إن توقيت النشأة كان واحداً إلى حد كبير، كما أن المطامع الاستعمارية الهندوسية لا تقتصر فقط على كشمير، وإنما تتعداها للسيطرة على العالم الإسلامي.

ومن هنا فلا غرابة في وجود قدر كبير من التشابه بين قضيتي كشمير وفلسطين، والاحتلال الهندي والصهيوني لكليهما، بل يُلاحظ أن اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ديسمبر ١٩٨٧م أعطى قوة دفع كبيرة للمقاومة الكشميرية لكي تعلن هي الأخرى انتفاضتها المباركة أواخر عام ١٩٨٩م بعدما تبين لها أن الهند تراوغ في عملية حل القضية، ومن ثمَّ فإن الحلول السلمية لن تُجدي معها، ولهذا كان لا بُدَّ من إعلان الجهاد المبارك في مواجهة الهنود. ويُلاحظ وجه الشبه أيضاً بين الموقف الهندي والموقف الصهيوني الرافض للاعتراف بالقرارات الدولية الصادرة بشأن رفض احتلال فلسطين.

وعندما كانت القضية الأفغانية بيد طالبان أقامت الهند بسرعة علاقة قوية مع روسيا من ناحية ومع الكيان الصهيوني من ناحية أخرى وذلك لمحاصرة



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

باكستان؛ بل والتعاون من أجل ضرب سلاحها النووي خشية سقوطه في أيدي إسلامية باكستانية، وقدمت الهند خدمة معلوماتية ولوجيستية لأمريكا في حربها ضد أفغانستان، وقبل نظام (برويز مُشرف) صاغراً أن يدخل في التحالف الدولي الأمريكي لكي يحرم الهند ما استطاع من توظيف هذا التحالف لضرب باكستان بتدمير سلاحها النووي، ورضخ (مُشرف) للمطالب الأمريكية فيما يتصل بالقبض على زعماء حركة المجاهدين في كشمير، ومنع الجماعات الكشميرية المجاهدة مثل «لشكر طيبة» و «جيش محمد»، كما أوقف تمويل المدارس الإسلامية السلفية، وحلّ بعض الأحزاب الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية، كما أسّس رقابة على المدارس الإسلامية، وغير مناهجها حتى لا تُخرّج علماء على شاكلة طالبان.

وقام (مُشرف) بالقبض على الإسلاميين العاملين في البرنامج النووي الباكستاني، كما حشد الجيش الباكستاني على حدوده الغربية والشمالية مع أفغانستان لحصار القاعدة ومنع تسلل أعضائها إلى باكستان، بل وأعطى للجيش الأمريكي الحق في ملاحقة أعضاء القاعدة داخل الأراضي الباكستانية. كل هذه التنازلات الباكستانية من نظام (برويز مُشرف) العلماني أغرى الهند بمزيد من الضغط عليه من أجل تصفية القضية الكشميرية، خاصة وأن الهند دخلت في لعبة محاربة «الأصولية الإسلامية» متسلحة في ذلك بالخبرة الصهيونية.

فالتعاون بين الهند وإسرائيل يقوم على الاغتصاب والاحتلال الجائر لأراضي المسلمين، وتدنيس مقدساتهم، وهدمهم للمساجد، كما يتفق الكيانان الإرهابيان في قمع واضطهاد وقتل المسلمين العزل في كشمير وفلسطين المحتلتين، ويمارسان أبشع أنواع البطش والقهر والتعذيب والتنكيل والحقن الدفين لقهر المسلمين؛ فهم لا يتورعون عن ارتكاب الجرائم الوحشية والحيوانية القذرة، وهي السياسة اللاإنسانية الدائمة والمتبعة لدى الطرفين الهندوسي الصهيوني منذ ابتليت كشمير وفلسطين المغتصبتان بالخضوع لسيطرتهما الجائرة.

ومنذ أكثر من خمسين سنة وإلى أيامنا هذه لا زال الاحتلال الهندوسي

والصهيوني البغيضان يقومان بالاعتداء الوحشي المستمر على شعبي كشمير وفلسطين، وما زالا جاثمين على أرض كشمير وفلسطين المحتلتين. والنموذج الحي لذلك التحالف الدنس ما وقَّعه الجانبان في إسرائيل من اتفاقية تعاون ثنائي بين الدولتين في المجال النووي والعسكري. وفي تصريح لوزير الداخلية الهندي (لال كرشنا أدفاني) بهذه المناسبة قال بكل صراحة: «لا بُدَّ من التعاون الثنائي بين الدولتين الصديقتين لمواجهة الإرهاب الإسلامي المتنامي»^(١).

ومن صور هذا التعاون ما نقلته صحيفة ידיعوت أحرונوت أن تل أبيب قد وقَّعت على صفقة أسلحة مع الهند هي الأكبر في تاريخ الصناعات العسكرية الإسرائيلية، حيث ستزود بموجبها نيودلهي بصواريخ متطورة من طراز باراك ٤ بقيمة مليار دولار^(٢). كذلك، فقد كشفت صحيفة هآرتس الإسرائيلية عن بيع الهند ٥٠ طائرة حربية بدون طيار، إضافة إلى محطة مراقبة أرضية لتفعيل عمل هذه الطائرات. وقد علقت الصحيفة: «إن الهند ستستخدم هذه الأسلحة في محاربة مسلمي كشمير»^(٣). هكذا بالنص ودون موارد، فالهدف واضح، وهو محاربة مسلمي كشمير.

كذلك، فقد كشفت صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية عن زيارة سرية قام بها قائد القوات البرية الميجور جنرال «آفي مزراحي» إلى ولاية «كشمير» ليرى عن كَثَبِ التحديات التي تواجهها الهند في قتالها مع المسلمين، وليقترح على الهند قيام إسرائيل بتزويد الهند بمجموعة (كوماندوز) ذوي تدريب عالي المستوى؛ ليدربوا جنودًا في الجيش الهندي على تكتيكات مكافحة ما يسمى «الإرهاب»، والقتال داخل المدن. كما أكَّدت الصحيفة أن الهند هي أكبر مستورد للأسلحة من إسرائيل، وأنها اشترت منذ ٢٠٠٢م معدات عسكرية قيمتها ٥ مليار دولار^(٤).

(١) «القضية الكشميرية ومراحل تطورها»: موقع قصة الإسلام.

(٢) «إسرائيل تباع الهند صواريخ بملياري دولار»: قناة الجزيرة.

(٣) «الهند تشتري ٥٠ طائرة استطلاع إسرائيلية بدون طيار»: قناة الجزيرة.

(٤) «إسرائيل تدرب قوات هندية لقمع المسلمين في كشمير»: موقع الإسلام اليوم.



وقد أكدت مصادر المجاهدين في كشمير وجود أكثر من ٣٥٠ كوماندوز يهودي يتعاونون مع الهند لضرب الانتفاضة الكشميرية، وقد تناقلت الأنباء أكثر من مرة قيام المجاهدين الكشميريين بالقبض على كوماندوز إسرائيليين يدربون الجنود الهنود للقضاء على المجاهدين الكشميريين، والثابت والمؤكد أن إسرائيل تُقدِّم للهند كل خبراتها وإمكانياتها في القمع والإرهاب وسفك الدماء لكي تواصل حرب الإبادة ضد مسلمي كشمير، وتقيم لهم المجازر الجماعية على مرأى ومسمع من العالم كله، وبالأخص العالم الإسلامي، الذي تقيم بعض دوله علاقات سياسية واقتصادية مع الدولتين.

كشميرُ مالي أعاني الحزنَ والألمًا
وعالمُ اليوم ألقاهُ بلا نظرٍ
يا أهلَ كشميرِ إنَّ اللهَ ناصرُكُمْ
قلوبُنا معكم والمالُ نبذُلهُ
فالدينُ يجمعُنا إنْ فرَّقَتْ لغةُ
والخطبُ أعيابِي الأَقلامُ والكلِمَا^(١)
وقد أقامَ على آذانهِ صَمَمًا
فواصلوا دَرْبَكُمْ واستنفضوا الهَمَمَا
ودُونَ أَجِرِ نَحْدُ السيفِ والقلَمَا
والشوقُ للحرِّ قَلْبًا صادقًا ودَمًا

حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في كشمير

سيرًا على الطريقة التي استخدمناها في حساب العائدات في قضية أفغانستان، وأخذًا فقط بأقل التقديرات المتعلقة بالأرواح التي تم إزهاقها، والمدن والممتلكات التي تم تدميرها، فإنه يمكننا حساب العائدات الاقتصادية التي يمكن أن تحصل عليها الأمة فيما لو استقامت على دين الله، أفرادًا وحكومات، بحيث يمكنها تجنب هذه الصراعات وغيرها. وسنورد أيضًا تقديرات بالعائدات الأخرى التي يمكن توفيرها والمتمثلة في قيمة السلاح المستنزف في هذه الصراعات، بالإضافة إلى المبالغ الضخمة التي يتم إنفاقها لإعادة إعمار القرى والمدن المتضررة من جراء هذه الحروب، وهناك أيضًا المبالغ الطائلة اللازمة لمداواة الجرحى والمعاقين المتضررين بسبب هذه الحروب، وكذلك ما يتم إنفاقه على اللاجئين والمشردين.

(١) من قصيدة للشاعر يوسف عبد الرحمن.



لغة الأرقام

- ✕ عدد الشهداء والقتلى من الكشميريين في مختلف الصراعات = ٣٠,٠٠٠ قتل.
- ✕ العائد الإنتاجي السنوي فيما لو بقي هؤلاء على قيد الحياة = ٣٠,٠٠٠ شخص $\times ٨$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times ٢٣٠$ يوم عمل في السنة $\times ٢٠$ سنة كمتوسط للعمر الإنتاجي لكل فرد من هؤلاء = ١,١ مليار دولار.
- ✕ قيمة الأسلحة المستخدمة من قبل الكشميريين خلال صراعاتهم مع الهندوس = مليون قطعة حربية مستخدمة $\times ١٠٠$ دولار متوسط قيمة كل قطعة = ١٠٠ مليون دولار.
- ✕ قيمة ما يصرف على إعمار القرى والمدن = ١٠٠ قرية متضررة من جراء الحرب $\times$ مليون دولار قيمة إعمار كل قرية = ١٠٠ مليون دولار.
- ✕ ققيمة ما يصرف على مداواة الجرحى والمعاقين = ٦٠ ألف من الجرحى والمعاقين المتضررين بسبب الحرب $\times ١٠,٠٠٠$ دولار تكاليف علاج كل واحد منهم = ٦٠٠ مليون دولار.
- ✕ قيمة الإنفاقات على اللاجئين والمشردين = مليون مشرد ولاجئ $\times ٣٦٥$ يومًا مدة بقائهم كمشردين ولاجئين $\times ١٠$ دولار تكلفة إعاشة كل واحد منهم في اليوم الواحد = ٣,٦٥ مليار دولار.
- ✕ مجموع ما يمكن توفيره للأمة فيما لو استطاعت تجنب الحروب والصراعات في كشمير = ١,١ مليار العائد الإنتاجي للشهداء والقتلى فيما لو بقوا على قيد الحياة + ٤,٤٥ مليار مصاريف هذه الحروب والصراعات = ٥,٥٥ مليار دولار.



٤- الصومال بين القتل والتنصير

تقع الصومال في شرق القارة الأفريقية، في منطقة ما يعرف باسم القرن الأفريقي، ويحدها خليج عدن والمحيط الهندي من الشرق، وإثيوبيا من الغرب، وجيبوتي من الشمال الغربي، وكينيا من الجنوب الغربي، وتُقدَّر مساحتها بحوالي ٦٣٧ ألف كم^٢. تحتل الصومال موقعاً استراتيجياً خطيراً؛ فهو يتحكم بمدخل البحر الأحمر من باب المندب، ويقع على مقربة من منابع النفط في السعودية والخليج العربي، ويقع على المحيط الهندي والمدخل لشرق أفريقيا. يزيد عدد سكان الصومال عن عشرة ملايين ونصف المليون نسمة حسب إحصائيات البنك الدولي لعام ٢٠١٤م^(١)، وإن كان الحصول على أرقام دقيقة لتعداد السكان أمراً صعباً نظراً لحالة الاضطراب، ووجود لاجئين صوماليين في الدول المجاورة ودول الخليج وأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ونيوزيلندا.

الأوضاع الاجتماعية

تعاني الصومال من ظروف اقتصادية صعبة، وتُعدُّ من أكثر دول العالم فقراً بسبب قلة الموارد وكثرة الحروب؛ فالبلد يواجه باستمرار موجات جفاف شديدة، وحركة نزوح للسكان، وصعوداً قوياً للعنف، ونزاعات قبلية وطائفية، وتفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة، هذا مع ضعف الرعاية الصحية، وانتشار الأمية بشكل رهيب. كذلك، فإن الصومال تشترك مع إثيوبيا في حدود طويلة مفتوحة على مصراعيها، ونظراً لغياب الضوابط الأمنية، والتداخل بين الصوماليين والإثيوبيين من حيث

(١) «الصومال: إجمالي عدد السكان»: موقع Actualitix.

الشَّبه الكبير في اللون وبعض العادات، فقد استغل الإثيوبيون شمال الصومال للترويج للفواحش ونشر الفساد الأخلاقي والعقدي، ويعمل هؤلاء جاهدین على إشاعة الفاحشة وبيع الحشيش والخمر والمخدرات لإغراق المجتمع الصومالي المسلم بها. وفي أعقاب الغزو الأمريكي للصومال في أغسطس ١٩٩٢م، أصبحت الصومال مكبًا للنفايات السامة بشتى أنواعها، وتجري كل هذه الأعمال الإرهابية بتواطؤ دولي، وتورط مفضوح من العديد من الدول الغربية والعربية^(١).

وحسب الإحصائيات الأخيرة^(٢) فإن حجم البطالة في الصومال يُقدَّر بنحو ٧٥٪ من إجمالي السكان، في حين تبلغ نسبة الفقر ٨٠٪، ويبلغ معدل متوسط دخل الفرد نحو دولارين يوميًا، وأما مصدر الدخل الرئيسي فيأتي من تحويلات المغتربين الصوماليين الذين يُقدَّر عددهم بنحو مليون ومئتي ألف مغترب، ورغم أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة تُقدَّر بنحو ثمانية ملايين هكتار، لكن المزروع منها أقل من ١٪، مما يدفع البلاد لاستيراد زهاء ٨٠٪ من المواد الغذائية؛ حيث لا يغطي الإنتاج المحلي سوى ٢٠٪ من الاستهلاك.

وقالت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز»^(٣) أن المجاعة التي امتدت من ٢٠١٠م إلى ٢٠١٢م قد حصدت أرواح ٢٦٠ ألف شخص، منهم ٥٠٪ من الأطفال دون سن الخامسة، وحمّلت الصحيفة مسؤوليتها لحركة الشباب المجاهدين والسياسة الأمريكية. ونقلت الصحيفة عن أول دراسة علمية عن نتائج أزمة الغذاء بالصومال، والتي نُشرت في مايو ٢٠١٣م، أن ١٠٪ من جملة أطفال جنوبي البلاد و٦٠٪ من مجموع سكان ذلك الجزء، قد توفوا.

إن ما يجري في الساحة الصومالية وفي أماكن كثيرة أخرى من العالم الإسلامي من حروب أهلية وانتشار الأوبئة والمجاعة والجفاف الذي يضرب أجزاء كبيرة

(١) «الصومال أرض المشاع الدولي»: أكرم حجازي.

(٢) «الأوضاع الاقتصادية بالصومال بعد سنوات من غياب الدولة»: قناة الجزيرة.

(٣) «نجاح الحملة لمكافحة قرصنة الصومال»: قناة الجزيرة.



من العالم الإسلامي إنما يرجع ذلك في المقام الأول إلى عدم الالتزام بالدين الإسلامي الحنيف، وصوره المثالية التي يجب على الأمة المسلمة في كل مكان وزمان أن تطبقها وتنزلها في حياتها اليومية، وتجعلها المصدر الأساس الذي تلجأ إليه في جميع الأوقات لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

الصومال قبل الاحتلال الأمريكي

يعود التاريخ الاستعماري لمنطقة القرن الأفريقي إلى القرن التاسع عشر؛ حين قسّم مؤتمر برلين عام ١٨٨٥م الصومال إلى ثلاث مناطق وزّعها على ثلاث دول غربية هي: فرنسا وإيطاليا وإنجلترا، فكان من نصيب الأولى الجزء المطل على مضيق باب المندب والمعروف اليوم بـ «جيووتي»، وأما بريطانيا فقد أسست لها محمية عام ١٨٨٧م، وتبعتها إيطاليا فاتخذت لنفسها محمية صغيرة عام ١٨٨٩م، ثم ضمت إليها في عام ١٩٢٥م منطقة «جبل لاند» من كينيا، ولم تتوقف عند هذا الحد بل وسّعت سيطرتها عام ١٩٣٦م لتشمل المناطق الصومالية المتاخمة لإثيوبيا المعروفة بـ «أوجادين». وبعد هزيمة الإيطاليين في الحرب العالمية الثانية، تم ضم كل هذه المناطق إلى بريطانيا، وسميت الصومال. وقامت بريطانيا في عام ١٩٥٤م بتسليم إقليم «أوجادين» الصومالي إلى إثيوبيا، وكان ذلك على غير رغبة أهل الإقليم مما أدى لنشوب صراعات متواصلة، وفي عام ١٩٥٦م منحت بريطانيا ما تبقى من الصومال حكماً ذاتياً، ثم نالت استقلالها عام ١٩٦٠م.

وخلال العقدَيْن اللذَيْن حكم فيهما الرئيس محمد سياد بري الصومال، والذي انتهى حكمه عام ١٩٩١م، قام بربط بلاده بالجامعة العربية، وهي خطوة لا يزال



الصوماليون منقسمين بشأنها، كما أنه ألحق نظامه بالاتحاد السوفياتي محاولاً الاستفادة من هباته العسكرية، وحوّل لغة بلاده من الحرف العربي إلى اللاتيني. وفي الوقت الذي رفض الشارع الصومالي تلك الأفكار الرجعية التي تتصادم مع تقاليده وقيمه، لجأ النظام العسكري البائد إلى استخدام قوته العسكرية المفرطة غير المسوغة لتنفيذ الأيديولوجية الشيوعية في القرن الأفريقي، ولذلك أنزلت تلك البرامج العفنة في ربوع الصومال، وكأنها وحي من السماء، وفي سبيل تحقيق ذلك أعدمت قوات الأمن الصومالي عام ١٩٧١م (١٢) من العلماء الصوماليين البارزين رمياً بالرصاص أمام الجماهير^(١)، وكان يوماً مشهوداً ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

وفي الوقت الذي خانت القيادة الصومالية شعبها بهذه الأفكار الاشتراكية البالية المستوردة من الاتحاد السوفيتي السابق، تلقت القيادة الصومالية المتحمسة لهذا المشروع ضربة قاضية من حليفها الاستراتيجية موسكو، حيث اتخذت الأخيرة قراراً يقضي بإيقاف إمداد الصومال بقطع الغيار والذخائر إبان (حرب أوجادين) عام ١٩٧٧م التي اندلعت بين الصومال وإثيوبيا الاشتراكيتين، وفي الوقت نفسه قدّم الاتحاد السوفيتي إمدادات عسكرية هائلة إلى أديس أبابا تمثلت بالدبابات والمدفعية الثقيلة، وقد أثار ذلك حفيظة القيادة الصومالية آنذاك، واتخذت أثناء ذلك - وبصورة مفاجئة - قراراً سياسياً حاسماً يقضي بطرد خبراء الاتحاد السوفيتي البالغ عددهم ٧٠٠٠ شخص. وبعد أن طوّت مقديشو صفحة العلاقات الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتي السابق اتجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بوساطة سعودية، وكانت المملكة العربية السعودية قلقة من الوجود العسكري السوفيتي آنذاك في الصومال قبل أن يحصل الطلاق البائن بين مقديشو وموسكو،



وبعد أقل من أسبوعين عَرَضَتْ إدارة كارتر في ٢٦ يونيو ١٩٧٧م الحلول مكان الاتحاد السوفييتي كَمُصَدِّرٍ للأسلحة المطلوبة للصومال^(١).

الاحتلال الأمريكي للصومال

لعبت أمريكا دورًا مزدوجًا حيال الأزمة الصومالية منذ شرارتها الأولى، ففي بدايات انهيار الحكومة المركزية في البلد كانت عناصر مخابراتها تنسق مع المعارضة الصومالية المسلحة والدول المعادية المجاورة للصومال للتخلص من نظام (محمد سياد بري) بغية القضاء على جميع الأنظمة التي ارتبطت بعلاقات استراتيجية مع الاتحاد السوفييتي السابق في القرن الأفريقي، وبعد انهيار الحكومة المركزية الصومالية في بداية عام ١٩٩١م حاولت أمريكا أن تلتفت إلى القضية الصومالية بغية تأجيلها، وتحقيقًا لهذا الغرض الاستراتيجي.

غزت القوات الأمريكية الصومال في أغسطس ١٩٩٢م تحت ستار من الأمم المتحدة بحجة إغاثة الجوع في الصومال، معللة ذلك بوضع حد لعمليات سلب ونهب الإمدادات من قبل مَنْ أسمتهم «قراصنة الصومال». إلا أن أمريكا بدأت في التخطيط لتشكيل حكومة موالية لها والقضاء على حكومة (محمد فرح عيديد) الذي وقف معارضا بشدة التدخل الأمريكي لبلاده^(٢). لكن القناع سرعان ما سقط ليفضح المؤامرة الأمريكية الرامية إلى احتلال الصومال؛ ففي ديسمبر من نفس العام بدأت طلائع جيش الاحتلال الأمريكي تتقدم إلى الصومال كالسيل الجارف، وجاء جنود الاحتلال ومعهم معداتهم وأسلحتهم الثقيلة والخفيفة، وعندها أدركت الفصائل الصومالية حقيقة الأهداف الأمريكية، وبدأت المقاومة الصومالية بالأسلة تزيق الغاصب المحتل شتى أصناف العذاب.

(١) المرجع السابق.

(٢) «الصومال .. عقبة في طريق الحلم الأمريكي»: إبراهيم شاهين.



وفي ٣ أكتوبر ١٩٩٣م وصلت معلومات إلى الأمريكيين بأن الجنرال عيديد وحشد من ضباطه ومساعديه سوف يعقدون اجتماعاً في مكان تم تحديده في إحدى أنحاء العاصمة مقديشو، وتوجّهت قوات خاصة للاحتلال الأمريكي تساندهم المروحيات إلى منطقة الاجتماع بقصد إلقاء القبض على عيديد أو تصفيته وكل معاونيه، ولكن حدث ما سجله التاريخ؛ فقد هاجم الأمريكيان المبنى الذي يعقد فيه الاجتماع بكل استخفاف ليكتشفوا بعد فوات الأوان أن كميناً كان قد نصب لهم.

ودارت معركة شرسة استخدم فيها الأمريكيون كل ما لديهم من أسلحة وعتاد ضد المقاتلين الصوماليين المسلحين ببنادق عتيقة وبعض الأسلحة المضادة للدروع، واستطاع الصوماليون إسقاط ٥ مروحيات و ١٨ قتيلاً و ٧٣ جريحاً للأمريكيين، الذين لم يتوقعوا أبداً أن تسقط لهم خمس طائرات مروحية في وقت واحد. ورغم الخسائر الصومالية الكبيرة إلا أن الصوماليين انتصروا في معركة الحرية، وقاموا بتمرير الأنف الأمريكية في الرمال، وفي هذا التاريخ انتهت النزهة الأمريكية في بلاد الصومال بثمان غالٍ لم يعتده الأمريكيون^(١).

ونتيجة لهذه المقاومة الشرسة اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سحب قواتها من الصومال بطريقة أشبه ما تكون بهروب وإدبار إبليس اللعين عندما يسمع صوت الأذان بحثاً عن النجاة والفكاك من الفخ، ونتيجة لهذه الهزيمة النكراء التي لحقت بالجيش الأمريكي والجيش المتحالفة معه بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتحدث عن وجود إسلاميين متطرفين وإرهابيين في الصومال وأنه يجب محاربتهم والقضاء عليهم، وقد كان خروج آخر جندي أمريكي من الصومال في نهاية مارس ١٩٩٤م.

(١) «الصومال عقبة في طريق الحلم الأمريكي»: موقع رابطة العلماء السوريين.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وبعد خروجها صاغرة مقهورة، قصرت أمريكا تعاملها مع المشكلة الصومالية في الجانب الأمني فقط، وذلك لحفظ مصالحها الاستراتيجية، ولتحقيق هذا الهدف الحيوي فإن سفنها الحربية تجوب المحيط الهندي والبحر الأحمر الصومالي لمراقبة السفن التجارية المتجهة إلى الصومال ذهابًا وإيابًا، كما تحوم طائراتها الحربية من طراز أباتشي فوق سماء الصومال في أي وقت تشاء، وفي أي مكان لاكتشاف ما يسمونه معسكرات تنظيم القاعدة المتسللين إلى القرن الأفريقي لتنفيذ عمليات إرهابية، وبخاصة ضد المصالح الأمريكية. وقد نفذت أمريكا عبر مكاتبها الأمنية المنتشرة في البلاد، وباستخدام العملاء الصوماليين كآلة تنفيذ، عدة عمليات إرهابية ضد الشعب الصومالي الأعزل، كما يتعرض شباب الصحوة الإسلامية إلى مضايقات متكررة، وفي بعض الأحيان يقتادون إلى السجون الخاصة بها دون أي برهان يعتمدون عليه لتنفيذ مخططهم هذا، ويبدو أن الإرهاب الأمريكي الأمني (العسكري والاقتصادي) يمشي جنبًا إلى جنب لإذلال الشعوب الإسلامية.

المحاكم الإسلامية وإنقاذ الصومال

على مدار ستة عشر عامًا متواصلة، وبعد سقوط نظام «سياد بري» على يد أمراء حرب مدعومين من الخارج، غرقت الصومال في حرب أهلية حصدت أرواح مئات الآلاف، وأشاعت الرعب والدمار والفوضى في كافة الأنحاء بحيث لم تعد هناك مؤسسات دولة أصلاً، ولم يعرف الصوماليون يوماً واحداً من الاستقرار والإحساس بالأمان، نتيجة الحرب التي قادها «أمراء حرب» فاسدون يسعون لتحقيق مطامعهم الشخصية دون أية اعتبارات^(١).

وعندما غزت أمريكا الصومال في ١٩٩٢ م، قامت المقاومة الصومالية الباسلة بدحر ذلك العدوان، فارتدت أمريكا على عقبيها خاسئة مهزومة. إن الذي ألحق

(١) «اتحاد المحاكم الإسلامية في الصومال»: موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبا).

الهزيمة بالقوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها كانت هي الطلائع الأولى لما عرف فيما بعد (بالمحاكم الإسلامية)، حيث إن هؤلاء المقاتلين الذين هزموا أمريكا شكّلوا محاكم في مناطقهم وأحيائهم تقوم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وإعادة الحقوق إلى أصحابها، ونشروا الأمن والأمان في أحيائهم ومناطقهم، وقَدّم الشعب الصومالي لهم الدعم عندما وجد فيهم الصدق والأمانة والإخلاص. وعندما رأى رجال الأعمال والمستثمرون تغلغل نفوذها ونجاحها في تحقيق الاستقرار في المناطق التي سيطرت عليها، وبدون مقابل من «الإتاوات» التي كانوا يدفعونها سابقاً لأمراء الحرب بدؤوا يُمَوِّلُون هذه المحاكم سعيًا للاستقرار.

جرت أول محاولة لتأسيس ما عرف بالمحاكم الإسلامية عقب سقوط حكومة «سياد بري» وانتشار حالة الفوضى، عندما حاول العالم الأزهري الصومالي الشيخ (محمد معلم حسن) إنشاء محكمة شرعية بمنطقة «طورطيجلي» جنوب مقديشو بالتعاون مع شيوخ القبائل للفصل بين المتخاصمين بالاحتكام إلى الشريعة، غير أن الجنرال محمد فارح عيديد- الذي كان يسيطر على جنوب العاصمة آنذاك- أحبط هذه المحاولة، لأنه اعتبرها محاولة لإضعافه.

أما البداية الناجحة لتأسيس هذه المحاكم فكان في عام ١٩٩٤م، عندما تأسست محكمة شرعية على أسس عشائرية بالشرط الشمالي من العاصمة، وعيّن الشيخ علي محمود الملقب بالشيخ علي الطيري رئيسًا لها. واستطاعت هذه المحكمة بسط نفوذها على أجزاء واسعة من شمال العاصمة مستعينة بالميليشيات التي كونتها والتي جاء أغلبها من العشائر التي تفتقد للأمن، ونجحت بالفعل في فرض النظام بعدما نفّذت أحكام رادعة من الرجم إلى القصاص والإعدام. وفي عام ١٩٩٦م بدأت المحاكم تظهر بقوة كنظام قضائي نجح في نشر الاستقرار في بعض المناطق، وفي عام ١٩٩٧م أصبحت المحاكم الإسلامية- ولأول مرة في



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

مقديشو- بمثابة وزارتي العدل والداخلية، حيث أوجدت في كل قبيلة بالعاصمة ميليشيات تقوم بدور وزارة الداخلية، والمتمثلة في إرساء الأمن ومحاولة القضاء على حالة الفوضى التي تشهدها البلاد، وهو ما أكسبها نفوذاً ومصدقية كبيرة لدى الصوماليين.

بيد أن زعيم الحرب القوي آنذاك «علي مهدي محمد» دخل في صراع مع المحاكم، وتمكّن من القضاء على نفوذها المتنامي في كافة الأنحاء الصومالية، وحبسها في الإطار المحلي فقط عبر تفكيك أجهزتها القضائية والتنفيذية («القوات العسكرية»)، مستعيناً بدعم الحكومة الإثيوبية المعروفة بولايتها لواشنطن، ورغم ذلك فقد ظلت المحاكم موجودة ضمناً داخل كل قبيلة على المستوى المحلي لحل الخلافات بين أبنائها، قبل أن تعود وتنتشر تدريجياً مرة أخرى.

ومع بداية عام ٢٠٠٤م خرجت المحاكم الإسلامية مرة أخرى للساحة السياسية، حيث بدأ ظهورها في مواقع التردّي الأمني في العاصمة «مقديشو» بعد ضعف حكومة «صلاح حسن»، فأنشأت في العاصمة الصومالية وحدها ١٠ محاكم إسلامية، وما لبثت المحاكم أن أعلنت توحيدها في عام ٢٠٠٥م ليظهر «اتحاد المحاكم الإسلامية» حيث انضمت كل المحاكم إلى ذلك الكيان الجديد، وتم انتخاب الشيخ «شريف شيخ أحمد»- الذي كان يرأس إحدى المحاكم- رئيساً لعموم اتحاد المحاكم، وأصبحت أجهزتها الأمنية والقضائية موحدة في إطار هذا الكيان.

أذهل ظهور المحاكم الإسلامية بهذا الشكل المفاجئ الشرق والغرب، بما فيهم أمريكا والمليشيات الصومالية المتناحرة، ووجد قادة المليشيات والعصابات المسلحة وقطاع الطرق أن هذه المحاكم تُشكّل خطراً على مستقبلهم ونفوذهم ومصالحهم وأهدافهم العرقية، فقاموا بمحاربتها ومقاومتها والعمل على القضاء عليها. أما أمريكا فقد تصاعدت مخاوفها نتيجة صعود المحاكم الإسلامية، فلجأت



إلى التحالف مع عدد من أمراء الحرب الصوماليين وشكّلت في ١٨-٢-٢٠٠٦م ما أسمته «التحالف من أجل إعادة السلام ومكافحة الإرهاب» بدعم كامل من وكالة الاستخبارات الأمريكية، كان يهدف في البداية لاغتيال بعض قيادات المحاكم، وهو ما أدى لنشوب صراع علني بين أمراء الحرب والمحاكم الإسلامية. وتمكّنت المحاكم الإسلامية من هزيمة أمراء الحرب في وقت قصير لم يتجاوز أربعة أشهر، سيطروا خلالها على العاصمة مقديشو بعد فرار أمراء الحرب واستسلام مليشياتهم مع أسلحتها المختلفة، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وبعد فشل تحالفها وهزيمتها على يد المحاكم، لجأت واشنطن لحليفها الرئيسية في القرن الإفريقي إثيوبيا، وجرى الترتيب للغزو الإثيوبي للصومال بالوكالة عن أمريكا.

وبعد أن دخل الجيش الإثيوبي الصومال - مدعوماً من قبل أمريكا وأمراء الحرب السابقين - رأت المحاكم الإسلامية اتخاذ خطوة الانسحاب التكتيكي، لتطرح رؤيتها القادمة للصراع من خلال استراتيجية «حرب العصابات» التي أثبتت نجاحاً في نموذج المقاومة العراقية والأفغانية، التي أفشلت المشروع الأمريكي في المنطقة. لكن أمريكا لم تكتف بتوكيل عميلتها إثيوبيا لقتل المدنيين ودحر قوات المحاكم الإسلامية، بل قامت بنفسها في ٨ يناير ٢٠٠٧م بقصف جوي لما زعمت أنه قواعد لقوات المحاكم الإسلامية، وأسفر القصف الجوي عن سقوط كثير من المدنيين القتلى. ويقول المحللون أن تلك الغارات الأمريكية أكّدت أن أمريكا كانت توفر الغطاء الجوي للعدوان الإثيوبي على الصومال، وهو العامل الأهم الذي مكّن الجيش الإثيوبي من احتلال الأراضي الصومالية.

عندها رأت قوات المحاكم الإسلامية الانحياز نحو الأحرار الجنوبية، وهذا الإجراء أفضل المصيدة التي أعدتها لها أمريكا وإثيوبيا، والتي كانت تستهدف



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

محاصرة قوات المحاكم عن طريق ضغط بري إثيوبي يعززه غطاء جوي وبحري أمريكي. ويؤكد خبراء عسكريون أن المحاكم اعتمدت على مجموعة المقاتلين المتدربين على عمليات القنص واستخدام العبوات المتفجرة، بدلاً من أساليب القتال المباشر التي أثبتت عدم فاعليتها في التصدي لقوات الغزو الإثيوبية؛ نظراً لفارق القوة الكبير بين الجانبين؛ حيث يتلقى جيش الاحتلال الإثيوبي دعماً مالياً وفنياً من الولايات المتحدة تُقدَّر قيمته بملايين الدولارات سنوياً وفق المصادر الأمريكية نفسها^(١).

ورغم الصورة القاتمة التي حاولت أمريكا أن ترسمها للعالم حول المحاكم الإسلامية، وخاصة في ما يتعلق بعلاقتها بتنظيم القاعدة، غير أن الواقع يشهد عكس ذلك؛ فقد لاقت المحاكم الإسلامية ترحيباً كبيراً من الشعب الصومالي، وكذلك من المنصفين غير الصوماليين على مختلف خلفياتهم الثقافية والإثنية. ويكفي أن نقل هنا ما قاله أحد الصحفيين الغربيين، وهو الكاتب والصحفي «مارتن فليتش» الذي يعمل في صحيفة «تايمز» البريطانية.

كتب هذا الصحفي في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٧م يقول^(٢): «كنت من الصحفيين القلائل الذين زاروا مقديشو مؤخراً، والذي أثار دهشتي ولفت نظري بقوة هو الهوة الشاسعة بين رأي أمريكا وما تقوله عن المحاكم الإسلامية، ورأي الشعب الصومالي نفسه، فبالنسبة إلى واشنطن، يعتبر اتحاد المحاكم طالبان أخرى، ومجرد أتباع لتنظيم القاعدة يريدون تحويل الصومال إلى ملجأ للإرهابيين، ولكن الصوماليين الذين قابلتهم رحبوا بالمحاكم الإسلامية لأنهم قضوا على أمراء الحرب الذين حوّلوا البلاد إلى أشلاء وجحيم على امتداد أكثر من ١٥ عاماً من الحرب الأهلية، لأول مرة في عمر جيل بأكمله كان بمقدور الصوماليين أن يسيروا في الشوارع بأمان،

(١) «المقاومة الصومالية استشراف للنهوض في ظل مخاض مروع»: علي عبد العال.

(٢) «اتحاد المحاكم الإسلامية في الصومال»: وكالة الأخبار الإسلامية (نبا).

والصوماليون الذين سبق وهربوا من العنف كانوا قد بدأوا في العودة من الخارج». ويضيف مارتن فليتشر أنه سأل مثقفاً صومالياً يدير منظمة للإغاثة الإنسانية عما إذا كان يخشى من التوجه الديني للمحاكم ومن أن يصبحوا بمثابة «بوليس ديني» فقال له: «حتى لو فعلوا هذا، فإنهم سيظلون أفضل بكثير جداً من أمراء الحرب الذين كانوا يقومون بعمليات إبادة منظمة».

الإثيوبيون ووكالة مكافحة الإرهاب في الصومال

لم تكن تطلعات إثيوبيا لاحتلال الصومال حديثة عهد، بل إن الصوماليين تاريخياً يتهمون إثيوبيا- على اختلاف أنظمة الحكم فيها- بالطمع في بلادهم، ولا يزالون يتذكرون الخطاب الذي ألقاه الإمبراطور الإثيوبي هيلاسلاسي في مدينة «قبر دهرّي» الصومالية عام ١٩٥٦م ردّاً على تطلعات الوحدة والاستقلال التي بدأت ملامحها تتبلور آنذاك، عندما قال بأن «الشعب الصومالي جزء من العائلة الإثيوبية الكبيرة، وأن مستقبل تقدم الصوماليين مرتبط بأن يكونوا مع إثيوبيا»^(١).

وعندما سقطت حكومة مقديشو عام ١٩٩١م قدّم الرئيس الإثيوبي آنذاك (منغستو هيلاماريام) كلمته التاريخية أمام البرلمان، وكان ملخصها أنه حقق للأمة الإثيوبية ما لم يحققه رئيس إثيوبي من قبل، وهو إسقاط الحكومة الصومالية، لتتحول الساحة الصومالية بعد ذلك إلى بحر من الدماء^(٢)، وباتت إثيوبيا تتحين الفرصة لابتلاع الصومال.

أما أمريكا، فبعد هزيمتها القاسية في الصومال في ١٩٩٣م وتحطّم كبريائها، وجدت نفسها مضطرة للبحث عن وسيلة أخرى لمواجهة شراسة المقاتلين

(١) «التورط الإثيوبي في الصومالي وتبعاته»: ياسر سعد.

(٢) «المشكلة الصومالية وتداعياتها الراهنة»: عبد الرحمن سهل الصومال.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

الصوماليين في أيّ حرب قادمة تشنّها على الصومال، وعلى مدى ١٤ عامًا مضت ظل الأمريكيون يحلمون بالعودة للصومال لتحقيق أغراضهم في السيطرة على منافذ المنطقة العربية والانتقام للهزيمة المذلة في عام ١٩٩٣م. عندها رأت إدارة بوش أن تستخدم أسلوب المرتزقة، وفعلاً نجحت في إغراء أديس أبابا لاستخدام الجيش الإثيوبي في احتلال الصومال بدلاً عن القوات الأمريكية^(١).

لقد رأت الإدارة الأمريكية النصرانية الخبيثة، والحاكمة على الإسلام والمسلمين، أن تفوض أمر «إعادة السلام» ومكافحة الإرهاب إلى حليفها النصرانية إثيوبيا. وقبيل الغزو الإثيوبي للصومال تدفّقت المساعدات الأمريكية للحكومة الإثيوبية، وقامت وفود أمريكية رسمية عالية المستوى بزيارة إثيوبيا، وظهرت تصريحات الجانبين بأن التعاون بين إثيوبيا والولايات المتحدة لمحاربة الإرهاب في تطور مستمر أكثر من أيّ وقت مضى، وأن التعاون القوي المشترك بين البلدين سيحمي منطقة القرن الأفريقي من الهجمات الإرهابية!^(٢) وقال وزير الإعلام الإريتري علي عبده في أسمرّة: «**ما سنشهد في الصومال سيكون مستنقعا**»، ووصف الوزير الإريتري رئيس الوزراء الإثيوبي ملس زيناوي بأنه «**كاذب مهووس، وهو لا يسيطر على التدخل العسكري في الصومال لأنه تحرك بأمر من القوى العظمى وخصوصاً الولايات المتحدة**»، وأضاف الوزير «**أنه أي (زيناوي) يتصرف كمرتزق للولايات المتحدة، ولا يعلم ما هي التعليمات التي سيتلقاها من رؤوسه**»^(٣).

وفي أوائل عام ٢٠٠٧م بدأت القوات الإثيوبية تنفيذ المؤامرة بالاشتراك مع الحكومة الصومالية الموالية في «بيداوا» لغزو البلاد التي تخضع لسيطرة اتحاد المحاكم الشرعية، وبعد أن دخلت القوات الإثيوبية الأراضي الصومالية، ووجدت

(١) «الصومال .. عقبة في طريق الحلم الأمريكي»: إبراهيم شاهين.

(٢) «التورط الإثيوبي في الصومال وتبعاته»: ياسر سعد.

(٣) «المقاومة الصومالية استشراف للنهوض في ظل مخاض موجه»: علي عبد العال.

لها موطن قدم مع العملاء الموالين لها، بدأت تظهر في أرض الصومال مرة أخرى قوات أمريكية وطائرات مقاتلة ترفع العلم الأمريكي، وعمدت أمريكا جاهدة على تسليح القوات الإثيوبية وميليشيات أمراء الحرب الموالين لأمريكا والمدعومة من أديس أبابا، وذلك من خلال القرار الذي تبناه مجلس الأمن الدولي بالإجماع في ٦-١٢-٢٠٠٦م، والذي رفع الحظر على الأسلحة الذي كان قد فرض على الصومال منذ عام ١٩٩٢م^(١). ولم تكن «قوات حفظ السلام الأفريقية» في حقيقتها إلا امتداد للتحالف الصليبي الذي تترعّمه أمريكا، وهم بالإضافة إلى أنهم كانوا يقفون مكتوفي الأيدي أما الجرائم التي يقوم بها الإثيوبيون في الصومال، كانوا أيضًا يُعيّنون الإثيوبيين ويُقدّمون لهم التسهيلات والمعلومات اللازمة لضرب المقاومة، وأضع من ذلك أنهم كانوا يقومون بعمليات إبادة جماعية ضد المدنيين بحجة المحافظة على الأمن^(٢).

وقد قامت قوات الاحتلال الإثيوبية والقوات الحكومية الموالية لها ولأمريكا بإجبار آلاف المدنيين على إخلاء مساكنهم، للقيام بعمليات تفتيش بحثًا عن أفراد المقاومة الإسلامية والأسلحة. وقد هدّدت هذه القوات من يرفض المغادرة باستخدامهم كدروع بشرية لمواجهة رجال المقاومة، وعندما عجز جيش الاحتلال الإثيوبي عن اقتحام معازل مقاتلي المحاكم الإسلامية الصومالية في مناطق الأحراش، قام بالاستعانة بالدعم اللوجستي والجوي الأمريكي، وهو ما يؤكد لنا المرة تلو الأخرى أن الاحتلال الإثيوبي ما هو إلا غطاء للاحتلال الأمريكي، وأن الكفر ملة واحدة. وكما هو معهود من دول «الصمت» الدولي و«الإخوة» الأشقاء، فقد اكتفى الجميع بالأسف لما يجري من قتل المدنيين، والشجب والتنديد، وحاول الإعلام الغربي والعربي إيهام المتابعين للأحداث في الصومال بأن الأمور

(١) «تحالف أمريكي إثيوبي في القرن الأفريقي يسعى لوقف المد الإسلامي نحو أفريقيا»: علي عبد العال.

(٢) «أهداف شباب المجاهدين في الصومال»: حوار قناة الجزيرة مع مختار روغو.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

انتهت، وذلك عندما بدأ وصول قيادات الحكومة الصومالية العميلة إلى مقديشو وسط أشكال مفركة من أفراح الاستقبال- على نفس النمط الذي جرى مع دخول قوات الاحتلال الأمريكية لبغداد-، وبدء إجراءات جمع السلاح من أفراد الشعب الصومالي^(١).

تصاعدُ عمليات المقاومة الصومالية وردود فعل قوات الاحتلال الإثيوبية عليها من بطش بالمدنيين وفتح النار على العزل يُظهر عمق المأزق الذي كانت تعانيه القوات الإثيوبية التي تورطت بغزو الصومال والدخول في رماله المتحركة مطيحة بحكم المحاكم الإسلامية التي شهدت الصومال في عهدها القصير استقراراً أمنياً افتقدته لأكثر من عقد ونصف، ليعود الاحتلال بالصومال لدوامات العنف والحروب.

وقد حاولت أمريكا أن تعيد المشهد الأفغاني على أرض الصومال؛ فأوعزت للقوات الإثيوبية بالقصف الجوي العشوائي المكثف، مستخدمة فيه طائرات حربية وأسلحة قامت أمريكا بتزويدها لإثيوبيا. كذلك، فقد تم استخدام أمراء الحرب الموالين لأمريكا ودعمهم مالياً وتنصيب «الصالح» منهم في الحكومة التي أعقبت المحاكم الإسلامية. وكما فعلت في أفغانستان، فقد حاولت أمريكا عرقلة أي مشروع لمجلس الأمن بخصوص وقف إطلاق النار أو انسحاب القوات الإثيوبية، وكانت خطة أمريكا هي إيجاد «قرن أفريقي كبير» خالٍ من المقاومة أو الإسلاميين، على غرار مشروع «الشرق الأوسط الكبير»^(٢)، وتنفيذاً لمراحل هذا المشروع الخطير قامت القوات الإثيوبية بتسليم المدن التي تستعيدها من المحاكم الإسلامية إلى أمراء الحرب السابقين التي أقصتهم المحاكم الإسلامية.

فترة ما بعد الغزو الإثيوبي

استمر الغزو الإثيوبي للصومال حوالي سنتين ذاق فيها الصوماليون مختلف

(١) «المقاومة الصومالية: تصحيح الخطأ التكتيكي»: طلعت رميح.

(٢) «نموذج أفغانستان الأمريكي في الصومال (بوابة إثيوبية)»: جمال عرفة.



أشكال الإبادة. وما إن انسحبت القوات الإثيوبية حتى بدأت خريطة القوى الجهادية والدينية تتبلور في صورة تحالفات سياسية أو هيئات دينية كاستحقاق لمواجهة المرحلة القادمة. بدأت هذه التحالفات بتأسيس (الحزب الإسلامي) بزعامة د. عمر إيمان أبو بكر، والذي تكوّن من أربع جماعات مسلحة هي المحاكم الإسلامية (جناح أسمره)، ومعسكر رأس كامبوني، والجهة الإسلامية، ومعسكر الفاروق (عانولي). بعدها بفترة وجيزة ظهرت قوة محلية أخرى عرفت باسم (هيئة علماء الصومال)، يقودها الشيخ بشير أحمد صلاّد زعيم جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، ودعت الهيئة إلى تطبيق الشريعة وإخراج جميع القوات الأجنبية من الأراضي الصومالية^(١).

وبالرغم من أن (هيئة علماء الصومال) حظيت بدعم رسمي من الداخل والخارج، لكنها كانت أبعد ما تكون عن ثقة الجماعات الجهادية بها ابتداءً من الشباب المجاهدين ومرورًا بالمحاكم بقيادة حسن طاهر أويس وانتهاءً بالحزب الإسلامي، وأسباب رفض القوى الجهادية لهذه الهيئة تتلخص في اعتراف الهيئة بالحكومة الصومالية، رغم أن ما جرى في الصومال هو استبدال حكومة عميلة بأخرى تابعة مع بقاء القوات الأفريقية على حالها. كذلك، فقد أعطت الهيئة الحكومة ٩٠ يومًا لتطبيق الشريعة و ١٢٠ يومًا للقوات الأجنبية لمغادرة الصومال، وهذا يعني إعطاء هذه القوى مجتمعة فرصة لالتقاط الأنفاس وحشد المزيد من عناصر القوة والسيطرة خلال المهلة المقترحة.

ورغم الشروط التي وضعتها (هيئة علماء الصومال)، وخاصة تلك المتعلقة بضرورة قيام الحكومة الحالية بإخراج القوات الأجنبية من أراضي الصومال، وعدم السماح بقدوم قوات أجنبية أخرى، غير أن أنباء تسرّبت عن دخول مئات من القوات الأجنبية سرًّا عبر مطار العاصمة، وأن هبوط الطائرات العسكرية في

(١) «الصومال: تساؤلات ومفارقات عجيبة لا تنتهي»: أكرم حجازي.

المطار تواصل بشكل ملحوظ. بل إن الأمر مضى أبعد من ذلك؛ حيث دعا وزير الخارجية الصومالي محمد عبد الله عمر في كلمة له أمام مجلس الأمن كلاً من أوغندا وبوروندي لإرسال ثلاث فرق إضافية بصورة عاجلة إلى الصومال مدعومة بمعدات متطورة وتجهيزات طبية، مشيراً إلى أن الرئيس شريف: «اتخذ جميع الإجراءات الأمنية والخطوات الكفيلة بحشد الدعم من أجل عملية السلام»^(١)، وبعد ذلك أصدر الاتحاد الأفريقي بياناً رسمياً من مقره في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا يقضي بتعزيز قوات حفظ السلام التابعة له في الصومال، ليصل عددها إلى ٨٠٠٠ جندي^(٢).

حركة الشباب المجاهدين

في غمرة هذه الأحداث ظهرت (حركة الشباب المجاهدين)، وهي فصيل صومالي مسلح، يُقدَّر عدد أفرادها بما بين ٣٠٠٠ و ٧٠٠٠ مقاتل^(٣)، ولها أسماء كثيرة مثل: حركة الشباب الصومالية والشباب أو المجاهدون وحركة المجاهدين وحركة الشباب الإسلامي، وحركة الشباب المجاهدين، والشباب الجهادي، وقد انفصلت الحركة عن اتحاد المحاكم الإسلامية، وكانت في البداية تُعرف بأنها الجناح العسكري للمحاكم الإسلامية خاصة في فترة استيلاء المحاكم على أكثرية أراضي الجنوب الصومالي في النصف الثاني من العام ٢٠٠٦م، ثم انشقت عن المحاكم الإسلامية في منتصف ٢٠٠٧م متهمة إياها بالتحالف مع العلمانيين والمسيحيين والتخلي عن الجهاد ضد العدوان الإثيوبي، واستطاعت تحقيق مكاسب على الأرض، وأسست ولايات إسلامية في مناطق وسط وجنوب الصومال، وأعلنت

(١) «الحزب الإسلامي الصومالي يهدد بمحاربة القوات الأجنبية»: قناة الجزيرة.

(٢) «أمريكا تدعو لشر قوات دولية في الصومال»: شبكة المشكاة الإسلامية.

(٣) «حركة الشباب المجاهدين»: قناة الجزيرة.

عن سعيها لإقامة دولة إسلامية، وشتت حرباً ضد الحكومة الصومالية وحلفائها في الداخل والخارج.

وفي سبتمبر ٢٠٠٧م قتل قائد الحركة أحمد غودني الملقب بالمختار أبو الزبير الذي أربح خصومه ودولاً إقليمية في الجوار، ويرى خبراء ومحللون^(١) أن الحركة دخلت مرحلة جديدة بعد فقدان أبي الزبير؛ حيث إنه - حسب رأي هؤلاء - قد فشل في إعداد قيادات مؤهلة قادرة على ملء الفراغ الذي خلفه مقتله، وهو ما يؤكد صعوبة المهمة لدى القائد الجديد، بينما يرى الكاتب والإعلامي الصومالي عبد القادر علي ورسمه أن بناء الحركة العقائدي يمنع الانهيار السريع أو التفكك الدراماتيكي، لأنها - حسب تعبيره - ليسو من المرتزقة التي تتلاشى بمجرد موت قائدها أو مؤسسها، بل هي حركة تتبنى فكرًا عقائديًا يستسهل الموت من أجل بلوغ الغاية بغض النظر عن صحة هذا الفكر من عدمه، وأما الحركة فترى نفسها قوية، وأنه لا تأثير لمقتل أبي الزبير على مشروع الحركة، وأن العمليات القتالية ستزداد ضراوة واشتعالًا، وأن هناك آلاف المقاتلين من الأنصار والمهاجرين - حسب تعبير الحركة - المستعدون لتحقيق النصر أو الموت.

وفي مايو ٢٠٠٨م تعرّضت الحركة لنكبة أخرى؛ حيث قتل قائدها آدن حاشي عيرو المكنى أبو حسين الأنصاري في قصف جوي أمريكي بمدينة طوسمريب وسط الصومال، وكان آدن مطلوبًا من أمريكا لاتهامها إياه بالضلوع سنة ١٩٩٨م في تفجير سفارتيها في نيروبي ودار السلام، ورغم ذلك واصلت الحركة مقاومتها الجهادية. وتوصف عمليات حركة الشباب وهجماتها بأنها تعتمد الطريقة العراقية من تفجير عبوات مزروعة في الطرقات، وسيارات مفخخة، وعمليات قصف مدفعي شملت القصر الحكومي ومقرات الجيش الإثيوبي، وقامت بعمليات وهجمات عسكرية عديدة ضد الحكومة الصومالية وكينيا وأوغندا.

(١) «أين تقف حركة الشباب المجاهدين بعد مقتل زعيمها؟»: قناة الجزيرة.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

وعندما أحسَّت أمريكا بخطر (حركة الشباب المجاهدين) أوعزت إلى بعض عملائها في الصومال بتشكيل برلمان يقوم بانتخاب (شريف شيخ أحمد)، الذي كان قائداً للمحاكم الإسلامية، كرئيس للبلاد بدلاً من الرئيس السابق الذي استقال فجأة بناء على طلب أمريكا لفسح المجال للرئيس الجديد. وفعلاً تم ذلك في ٣١/١/٢٠٠٩م. ومن المضحكات المبكيات أن مسرحية تشكيل البرلمان وانتخاب الرئيس لم تحدث داخل الصومال، وإنما في جيبوتي، والشعب لم يعلم إلا بعد أن جفت الأقلام وطويت الصحف، وعاد الرئيس الجديد من جيبوتي إلى مقديشو تحت الحماية الأمريكية.

وطبعاً، بعد أن انتهت المسرحية، قام الرئيس الأمريكي بتهنئة الرئيس الجديد (شريف شيخ أحمد) وأشاد به وبالعملية الديمقراطية التي تمت لانتخابه. ولم تكف أمريكا بهذه اللعبة القذرة، بل جاءت بأحد عملائها الصوماليين الذي كان يعيش خارج بلاده لأكثر من عقدين من الزمن، فنصّبته رئيساً للوزراء. أما الرئيس المنتخب (شريف شيخ أحمد) فقد كان أول تحرك سياسي له هو زيارة إثيوبيا، التي غزت الصومال لمحاربته عندما كان قائداً للمحاكم الإسلامية. وفي هذه المرة، رحّبت إثيوبيا بالرئيس شريف بعد أن كانت تطارده، وصرّح رئيس وزرائها بأنهم سيقدّمون له الدعم.

وفي الوقت الذي يحظى شريف بدعم غربي بوصفه «الوجه المعتدل» المقبول من بين الإسلاميين في الصومال، حيث قبّل بالتفاوض مع الحكومة الانتقالية التي أتى بها الاحتلال الإثيوبي بدعم أمريكي، إثر استقرار البلاد تحت حكم المحاكم الإسلامية، فقد رفضت باقي حركات المقاومة الإسلامية المفاوضات، واستمرت في المقاومة المسلحة للاحتلال، وتمكّنت بعد عامين من الجهاد إجبار الاحتلال الإثيوبي على الانسحاب من الصومال والسيطرة على أغلب المحافظات. وقد



صرح دبلوماسيون أمريكيون أكثر من مرة بأن الولايات المتحدة تعاونت مع حكومة شريف للمساعدة في بناء قواتها الأمنية التي بلغت خمسة آلاف عنصر، كما قامت أيضًا بتدريب قوة الشرطة، وتحملت نفقات قوة الأمن الخاصة بحكومة شريف. كل هذه الجهود والتكاليف هي لشيء واحد فقط، وهو تمكين حكومة شريف من القضاء على المقاومة الصومالية ضد أي تدخل إثيوبي أو غربي.

وكحلقة في سلسلة المحاولات التي تقوم بها أمريكا وحكومتها العميلة في الصومال لتحجيم دور المقاومة الصومالية، وخاصة (حركة الشباب المجاهدين)، صادق البرلمان الصومالي في ١٠/٣/٢٠٠٩م على تطبيق الشريعة الإسلامية، وهو ما كان الرئيس شريف يأمله للدفع بالمفاوضات مع (حركة الشباب المجاهدين)^(١). ولم يخف أعضاء الحكومة دسيتهم من وراء هذا القانون، حيث لَمَح بعضهم بذلك، فقال: «واعتبارًا من الآن لدينا حكومة إسلامية وآمل أن يؤدي ذلك إلى انخفاض أعمال العنف في البلاد».

وفي ١٩/٣/٢٠٠٩م ألقى الشيخ أسامة بن لادن بيانًا أوضح فيه عوار كثير من الأحزاب والجماعات والقوى الدينية والسياسية المتصارعة في الصومال. وسواءً صرح قادة «تنظيم القاعدة» بوجوب مقاومة المحتل الأمريكي أم لم يصرحوا فإن أمريكا لن تتخلى عن مشروع «القرن الأفريقي الكبير». وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي «وليم بلوم» في كتابه «الدولة المارقة»: «محال أن يترك الأمريكان دولة ما تتحداهم، لذلك فالصومال وأهله هم في عداد القتلى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية .. وبمجرد انتهاء الأمريكان من العراق سيتجهون إلى الصومال بحجة أن ابن لادن شوهد يتجول في مقديشو»^(٢).

(١) «البرلمان الصومالي يتبنى بالإجماع تطبيق الشريعة في البلاد»: مصطفى حاج عبد النور.

(٢) «الدولة المارقة»: وليام بلوم.



الفصل الثالث: إحياء الأزوام

وفي أكتوبر ٢٠١١م، وبعد اجتماعات تحضيرية، دخلت القوات الكينية جنوب الصومال ضمن عملية «ليندا نشي» لمحاربة (حركة الشباب المجاهدين)، ولإنشاء منطقة عازلة داخل الصومال في منطقة جوبا السفلى وعاصمتها (كيسمايو)، وقد تم دمج القوات الكينية رسمياً داخل القوة المتعددة الجنسيات في فبراير ٢٠١٢م، وفي سبتمبر ٢٠١٢م تم تشكيل الحكومة الاتحادية في الصومال، لتكون أول حكومة مركزية دائمة في البلاد منذ بداية الحرب الأهلية.

ورغم النيات المزعومة من قبل الحكومات المساهمة في قوة الاتحاد الأفريقي في الصومال، إلا أن ما قامت به القوات الكينية من طرد وفد الحكومة الصومالية الجديدة من مدينة كيسمايو في ٨ نوفمبر ٢٠١٢م، وإحراج سيادة الحكومة على تلك المنطقة، وأحققتها في الإشراف على عملية تشكيل ولاية جوبالاند، والتصعيد القبلي الذي تُكرّسه كينيا في تلك المنطقة، لا يمكن أن يوجد له مبررٌ مقنع^(١).

وأما إثيوبيا، التي كانت لاعباً أساسياً في السياسة الصومالية منذ دخول الصومال في دوامة الحروب الأهلية، فإنها لم تفتأ تلعب دوراً بارزاً في استمالة بعض القبائل إلى صفها لتحقيق مصالح آنية. ويبدو أن قلق إثيوبيا تزايد بعد سيطرة جارتها كينيا على مدينة كيسمايو الساحلية التي كانت كل من الدولتين تتطلع إلى التفرد في صياغة مشروعها الإداري بعد انتزاعها من يد (حركة الشباب المجاهدين)، ولكنها وإن كانت خسرت في السباق نحو الهدف، فلا زالت تلعب دورها في المناطق الحدودية من خلال آلياتها المباشرة وغير المباشرة، واستطاعت استقطاب بعض القبائل، وعرقلة أعمال تشكيل الإدارات في الأقاليم الحدودية التي لا تتم تحت إشرافها.

(١) «أزمة الفيدرالية في الصومال والحكومة الجديدة»: عمر محمد ورسمه.



حركة القرصنة وتهديداتها الدولية

تشير الأرقام إلى أن هناك ١٦ ألف سفينة تمر من خليج عدن سنوياً، تحمل نفطاً من الشرق الأوسط، وبضائع من آسيا إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، وهذا المسار الملاحي يُعدُّ واحداً من أهم المسارات الملاحية في العالم، ولكنه أصبح مُهدّداً بسبب عدم الاستقرار الذي تعيشه الصومال^(١).

وفي أعقاب الغزو الأمريكي للصومال في أغسطس ١٩٩٢م، انتشرت عمليات نهب وقرصنة لخيرات البلاد؛ حيث تقوم مئات السفن بنهب ثروات الصومال السمكية، والتي لا تقل أهميتها وقيمتها عن أهمية الثروة النفطية في البلدان العربية. وقد أكد «مختار روغو» الناطق باسم (حركة الشباب المجاهدين) بأن «القرصنة من صناعة الأمريكان، والدول الغربية هم مَنْ سلّحهم واشتروا لهم السفن والمعدات»^(٢)، وأن السبب في دعمهم للقرصنة هو أن الأمريكان «كانوا يخافون من شباب مجاهدين يأتون من السعودية واليمن في طريقهم إلى الصومال»، ولذا فأوصوهم بمراقبة السفن التي تأتي من تلك الدول وأن يُسلّموا كل عربي فيها للأمريكان.

وقد ظلت القرصنة تمثل مشكلة في المياه الصومالية لعشر سنوات على الأقل، لكن أعداد الهجمات الناجحة تزايدت بصورة حادة بين ٢٠١١م و ٢٠١٤م، والفترة الوحيدة التي اختفت فيها القرصنة تماماً كانت فترة الشهور الستة التي حكم فيها اتحاد المحاكم الإسلامية الصومال، وذلك في النصف الثاني من عام ٢٠٠٦م، وهذا يؤكد أن وجود حكومة فاعلة في الصومال سيؤدي إلى كبح أعمال القرصنة، ولكن بعد الإطاحة بالمحاكم الإسلامية ظهرت القرصنة من جديد. وشهد عام

(١) «القرصنة في الصومال تهدد التجارة العالمية وتغذي الصراعات المحلية»: روجر ميدلتون.

(٢) «أهداف شباب المجاهدين في الصومال»: حوار قناة الجزيرة مع مختار روغو.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

٢٠٠٨م تصاعدًا في القرصنة الصومالية لتحظى باهتمام صناع القرار بمختلف دول العالم، وذلك بعد عمليات اختطاف كبيرة شهدتها تلك المنطقة، ففي الأسبوع الأخير من أغسطس ٢٠٠٨م تم اختطاف ٤ سفن، وحتى ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨م سجّل قطاع البحرية الدولية بغرفة التجارة العالمية ٦١ حالة اختطاف^(١).

والرقم الحقيقي للهجمات أكبر من المعلن؛ إذ لا يتم الإبلاغ عن كل الحوادث لوجود نشاطات غير قانونية في المياه الصومالية، كما صرح بذلك سعيد محمد مرسي - نائب مساعد وزير الخارجية المصرية آنذاك وسفيرها لدى الصومال - من أنه قام في مايو ٢٠٠٧م بوساطة للإفراج عن ثلاث سفن مصرية احتجزت في ولاية بونت لاند لقيامها بالصيد بطريقة غير مشروعة^(٢).

الأضرار الناجمة عن انتشار القرصنة في الصومال

منذ عام ٢٠٠٧م ازدادت قيمة المبالغ المدفوعة فدية بصورة حادة، وهو ما أدى بدوره إلى زيادة الدوافع لدى المسلحين للدخول في عالم القرصنة الصومالية، والسبب الرئيسي لازدياد عمليات القرصنة هو غياب تطبيق القانون في المناطق الساحلية الصومالية؛ إضافة إلى انخفاض تكلفة الدخول إلى عالم القرصنة، ودوافع القراصنة الصوماليين مالية بحتة؛ بالرغم من أن تلك الأموال قد يُعاد توجيهها إلى مسارات مختلفة أخرى بعد دفع الفدية، وبينما يحتفظ القراصنة بأجزاء كبيرة من الأموال التي يحصلون عليها؛ يُمرّرون حصصًا كبيرة إلى القادة المحليين الذين يتورط معظمهم في عمليات الحروب الدائرة، ومن المؤكد أن تلك الحصص الدورية من الأموال تساعد في تمويل الحروب الداخلية.

(١) «القرصنة في الصومال تهدد التجارة العالمية وتغذي الصراعات المحلية»: روجر ميدلتون.

(٢) «قضية القرصنة مرتبطة بالأوضاع في الصومال»: محمد النوبي.

ومن البديهي أن الشركات التي لا تصل حمولتها إلى هدفها النهائي في الوقت المحدد سوف تخسر أموالاً؛ بالإضافة إلى نفقات دفع الفدية والآثار الاقتصادية الضارة لعمليات القرصنة، كما أن تداعيات ذلك لم تكن مقصورة فقط على الشركات التي يتم اختطاف سفنها، بل امتدت أيضًا إلى شركات التأمين التي صارت تخسر مبالغ طائلة نتيجة اختطاف السفن، فاضطرت هي الأخرى إلى رفع أقساط التأمين على السفن المارة بخليج عدن، وهو ما مثل عبئًا إضافيًا على الشركات التجارية، وقد وردت تقارير بأن شركات التأمين قامت برفع أقسطها إلى عشرة أضعاف سنويًا^(١).

وقد أدّى تعرّض حاملات النفط العملاقة التي تسير في خليج عدن لعمليات القرصنة إلى انسكاب كميات ضخمة من النفط في المياه، مما كانت له تأثيراته السلبية على النظام البيئي في المنطقة. كذلك، فقد أصبح القراصنة أكثر جرأة، وابتدأوا يستخدمون أسلحة أقوى كثيرًا تمكنهم من إشعال النيران في الحاويات العملاقة أو إغراقها أو إجبارها على الانجراف إلى الشاطئ، وكل واحد من هذه الأخطار قد أدّى إلى كوارث بيئية أثّرت على الحياة البحرية وحياة الطيور لعدة سنوات.

محاولات القضاء على القرصنة في الصومال

منذ ظهور القرصنة الصومالية في عام ٢٠٠٥م، تزايدت حدّتها في بعض الأحيان وقلت في أحيانٍ أخرى بحسب قدرة المجتمع الدولي والحكومات في الصومال للتصدي لها، غير أنها بلغت ذروتها في عامي ٢٠١٠م و٢٠١١م؛ حيث ذكرت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز»^(٢) أن عدد السفن المختطفة من قبل القراصنة في عام ٢٠٠٩م كان ٤٦ سفينة، ثم زاد إلى ٤٧ في عام ٢٠١٠م، وانخفض إلى ٢٥

(١) «القرصنة في الصومال تهدد التجارة العالمية وتغذي الصراعات المحلية»: روجر ميدلتون.

(٢) «نجاح الحملة لمكافحة قرصنة الصومال»: قناة الجزيرة.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

في ٢٠١١م، وقد أثر كل ذلك على الصيد والسياحة وخطوط الشحن البحري، مما أدى في عام ٢٠١٢م إلى صدور قرار (٢٠٧٧) من مجلس الأمن الدولي القاضي بتشكيل قوة دولية لمكافحة القرصنة الصومالية، وبلغت جملة الهجمات الناجمة والفاشلة التي قامت بها القوة الدولية في عام ٢٠١١م في الساحل الصومالي وخليج عدن فقط ٢٣٧ هجمة، وشاركت ٨٥ دولة في هذه الهجمات، وأدت إلى اعتقال ١١٤٠ قرصاناً صومالياً، وقتل وغرق مئات القراصنة الآخرين.

ورغم المحاولات الدولية للقضاء على القرصنة في الصومال، إلا أن بعض المسؤولين الصوماليين^(١) توقعوا عودة القرصنة من جديد لأسباب عدة، منها تزايد عمليات الصيد غير المشروع بشكل يضغط على القراصنة أن يقوموا بردع السفن التي «تنهب» ثرواتهم السمكية، وعلى هذا فيعتبر هؤلاء المسؤولون الصوماليون أنه من الإجحاف إطلاق كلمة «قراصنة» على مَنْ يدافعون عن سواحل بلادهم من سفن تنهب سنوياً أكثر من ثلاثمئة مليون دولار من ثرواتهم السمكية، وأن «القراصنة» يستهدفون سفن الصيد «المعتدية» ويتجنبون السفن التجارية، وأنهم يحتاجون فقط إلى التنسيق مع السلطات المحلية والحصول على رخصة لحماية شواطئ الصومال. وهناك من يرى أن نسبة البطالة المرتفعة التي يعاني منها الشباب الصومالي، والظروف الاقتصادية الصعبة، قد تُشكّل عوامل إضافية لعودة الظاهرة.

التنصير يجري فوق صفيح ساخن

بدأت حملات التنصير تتوافد على الصومال منذ عام ١٨٨٩م، ولم يحصد المنصّرون من الجهود التي بذلوها منذ ذلك الوقت وأنفقوا فيها كل غال وثمين سوى الشوك والعلقم. وقد تعرض المنصّرون، ومَن تنصّر من الصوماليين وارتد

(١) «مخاوف من عودة القرصنة للسواحل الصومالية»: قاسم أحمد سهل.

عن دينه لأبشع العقوبات، ولم يخلُ دستور صومالي على مدى الحكومات التي تعاقبت على السلطة في الصومال من بند ينصُّ على المنع من نشر أيِّ دين غير الإسلام في الصومال. ولكنه عندما انهار النظام وزالت الحكومة في عام ١٩٩١م، ساءت الأوضاع المعيشية والأمنية في البلاد، وسال لعاب المنصرين من جديد نتيجة حالة الفوضى السائدة، وعندها تدفَّقت هيئات التنصير على الصومال بأسماء وواجهات مختلفة^(١).

وتعمل في الصومال العديد من المنظمات التنصيرية، التي تتخذ في الظاهر أعمالاً غير التنصير، لكنها تُقدِّم خدماتها مصحوبة بمواد تنصيرية صريحة؛ كالصلبان وصورة العذراء مريم والملصقات والنشرات والأناجيل. من هذه المنظمات: منظمة «مجتمع التوراة»، التي جاءت إلى الصومال قبل عام ١٩٦٨م. كذلك، فهناك منظمة «آباء كونسولاتا»، التي تدير وحدات طبية ودور أيتام ومدارس، وهناك أيضًا منظمة «أخوات كونسولاتا»، التي جاءت في غطاء إغاثي تحت مظلة منظمة الصحة العالمية. وهناك منظمة «كاثوليك ريليف»، ومنظمة «المينونايتيون» الهولندية، ومنظمة التطوير الإغاثية الكنسية (CRDE) التي تهدف إلى الدعوة الصريحة إلى المسيحية.

أرادت المنظمات الكنسية مبررًا لنشاطاتها التنصيرية الخبيثة، وليتسنى لها دعم الغرب الصليبي ماديًا وعسكريًا، فزعمت منظمة كنسية بريطانية تدعى «بارنيس فاند» في تقرير لها في أواخر عام ٢٠٠٣م عن وجود أقلية مسيحية مضطهدة في الصومال. وقد تناقضت هذه المنظمة إلى حدٍّ بعيد في تعداد هذه الأقلية المزعومة، فالإحصاء الذي أوردته ذكر أنها تتراوح بين الخمسمائة والألف، بينما ذكرت في ثنايا تقريرها أن نسبتهم تصل إلى ٥,٠٪ من السكان، وهذا يعني أن عدد هذه الأقلية

(١) «التنصير في الصومال»: موقع مكتب الأنشطة الدعوية والتربوية في الصومال.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

يقارب الأربعين ألفاً^(١). أما وسائل الإعلام الغربية فتدّعي أن نسبة المسلمين ٩٨٪ فقط، مما يعني وجود أقلية مسيحية تصل إلى ٢٪ أو ما يعادل ١٥٠ ألف^(٢).

وسارت لجنة الحريات الدينية التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية في تقريرها عن الصومال على هذا النهج؛ مدّعية وجود أقلية مسيحية في الصومال تتعرض للإساءات الدينية، بالإضافة لاعتبار اللجنة تجريم التبشير في الدستور ومحاربته من قِبَل الصوماليين اضطهاداً دينياً^(٣). لكن رابطة علماء الصومال أكدت أن بلادهم إسلامية بلا أقلّيات على الرغم من الجهود التنصيرية الكبيرة منذ عقود طويلة، وأنه لا يوجد صومالي غير مسلم إلا أفراداً يُعدّون على أصابع اليد يعيشون في أوروبا.

ورغم أن معظم منظمات التنصير في الصومال تدّعي أنها جاءت للإغاثة وإحلال السلام، إلا أنها لم تلق من الصوماليين أيّ ترحيب، بل تعرض أذنان التنصير لما تعرض له أوائلهم من ملاحقة وتصفية، فضلاً عن رد وكشف ما يُبَيّنونه في الخفاء. ولما دخلت المنظمات الخيرية الإسلامية إلى الصومال رحّب بها أهل الصومال وتقبّلوا المعونة باليد والدعوة والنصيحة بالقلب، فثارت ثائرة المنظمات التنصيرية، وألّبت عليها أمريكا وأعوانها من دول الغرب النصرانية، ليجلو لها الجو، فبدأت التصنيفات الجائرة للهيئات الإسلامية في لوائح الإرهاب الغربية، ومُنعت العديد من المنظمات الإسلامية من مزاوله أعمالها الدعوية والإغاثية في الصومال. حينها صعدت المنظمات التنصيرية من أعمالها وأنشطتها مستغلة فراغ الساحة، لتحل محل الهيئات الإسلامية التي مُنعت من أعمالها ولتستولي على المدارس والمراكز التي كانت تدعمها المنظمات الإسلامية.

(١) «مسلمو الصومال.. وجبة مشبعة أمل بعيد»: سميرة سليمان.

(٢) «الصومال بين مطرقة التنصير وسندان الفقر»: نجاح شوشه.

(٣) المرجع السابق.



وبمنع المنظمات الخيرية الإسلامية من ممارسة نشاطاتها في الصومال، ازدادت حدة الحملات التنصيرية وصفقتها في إعلانها عن هدفها، ونشرها للأناجيل، ومجاهرتها بالصلبان. كذلك فقد أقامت لها مراكز انطلاق لحملاتها التنصيرية؛ فقامت ببناء الكنائس والمستشفيات والمراكز الثقافية في العاصمة والمدن والقرى الكبيرة. ومن الغريب أن العاصمة «مقديشو» توجد بها أربع كنائس كبيرة على الرغم أنه في وقت إقامتها لم يكن ثمة نصراني واحد في البلاد. واستطاع المنصرون في وقت سابق أن يسيطروا نفوذهم على مراكز حساسة في الدولة، كما حُصّصت إذاعات للصومال تبث من مناطق مختلفة وبخاصة إسبانيا، وتقدم بعض المنظمات الدعم الإغاثي للصوماليين عبر مشاريع إنمائية زراعية، وتقوم بإيواء مئات الآلاف من اللاجئين.

وتهتم المنظمات التنصيرية بالأطفال والنساء على وجه الخصوص، فتقوم هذه المنظمات بفتح مراكز لتعليم النساء الأميات القراءة والكتابة والحياسة، أما النساء المتعلّمات فيُعلّمن مهارات الحاسب الآلي. كذلك تقوم بعض المنظمات التنصيرية بدعم المدارس المحلية، وإمدادها بالكتب الدراسية والمناضد والكراسي والأدوات التعليمية، وأحياناً بدفع الرواتب للمعلمين. وتقوم هذه المنظمات باستغلال عفوية الأطفال وحاجة الأهالي المادية، فتوزع عليهم الهدايا التي تحتوي على الصلبان والعبارات التي تتضمن دعوة صريحة إلى الارتداد والتنصير. وفي بعض الأحيان تفرض المنظمات على البنات خلع الحجاب مقابل تقاضي الدعم المالي الذي تقدمه للدارسات^(١). وقام العلماء والدعاة المسلمون بتنظيم الاحتجاجات والمظاهرات بعد قيام هيئة تنصيرية تابعة للكنيسة السويسرية بتوزيع المساعدات على التلاميذ بالمدارس مع الهدايا التي تحمل الشعارات النصرانية،

(١) «التنصير في الصومال»: موقع مكتب الأنشطة الدعوية والتربوية في الصومال.



والعبارات التي تخالف العقيدة الإسلامية^(١).

فتحت العديد من المنظمات التنصيرية في كينيا أبوابها لإيواء اللاجئين الصوماليين وبذل المعونات المالية السخية لهم مقابل اعتناقهم للنصرانية^(٢). وأما إثيوبيا فقد كانت إرساليات بروتستانتية في السابق تعمل في جنوب إثيوبيا الواقع تحت سيطرة إيطاليا الكاثوليكية والغرب الواقع تحت سيطرة إثيوبيا الأرثوذكسية، وقدّمت كل من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا للقوات الإثيوبية المساعدات الكثيرة التي أعانتها على احتلال مدينة هرر وغرب الصومال^(٣)، مما يؤكد أن هذه الحروب كانت صليبية بامتياز. وفي السنوات الأخيرة لم تكف إثيوبيا بغزوها للصومال ونشرها للفواحش والمخدرات في الشمال، بل تم ضبط عدة مجموعات تنصيرية إثيوبية تعمل في الصومال بطريقة منظمة. وينطلق الإثيوبيون الأرثوذكس من مركز على الحدود الإثيوبية الصومالية بعون من المنظمات الغربية لممارسة نشاطاتهم التي تبدأ بزرع الشقاق بين الصوماليين، والتشكيك في عقائد الإسلام، وتنتهي بالنشر الصريح للنصرانية^(٤).

محاولات الاستقرار واستتباب الأمن

بعد صراعات متوالية دامت لأكثر من ربع قرن، بدأت بوادر الإصلاح والاستقرار تعود إلى الصومال؛ فشهد عام ٢٠١٢م أول انتخابات رئاسية في الصومال منذ ٤٠ عامًا، وأصبح (حسن شيخ محمود) رئيسًا للصومال بعد أن هزم (شريف شيخ أحمد)، وفي عام ٢٠١٤م عاد ما يزيد عن ربع مليون من اللاجئين إلى ديارهم،

(١) «الصومال بين مطرقة التنصير وسندان الفقر»: نجاح شوشه.

(٢) «تنصير لاجئين صوماليين بكينيا»: قناة الجزيرة.

(٣) «الصومال بين نشاط المنصرّين وغفلة المسلمين»: مجدي داود.

(٤) «الصومال بين مطرقة التنصير وسندان الفقر»: نجاح شوشه.



ومن هؤلاء كثيرٌ من المستثمرين الصوماليين الذين بدءوا بتنفيذ مشاريع استثمارية أعادت الحياة إلى العاصمة مقديشو وغيرها من المدن.

ومن الملفت للنظر أن كثيراً من مؤسسات الدولة، وخاصة المدارس والمستشفيات، قد تم تدميرها خلال فترة الصراعات الطويلة، وصارت من مهمات الحكومات الجديدة إعادة بناء هذه المؤسسات، وإقناع الشعب لتشجيع أطفالهم للذهاب إلى المدارس. وحسب تصريح فارح شيخ عبد القادر- وزير العدل الصومالي- فإن الحكومة الصومالية قد بدأت ببرنامج يسمى «هياً نذهب إلى المدارس»، وتم تسجيل ١٥٠ ألف طالب، ويستهدف البرنامج تسجيل مليون طالب خلال ٣ سنوات^(١).

وفي أغسطس ٢٠١٦م تم تشكيل حكومة فيدرالية تضم ستة أقاليم تنضوي تحتها جميع المحافظات الثمانية عشر، وأجريت انتخابات رئاسية وبرلمانية، ويرى المحللون أن قضية الفيدرالية التي تعود بداياتها إلى مؤتمر المصالحة الصومالية المنعقد في كينيا عام ٢٠٠٢م، هي أكثر ملاءمة للانفصام الشديد الذي وسَّع الهوة بين القبائل؛ وذلك لما فيها من «تطبيب خاطر القبائل، وإقناعها بحكم كل قبيلة نفسها بنفسها، واستقلالها بإدارة مواردها دون تدخل أو ابتزاز من طرف آخر»^(٢).

وقد أجريت العملية الانتخابية في الوقت الذي تتقاسم فيه الحكومة الصومالية النفوذ على أراضيها مع مجموعة من الدول الداعمة مادياً وعسكرياً؛ مثل الاتحاد الأفريقي الذي لديه قوات يزيد عددها قليلاً عن ٢٢ ألف جندي ينتمون إلى خمس دول هي أوغندا وبوروندي وإثيوبيا وكينيا وجيبوتي، واسمها الرسمي هو قوات حفظ السلام التابعة للاتحاد الأفريقي في الصومال، وتعرف اختصاراً بـ

(١) «الصومال.. محاولة إعادة بناء الدولة»: قناة الجزيرة.

(٢) «أزمة الفيدرالية في الصومال والحكومة الجديدة»: عمر محمد ورسمه.



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

«أميصوم»، وهي بمثابة الحاكم الفعلي للصومال منذ عام ٢٠٠٧م، هذا بالإضافة إلى ٥٥٢ عنصرًا من قوات الشرطة تنتمي إلى كل من نيجيريا وأوغندا وغانا وكينيا وسيراليون^(١).

وقد ذكرت دراسة^(٢) أعدها معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سييري) بأنه منذ عام ٢٠٠٩م لقي ما يزيد عن ١١٠٠ من قوات أميصوم في الصومال حتفهم في المواجهات والتفجيرات، والبعض يوصلها إلى ٣٠٠٠ جندي منذ بداية تدخل الاتحاد الأفريقي في الشأن الصومالي، مع استبعاد ضحايا الحوادث والوفيات الطبيعية من الإحصائية، كما أنها لا تشمل الجنود والشرطة الإثيوبيين الذين لقوا حتفهم في الفترة ما بين أواخر عام ٢٠١١م وأوائل عام ٢٠١٤م، عندما كانت القوات الإثيوبية تقاتل خارج رعاية الاتحاد الأفريقي، وقد انضمت رسميًا إلى البعثة في يناير ٢٠١٤م. والجدير بالذكر أن هناك مذكرة تفاهم وقعتها الحكومات المساهمة والاتحاد الإفريقي لتقوم تلك الحكومات بالتعويض عن كل حالة وفاة بـ ٥٠ ألف دولار.

أما الدعم المالي فيأتي من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومنظمات الأمم المتحدة، ودول عربية من بينها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر، إضافة إلى تركيا التي تعتبر الدولة الأكثر انخراطًا في الشأن الصومالي خلال السنوات الماضية، وكل ذلك يجعل من العملية السياسية في الصومال خاضعة لأجندات محلية وإقليمية ودولية يتم اتخاذ معظم ترتيباتها وقراراتها خارج الصومال، مع إتاحة هامش ضئيل من المناورة للأطراف الصومالية. وقد بدأت عملية «فدرلة» الصومال منذ سنوات، وهي أقرب إلى «فيدرالية الأمر

(١) «الصومال ٢٠١٦: صراع الأجندات المحلية والأجنبية»: صحيفة الشرق الأوسط.

(٢) «إحصائية جديدة لضحايا أميصوم في الصومال منذ ٢٠٠٩»: مركز مقديشو للبحوث والدراسات.



الواقع» ذات الصبغة القبلية، ورغم أنها استقرت على ستة أقاليم، غير أن حدود هذه الأقاليم لم تُحدّد بعد. ومع أن الدستور أيضًا يجعل شؤون السياسة الخارجية، والدفاع، والجنسية والهجرة، والسياسة النقدية من اختصاصات الحكومة الاتحادية، فإن النموذج الفيدرالي الصومالي الحالي يبدو وكأنه دول مستقلة، وإن لم يصرح أطرافها بذلك، في الوقت الذي يرتبطون فيه بعلاقات ظاهرة وغير ظاهرة بالخارج بعيدًا عن نفوذ الحكومة الاتحادية.

وقد وُجّهت انتقادات كثيرة إلى هذا النظام الفيدرالي الصومالي؛ إذ إنه يناقض التركيبة السكانية المتجانسة للصومال الذي لا توجد فيه تنوعات دينية أو عرقية أو لغوية ولا حتى عوازل جغرافية؛ فالصوماليون يتحدثون لغة واحدة، وينتمون إلى عرق واحد، ويعتقدون ديانة واحدة هي الإسلام، إذ يتبع كلهم المذهب الفقهي الشافعي. ويرى المنتقدون أن حماسة القادة السياسيين للفيدرالية هدفه تقوية نفوذهم على حساب الحكومة الاتحادية أكثر من كونه لتأسيس نظام يقود إلى تعزيز الوحدة والاستقرار. ويُعتبر الإسلاميون الصوماليون - على اختلاف مشاربهم - تيارات عابرة للقبائل نسبيًا، الأمر الذي قد يُمكنهم من بناء تحالفات سياسية فيما بينهم، وقد أوجدت تجربة المحاكم الإسلامية وما أعقبها من تطورات جواً من التقارب بين الإسلاميين، وخاصة بين التيارات المحافظة والإخوانية بأطيافها المختلفة.

حساب العائدات من إنقاذ الأرواح في الصومال

رغم أنه لا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد الوفيات التي حصدها الحروب والصراعات الأهلية في الصومال، إلا أن التقديرات^(١) تشير إلى أنها بين ٣٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف شخص، إضافة إلى ما يزيد عن مليون شخص توفوا بسبب

(١) «قائمة الحروب حسب حصيلة الوفيات»: الويكيبيديا العربية.

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

المجاعات والأمراض الفتاكة التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر، والتي هي في حد ذاتها إحدى إفرازات الصراعات والحروب الدائرة هناك. وتذكر الإحصائيات^(١) إلى نزوح ١,١ مليون صومالي إلى أماكن مختلفة داخل بلدهم، ولجوء ما يقرب من مليون شخص آخر إلى الدول المجاورة، وأن أكثر من ٨٠٪ من عدد السكان البالغ عددهم حوالي ١٢ مليون نسمة يعيشون تحت خط الفقر (أي بأقل من دولارين في اليوم). وذكرنا سابقًا أنه يوجد أكثر من مليون من الصوماليين المغتربين الذين أجبرتهم الحروب والصراعات على مغادرة بلادهم.

ورغم تعدد الحروب والصراعات على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة، غير أننا في الإحصائيات التالية سنشير فقط إلى أربع حروب وهي: الغزو الأمريكي، الغزو الإثيوبي، الغزو الكيني، الصراعات الأهلية. وإذا أخذنا بأقل التقديرات المتعلقة بالأرواح التي تم إزهاقها والمدن والممتلكات التي تم تدميرها خلال الحروب والصراعات الأهلية ومع الدول الأجنبية، فإنه يمكننا حساب العائدات الاقتصادية التي يمكن للأمم أن تجنيها فيما لو استقامت على دين الله، أفرادًا وحكومات، بحيث تمكّنت من تجنب تلك الحروب والصراعات الدائرة. كذلك، فسنعرض بعض التقديرات للمصاريف الأخرى التي يمكن أن تعود للأمم بعائدات إضافية.

لغة الأرقام

☒ عدد الشهداء والقتلى من الصوماليين خلال الحروب والصراعات الدائرة في الصومال في العقود الثلاثة الأخيرة = ٣٠٠ ألف قتيل.

- ✖ عدد الموتى من الصوماليين بسبب المجاعات والأمراض = ٥٠٠ ألف شخص.
- ✖ العائد الإنتاجي السنوي فيما لو بقي هؤلاء على قيد الحياة = ٨٠٠ ألف شخص $\times ٨$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times ٢٣٠$ يوم عمل في السنة $\times ٢٠$ سنة كمتوسط للعمر الإنتاجي لكل فرد من هؤلاء = ٢٩,٤٤ مليار دولار.
- ✖ قيمة الأسلحة المستخدمة خلال العقود الثلاثة الأخيرة = ٤ حروب أهلية وخارجية $\times$ مليون قطعة حربية مستخدمة في كل حرب $\times ١٠٠$ دولار قيمة كل قطعة = ٤٠٠ مليون دولار.
- ✖ قيمة ما تم صرفه على إعمار القرى والمدن خلال العقود الثلاثة الأخيرة = ٤ حروب أهلية وخارجية $\times ١٠٠$ قرية متضررة من جراء كل حرب $\times$ مليون دولار قيمة إعمار كل قرية = ٤٠٠ مليون دولار.
- ✖ قيمة ما يصرف على مداواة الجرحى والمعاقين خلال العقود الثلاثة الأخيرة = ٤ حروب أهلية وخارجية $\times ١٠٠$ ألف من الجرحى والمعاقين المتضررين بسبب كل حرب $\times ١٠,٠٠٠$ دولار تكاليف علاج كل واحد منهم = ٤ مليار دولار.
- ✖ قيمة الإنفاقات على اللاجئين والمشردين = ٤ حروب أهلية وخارجية $\times$ مليون مشرد ولاجئ بسبب كل حرب $\times ٣٦٥$ يومًا مدة بقائهم كمشردين ولاجئين $\times ١٠$ دولار تكلفة إعاشة كل واحد منهم في اليوم الواحد = ١٤,٦ مليار دولار.
- ✖ العائد الإنتاجي للمغتربين فيما لو بقوا في بلادهم = مليون مغترب صومالي $\times ٨$ ساعات عمل في اليوم $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة $\times ٢٣٠$ يوم عمل في السنة $\times ١٠$ سنوات كمتوسط بقائهم كمغتربين = ١٨,٤ مليار دولار.
- ✖ مجموع ما يمكن أن توفره الأمة لو استطاعت تجنب هذه الحروب والصراعات في الصومال = ٢٩,٤٤ مليار العائد الإنتاجي للقتلى وموتى المجاعات والأمراض فيما لو بقوا على قيد الحياة + ٤,٨ مليار مصاريف هذه الحروب والصراعات + ١٤,٦ مليار الإنفاقات على اللاجئين والمشردين + ١٨,٤ مليار العائد الإنتاجي للمغتربين = ٦٧,٢٤ مليار دولار.



هـ- حساب العائد الإجمالي لإنقاذ الأرواح في أفغانستان والعراق وكشمير والصومال

يمكننا الآن الخلوص إلى ما يمكن للأمة الإسلامية أن توفره من عائدات اقتصادية- فيما لو استقامت على دين الله شعباً وحكاماً- بحيث استطاعت تجنب الحروب والصراعات فقط في هذه الدول الأربع، والتي كان لها أثرها البالغ في إزهاق الأرواح وإتلاف الحرث والنسل، وجعل هذه الدول تصل إلى أعلى المستويات في الجهل والفقر والبطالة، وأسوأ من ذلك كله البعد عن شرع الله.

لغة الأرقام

✕ العائد الاقتصادي للأمة فيما لو استطاعت تجنب الحروب والصراعات في أفغانستان والعراق وكشمير والصومال = ٩٠,٦٥٢ مليار في أفغانستان + ٢٢٢,٣٩٦ مليار في العراق + ٥,٥٥ مليار في كشمير + ٦٧,٢٤ مليار = ٣٨٥,٨٣٨ مليار دولار.





أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد



٦- خاتمة الفصل

إن الأحداث التي مرت بها الأمة- وما زالت-، والتي سردنا لها نماذج في هذا الفصل، إنما هي لتخلخل معاني الإيمان في قلوب المسلمين، ولضياح رقابة الله في نفوسهم. فالله- سبحانه- يبين لنا ذلك في كتابه بكل جلاء، حيث يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ويقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وإذا أردنا أن نبحث عن مظاهر ذلك الفساد الذي طال كل مناحي الحياة في الأمة لطال بنا الحديث؛ فإن الأمة- شعوبًا وحكامًا- قد ابتعدوا عن نهج الله كثيرا فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب. لكننا سنذكر في النقاط التالية بعض الدروس والعبر التي يمكننا استخلاصها من الأحداث التي ذكرناه، ومن واقع الأمة بشكل عام.

الخلل الداخلي

نلاحظ أن أعداء الأمة- من روس وأمريكان وصهاينة وغيرهم- لم يستطيعوا التدخل في شؤون الأمة- فضلًا عن احتلالها- إلا عندما وجدوا المناخ المناسب والمهيأ لذلك. مثلًا، مهّدت الحرب القبلية في أفغانستان ومعاهدات «الصدّاقة» و «التعاون» التي أقامتها الحكومات الأفغانية مع الاتحاد السوفيتي إلى تسيير الجيوش إليها لغرض «حفظ الأمن»، وبالطبع دعم الحكومة الموالية لهم. أما في العراق، فإن جرائم صدام حسين وما قام به من حروب مع جيرانه، كان مُبرّرًا كافيًا

لأمريكا لأن تغزو العراق بحجة «إزالة أسلحة الدمار الشامل». ولا ريب أن صدام حسين، وحزب البعث الذي ينتمي إليه، كانوا في حربٍ معلنة مع الله ورسوله، ولا حجة بالشعارات «الدينية» التي كان يرفعها صدام عندما رأى أن الهزيمة لا محالة قد تحلُّ عليه وعلى الشعب العراقي.

إن هذه الأفعال لدليل بيِّن على النفاق الذي يسير في ركبه الكثير من حكام المسلمين، بدعوى السياسة، وما هي في حقيقتها إلا الجبن والخور من أعداء الله، وأيضًا الحقد الدفين الذي تحمله صدور هؤلاء الحكام الظلمة على الإسلام. والله - سبحانه وتعالى - يقول في أمثال هؤلاء: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]، فالله - سبحانه - يُخبرنا في هذه الآيات - وفي آيات كثيرة غيرها - أن هؤلاء المنافقين يلجؤون إلى أعدائهم خيانة لربهم وأمتهم، بحجة الحصول على النصر والعون منهم. ولعمري إن ذلك لمتتهى الانتكاسة التي تحلُّ بالمرء عندما يُقدَّر أن عدوه هو الذي سيحميه وينصره، وكأن العدو الحقيقي لأمثال هؤلاء ليست في أمريكا والروس والصهاينة وأشياعهم، وإنما هم شعوبهم المنكوبة والمغلوبة على أمرها. كذلك، فإن الله - سبحانه - يحذر أمثال هؤلاء من الركون إلى أعداء الله، وأن مثل ذلك الفعل قد يأتي بنقمة الله وغضبه عليهم في الدنيا والآخرة. يقول - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٤-١٤٥].

وأما الشعوب المسلمة فإنها تتحمل قسطًا كبيرًا مما يوقعه أعداؤها بها؛ فهي - من ناحية - قد تخلَّت عن شرع ربها، وانسأقت وراء شهوات الغرب وحضارته المزعومة، ورسول الهدى - عليه الصلاة والسلام - قد حذّرنا من ذلك عندما



قال: « لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ صَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ ^(١). كذلك، فإن مهادنتها لحكامها الظلمة، وعدم الصَّدْع بكلمة الحق قد أورثها ذُلًّا وعقابًا أليمًا من المولى سبحانه، مصداقًا لما حذّر منه عندما قال: ﴿وَلَا تَرْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

الخطرسة هي من مقدمات الانهيار

إن ما تقوم به أمريكا في عيها في أرض الله فسادًا، وإن ادّعت أنها تريد نشر الحرية والديمقراطية، لهو من مقدمات زوالها. لقد قَدِم الروس إلى أفغانستان بحجة نصره (حفيظ الله أمين)، ولكن زهو القوة والنصر ركبت عقولهم فأرادوا ابتلاع أفغانستان، فإذا هي تكلفهم أكثر من ٥٠ ألف قتيل، وما لا يعلمه إلا الله من الخسائر الاقتصادية، التي يرى الكثير من الخبراء أنها كانت السبب المباشرة لانهيار الاتحاد السوفييتي، تلك القوة العملاقة التي كانت تُرهب ضعاف النفوس من حكام المسلمين، والكثير من الشعوب.

أما أمريكا، فإن الحروب التي ألفت الدخول فيها، لا شك أنها ستكون سببًا في انهيارها هي الأخرى؛ فأمريكا قد ساقطت لحربها في أفغانستان ما يزيد عن ٢٥٠ ألف من القوات البرية والخاصة ومشاة الأسطول، بجانب قوات أخرى من دول حلف الناتو خاصة بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وكندا وأستراليا. وإذا كان مصروف الجندي الأمريكي في العام يُقدَّر بربع مليون دولار - كما سنذكر لاحقًا - فهذا يعني أن مصاريف الجنود فقط تربو على ٦٠ مليار في كل عام.

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٣٤٥٦).

كذلك، كانت هناك ما يزيد عن ٥٠٠ طائرة مقاتلة في سماء أفغانستان، تكلف الطلعة الواحدة لكل منها- دون ذخيرتها- حوالي ١٠ آلاف دولار، مما يعني أكثر من ٥ ملايين دولار في اليوم الواحد. هذا كله بالإضافة إلى حاملات الطائرات وأكثر من ١٥٠ سفينة حربية بينها عشر بوارج ومدمرات مسلحة، وما لا يقل عن ٣٠٠ صاروخ توماهوك، وآلاف من القذائف ذات الأوزان المختلفة من القنابل الذكية والغبية والتي وصل وزن بعضها ٧٠٠٠ كيلو جرام من المواد المتفجرة^(١).

أما الحرب العراقية فإنها كلفت أمريكا كل عام ما يزيد عن ٣٠ مليار للأسلحة الثقيلة فقط^(٢)، بالإضافة إلى أن أمريكا تنفق سويًا ما يزيد عن ٥٠ مليار دولار كمصاريف للجنود؛ حيث إن مصاريف الجندي الأمريكي في العراق تُقدَّر أيضًا بربع مليون دولار سنويًا، كما صرح بذلك (أحمد زكي يمانى) في مقابلة له مع أحمد منصور في برنامج قناة الجزيرة الشهير «بلا حدود». وتفيد تصريحات فرانكس (قائد القوات الصليبية في الحرب على العراق) بأن العراق يحتاج ٢٠٠,٠٠٠ جندي أمريكي من أجل ضبط الأمور في العراق^(٣).

وقد أشارت الإحصائيات أن نفقات أمريكا على ما تطلق عليه «الحرب ضد الإرهاب» قد بلغت ٤٣٨ مليار دولار، منذ هجمات ١١ سبتمبر وإلى منتصف ٢٠٠٦م، وخصَّص ٧٠٪ منها للعراق^(٤). لكن هناك مَنْ يُصرِّح بأن نفقات الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق في عام ٢٠٠٨م فقط قد تجاوزت ٢٠٠ مليار دولار^(٥). كذلك، فقد قدَّر مكتب الميزانية التابع للكونجرس أن تصل تكلفة تمويل حربي العراق وأفغانستان من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠١٧م إلى نحو تريليوني دولار

(١) «المعلن والخفي في أهداف الحملة الأمريكية على الإسلام»: أبو عمر عبد الحكيم حسان.

(٢) «العراق وأفغانستان: حروب مختلفة ودروس مشتركة»: أحمد حسين الشيمي.

(٣) «الأمريكان في خبر كان»: شبكة أنا المسلم.

(٤) «عدد القتلى الأمريكيين في العراق يبلغ ٢٥٠٠-بي بي سي»: هدى المنور.

(٥) «الآزمة الاقتصادية.. هل تنهي حرب العراق؟»: توني كارون.



أو أكثر، متضمّنةً نحو ٧٠٥ مليار دولار كمدفوعات فائدة، وهو اعتراف صريح بأن الحرب يتم تمويلها بأموال مقرضة^(١).

وقد نقلت صحيفة (The Nation) الأمريكية، في مقالة لها بتاريخ ٢٧/٩/٢٠٠٧م مع عضو مجلس الشيوخ الديمقراطي جيم ويب وكثير أن «هناك مئات المليارات من الدولارات اعتمدت وأنفقت في العراق وحده، وذلك أدى إلى هدر بلايين الدولارات، متضمنة الغش وسوء المعاملة»^(٢). ومعلوم أن أمريكا تتقاسم هذه التكاليف مع كثير من الدول، وخاصة العربية منها، ولكنها - بلا شك - سيكون لها أثر كبير على المدى البعيد على أوضاع الاقتصاد الأمريكي - التي لا تُحسد عليه -، وحيث إن الاقتصاد هو عامل قوة أمريكا وعامل هيمنتها، فلذا فبانهياره تكون أمريكا على شفا جُرفٍ هارٍ، وصدق رب العزة إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

الاستقامة هي سبيل عزة الأمة

لو تتبعنا أحداث التاريخ منذ عهد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وإلى يومنا هذا، لوجدنا أن عزة الأمة ورفعتها لا تتأتى لأصحاب القلوب المريضة، والنفوس المنهزمة، وإنما تكون لأصحاب القلوب المؤمنة، والصادقة في إيمانها. لقد رأينا في عصرنا الحاضر كيف أن قوات الاحتلال عندما كانت تجتاح بلدان المسلمين لا يتصدى لها إلا من عمّر قلوبهم بالإيمان الصادق، وتحلّوا بأخلاق الإسلام، وطبقوه في حياتهم، وأما المنافقون والمتنسبون لهذا الدين زورًا وبهتانًا فإنهم أخطر على الأمة من الأعداء التقليديين.

(١) المرجع السابق.

(٢) «الإعلام الأمريكي والغربي.. والاعترافُ بالهزيمة في العراق»: عمر حميدان.

إننا نعلم أنه ما طرد المستعمرين وجرّعهم غُصص الموت في فلسطين ومصر وليبيا والجزائر وأفغانستان والعراق ودول البلقان، وفي غيرها من بلدان المسلمين، إلا نخبة مؤمنة من المجاهدين، ونعلم كذلك أن الدول الغازية ما كانت تخاف من حشود الجماهير الساذجة التي لا همَّ لها إلا تحصيل قوت يومها، وإنما كان خوف الغزاة من المؤمنين الصادقين الذين باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله. من أجل ذلك، يحق لنا القول أنه لولا عناية الله ورحمته بهذه الأمة، وما هيا لها من المجاهدين الصادقين، لكانت الأمة في شرِّ حال، ولسقطت دولها - والعياذ بالله - في أيدي أعدائها، كما حدث في الأندلس وغيرها من ديار المسلمين.

لذا فإننا نقول بأنه عندما تستقيم الأمة على دين ربها فإنها ستستطيع - بإذن الله - التغلب على ما يحلُّ بها من أزمات، وسيكون بمقدورها - بإذنه تعالى - توفير ما لا يمكن تصوره من المال وأيضًا ما لا يمكن تصوره من الأرواح. إن استقامتها على منهج الإسلام سيجعلها في مقام العزة والكبرياء، مما سيُفوّت الفرص على أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر وينتهزون كل فرصة يمكن أن تُمكنهم من المساس بكيانها ومسيرتها. والله - سبحانه - يسوق لنا هذه الحقائق في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

الاستقامة وفقه الواقع

لا ينكر أحد أن الجهاد سبيل عزة الأمة، وأنه لولا المجاهدون لعاث المحتلون في أرضنا دمارًا وتخريبًا، ولما برح المستعمرون عن بلاد المسلمين حتى تكون مستعمرة من مستعمراتهم أو يحيلوها خرابًا بوارًا. لكنه - بالمقابل - من المخجل أن يهبَّ المجاهدون للتصدي لأعداء الأمة، وهم في الوقت نفسه لا ينفكون يعتمدون عليهم في أسلحتهم وعتادهم ومستلزمات حياتهم. إن الأمة بحاجة لأن تجعل



الفصل الثالث: إحياء الأرواح

للجهاد مؤسسة ذات صيت وشوكة وإمكانيات، كما هو الحال بالنسبة لوزارات الدفاع. عندئذٍ تقوم على أكتاف هذه المؤسسة تمويل الجهاد وتوفير مستلزماته، بالإضافة إلى رعاية شؤون المجاهدين، وخاصة فيما يتعلق بالتنسيق بين فصائلهم.

إن من فقه الواقع أن يدرك المجاهدون أن لعدوهم وسائل شتى في محاولة الغلبة عليهم، وقد يكون الجانب العسكري أدناها مرتبة، وإن ظهر وغطى على الجوانب الأخرى. إن العدو لن ينفك عن غرس بذور الفتنة بين المجاهدين، سواءً بدسّ عملاء له على هيئة «مجاهدين» بحيث يقومون بنشر الرعب بين المجاهدين، وتهويل قدرات العدو بينهم، وإما بإثارة الضغائن والأحقاد الدينية والعصبيات والقبليات التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من مجتمعات المسلمين، والله يحذرنا من مغبة الانزلاق في هذه الهاوية عندما يخاطب عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وفقه الواقع يتجلى واضحاً في هذه الآية؛ حيث لا يمكن للمؤمنين أن يتبينوا الفاسق من غيره إلا إن كانوا على دراية بواقعهم، وطبيعة من يحاربهم، وطبيعة الدول «الصادقة» و «المؤيدة» لهم.

إن ما حدث في أفغانستان والعراق وفلسطين من تحييد أهداف الجهاد لتحقيق غايات شخصية أو مذهبية لهو أخوف على المؤمنين من عدوهم؛ فإن انشغالهم بأمور أعدائهم، وكل ما يستتبع ذلك من دمار وتنكيل هو في ميزان حسنات المجاهد، وأما حين يقوم المرء بتصويب فوهة البندقية إلى صدر أخيه، مهما كانت المبررات، فإنه حينئذٍ خرج من دائرة النصر التي وعدّها الله عباده المؤمنين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن الوسائل الأخرى التي ينتهجها الأعداء لتمزيق صفوف المجاهدين هو «تلميع» صورة أحد زعماء المجاهدين، والذي عادة ما يكون أقلهم تشدداً في



نظرته للأعداء. وتأتي عملية «التلميع» بصور شتى؛ كالدعاية الإعلامية، وكافتعال الأحداث التي يكون للزعيم «المعتدل» موقفًا «إنسانيًا» و «مقبولًا» في الأوساط الشعبية للمجتمع. وبالمقابل، فإن العدو يحاول «تعتيم» صورة الزعماء الآخرين وإظهارهم بصورة الإرهابيين والمتشددين. ولا يقتصر دور الغازي في «تلميع» الصورة، ولكن يمتد إلى «التعاطف» مع الزعيم «المعتدل»؛ وذلك بتبادل الزيارات معه، إما مباشرة من خلال مندوبين للعدو، وإما من خلال وساطات تقوم بها بعض الدول «الصديقة» للعدو الغازي. وفي بعض الأحيان، يخطو العد المحتل خطوات أبعد؛ وذلك بإمداد الزعيم «المعتدل» بالسلاح، ليس لتصويبه في نحورهم هم، ولكن ليصوبه في نحور إخوانه المجاهدين، ومن يتتبع الأحداث التي جرت في العراق وأفغانستان والصومال، وغيرها من بلدان المسلمين، ليجد هذه الصورة جلية واضحة، فيا تعس من يبيع دينه بعرضٍ بخسٍ من الدنيا.

إن هذه السيناريوهات هي ليست مفترضة، فإن ما يقع على أرض الواقع أبعد من ذلك بكثير؛ فكم من زعامات «دفيئة» طفت على سطح الأحداث، وصارت حديث اليوم في الإعلام. وبالمقابل، كم نال الإعلام الموالي للغزاة من قادة شرفاء، ولم يسمع عنهم بقية المسلمين - بسبب التشويه الإعلامي - إلا صور التطرف وحوادث الإرهاب الملفقة. إن ضرورة فقه الواقع تجعلنا نعيد الكرة فنقول: إن خطر الجهل بالواقع لأشد على المسلمين - وخاصة المجاهدين - من سلاح عدوهم.

ومن فقه الواقع أيضًا أن يعي المجاهدون أن البلاد التي تقع تحت نكبة الاحتلال تكون بيئة خصبة لتفريخ فيها جهود المنصرين والجواسيس وأصحاب الأحزاب والحركات المنبوذة في العالم^(١). وتدخل هذه الحركات إلى البلدان المحتلة في صورة هيئات إغاثية، وربما قام العدو المحتل بتسيير السبل أمامها. في هذه الظروف

(١) «الصفقة الذهبية في أفغانستان»: موقع «الألوكة».

الفصل الثالث: إحياء الأرواح

لا يجد المجاهدون بُدًّا من التصدّي لهذه الهيئات «الخيرية» وطردها، أو على الأقل وضعها تحت «المراقبة». أما التغافل عنها فإنه - وإن بدا قليل التكاليف - غير أن مردوده على أرض الواقع في غاية الشناعة؛ فكم من منصرّين حوّلوا بلدانًا - في حال انشغال أهلها بطرد المحتل - لتصبح أقرب إلى الصبغة النصرانية منها إلى الإسلام، وكم من عملاء تم «تربيتهم» في بيئة الجهاد، وكان لهم دورٌ فيما بعد في زعزعة الأمن واختلاق الأحداث، إلى أن أوصلهم أسيادهم إلى سدة الحكم.

الفصل الرابع: التخلص من الديون

إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - قَسَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ أَرْزَاقَهُمْ، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وجعلهم متفاوتين في ذلك تفاوتاً فيه الحكمة البالغة والآيات الباهرة، فيقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، ويقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومن رحمة الله تعالى بالعباد أن يرزقه القناعة والرضا، وأن يوفقه لتدبير معيشته والاستغناء عن مدّ يده لغيره، وهذا من المنجيات كما قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ»، وعدّها منها: «الْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرُ»^(١). لكن بعض الناس لا يقنع، وبعضهم لا يحسن تدبير معيشته وفق ما رزقه الله من مال، فينفق أكثر مما يأتيه، فيلجأ إلى الدّين بسبب سوء تدبيره، وهو في غمرة الحياة غافل عن الآثار الوخيمة للدّين.

وكان النبي ﷺ يستعيز من الدّين، وكان يدعو بهذا الدعاء الجامع: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدّينِ، وَغَلَبَةِ

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (حديث رقم: ٦٨٦٥).

الرَّجَالِ»^(١). وأدلة الشرع المطهر تدلُّ على خطورة أمر الاستدانة، حتى أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين، كما جاءت بذلك السنة الثابتة عن النبي ﷺ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(٢). ومما يدلُّ على خطورة الدين على من تساهل فيه أن النبي ﷺ كان إذا أُتي بجزاة وعلى صاحبها دين لم يُصلِّ عليه حتى تقضى عنه ديونه أو يتحملها أحد الأحياء.

وكما يُبتلى المرء بكثرة الديون لسوء تدبيره لأمواله المالية، ولقلة وازعه الديني أحياناً، فكَذلك الحال بالنسبة للدول. ونظراً لوقوع معظم الدول الإسلامية في دائرة لعبة السياسة الدولية، ونظراً لعدم قدرة هذه الدول على تدبير شؤونها بنفسها، فإن الدول الكبرى تفرض هيمنتها الاقتصادية على الدول الإسلامية وإن اختلفت وجوه تلك الهيمنة وتفاوتت آثارها. ومن أبرز وجوه التبعية الاقتصادية التي تفرضها الدول الكبرى على الدول الإسلامية إرغامها على اقتراض مليارات الدولارات من البنك الدولي وغيره من مؤسسات الهيمنة الدولية كصندوق النقد الدولي ونادي باريس ونادي لندن.

ويُعتبر البنك الدولي وصندوق النقد الدولي مظللتان أساسيتان تختفي وراءهما الدول الكبرى، ويلعبان دوراً بارزاً في غمس الدول النامية في أحوال الديون وخنقها لتبقى ذليلة راکعة للدول العظمى. أما نادي باريس فقد تأسس في عام ١٩٥٦م، ويضم حالياً ٢٠ عضواً دائماً هي: النمسا وأستراليا وبلجيكا وكندا والدانمارك وفنلندا وفرنسا وألمانيا وإيرلندا وإيطاليا واليابان وهولندا والنرويج وروسيا الاتحادية وإسبانيا والسويد وسويسرا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى إسرائيل التي انضمت في يونيو ٢٠١٤م. ومنذ عام ١٩٥٦م أبرم

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٢٨٩٣).

(٢) رواه مسلم (حديث رقم: ١٨٨٦)، وأحمد (حديث رقم: ٧٠٥١).



النادي ٤٣٣ اتفاقية مع ٩٠ دولة مدينة، وبلغ مجموع الدين المغطى في هذه الاتفاقيات ٥٨٣ مليار دولار^(١).

اللعبة القذرة للدول الكبرى

لا شك أن الدول المهيمنة تخلق شتى الوسائل لتبقي الدول المدينة في مستنقع الديون، ومن أبرز تلك الوسائل تأجيج الحروب الأهلية ودعم أطرافها، كما حدث في لبنان وما زال يحدث في السودان، أو التحريض وشن الحروب بين الدول المتجاورة، كما حدث بين مصر والسودان، وقطر والسعودية، وإيران ودول الخليج، والعراق وإيران، والعراق والكويت. كذلك فإن الدول المهيمنة تلجأ في بعض الأحيان إلى خلق أعداء وهميين لدول بعينها كما في حالة صدام حسين، أو للعالم بأسره كما في حالة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، والغرض من مثل هذه التصرفات من قبل الدول المهيمنة رفع مستوى التأهب العسكري في تلك الدول؛ مما يعني إغراقها بالمعدات العسكرية التي ليس لها دور - في معظم الأحيان - إلا ضمان استمرارية ورواج مصانع الأسلحة في الدول الكبرى.

وحتى تكون أي دولة مؤهلة لإلغاء ديونها من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي أو منتديات الدول المانحة الأخرى مثل نادي باريس أو نادي لندن، يجب أن تُصنّف هذه الدولة ضمن دائرة الدول الأكثر فقرًا، وأحيانًا لا يكفي أن تكون الدولة فقيرة لإعفائها من ديونها، بل لا بُدَّ أن تتفق مع شروط صندوق النقد الدولي لتستحق الاستفادة من برنامج القضاء على الفقر، وتسهيلات التنمية، والامتيازات التمويلية الأخرى التي يمنحها البنك الدولي من خلال وكالة التنمية الدولية، وهذه الشروط في غالبيتها تمسُّ سيادة الدول الفقيرة، وتجعلها تابعة ذليلة للدول الكبرى.

(١) «نادي باريس»: الويكيبيديا العربية. انظر أيضًا: «تعرف على مجموعة نادي باريس التي تدين لها مصر بـ ٧٠٠ مليون دولار»: ساجد النوري.



ويرى المحللون الاقتصاديون أن رفع الدين عن تلك الدول من قبل صندوق النقد أو البنك الدولي لا يمكن أن يتحقق إلا بموافقة الدول المانحة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال التوصل إلى تفاهم مع هذه الدول بما يتعلق بمسائلها الاستراتيجية، والتي قد يكون على رأسها البرامج النووية والحركات الإسلامية المتنامية وقضايا فلسطين وكشمير وأفغانستان، وحتى الاعتراف بالكيان الصهيوني. ولا شك أن تنامي الديون على الدول الإسلامية لها أسباب عديدة، نذكر منها:

- ✓ عدم كفاءة السياسات الداخلية وفشل الإصلاحات الهيكلية لهذه الدول.
- ✓ سوء توظيف القروض؛ إذ إنه بسبب انعدام الرقابة من طرف الدولة يتم استعمال هذه القروض لاستيراد المواد الاستهلاكية، وأيضًا لتوظيفها في المشاريع ذات المردودية الضعيفة.
- ✓ انخفاض مستويات الدخل لدى الدول الإسلامية، ومن ثم ضالة المدّخرات المحلية، وعدم قدرتها على الوفاء بمتطلبات أعمال الاستثمار والتنمية.
- ✓ استخدام الدول المقرضة في بداية التسعينات لسياسة تسهيل الإقراض لهذه الدول، الأمر الذي أغرى العديد منها للحصول على المزيد من القروض.
- ✓ ارتفاع الإنفاقات العسكرية والأمنية، والذي يتطلب تمويلًا ضخماً ليس بمقدور هذه الدول توفيره من خلال مواردها المحلية.
- ✓ ارتفاع أسعار الفائدة على هذه القروض، مما أدى إلى ارتفاع حادّ في مقدار مديونيات هذه الدول.

✓ العجز المتزايد في ميزان المدفوعات، والذي غالبًا ما يكون ناجمًا عن تزايد الواردات السلعية على حساب الصادرات، قد أدى إلى ارتفاع حجم العجز السنوي



الفصل الرابع: التخلص من الديون

في ميزانيات هذه الدول، مما يضطرها للجوء إلى مزيد من الاقتراض، ومن ثمّ تفاقم المديونية.

✓ سوء الإدارة الاقتصادية التي تعاني منها الدول الإسلامية، والذي تسبّب لها في ضياع الكثير من فرص وجهود التنمية الاقتصادية.

✓ الفساد الإداري والاقتصادي الذي تعاني منه كثيرٌ من الدول الإسلامية، والذي بسببه اختلّس المال العام، وصارت ثروات الدول معرّضة للنهب والسرقة من قبل فئة محدودة من المتنفّذين فيها.

الواقع المرير للعالم الإسلامي

تشير الإحصائيات الدولية إلى أن الديون الخارجية للدول الإسلامية قد قفزت من ٤٦٢ مليار دولار في عام ١٩٩٨م لتصل إلى ٦٣٢ مليار دولار في عام ١٩٩٩م^(١)، وتشير دراسة أخرى^(٢) إلى أن إجمالي الدّين الخارجي لـ ٢٠ دولة عربية قد قفز من ٤, ٤٢٦ مليار دولار في عام ٢٠٠٠م، إلى حوالي ٤, ٩٢٣ مليار دولار في عام ٢٠١٦م، وهذه فقط الديون الحالية، وهي تتزايد كل عام نظرًا لأن معظم الدول الإسلامية لا تستطيع حتى دفع عائدات تلك الديون (أي الفوائد الربوية). إن هذه مجرد تقديرات للديون المعلنة، وأما الديون الحقيقية فقد تكون أعظم من ذلك بكثير.

وإذا نظرنا إلى الدول الثمان الأكثر سكانًا في العالم الإسلامي؛ وهي باكستان وبنغلادش وإيران واندونيسيا وماليزيا وتركيا ونيجيريا ومصر، والتي يبلغ مجموع سكانها أكثر من مليار نسمة، فإننا نجد أنها أيضًا من أكثر دول العالم الإسلامي

(١) التقرير السنوي للمركز الإسلامي لتنمية التجارة، ١٩٩٩م.

(٢) «ما حجم الدين الخارجي للدول العربية؟»: فريد غايرلي.



ديوناً، وقد أسست هذه الدول في عام ١٩٩٦م- بمبادرة من رئيس الوزراء التركي آنذاك نجم الدين أربكان- ما يُعرف بمجموعة الثماني، وعقدت قممتها الأولى في إسطنبول عام ١٩٩٧م، والثانية في دكا عام ١٩٩٩م، ورغم أن هذه المجموعة قد أسست لتدعم التجارة البينية، ومن ثمَّ التغلب على تحديات الديون التي تعاني منها هذه الدول ورفع مستوى الاستثمار الداخلي، إلا أننا نرى أن معظم دول هذه المجموعة- باستثناء ماليزيا وتركيا- لا تزال غارقة في الديون الداخلية والخارجية، وتتصدّر دول العالم في قائمة الفساد الإداري والاقتصادي، وتحثي شعوبها يومياً ويلات الجوع والمرض والبطالة.

وتتصدّر إندونيسيا دول مجموعة الدول الثمانية من حيث حجم الديون الخارجية؛ فقد كانت ديونها في عام ١٩٩٧م تُقدَّر بحوالي ١٣٦ مليار دولار^(١)، ثم وصلت في عام ٢٠١٥م إلى أكثر من ٢٩٨ مليار دولار^(٢)، وبلا شك أن استثناء الفساد في مؤسسات الدولة قد يكون أحد أكبر الأسباب في تدهور الأحوال الاقتصادية في البلاد. وأما ماليزيا فديونها الخارجية تُقدَّر بنحو ٢٣٠,٩ مليار دولار، بينما تعتبر إيران أقل دول المجموعة من حيث ديونها الخارجية، حيث بلغت ٩,٥ مليار دولار، وأما باكستان- التي تصل ديونها إلى ٦٧ مليار دولار- فإنها تدفع سنوياً ما يُقدَّر بـ ٦,٧ مليار دولار كفوائد للديون فقط^(٣).

وتأتي تركيا في المرتبة الثانية بين الدول الثماني في حجم المديونية الخارجية، حيث بلغ دينها نحو ١٨٠ مليار مع نهاية ٢٠٠١م، ثم ارتفع إلى ٤١١,٥ مليار في عام ٢٠١٦م، مما حدا بالكثيرين لأن يعتبروا صندوق النقد الدولي بأنه هو الذي يدير تركيا، كما صرح بذلك «ديك موريس» المعلق السياسي الأمريكي لشبكة

(١) «الثمانية الإسلامية.. الديون مشكلة الجميع!!»: سامر علاوي.

(٢) «قائمة الدول حسب الدين الخارجي»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٤/٧/٢٠١٧م.

(٣) المرجع السابق.



«فوكس نيوز» الأمريكية في إبريل ٢٠٠٢م، الذي قال: «ستعطينا تركيا الدعم الذي سنحتاجه في العمليات العسكرية المنتظرة ضد العراق؛ لأن صندوق النقد الدولي اشترى تركيا، وسدّد المبلغ مقدّمًا». وتُقدّر المصادر أن عبء الفرد الواحد في تركيا من الديون يزيد عن ٥٢١٦ دولار، وهذا الدّين يشمل الطفل الرضيع، كما يشمل من بلغ من الكبر عتياً^(١).

أما متوسط نصيب المواطن التركي من الناتج القومي الإجمالي فقد كان في هبوط مستمر؛ فبالرغم من أن ناتجها القومي قد وصل إلى ٢٠٠ مليار دولار في عام ١٩٩٨م إلا أن نصيب الفرد من هذا الناتج قد بلغ ٣٢٢٤ دولارًا في عام ١٩٩٨م ثم هبط في عام ١٩٩٩م إلى ٢٨٧٨ دولارًا، ولكن هذا الحال تغيّر بعد فوز حزب العدالة والتنمية ووصول الرئيس رجب طيب أردوغان إلى سدة الحكم؛ فقفز نصيب الفرد من الناتج القومي من ٣٤٩٢ دولار في عام ٢٠٠٢م إلى ١٠٥٠٤ دولار في عام ٢٠١٢م^(٢)، ثم إنه - وحسب تصريح الرئيس أردوغان بتاريخ ٢٤/١٢/٢٠١٦م، فقد ارتفع الناتج القومي الإجمالي من ٨٠٠ مليار دولار إلى ٩٤٩ مليار دولار، وعلى ضوء ذلك ارتفع نصيب الفرد من الدخل القومي من ١٠ آلاف و٨٠٠ دولار إلى ١٢ ألفًا و٥٠٠ دولار^(٣).

أما نيجيريا فإنها تعتبر أكبر دولة نفطية في القارة الأفريقية، وسادس دولة مصدرة للنفط في العالم، ويصل عدد سكانها نحو ١٨٦ مليون نسمة، وتُشكّل عائدات النفط ٩٠٪ من إيراداتها التصديرية، وقد ارتفع الناتج المحلي من حوالي ٤١٤ مليار دولار في عام ٢٠١١م إلى قرابة ٦٤٠ مليار دولار في عام ٢٠١٦م، حيث تُصدّر ما يزيد على ٢,٥ مليون برميل من النفط في اليوم، فيما يزيد احتياطها

(١) «تركيا.. اقتصاد مرهونٌ بيد الخارج»: منتديات العبير.

(٢) «اقتصاد تركيا»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٤/٧/٢٠١٧م.

(٣) «إجمالي الناتج القومي التركي يقترب من ترليون دولار»: موقع تركيا بوست.



النفطي عن ٣٦ مليار برميل، ورغم ارتفاع عائداتها من النفط إلا أن ديونها الخارجية تُقدَّر بـ ٦٨ مليار دولار، والسبب الأول في ارتفاع حجم هذه الديون يعود إلى الفساد المستفحل في جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها، حيث إنها صُنِّفت من قِبل منظمة الشفافية المالية الدولية في أولى الدول الأكثر فسادًا في العالم في عام ٢٠١٦ م^(١).

ورغم أن دول الخليج هي دول نفطية، ولديها أكبر احتياطي نفطي في العالم، إلا أن كثيرًا منها تعاني أيضًا من ارتفاع الديون الخارجية؛ فمثلاً يُقدَّر احتياطي السعودية من النفط بحوالي ٢٦٥ مليار برميل، وإنتاجها اليومي من النفط تجاوز ١٠ مليون برميل، وكان الناتج المحلي الإجمالي لها قد نما بنسبة ٤,١٪ في ٢٠١٦ م، إلى ٢,٥٨١ تريليون ريال سعودي (٢, ٦٨٨ مليار دولار)^(٢)، غير أن ديونها الخارجية لا تزال أكثر من ١٣٤ مليار دولار^(٣).

وأما الكويت فبالرغم من أنها تنتج حوالي ٣,٢ مليون برميل من النفط يوميًا، ولها احتياطي نفطي يُقدَّر بأكثر من ١٠٤ مليار برميل، غير أن مديونيتها الخارجية تتجاوز ٢٨ مليار دولار، ومديونية قطر ١٣٧ مليار دولار، والبحرين ٢٥ مليار، ودولة الإمارات ١٦٣ مليار دولار، وعمان قرابة ١٠ مليار دولار^(٤).

الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عن مديونيات الدول الإسلامية

وقد أضرَّ تراكم الديون إضرارًا بالغًا باقتصاديات هذه الدول، وزاد الفساد الإداري والاقتصادي الذي تنغمس فيه بحياة شعوبها، وزادت نسبة الذين يعيشون

(١) «Corruption Perceptions Index 2016:» Transparency International Organization.

(٢) «تراجع إنتاجية العامل في القطاع الخاص السعودي بنسبة ٤,٥٪ خلال الربع الثاني ٢٠١٦»: موقع وكالة الأناضول.

(٣) «قائمة الدول حسب الدين الخارجي»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٤/٧/٢٠١٧ م.

(٤) المرجع السابق.



وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»^(١).

ويكفي أن نعلم أن تجارة الرقيق الأبيض بالفتيات الإندونيسيات تتم تحت غطاء جذبهن للعمل في المستشفيات والمطاعم والمصانع والمنازل، وبعقود مقبولة، ورواتب مغرية ولكنها وهمية، حيث لا يلبثن أن يجذبن أنفسهن مخطوفات ومستعبدات بيد عصابات إجرام، أكثر أصحابها صينيو الأصل، ولمُدَد تتراوح بين ستة أشهر إلى سنة في إحدى الدول الشرق آسيوية الأغنى من إندونيسيا قبل أن يطلق سراحهن ليُعدن إلى قراهن وقد دمّر الفقر حياتهن، وربما حياة أسرهن^(٢).

الحل الإسلامي للخروج من أتون الديون

إن معظم هذه الديون لم تنتج عن حاجة مُلِحَّة للدول الإسلامية للاقتراض، وإنما كانت ناتجة عن ضغوطات دولية وخيانات سياسية يلعب أدوارها ساسة الدول الإسلامية، وإنه مما لا شك فيه أن الدول الإسلامية لديها من الثروات والمصادر الطبيعية والبشرية ما يؤهلها للاعتماد على نفسها لو أرادت ذلك.

١- الاستثمارات الخارجية

لو نظرنا إلى الاستثمارات العربية في الخارج لوجدنا أنها قُدرت بنهاية عام ٢٠٠٠م بين ترليون وثلاثة ترليون دولار، منها ٦٠٠ مليار دولار للسعوديين فقط^(٣)، وقد أوصلها البعض في عام ٢٠١٠م إلى أربعة ترليون دولار، ومن بين هذه أكثر من ٧٣٠ مليار دولار من أموال الخليجيين فقط^(٤). كل هذه الأرقام تنبؤنا عن الخيرات العظيمة التي جباها الله هذه الأمة، فيما لو استغلت في مرضاته سبحانه.

(١) رواه الطبراني في الدعاء (حديث رقم: ١٠٤٨).

(٢) «واقع مر يعيشه ١٢٠ مليون إندونيسي»: صهيب جاسم.

(٣) «هجرة رؤوس الأموال إلى الخارج الأسباب والآثار، ووسائل العلاج»: عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف.

(٤) «التقديرات تصل إلى ٤٠٠ مليار دولار.. لماذا هاجرت الأموال العربية والإسلامية؟»: جريدة الاقتصادية.

الفصل الرابع: التخلص من الديون

إن هذه الثروات وحدها لو استثمرت بشكل صحيح في مشاريع تعود بالنفع على الأمة فإنه - بلا شك - سيستفيع منها الغني والفقير، وسنرى مؤسسات ومصانع وخدمات قد قامت وأدّت دورها في النهوض بالأمة. كذلك، فإن الاستثمارات الخارجية لو جُلبت إلى بلاد المسلمين لكان لها شأنٌ عظيم في انتعاش اقتصاد الأمة والنهوض بها في جميع المجالات. ويكفي أن نعلم أن أربعة ترليونات من الاستثمارات الخارجية - حسب الأرقام التي سُقناها - لو قام أصحابها بأداء زكاتها لانتجت سنوياً أكثر من ١٠٠ مليار دولار، وهذه وحدها كافية لتحلّ مشاكل الفقر في الأمة.

٢- الأصول الاحتياطية في الدول الأجنبية

جانبٌ اقتصاديٌّ آخر يمكن الاستفادة منه لخفض مديونيات الدول الإسلامية وحل مشاكلها العديدة هو الأصول الاحتياطية في الدول الأجنبية التي لدى كثير من الدول الإسلامية؛ فمثلاً قُدّرت الأصول الاحتياطية للبنك المركزي السعودي في فبراير ٢٠١٦م بـ ٢,٢٢٢ ترليون ريال سعودي (حوالي ٥٩٢,٥ مليار دولار)، وقُدّرت حجم استثماراتها في أذون وسندات الخزانة الأمريكية وحدها بـ ١١٦,٨ مليار دولار^(١)، وهذه الاستثمارات تشمل الذهب والاحتياطي لدى صندوق النقد الدولي والنقد الأجنبي والودائع في الخارج واستثمارات في أوراق مالية في الخارج.

وليست السعودية الوحيدة من الدول الإسلامية التي لديها رصيد كبير من احتياطي النقد الأجنبي، وإن كانت قد احتلت في عام ٢٠١٥م المركز الثالث عالمياً بعد الصين واليابان، غير أن احتياطي الجزائر في نفس العام قد بلغ ١٥٣

(١) «لأول مرة.. الخزانة الأمريكية تعلن عن قيمة الاستثمارات السعودية لديها»: موقع النيلىن.

مليار دولار ودولة الإمارات ٩٣ مليار دولار، وبلغ احتياطي دول الخليج مجتمعة ٧٩١ مليار دولار (أي ما يعادل ٦,٦٪ من إجمالي الاحتياطات العالمية)، وأما احتياطات الدول العربية مجتمعة فقد تجاوزت الترليون دولار^(١).

٣- الصناديق السيادية

كذلك، فهناك ما يُعرف بالصناديق السيادية، وهي صناديق استثمارية تمتلكها الدول، وغالبًا ما تستثمرها في الأسهم والسندات، ولا تكاد تخلو دولة إسلامية من صناديق سيادية؛ فمثلاً حقق صندوق الاستثمار التابع لحكومة أبوظبي المركز الأول عربياً والثاني عالمياً في عام ٢٠١٥م؛ حيث بلغت أصوله أكثر من ٧٧٣ مليار دولار، وجاء الصندوق السيادي السعودي في المركز الرابع عالمياً بأصول قيمتها أكثر من ٧٤٦ مليار دولار، ثم تلاه في المركز الخامس عالمياً صندوق الهيئة العامة للاستثمار الكويتية بأصول قيمتها ٥٩٢ مليار دولار^(٢). وقد صرَّح الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز - ولي العهد السعودي حالياً - في أبريل ٢٠١٦م أن المملكة تسعى إلى تأسيس صندوق سيادي بمبلغ ٢ ترليون دولار^(٣).

والأصول الاحتياطية والصناديق السيادية للدول الإسلامية تعطينا مؤشراً لمقدار الأموال الضخمة التي لدى هذه الدول، ولكنها للأسف لا تستفيد منها الدول الإسلامية كثيراً؛ حيث إن غالبية استثماراتها هي في دول أجنبية، فهي من ناحية تُعزِّز اقتصاديات تلك الدول، ومن ناحية أخرى تحرم الأمة مما يمكن أن تُحدثه هذه الأموال الطائلة في العملية التنموية. وإذا كان أصحاب الأموال من المسلمين يستثمرون أموالهم في بلاد غير إسلامية لتعللهم بأن البنية الاستثمارية في

(١) «السعودية تملك ثالث أكبر احتياطي نقدي في العالم»: موقع النييلن.

(٢) «من هي الدول التي تملك أكبر صناديق سيادية في العالم»: موقع النييلن.

(٣) «السعودية تسعى لتأسيس صندوق سيادي بتريليوني دولار»: موقع النييلن.



الفصل الرابع: التخلص من الديون

الدول الإسلامية غير مهيةة ليستثمروا فيها أموالهم، فماذا عسانا أن نقول للحكومات الإسلامية، والتي بيدها قياد الأمور في تغيير الأنظمة وسنّ التشريعات وبناء الهياكل الاستثمارية القادرة على إنماء تلك الثروات العظيمة التي لا تستفيد حاليًا منها إلا دول الكفر؟

٤- التجارة الخارجية

كذلك، فإن حجم التجارة الخارجية لمعظم الدول الإسلامية كبيرٌ جدًّا؛ فمثلاً بلغت صادرات الدول العربية في عام ٢٠١٤م ١٢٢٥ مليار دولار، ثم انخفضت إلى ٨٣٢ مليار دولار في عام ٢٠١٥م بسبب تدهور أسعار النفط^(١). هذا يعني أن الدول العربية يمكن أن توفر أكثر من ٨٠٠ مليار دولار في العام فقط من خلال صادراتها، والتي في أغلبها صادرات النفط.

ولو استطاعت الدول الإسلامية الاعتماد على نفسها في زراعة وتصنيع ما تحتاجه من مواد استهلاكية وأجهزة ومعدات لأمكنها أيضًا توفير أكثر من ٨٠٠ مليار دولار سنويًا من خلال خفض حجم وارداتها؛ حيث يشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٦م إلى أن واردات الدول العربية قد قاربت ٩٠٠ مليار دولار في عام ٢٠١٤م^(٢).

ولو استخدمنا بيانات هذا التقرير لوجدنا أن صادرات الدول العربية للأعوام ٢٠١١م إلى ٢٠١٥م قد تجاوزت ٥,٩ ترليون دولار، والواردات تجاوزت ٤,١ ترليون دولار، وهذا يعني أن الدول العربية لو استقامت على شرع الله، ومكنت زمام أمورها، واعتمدت على نفسها في كل ما تحتاج إليه لأمكنها توفير قرابة ١٠

(١) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠١٦»: صندوق النقد العربي، ص ٢٢٥.

(٢) المرجع السابق.



ترليون دولار في الخمس سنوات المذكورة، أو ما يعادل ترليون دولار سنوياً، وهذا المبلغ قد يرتفع إلى عدة أضعاف إذا أخذنا في الحسبان الدول الإسلامية جميعاً، ولكن أتى لهذا أن يحدث مع غياب التطبيق الفعلي لمنهج الله؟ إنه لو استقامت الدول الإسلامية - شعوباً وحكّاماً - على منهج الله؛ فهل ستبقى الدول (أو بالأحرى الشعوب) الإسلامية تحت وطأة الاستخراب الدولي يمص دماءها وخيراتها؟

والعجيب في الأمر - وبحسب هذا التقرير - فإن أكثر من ١٨٪ من صادرات الدول العربية - وغالبيتها صادرات نفطية - تذهب إلى أمريكا وأوروبا، وأن أكثر من ٣٦٪ من وارداتها - وأغلبها معدات عسكرية - تأتي أيضاً من أمريكا وأوروبا، وهذه الدول - كما نعلم - هي التي تشنّ حروبها على المسلمين، ومن أكثر الدول عداوة للإسلام، وهذا يعني أننا نحن من نمُدّ الجزائريين بالمال ليذبوا أبناءنا ويدمروا بلداننا.

هـ- الثروات الخاصة للأفراد

وإذا كانت الثروات الضخمة التي سقنا أمثلة لها هي في أغلبها ملكٌ للدول، فبلا شك أن المسلمين - كأفراد - يمتلكون ثروات قد تفوق ما لدى الدول الإسلامية، ويكفي أن نعلم أن مجموع الثروات الخاصة في منطقة الخليج قُدّرت في عام ٢٠١٢م بحوالي ٤,٨ ترليون دولار^(١).

كذلك، فقد ذكرت مجلة «فوربس» الأمريكية أن قائمة ٢٠١٧م لأغنى مليارديرات العالم احتوت على ٤٢ مليارديراً من العرب بلغت مجموع ثرواتهم



الفصل الرابع: التخلص من الديون

٤, ١٢٣ مليار دولار^(١)، وفي قائمة «فوربس» لعام ٢٠١٣ م لأغنى ١٠٠ عربي، بلغ عدد أثرياء السعودية وحدها ٤١ ثريًا، وهؤلاء فقط الذي يمتلكون على الأقل ١٠٠ مليون دولار، وتُقدَّر ثرواتهم فقط من خلال ما يمتلكونه من أسهم في الشركات المساهمة العامة، وهناك الكثير من الأفراد والعائلات من المسلمين ممن لا يُصرِّحون عن ثرواتهم^(٢).

ولا شك أن معظم الخليجيين بشكل خاص، والمسلمين بشكل عام، لا يستثمرون أموالهم في بلدانهم، لتعلُّهم - كما ذكرنا - بعدم وجود البيئة الاستثمارية المهيئة لهم في دولهم، وهذه الهجرة لأموال المسلمين إلى بلدان غير إسلامية لها آثارها السلبية الكثيرة، التي منها:

✓ حرمان البلدان الإسلامية من الموارد المالية المتاحة التي يمكن أن تُشكِّل دعمًا قويًا لاقتصاديات الدول الإسلامية، ويمكن من خلالها تشغيل العمالة المحلية، وعلاج مشكلة البطالة.

✓ زيادة الفجوة بين مستويات الدخل في المجتمعات الإسلامية، مما يؤدي إلى العديد من المشاكل الاجتماعية والأمنية التي تطرقنا إليها في الفصول السابقة.

ولا ننسى أيضًا المخاطر الكثيرة المترتبة عن استثمار الأموال في الخارج، والتي منها:

✓ خطر تعرض الاستثمارات للتجميد أو المصادرة كإجراءات قسرية لدوافع سياسية واقتصادية بحُجَج وذرائع مختلفة.

(١) «قائمة أثرياء العرب لعام ٢٠١٧»: موقع RT العربية.

(٢) «فوربس»: السعودية تتربع على قائمة أثرياء العرب بـ ٤١ مليار دولار: موقع النيلىن.



✓ المخاطر ذات الطابع الاقتصادي والتجاري، ومنها الخسائر الناتجة عن التضخم وهبوط أسعار الصرف وتقلُّبها لل عملات المؤدَّعة رؤوس الأموال بها في مصارف الدول الغربية.

✓ توجيه الدول الغربية للاستثمارات القادمة إليها في المجالات التي ترغب فيها حسب ما تقتضيه مصالحها الذاتية وظروفها الاقتصادية وإن كان ذلك على حساب المستثمر وحصوله على عائدٍ مجزٍ لاستثماراته.

✓ دعم اقتصاديات الدول التي تهاجر إليها تلك الأموال - والتي غالبيتها من الدول المحاربة للمسلمين - مما يعينها على أن تزيد من ضراوتها وقسوتها على بلاد الإسلام والمسلمين.

ولا ننسى أن ظاهرة هجرة الأموال ليست محصورة في استثمارات لمواطنين وحكومات إسلامية، وإنما كثير منها عبارة عن تحويلات أموال لوافدين، والذين غالبيتهم - وخاصة في دول الخليج - هم من غير المسلمين؛ فمثلاً قام الفليبيونيون في السعودية في عام ٢٠١١م بتحويل ١,٧ مليار دولار إلى بلدهم^(١). وقد بلغت تحويلات العاملين في دولة الإمارات في عام ٢٠٠٦م بنحو ١٦ مليار دولار^(٢)، وفي السعودية بلغت تحويلات الوافدين في عام ٢٠١٦م أكثر من ٤٠ مليار دولار^(٣)، وبحسب البنك الدولي، فإن التحويلات الخارجية في السعودية وحدها بلغت نحو ٧٦١,٢٥ مليار ريال (٢٠٣ مليار دولار) خلال الفترة بين عامي ٢٠٠١م و٢٠١١م^(٤).

(١) «السعودية : التحويلات المالية الأجنبية .. هجرة أموال أم هدر فرص؟»: عبيد السهيمي.

(٢) «الأموال المهاجرة من الإمارات ٥٨ مليار درهم»: نور عبد الله.

(٣) «الأموال المهاجرة ترليون ريال سنوياً»: موقع وكالة سبق.

(٤) «السعودية : التحويلات المالية الأجنبية .. هجرة أموال أم هدر فرص؟»: عبيد السهيمي.

الفصل الرابع: التخلص من الديون

ويقول الخبير الاقتصادي السعودي الدكتور عبد الوهاب أبو داهش^(١): «قطعاً ليست كل هذه التحويلات هي عبارة عن مرتبات وأجور فقط للعمالة في السعودية، ولكنها تشمل أيضاً التحويلات المالية للشركات»، ويضيف: «هذه الأرقام ضخمة جداً، وجزء كبير منها يمثل أرباحاً لاستثمارات في شركات ومؤسسات صغيرة وبعضها متوسطة يديرها العمال الأجانب لحساباتهم الخاصة إما بشكل نظامي، أو بطريقة غير نظامية عبر التستر»، وأضاف: «هذه الأرقام ليست أجوراً لعمالة مرتباتها متدنية، وقد تكون في الغالب أرباحاً لشركات يملكها مستثمرون أجانب مصرح لها بالاستثمار في السوق السعودية أو شركات ومؤسسات صغيرة متوسطة متستر عليها تحت أسماء مواطنين سعوديين».

٦- إيجاد البيئة الملائمة لجلب الاستثمارات الخارجية

وأخيراً علينا أن نضع في الاعتبار جانباً اقتصادياً آخر، وهو أنه لو استقامت الأمة على دين الله، واستطاعت أن تكفَّ شرور أعدائها عنها، واعتمدت على نفسها في جميع احتياجاتها، فإنه - بلا شك - سيتعش اقتصادها كثيراً، وستستقر أحوالها المادية، ومن ثمَّ أحوالها المعيشية والاجتماعية، وتعود الرفاهية إلى شعوبها، وبالتالي ستصبح لها مكانتها الاقتصادية في العالم، مما سيُحفِّز الدول الأخرى على جلب أموالها إليها للاستثمار فيها، وستهاجر أموال العالم إليها بدلاً من هجرة أموالها إلى البلدان الأخرى كما يحدث الآن، وهذا - في حدِّ ذاته - سيُقوِّي من اقتصاد الأمة، ويزيد في إنعاش أحوالها المعيشية والتعليمية والصحية وغيرها من مقومات ودعائم الدول المتحضرة.

(١) المرجع السابق.

حساب العائدات الاقتصادية للتخلص من الديون وتبعاتها

لنفترض أنه كان بالإمكان إعادة ترليون دولار فقط من أموال الأمة المهاجرة لتُستثمر في الدول الإسلامية، ولنفترض أيضًا أنه يمكن تقليص واردات الأمة بحوالي ترليون دولار في العام من خلال الاعتماد على نفسها في الزراعة والتصنيع والخدمات، ولنفترض ثالثًا أنه كان بالإمكان توفير ١٠٠ مليار دولار من خلال الاعتماد على العملة المسلمة بدلًا من العملة الوافدة الغير مسلمة.

مثل هذه الأرقام المتواضعة يمكن أن ترفع الناتج المحلي للأمة الإسلامية بما يزيد عن ٥٢ مليار دولار سنويًا، وذلك من خلال الزكاة المستحقة على تلك الأموال، و ٢١٠ مليار دولار سنويًا من خلال استثمار تلك الأموال وتشغيلها في مضاربات مشروعة. وإذا افترضنا أنه كان بالإمكان استخدام ٥٠٪ من تلك العائدات (أي حوالي ١٣١ مليار دولار) لتخفيض الديون الداخلية والخارجية للدول الإسلامية، فإن الأمة الإسلامية ستبقى في وضع يسمح لها بتوفير ما يزيد عن ١٣١ مليار دولار أخرى في السنة لرفاهية شعوبها ولتطوير بنائها التحتية، كما هو موضح في المعادلات التالية:

لغة الأرقام

- ☒ مقدار الاستثمارات العربية في الدول الأجنبية التي يمكن استرجاعها واستثمارها في الدول الإسلامية = ترليون دولار.
- ☒ مقدار ما يمكن توفيره من الواردات السنوية = ترليون دولار.



الفصل الرابع: التخلص من الديون

- ✕ مقدار ما يمكن توفيره سنوياً من الاستغناء عن العملة الوافدة = ١٠٠ مليار دولار.
- ✕ مقدار الزكاة المستحقة لهذه الأموال = ٢١٠٠ مليار دولار $\times ٢,٥\%$ = ٥٢,٥ مليار دولار في العام.
- ✕ مقدار العائد الإنتاجي من تشغيل هذه الأموال = ٢١٠٠ مليار $\times ١٠\%$ = ٢١٠ مليار دولار في العام.
- ✕ مجموع العائدات المالية التي يمكن توفيرها = ٥٢,٥ مليار عائدات الزكاة + ٢١٠ مليار عائدات استثمارية = ٢٦٢,٥ مليار دولار في العام.
- ✕ مقدار التخفيضات المقترحة في الديون الداخلية والخارجية للدول الإسلامية في كل عام = ٢٦٢,٥ مليار $\div ٢$ = ١٣١,٢٥ مليار دولار في العام.
- ✕ العائد الإنتاجي المتبقي = ١٣١,٢٥ مليار دولار في العام.

وإذا أخذنا بالإحصائيات التي ذكرناها في بداية هذا الفصل، فإن حجم الدين الخارجي للدول العربية يُقدَّر بحوالي ٩٢٣,٤ مليار دولار في عام ٢٠١٦م، ولو اعتبرنا أن الدين الخارجي لجميع الدول الإسلامية هو ضعف هذا، أي حوالي ١٨٤٦ مليار دولار، فإنه يمكن حساب الأموال الطائلة التي يمكن للأمة أن توفرها لشعوبها فيما لو استقامت على دين الله، وصلح حال حكامها، واستطاعت أن تعتمد على نفسها، وأمكنها التخلص من جميع الديون المستحقة عليها، كما نرى في المعادلات التالية:



لغة الأرقام

- ☒ مقدار الأموال التي يمكن توفيرها للشعوب الإسلامية بعد سداد الديون المستحقة على دولها = ١٨٤٦ مليار دولار.
- ☒ مقدار الزكاة التي ستُخرج لهذه الأموال = ١٨٤٦ مليار $\times ٢,٥\%$ = ٤٦,١٥ مليار دولار.
- ☒ مقدار العائد الإنتاجي من تشغيل الأموال التي تم توفيرها بعد سداد الديون = ١٨٤٦ مليار $\times ١٠\%$ = ١٨٤,٦ مليار دولار.
- ☒ مجموع ما يمكن توفيره بعد سداد الديون = ١٨٤,٦ + ٤٦,١٥ = ٢٣٠,٧٥ مليار دولار سنوياً.
- ☒ مجموع المبالغ التي يمكن توفيرها لرفاهية الشعوب الإسلامية فيما لو استطاعت الأمة استعادة جميع أموالها المهاجرة وتقليص وارداتها والتخلص من جميع ديونها = ١٣١,٢٥ + ٢٣٠,٧٥ = ٣٦٢ مليار دولار سنوياً.



الفصل الخامس:

زيادة العائدات من النفط والغاز

يقول برنارد لويس: «يستمر النفط في إنتاج ثروة هائلة، تذهب مباشرة لبعض الدول في المنطقة، وتذهب بشكل غير مباشر لأخرى. لكن هذه الكميات الكبيرة من النقود التي يجلبها النفط تخلق مشكلات بقدر ما تخلق من الفوائد. فمن جهة، عملت ثروة النفط على تقوية الحكومات الأوتوقراطية وأخضعت التنمية الديمقراطية لآلياتها»^(١).

نعمتا النفط والغاز وأثرهما في اقتصاد الدول الإسلامية

يعتبر النفط المصدر الأول لمعظم الدول الإسلامية - والأوحد - لبعضها، وقد حبا الله - سبحانه وتعالى - الدول الإسلامية بمخزون من النفط والغاز الطبيعي وغيره من المعادن النفيسة، وتتميز دول الخليج وبعض الدول الإسلامية الأخرى بأكبر مخزون للنفط في العالم؛ حيث يُقدَّر احتياطي نفط الخليج في عام ٢٠١١م بحوالي ٤٩٥ مليار برميل، وهو ما يعادل ٣٠٪ من الاحتياطي العالمي، بينما لدى إيران والعراق ونيجيريا ٣٣١ مليار برميل، وهو يعادل حوالي ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي^(٢).

(١) «العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حراً أخيراً؟»: برنارد لويس.

(٢) «الخليج ٢٠١٣: الثابت والمتحوّل»: مركز الخليج لسياسات التنمية.

وحسب قائمة الدول التي تمتلك أعلى احتياطي نفطي في العالم، والتي أصدرها موقع «بزنس إنسايدر» الأمريكي^(١) فإن سبع دول إسلامية قد جاءت ضمن هذه القائمة؛ حيث جاءت السعودية في المركز الثاني عالمياً، وتمتلك ٢٦٨,٤ مليار برميل، وجاءت إيران في المركز الرابع باحتياطي نفطي قُدِّر بـ ١٥٧,٣ مليار برميل، ثم العراق في المركز الخامس باحتياطي قُدِّر بـ ١٤٠,٣ مليار برميل، ثم الكويت في المركز السادس باحتياطي بلغ ١٠٤ مليار برميل، ثم دولة الإمارات في المركز السابع باحتياطي بلغ ٩٧,٨ مليار برميل، ليبيا في المركز التاسع باحتياطي بلغ ٤٨,٤٧ مليار برميل، ثم نيجيريا باحتياطي بلغ ٣٧,١٤ مليار برميل.

كذلك، فالعمر الافتراضي للنفط لكثير من الدول الإسلامية أعلى بكثير مما هو في الدول الأخرى؛ فمثلاً العمر الافتراضي لنفط الكويت يُقدَّر بحوالي ٩٧ سنة، وللسعودية ٨١ سنة، ولدولة الإمارات ٦٥ سنة^(٢).

وتشير التقديرات أيضاً إلى وجود مخزونات ضخمة من الغاز الطبيعي تفوق جميع مخزونات الدول غير الإسلامية مجتمعة؛ فبحسب بعض الإحصائيات المنشورة^(٣) فإن ست دول إسلامية كانت من ضمن أعلى دول العالم ذات أكبر مخزون احتياطي من الغاز الطبيعي، ولها ما يعادل ٥١,٢٪ من احتياطي العالم، وهذه الدول هي: إيران وتحتل المركز الثاني عالمياً بمخزون يُقدَّر بـ ٣٣,٦ ترليون م^٣، تليها قطر في المركز الثالث باحتياطي بلغ ٢٤,٧ ترليون م^٣، ثم تركمنستان في المركز الرابع باحتياطي بلغ ١٧,٥ ترليون م^٣، ثم السعودية في المركز السادس باحتياطي قُدِّر بـ ٨,٦ ترليون م^٣، ثم العراق في المركز السابع باحتياطي بلغ ٦,٤ ترليون م^٣، ثم نيجيريا في المركز التاسع باحتياطي بلغ ٥,١ ترليون م^٣.

(١) «بالصور... ١٠ دول تمتلك مخزوناً نفطياً هائلاً.. السعودية ثانياً»: موقع رويترز العربية.

(٢) «الخليج ٢٠١٣: الثابت والمتحول»: مركز الخليج لسياسات التنمية.

(٣) «قائمة الدول حسب احتياطي الغاز الطبيعي المؤكد»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٦/٧/٢٠١٧ م.



الفصل الخامس: زيادة العائدات من النفط والغاز

وتشير الإحصائيات إلى أن العالم الإسلامي ينتج ما يزيد عن ٧٠٪ من الإنتاج العالمي للنفط؛ فقد بلغ إنتاج دول الخليج العربي مجتمعة في عام ٢٠١١م أكثر من ٢٠ مليون برميل يومياً، فيما بلغ إنتاج إيران والعراق ونيجيريا في نفس العام أكثر من ٩,٥ مليون برميل يومياً^(١)، وفي تقرير آخر^(٢)، فقد أنتجت السعودية وحدها ما يعادل ١٣,٧٪ من الإنتاج العالمي؛ حيث بلغ متوسط إنتاجها اليومي ١٠,١٩ مليون برميل. وأما صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية فقد ذكرت أن الإنتاج النفطي من الشرق الأوسط ارتفع في يونيو ٢٠١٦م إلى مستوى قياسي بلغ ٣١,٥ مليون برميل يومياً، وحسب تصريح لوكالة الطاقة الدولية فإن إنتاج النفط الأمريكي قد انخفض في نفس العام بنحو ١٤٠ ألف برميل يومياً ليصل إلى ١٢,٤٥ مليون برميل^(٣).

وأعلنت منظمة الخليج للاستشارات الصناعية (جويك)^(٤) أن إنتاج النفط الخام في دول مجلس التعاون الخليجي مجتمعة بلغ في عام ٢٠١١م أكثر من ٥,٩ مليار برميل، منها ٣,٤ مليار برميل للسعودية، و ٩٧٠ مليون برميل للكويت، و ٩٣٦ مليون برميل لدولة الإمارات، و ٣٢٣ مليون برميل لسلطنة عمان، و ٢٦٨ مليون برميل لقطر، و ٦٩ مليون برميل للبحرين.

وقد بلغت عائدات الصادرات النفطية لدول الخليج العربي في عام ٢٠١١م قرابة ٦٠٤ مليارات دولار، وكان نصيب السعودية منها ٣١٨ مليار دولار، والإمارات ١٠٤ مليار، والكويت ٩٦,٧ مليار، وقطر ٤٤,٧ مليار، وعمان ٣٣

(١) «الخليج ٢٠١٣: الثابت والمتحول»: مركز الخليج لسياسات التنمية.

(٢) «لأول مرة منذ ١٢ عام السعودية تصدر قمة إنتاج النفط في العالم»: موقع النيلين.

(٣) «الشرق الأوسط يعود كأكبر منطقة مهيمنة عالمياً في إنتاج النفط»: موقع النيلين.

(٤) «عائدات دول الخليج من النفط ٦٠٤ مليارات دولار عام ٢٠١١»: موقع صراحة نيوز.





أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

مليار، والبحرين ٦,٣ مليار دولار^(١). ويذكر التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٦م^(٢) بأن الصادرات الإجمالية للدول العربية قد بلغت ٨٥٢,٨ مليار دولار في عام ٢٠١٤م، ثم انخفضت في عام ٢٠١٥م إلى ٥١٧,٨ مليار دولار بسبب الانهيار في أسعار النفط.

وتتمتع غالبية الدول الإسلامية بميزة أخرى وهي انخفاض كلفة إنتاج النفط؛ حيث يُكلف استخراج البرميل الواحد في السعودية والعراق حوالي ٥ دولارات، وفي الإمارات ٧ دولار، وفي إيران والجزائر وبقية دول الخليج ١٣ دولارًا، بينما يُكلف استخراج النفط في بحر الشمال ٣٥ دولارًا للبرميل الواحد^(٣).

نهب ثروات النفط والغاز

لا توجد في غالبية الدول الإسلامية آليات للمحاسبة حول ما يدخل ميزانيات الدول وما يُصرف منها، وإن وُجدت في بعض البلدان فإنها - في الغالب - غير مستقلة عن السلطة التنفيذية لتلك الدول. كذلك، فإن أغلب البلدان الإسلامية لا تُتيح الإطلاع على الحسابات الختامية للميزانيات العامة، بل إنه في بعض الدول لا تُعلن تفاصيل الميزانية العامة، ولا يسمح حتى لمجالس الشورى فيها أن تطلع على الميزانيات التقديرية بكاملها، فضلًا عن الاطلاع على الحسابات الختامية للميزانيات العامة.

كل هذا أدى إلى وجود فوارق كبيرة بين الأرقام المُعلنة لعائدات النفط والغاز وبين القيمة الفعلية لصادرات هذه الدول منهما، وخاصة في غضون الطفرة النفطية الثالثة التي وصل سعر البرميل فيها إلى أكثر من ١٥٠ دولار. ومن المؤسف أنه

(١) «عائدات دول الخليج من النفط ٦٠٤ مليارات دولار عام ٢٠١١»: موقع صراحة نيوز.

(٢) «التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠١٦»: صندوق النقد العربي، ص ٢٣٠.

(٣) «الخليج ٢٠١٣»: الثابت والمتحول: مركز الخليج لسياسات التنمية.



الفصل الخامس: زيادة العائدات من النفط والغاز

يكاد من المستحيل على الدارسين الوصول إلى صلب الميزانيات العامة للتحقق من مصادر إيراداتها من النفط والغاز، فإن ذلك يُعتبر في معظم البلدان الإسلامية سرٌّ من أسرار الدولة، لا يحق للمواطنين الإطلاع عليه.

وكمثال على ما ذكرناه نسوق الدراسة التي أجراها مركز الخليج لسياسات التنمية^(١)، حيث وجد أنه في عام ٢٠١١م بلغت صادرات دول الخليج مجتمعة نحو ٧٠٩,٣ مليار دولار، في حين أن الرقم المُدرَج في الميزانية هو فقط ٥٤٦,٩ مليار دولار، أي بفارق قدره ١٦٢,٤ مليار دولار، فأين ذهبت هذه الأموال؟! وإذا تتبعنا مجموع صادرات الخليج من النفط في الأعوام من ٢٠٠٢م إلى ٢٠١١م فإننا نجد أنها حوالي ٣٦٨٥,٧ مليار دولار (أو حوالي ٣,٧ ترليون دولار)، ولكن مجموع ما تم إدراجه في الميزانيات هو حوالي ٢٨٦٧ مليار دولار فقط، أي بفارق قدره ٨١٨,٧ مليار دولار، ويمكن أن نتصور ما يمكن أن يقوم به مثل المبلغ في نهضة الأمة وحل مشاكلها.

وحتى لو تغاضينا عن هذا الخلل الكبير في التلاعب بعائدات النفط، أو بالأحرى سرقتها، فإننا سنجد الخلل يتغلغل أيضًا في كيفية إنفاق هذه العائدات؛ حيث إن جزءًا كبيرًا منها يتوجّه إلى الانفاقات الجارية والعسكرية. وهذا عكس ما هو مُطبَّق في بعض الدول مثل النرويج، حيث تذهب أغلب عوائد النفط بشكل أساسي إلى صناديق الاستثمار والصناديق السيادية. وبحسب دراسة^(٢) صدرت عن معهد التمويل الدولي (IIF) فإن دول الخليج تنفق ثلثي إيراداتها من النفط والغاز على الاستيراد، بينما تقوم بضخ الثلث المتبقي كاستثمارات في الأسواق العالمية، وخاصة في الولايات المتحدة التي لا تزال المقصد الأول للاستثمارات الخليجية.

(١) «الخليج ٢٠١٣: الثابت والمتحوّل»: مركز الخليج لسياسات التنمية.

(٢) «ترليون و٥٠٠ مليار دولار عائدات دول الخليج من النفط خلال خمس سنوات أين ذهبت؟»: موقع عواجل



أضف إلى ذلك، هناك تزايد في النفقات السرية والجارية في الميزانيات العامة، والتي تكون بسبب الاضطرار إلى «ترقيع» العجزات أو «تصريف» الفوائض الفجائية حسب التقلبات العشوائية لسوق النفط، وهذه النفقات تُعدُّ سبباً رئيسياً لاستشراء الفساد والمحسوبية في الأجهزة الحكومية والعديد من قطاعات الدولة، وخاصة في غياب الرقابة الفاعلة على المال العام.

وعندما رأت دول الشرق والغرب هذه الثروات «السائبة» التي لا تصبُّ إلا في جيوب حفنة من أصحاب الضمائر الميته الذين يتحكّمون في خيارات الشعوب الإسلامية وأرزاقها، رأت تلك الدول ضرورة الهيمنة الاقتصادية على الدول الإسلامية لامتصاص تلك الثروات، فقامت في أحيانٍ بشنّ حروبٍ لاستعمار الدول المنتجة للنفط، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الهدف الاستراتيجي في الحرب الأمريكية على العراق كان النفط، والتحكم بمصادر الطاقة لإدامة انتشار الجيوش والقواعد العسكرية الأمريكية في أرجاء العالم، وإيجاد سوق تصريف لشركات الصناعات الحربية.

ومن أساليب الهيمنة للدول الكبرى إجبار الدول الإسلامية على التعاقد مع شركات النفط الكبرى المملوكة للدول الغربية للتنقيب واستخراج النفط فيها، ومما يذكر أن الأرباح الصافية لشركة إكسون موبيل الأمريكية في عام ٢٠٠٥م كانت تعادل تقريباً إيرادات الكويت النفطية للسنة نفسها، وقُدِّرت الأرباح الصافية لهذه الشركة خلال ٩٠ يوماً فقط فوجدت أكبر من ميزانية سورية لعام كامل^(١)؟

وأخيراً، تقوم تلك الدول - أحياناً - بإجبار الدول الإسلامية على التوقيع على صفقات سرّية أو علنية لبيع منتجات النفط والغاز لدول الهيمنة الكبرى بأبخص

(١) «أسرار نفطية لا يعرفها الكثيرون»: رشيد الخولي.



الفصل الخامس: زيادة العائدات من النفط والغاز

الأسعار. ولكي نقف على تصوّر بسيط بحجم ما تسرقه دولة واحدة من هذه الدول- وهي أمريكا- من نفط العالم الإسلامي، نسوق ملخصًا للإحصائية التي ذكرها أسامة بن لادن في مقابلة له مع مراسل قناة «الجزيرة» في باكستان عام ١٩٩٨م حول مجموع ما سرقته أمريكا من نفط العالم الإسلامي خلال خمس وعشرين عامًا. ويمكننا تلخيص الإحصائية التي ذكرها كما يلي:

لغة الأرقام

- ❑ في مدة الخمسة والعشرين عامًا ما بين ١٩٧٣م و١٩٩٨م ارتفعت أسعار السلع إلى أكثر من أربعة أضعاف^(١)، وهذا يعني أن سعر النفط الخام يجب أن يرتفع أيضًا أربعة أضعاف ولكن للضغوط الأمريكية على الدول المنتجة للنفط فإن سعر النفط بقي تقريبًا ثابتًا.
- ❑ تنتج الدول الإسلامية (وقت إجراء المقابلة) حوالي ٣٠ مليون برميل من النفط يوميًا.
- ❑ السعر الحقيقي للبرميل (وقت إجراء المقابلة) = ٩ دولارات.
- ❑ سعر النفط المفترض (وقت إجراء المقابلة) = ٩ دولار $\times$ ٤ (معدّل الزيادة في أسعار السلع) = ٣٦ دولار.
- ❑ حجم السرقة الأمريكية للنفط في كل برميل = ٣٦ - ٩ = ٢٧ دولار.
- ❑ حجم السرقة اليومي = ٢٧ $\times$ ٣٠ مليون برميل = ٨١٠ مليون دولار.
- ❑ حجم السرقة السنوي = ٨١٠ مليون دولار $\times$ ٣٦٥ يومًا = ٢٩٥, ٦٥٠ مليار دولار.
- ❑ حجم السرقة في خلال ٢٥ عامًا (منذ بدء الهيمنة الأمريكية على النفط العربي) = ٢٩٥, ٦٥٠ $\times$ ٢٥ = ٧٣٩١, ٢٥ مليار دولار أو حوالي ٤, ٧ تريليون دولار.



وعندما تغيب رقابة الله من قلوب ولاية الأمر في الدول الإسلامية فإن المصالح الشخصية تُغلب على مصالح الأمة، بل إنه - أحياناً - تُغلب مصالح العدو حتى على المصالح الشخصية، وما ذلك إلا بسبب الذل والمهانة التي أورثنا الله إياها عندما ابتعدنا عن شرعه. مثلاً، كانت مصر تُصدّر لإسرائيل الغاز المسال بثمان يتراوح بين ٧٠ ستاً و ١,٥ دولار للمليون وحدة حرارية، فيما كان يصل سعر التكلفة إلى ٢,٦٥ دولار^(١). وعندما اسودّت الضمائر وغاب الرقيب إذا بمصر تعقد صفقات مع إسرائيل لاستيراد الغاز منها بسعر ١٨ دولاراً للمليون وحدة حرارية، وبذلك تكون مصر قد خسرت مرتين: الأولى عندما كانت تبيع لإسرائيل بأقل من سعر التكلفة (إذ قُدّرت خسائرها من جراء ذلك بحوالي ٣٣ مليار دولار إلى حين توقفها عن التصدير عام ٢٠١١م)، والثانية عندما تشتري الغاز من إسرائيل بأضعاف ما كانت تبيعه لها.

وهناك وجه آخر من وجوه سرقة ثروات النفط والغاز في الدول الإسلامية، وذلك عندما تستولي عليها أطراف تسخرها في معصية الله، بل في أشد من ذلك وهو نحر المسلمين وتدمير ديارهم، كما يحصل حالياً فيما يُعرف بتنظيم الدولة الإسلامية، أو داعش اختصاراً؛ حيث قُدّرت العائدات السنوية من النفط لهذا التنظيم في عام ٢٠١٤م بين ٩٧٠ مليون و ١,٨ مليار دولار^(٢)، وكما هو معلوم فإن هذا التنظيم لا يُسخر الثروات التي يسرقها ويغتصبها من المسلمين إلا لقتالهم والتنكيل بهم. كذلك، فلا ننسى حياة البذخ والفجور التي يعيشها معظم حكام الدول الإسلامية وعائلاتهم - إلا من رحم الله -، وكلها جاءت من أموال منهوبة من الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها، فالله المستعان.

(١) «ترليون و ٥٠٠ مليار دولار عائدات دول الخليج من النفط خلال خمس سنوات اين ذهبت؟»: موقع عواجل برس.

(٢) «نفط ونهب... هل أصبح تنظيم «الدولة الإسلامية» على حافة الإفلاس؟»: سياستيان سايت.



حساب الزيادة في عائدات النفط والغاز

إذا استخدمنا بعض الأرقام الواردة في الإحصائيات التي سُقناها في هذا الفصل، وعلى اعتبار أن إنتاج الدول الإسلامية من النفط هو حوالي ٣٠ مليون برميل يوميًا، وأن ما تخسره الدول الإسلامية من التلاعب بعائدات النفط، بما في ذلك السرقات المُبَطَّنة والصفقات السرية وغيرها من الطرق، هو ١٠ دولارات للبرميل الواحد فقط، فإن هذا يعني أن الدول الإسلامية لو استقامت على منهج الله وملكتم زمام أمرها ولم تخضع لضغوطات غربية أو شرقية لكان بإمكانها توفير ما يلي:

لغة الأرقام

✕ حجم ما يمكن توفيره من عائدات النفط في العام = ٣٠ مليون برميل في اليوم $\times ٣٦٥$ يومًا في العام $\times ١٠$ دولارات عائدات إضافية للأمة من كل برميل = ١٠٩,٥ مليار دولار في العام.

وقد يتصور البعض أن هذه الأرقام التي استنتجناها في المعادلة السابقة مبالغٌ فيها، ولكن الحقيقة عكس ذلك؛ فإن سعر النفط قد قفز من ١٨ دولارًا للبرميل في يناير ١٩٩٩م إلى أكثر من ١٤٧ دولارًا في ١١ يوليو ٢٠٠٨م^(١). ولو أخذنا بهذه الأرقام، وعلى اعتبار أن إنتاج الدول الإسلامية بقي ثابتًا عند ٣٠ مليون برميل في اليوم، فإن الزيادة في عائدات النفط بسبب هذا الارتفاع في الأسعار تزيد على ١٢,٧ ترليون دولار، فأين ذهبت هذه الأموال؟! ولماذا لم تجن الشعوب الإسلامية إلا مزيدًا من النكبات والويلات والتخلف؟! والجواب يعرفه الجميع؛ وهو أنه رغم أن بعض تلك الأموال تصبُّ في جيوب الحكام وحاشيتهم، غير أن غالبية تلك السرقات كانت لتقوية اقتصاديات الأعداء ليزدادوا ضراوة وهيمنة على المسلمين،

(١) «سعر النفط»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٧/٧/٢٠١٧م.





أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ •
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].





الفصل السادس:

خفض الإنفاقات العسكرية



تؤكد الدراسات الدولية أن الحروب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها على الدول الإسلامية أوجدت ثورةً في سوق الأسلحة في العالم، ومن ثمَّ عدم الاستقرار؛ حيث أشارت دراسة نشرتها الأمم المتحدة^(١) إلى أن الحروب القائمة في العراق وأفغانستان تؤخر الجهود من أجل إزالة فائض الأسلحة؛ فهي تُقدِّم للمُصنِّعين أسواقًا جديدة من أجل تصريف مخزونهم، وتضيف الدراسة أن الولايات المتحدة تساعد الدول على تدمير فائضها من السلاح، لكنها تساعد أيضًا على استيرادها، وقال المستشار في المرصد آرون كارب: «أمريكا تعاني من انفصام تام في الشخصية فيما يتعلق بالأسلحة الخفيفة»، مُضيفًا: «إنها تُشجّع كلَّ العالم على تدمير فائضه، لكن في الوقت نفسه تدفع له؛ لكي يصدر أسلحته إلى العراق وأفغانستان».

وتشير الأرقام^(٢) إلى أن هناك ما لا يقل عن ٥٠ مليون شخص مشغولون بأنشطة عسكرية في العالم، وهذا الرقم يضم ٥٠٠ ألف عالم (نصف مليون فني ومهندس وخبير) مشغولين بأعمال البحوث العسكرية وتطوير الأسلحة، وتُقدَّر تقارير الأمم المتحدة أن ٣٠٪ من جملة النفقات العالمية في مجال البحوث والتنمية تُصرف في مجال التسليح والأنشطة الخاصة بالمعدات العسكرية، وأن نصيب الفرد في العالم

(١) «دراسة: أمريكا رفعت مبيعات أسلحتها بعد احتلال العراق»: شبكة نور الإسلام.

(٢) «٥٠ مليون شخص مشغولون بأنشطة عسكرية في العالم والعرب الأكثر إنفاقاً على السلاح»: ربما زهار.



من الإنفاقات العسكرية قد بلغ في عام ٢٠٠٩م حوالي ١٦٢ دولاراً^(١).

سباق التسلح

ومما لا شك فيه أن الدول الكبرى تتسابق في بيع صفقات السلاح الباهظة التكاليف للدول الإسلامية المغلوبة على أمرها، وتخترع شتى الوسائل لإرغامها على اقتناء الأنواع المختلفة من السلاح، والتي غالباً ما تكون في غنى عنها أو لا تلائم استراتيجياتها. من تلك الوسائل صنع أعداء وهميين للدول مثل أسامة بن لادن وصادق حسين، أو تحريش دولة بأخرى كما حدث بين العراق وإيران والعراق والكويت ومصر والسودان، أو دفع عمولات باهظة لسياسة الدول من أجل إرغام دولهم على قبول تلك الصفقات.

وتؤكد إحصاءات تقرير التنمية لعام ٢٠٠٠م^(٢) الذي أصدره البنك الدولي أن الإنفاق العسكري العالمي حقق انخفاضاً عام ١٩٩٧م بنسبة ٣٥٪، حيث بلغ ٨٤٠,٣ مليار دولار مقارنة بما بلغه في سنة ١٩٨٦م حيث قُدِّر بـ ١٢٩٧ مليار دولار، ثم ارتفع في عام ٢٠٠٣م إلى ٩٥٦ مليار دولار، ثم استمر في الزيادة حتى وصل ١٠٣٥ مليار دولار في عام ٢٠٠٥م. ووفق إحصاءات نشرها «معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام» فإن الإنفاق العسكري في العالم في عام ٢٠١٥م قد بلغ ١,٦ تريليون دولار^(٣)، وأن هذا الرقم في زيادة مستمرة في ظل تأجيج الصراعات والنزاعات بين الدول.

ومع انتهاء الحرب الباردة تراجع الإنفاق على الأسلحة في العالم، غير أن النسبة ظلت مرتفعة بين العرب؛ فوفقاً لبيانات صندوق النقد العربي^(٤) فقد بلغ إجمالي

(١) «العالم ينفق ١٠٣٥ بليون دولار سنوياً على التسلح»: خلف أحمد محمود أبو زيد.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «ارتفاع الإنفاق العسكري العالمي عام ٢٠١٥»: قناة الجزيرة.

(٤) «٨٠٠ مليار دولار قيمة الإنفاق الدفاعي العربي في ٥ سنوات»: موقع CNN العربية.

الفصل السادس: خفض الإنفاقات العسكرية

الإنفاق العسكري للدول العربية في الفترة ما بين عامي ٢٠١٠م و ٢٠١٥م أكثر من ٨٠٠ مليار دولار، وهو ما يعادل متوسطاً سنوياً بقيمة ٣٣, ١٣٣ مليار دولار، وهذه تشمل مشتريات السلاح ومخصصات رواتب العسكريين والشرطة وأجهزة الأمن والمنشآت العسكرية وصيانة المعدات الدفاعية.

وأنفقت السعودية في عام ٢٠١٣م نحو ٦٧ مليار دولار، مما يُشكّل زيادة بنسبة ١١٨٪ مقارنة بعام ٢٠٠٤م و ١٤٪ مقارنة بعام ٢٠١٢م، وجاءت في المرتبة الرابعة في الإنفاق العسكري بعد أمريكا والصين وروسيا^(١). ووفقاً لمؤسسة الدراسات الاستراتيجية (IIS)، فقد قارب الإنفاق الدفاعي للسعودية في عام ٢٠١٤م حاجز ٨١ مليار دولار، يُشكّل بذلك حوالي ١٠٪ من إجمالي الناتج المحلي السعودي، ويتحول لثالث أكبر ميزانية دفاعية في العالم^(٢). وفي ٢٠ مايو ٢٠١٧م، وقّع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب صفقة أسلحة بقيمة ٣٥٠ مليار دولار مع المملكة العربية السعودية، وتُعدّ الصفقة الأكبر في تاريخ العالم^(٣).

ولم تسلم الدول العربية الأخرى من تلك الإنفاقات؛ فقد وصل حجم النفقات العسكرية في ١٤ دولة عربية في عام ٢٠١٢م إلى أكثر من ١٨١ مليار دولار^(٤)، وبحسب إحصاءات نشرها «معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام» فإن الإنفاق العسكري في منطقة الشرق الأوسط قد بلغ في عام ٢٠١٥م ١٥٠ مليار دولار^(٥)، وأشارت تقديرات لخبراء عسكريين إلى أن دول مجلس التعاون الخليجي استحوذت على أكثر من نصف الإنفاق الدفاعي في العالم العربي في الفترة من

(١) «السعودية رابع أكبر دول العالم بالإنفاق العسكري»: قناة الجزيرة.

(٢) «الجيش السعودي: ثالث أكبر ميزانية بالعالم»: موقع CNN العربية.

(٣) «Trump signs largest arms deal in American history with Saudi Arabia: The Week»

(٤) «ارتفاع النفقات العسكرية في الدول العربية»: قناة الجزيرة.

(٥) «ارتفاع الإنفاق العسكري العالمي بعد أربع سنوات من التراجع»: موقع إسلام أون لاين.



٢٠١٠م إلى ٢٠١٥م، وخصوصًا في مجال شراء الأسلحة الحديثة، حيث إنها أنفقت أكثر من ٤٠٠ مليار دولار على القطاع العسكري^(١).

أما حجم القوات المسلحة فوصل في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا خلال عام ١٩٩٧م إلى ٨, ٢٪ من جملة قوة العمل، بينما لم يتجاوز في بقية أنحاء العالم ٨, ٠٪^(٢). وقد وصل عدد القوات المسلحة في كل من باكستان وإيران وتركيا ومصر أكثر من ٢, ١٦٤ مليون، بالإضافة إلى ٢, ٢٥٨ مليون من قوة الاحتياط^(٣).

وقد أرجع الباحثون والخبراء العسكريون زيادة الإنفاق العالمي على التسلح لعدة أسباب، من بينها:

✓ انهيار المعسكر الشرقي وتفتته إلى دويلات عديدة واجهت ظروفًا اقتصادية حرجية وصعبة في محاولة الدخول إلى عالم الاقتصاد الحر، الأمر الذي اضطرها في النهاية إلى عرض ما لديها من مخزون من الأسلحة والمعدات العسكرية للبيع، ومن هذا الإرث الهائل من ترسانة الأسلحة السوفيتية.

✓ بروز سباق التسلح بين بعض الدول، والتي كان من أبرزها سباق التسلح بين الهند وباكستان اللتين زادتا حجم إنفاقهما العسكري على التسلح من ٨, ٥٪ إلى ١٤٪ على التوالي، وخصوصًا بعدما تبادلتا إجراء اختبارات نووية في عام ١٩٩٩م.

✓ نشوب النزاعات المحلية والإقليمية في العديد من بلدان العالم، وخصوصًا في إقليم الشرق الأوسط، حيث بلغت ١٩ نزاعًا كبيرًا، تسببت في مقتل أكثر من مائة ألف شخص.

(١) «الإنفاق العربي على السلاح.. الأول عالميًا»: موقع إرم نيوز.

(٢) «العالم ينفق ١٠٣٥ بليون دولار سنويًا على التسلح»: خلف أحمد محمود أبو زيد.

(٣) «قائمة الدول حسب العدد الإجمالي للقوات العسكرية»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١٧م.



✓ الحرب الأمريكية على «الإرهاب!!»، وخصوصًا في أفغانستان والعراق، والتي أدت إلى زيادة حجم النفقات العسكرية الأمريكية على التسلّح لتصل إلى نسبة ٤٧٪ من ميزانية الدولة.

الآثار السلبية لتزايد الإنفاق العسكري

يرى عدد من المراقبين أن زيادة الإنفاق على التسلّح في بعض الدول العربية لا يرتبط في بعض الأحيان بالاحتياج الفعلي للسلاح لمواجهة عدو محتمل بقدر ما يرتبط بعقد اتفاقيات عسكرية للمساهمة في استمرار طاقة عمل مصانع غربية في إنتاج السلاح بنفس الكفاءة السابقة، ويبدو أن ذلك يُعدُّ اتفاقًا ضمنيًا أو مكتوبًا بين هذه الأطراف لضمان الدفاع والحماية، وهو الأمر الذي يبدو متناقضًا، لأن عقد الحماية لا يتسق مع توريد أسلحة لا تحتاج إليها هذه الدول.

ولا شك أن آثار الإنفاق على التسلّح لا تتوقف عند حدوده المباشرة المعروفة بما يسببه من إزهاق للأرواح وتدمير للبنى الأساسية للدول، بل له آثاره الخطيرة على التنمية ورفاهية الإنسان؛ فالعلاقة بين التسلّح والتنمية علاقة عكسية ومطرودة، ويكفي الإشارة إلى أن الأمم المتحدة قد اعتبرت في دراسة لها^(١) أن التسلّح صار مُهدِّدًا خطيرًا للأمن ومُعوقًا للتنمية؛ باعتبار أن مفهوم الأمن القومي قد اتسع نطاقه في الآونة الأخيرة ليشمل العديد من العوامل الاقتصادية والضغوط المترتبة عليها مثل: مشكلات التضخم وسعر العملة وغيرها.

إن الحجة القائلة بأن التسلّح يُستخدم لتأمين الأمن القومي ليست مقنعة؛ لأن الأمن القومي يمكن تحقيقه بالوسائل غير العسكرية، خاصة وأن مهددات الأمن القومي صار معظمها مرتبطًا بالضغوط الاقتصادية مثل مشكلات التضخم

(١) «الاقتصاد الإسلامي الفاشل»: إبراهيم علاء الدين.

وتدهور قيمة العملات الوطنية وندرة الموارد، خاصة في مجال الطاقة والموارد غير المتجددة وتلوث البيئة والتضخم السكاني ومشكلات الصراعات السياسية والاجتماعية، ومن ناحية أخرى تمّ توظيف التسليح لتحقيق أغراض غير أمنية؛ إما لتأمين الحصول على موارد المياه أو ردع دولة أو إقليم معين حتى يستجيب لرعاية مصالح الدول الأخرى تجاريًا.

ولا شك أن ارتفاع النفقات العسكرية في الدول العربية قد أثر سلبًا على نموها الاقتصادي؛ حيث انخفض نصيب الفرد من الاستهلاك والاستثمار، كما انخفض المخزون الاستراتيجي من رأس المال، وارتفعت المديونيات الخارجية، وازداد معدل التبعية الاقتصادية والاعتماد على الخارج في توفير الاحتياجات العسكرية وما يتصل بها من نفقات التشغيل والصيانة والتدريب.

وتذكر الدراسات^(١) أن السعودية احتلت في عام ٢٠٠٨م المرتبة الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة من حيث نصيب الفرد من الإنفاق العسكري؛ حيث كان نصيب المواطن السعودي ١٥١١ دولارًا من الإنفاقات العسكرية في هذا العام، مقابل ١٩٦٧ دولارًا في الولايات المتحدة. وتجدر الإشارة إلى أن الدول الخليجية هي في مقدمة دول العالم من حيث نسبة الإنفاق العسكري إلى إجمالي الناتج المحلي؛ ففي سلطنة عُمان راوحت هذه النسبة بين ١٠,٦٪ و ١٢,٣٪ خلال السنوات ما بين ١٩٩٩م و ٢٠٠٧م، وارتفعت إلى ١١,٠٤٪ في عام ٢٠٠٩م، وهي تُعدُّ النسبة الأعلى في العالم.

وفي المقابل تبدو نسب الإنفاق على كل من قطاعي الصحة والتعليم في معظم الدول الإسلامية متدنية جدًا، مقارنة بإنفاقاتها العسكرية الهائل، ولا شك أن ذلك



الفصل السادس: خفض الإنفاقات العسكرية

له من الانعكاسات السلبية الكبيرة على مستويات التنمية الاقتصادية وفرص تنمية الموارد البشرية وإيجاد رأس المال البشري المؤهل لقيادة عملية التنمية في هذه البلدان. فمثلاً، وصل حجم الإنفاق العسكري في الموازنة الاتحادية العراقية للعام ٢٠١٣م إلى ١٩,٧ تريليون دينار عراقي، أي بزيادة قدرها ٢,١٤٪ مقارنة بالسنة المالية السابقة، وهذا المبلغ يفوق مجموع الاعتمادات المخصصة لوزارات التربية والصحة والصناعة والزراعة^(١).

وفي مصر بلغ الإنفاق على التعليم في ميزانية عام ٢٠١٦م/٢٠١٧م فقط ما نسبته ٣,٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي وعلى الصحة ما نسبته ١,٥٪^(٢)، وبهذا يكون نصيب المواطن المصري من ميزانية الصحة لا يتجاوز ٦٠ دولاراً، وهو رقم لا يُذكر مقارنة بالنسب الدولية؛ حيث إنه فمن المفترض ألا يقل عن ٥٠٠ دولار للفرد الواحد، وهناك دول عربية يصل نصيب الفرد فيها إلى ألفي دولار، كما هو الحال في الإمارات أو قطر^(٣). وأما بالنسبة للتعليم فقد قدر الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر في تقرير له أن نسبة الأمية في مصر في عام ٢٠١٦م قد بلغت ٢٩,٧٪، وهي أعلى من متوسط الأمية في الوطن العربي والتي تُقدَّر بحوالي ٢٧,١٪^(٤).

ويلاحظ على القطاع العسكري في الدول العربية أنه لا يُؤلّد وظائف جديدة ولا يتيح فرص عمالة أكبر، ويعتبر من أقل القطاعات كفاءة من ناحية النفقات العامة؛ لأنه قطاع يستنزف الموارد الموجهة أصلاً للتنمية والاستثمار الاجتماعي والرفاه الاقتصادي، ووفقاً لتقديرات صندوق النقد الدولي فإن تخفيض النفقات العسكرية

(١) «ارتفاع النفقات العسكرية في الدول العربية»: قناة الجزيرة.

(٢) «الإنفاق على التعليم والصحة في الموازنة»: يوسف إبراهيم.

(٣) «العسكري يهبط ميزانية الصحة.. والمواطن وحدة من يدفع الثمن»: صحيفة الشعب المصرية.

(٤) «جهاز الإحصاء: ٢٩,٧٪ نسبة الأمية بمصر و ٢٧,١٪ في الدول العربية»: صحيفة اليوم السابع.





آثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

في العالم بمعدل ٢٠٪ سيوفر منافع كبيرة للاستثمار والاستهلاك خاصة في القطاع الخاص في الدول النامية.

حساب العائدات من تقليص الإنفاقات العسكرية

إنه مما لا شك فيه أنه لا بُدَّ لكل دولة من جيش، ولكن في حدود إمكانيات كل دولة، وبحسب مجريات الأحداث في العالم، ولأننا لا نطالب الدول الإسلامية بتسريح جيوشها والتخلي عن تأهبها العسكري، غير أننا نأمل أن تقوم كل دولة إسلامية بمراجعة إنفاقاتها العسكرية ووضع سياسات صارمة ورقابة نزيهة وفاعلة حول ما يتعلق بالجوانب العسكرية مثل صفقات السلاح واحتياجات الجيوش من سلاح وعتاد. وإنه لو قامت كل دولة إسلامية بتخفيض إنفاقاتها العسكرية (على المتوسط) بواقع ١٠ مليارات دولار في كل عام، فإن هناك أموالاً طائلة ستوفر للأمة الإسلامية - كما هو واضح من الحسابات التالية - والتي يمكن تصريفها في أمور تعود بمنفعة واضحة للأمة وشعوبها.

لغة الأرقام

العائد المتوقع من تخفيض النفقات العسكرية = ٥٦ دولة إسلامية × ١٠ مليارات دولار في العام لكل دولة = ٥٦٠ مليار دولار في العام.



الفصل السابع:

الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن

قام معهد الاقتصاد والسلام بدراسة^(١) لتقييم الأمن الداخلي والبوليس في العالم لعام ٢٠١٦م، واستخدم فيها ١٦ معياراً وضعتها الدراسة، من بينها عدد أفراد الشرطة ورجال الأمن، والنسبة بين السجناء والحد الأقصى لاستيعاب السجناء، وكيف يُقدّر مواطنو الدولة مستوى أمنهم الخاص. وقد جاءت سنغافورة في المركز الأول من حيث الاستقرار الأمني، ثم تبعها بلجيكا في المركز الثاني، ثم فرنسا في المركز الثالث. وبالنسبة للدول العربية جاء دولة الإمارات في المركز الأول، تلتها الكويت، ثم الأردن، ثم البحرين، ثم السعودية.

لكن ليست كل دول العالم تُحقّق لها أجهزتها الأمنية الأمن والسلام؛ بل على العكس من ذلك فقد يشتري الفساد في قوات الشرطة والأجهزة الأمنية لدرجة أن هذه تقوم أحياناً بالمشاركة في أنشطة إجرامية تؤذي المجتمع وتضر بالمواطنين، كما هو الحال مثلاً بالنسبة للشرطة الهايتية والمكسيكية التي انتهكت مختلف حقوق الإنسان، وكسرت العديد من القوانين، وارتكبت العديد من الانتهاكات من خطف وتهريب المخدرات وأعمال وحشية، بالإضافة إلى أنهم يرفضون التصدي لجرائم العصابات^(٢).

(١) «تقييم مستوى الأمن في دول العالم»: موقع RT News العربية.

(٢) «١٠ أجهزة شرطة الأكثر فساداً حول العالم.. و٣ دول عربية ضمن القائمة»: موقع «المصري اليوم».



وللأسف، فقد جاءت خمس دول إسلامية من ضمن الدول العشر التي لديها أكثر الأجهزة الأمنية فسادًا، وهذه الدول هي: العراق والصومال والسودان وأفغانستان وباكستان^(١). ومن أهم أسباب هذا الفساد أن العديد من رجال الشرطة يتقاضون رواتب هزيلة، مما يضطرهم الحال إلى تلقي الرشاوى لتخليص معاملات المواطنين أو لتخليص المجرمين من متابعة القانون.

ورغم كل هذا فإننا لا نشك أنه لو عمّت الاستقامة في المجتمعات الإسلامية، لتقلّصت الجرائم إلى الحدّ الذي يمكن عنده الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن الموجودين في كل المجتمعات، والذين يستنزفون الكثير من خيرات مجتمعاتهم، ولا استطاعت الدول الإسلامية الاستغناء عن غالبية رجال ومنشآت الشرطة والأمن والمحاكم في مجتمعاتها.

وإذا رجعنا إلى التاريخ الإسلامي لوجدنا أمثلة واضحة لبعض الفترات التي ساد فيها تطبيق الإسلام في المجتمع بأسره، واستغنى الناس فيها عن الشرطة ورجال الأمن، وأصبح الله - سبحانه وتعالى - الرقيب الوحيد على خبايا وسلوكيات الناس، ولهذا فقد خلت المجتمعات في تلك الحُقب من المجرمين والخارجين عن القانون، واستغنى المسلمون عن المحاكم والقضاة، فمثلاً قرأنا عن بعض أئمة الهدى الذين حكموا بشرع الله كالإمام محمد بن عبد الله الخليلي - عليه رحمة الله - الذي حكم زهاء نصف قرن ولم تحدث خلال فترة حكمه جرائم أو مخالفات تُذكر إلا حادثة سرقة واحدة. كذلك، فقد رأينا كيف يأتي مرتكب الجريمة منقادًا لشرع الله ومذعنًا لحكمه ويطلب من رسول الله ﷺ أن يطهره من جريمته، كما في قصة ماعز والغامدية.



الفصل السابع: الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن

إن هذه الأمثلة وغيرها دعتنا للقول بأن إمكانية الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن ليس ضرباً من الخيال، وخاصة إذا علمنا أن المليارات التي تنفق سنوياً على منشآت ورجال الأمن في كل الدول الإسلامية ما هي إلا لترسيخ أقدام الحكام، والإبقاء على الشعوب كالبهائم السائمة تسوقها العصا ويخدعها السراب ولا هم لها إلا قضاء شهواتها والبقاء في حمى راعيها. كذلك، فما منا إلا وقد رأى القوات الأمنية في البلدان الإسلامية وقد سُخِّرَت للاستعراض وحماية الأنظمة ومهاجمة الجيران، وسُخِّرَت كذلك لحضور المهرجانات والمباريات الختامية، والوقوف كالأصنام لاستقبال فلان وتوديع فلان، واحترام العلم وعزف السلام.

إحصائيات بعدد رجال الشرطة والأمن والمنشآت الأمنية في الدول الإسلامية

تُقدَّر قوات الشرطة في مصر بحوالي ٤٠٠ ألف^(١)، إضافة إلى قوات الأمن الأخرى التي تُقدَّر بأكثر من ٣٠٠ ألف فرد^(٢)، ويرى المُحلِّلون أن مصر تُعدُّ صاحبة النسبة الأعلى في رجال الأمن المخصَّصين لكل مواطن؛ حيث تصل إلى فرد أمن لكل ٤٥ مواطناً، مقارنة بدول أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا التي تصل النسبة فيها إلى فرد أمن لأكثر من ٢٠٠ مواطن^(٣). وأما بالنسبة للعراق فقد قُدِّر عدد أفراد الشرطة العراقية بحوالي ٤٥٠ ألف فرد^(٤)، وأظهرت إحصائيات نشرتها وكالة بلومبرغ الأمريكية أن الجزائر من أكبر الدول التي لديها أكبر عدد من أفراد الشرطة مقارنة بعدد السكان؛ حيث حلَّت في المرتبة السادسة بنسبة بلغت ٤٢٥ شرطياً لكل ١٠٠ ألف مواطن^(٥).

(١) «الوطن ترصد أدوات القوة والضغط لدولة أمناء الشرطة»: صحيفة الوطن المصرية.

(٢) «الأمن المركزي المصري»: الويكيبيديا العربية، بتاريخ ١٨/٧/٢٠١٧م.

(٣) «الداخلية ثاني أكبر الوزارات في عدد الموظفين فتضم مليون و٨٣١ ألف شخص»: جريدة الشعب الجديد.

(٤) «عدد أفراد القوات العراقية وصل إلى ٧٠٠ ألف فرد»: موقع «عربي».

(٥) «الجزائر سادس دولة في العالم من حيث عدد أفراد الشرطة»: صحيفة الحوار الجزائرية.



وإذا قمنا ببعض الحسابات البسيطة وباستخدام أقل التقديرات، لأمكننا التعرف على المبالغ الطائلة التي تصرف في هذا المجال، وفيما يلي نورد بعض المبالغ التي يمكن توفيرها لو تم الاستغناء عن بعض رجال ومنشآت الشرطة والأمن في العالم الإسلامي:

عدد رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي الذين يمكن الاستغناء عنهم

إذا افترضنا بأننا لن نستغني عن جميع رجال الشرطة والأمن، وإنما سنقوم بتخفيضهم إلى النصف - لأسباب الاستقامة والرقابة الذاتية كما ذكرنا سابقاً - فإن الرقم الذي سنستخدمه في الإحصائيات التالية هو ٢ مليون شرطي ورجل أمن (أي نصف العدد الموضح في المعادلة الموجودة في «لغة الأرقام» أدناه). كذلك فإننا سنفترض أننا سنقوم - تبعاً لتخفيض عدد الشرطة ورجال الأمن إلى النصف - بتخفيض المنشآت والأجهزة التي يستخدمونها أيضاً إلى النصف.

لغة الأرقام

عدد رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي الذين سيتم الاستغناء عنهم = ٢
مليار مسلم في العالم ÷ شرطي ورجل أمن واحد لكل ١٠٠٠ شخص = ٢ مليون شرطي ورجل أمن.

تكاليف منشآت الشرطة والأمن

تستنزف ميزانيات الشرطة والأمن قدرًا كبيرًا من ميزانيات الدول؛ فمثلاً تذكر الأرقام أن ميزانية الشرطة المصرية لعام ٢٠١٦م تعدّت ٣٣,٥ مليار جنيه (حوالي



الفصل السابع: الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن

كل واحدة من هذه المنشآت هو ١٠٠ ألف دولار فقط. كذلك فلكي نتمكن من حساب ما يمكن توفيره في كل عام من تخفيض عدد رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي وتخفيض المنشآت التي يستخدمونها، لهذا فإننا سنفترض أن تكلفة صيانة وتشغيل كل منشأة هو ١٠ آلاف دولار في العام، وأن العمر الافتراضي لكل منشأة هو ٥٠ عامًا.

لغة الأرقام

❑ عدد المنشآت الأمنية في العالم الإسلامي التي سيتم الاستغناء عنها = ٢ مليون شرطي ورجل أمن ÷ منشأة واحدة لكل ١٠٠ شرطي ورجل أمن = ٢٠ ألف منشأة.

❑ المبالغ التي يمكن توفيرها فيما لو قمنا بتخفيض عدد المنشآت التي يستخدمها رجال الشرطة والأمن إلى النصف = ٢٠ ألف منشأة × ١٠٠ ألف دولار تكلفة كل منشأة = ٢ مليار دولار.

❑ المبالغ التي ستوفر بتخفيض المنشآت إلى النصف والتي كانت تصرف على الصيانة الدورية لتلك المنشآت وعلى تشغيل الأجهزة والمعدات الموجودة بها = ٢٠ ألف منشأة × ١٠ آلاف دولار في العام تكاليف صيانة وتشغيل كل منشأة والأجهزة الموجودة به × ٥٠ سنة العمر الافتراضي لكل منشأة = ١٠ مليار دولار.

إن الأرقام التي استخدمناها في هذه المعادلات لهي دون الواقع بكثير؛ فقد رأينا سابقاً أن تكاليف إنشاء بعض المنشآت الأمنية قد تصل في بعض الأحيان إلى عشرات أو ربما مئات الملايين من الدولارات، نظرًا لما تحتويه في الغالب من تجهيزات ومعدات أمنية وتقنيات متطورة، وبالإضافة إلى ذلك فإن تكاليف صيانة وتشغيل تلك المباني والأجهزة قد تصل أحياناً إلى مئات الآلاف أو ربما ملايين الدولارات سنوياً.



تكاليف السيارات والمركبات

مما هو معلوم أن أجهزة الشرطة والأمن لديها أفضل أنواع الطائرات والزوارق والسيارات والمركبات التي تستخدمها في التنقل والمطاردة والمراقبة. كذلك، فإن الكثير من ضباط الشرطة والأمن يصرف لهم سيارات خاصة يتنقلون عليها أينما شاؤوا، ويمكن للقارئ الكريم أن يتصور النفقات الباهظة لو أننا استخدمنا أرقامًا أقرب إلى الواقع، ولكننا نسوق الأرقام البسيطة التي نستخدمها هنا فقط لتقريب الأمر للأذهان؛ فمثلاً تمتلك شرطة دبي أسطولاً من أعلى أنواع السيارات في العالم مثل بورش ولامبورجيني وفيراري وأودي ومرسيدس والتي يصل سعر بعضها إلى ٢ مليون دولار، وبعض دول الخليج تستخدم سيارات أرخص من ذلك، حيث يصل سعرها لحوالي ١٧٥ ألف دولار^(١). وفي مصر، استقبلت الشرطة المصرية أسطولاً جديداً من سيارات «كيا سيراتو» الكورية، تُقدَّر قيمة كل واحدة منها بحوالي ٢٣٥ ألف جنيه (حوالي ١٣ ألف دولار)^(٢).

كذلك، فإنه يُصرف على هذه السيارات والمركبات والطائرات والزوارق وغيرها من المعدات التي يستخدمها الشرطة ورجال الأمن الأموال الباهظة لصيانتها والمحافظة عليها، بالإضافة إلى ما يُصرف على وقودها؛ فمثلاً ذكر أن الشرطة البريطانية تنفق أموالاً باهظة على صيانة وإصلاح أساطيل سيارات الشرطة الخاصة بها؛ حيث قُدِّرت المبالغ التي أنفقتها بين عامي ٢٠١١م و ٢٠١٤م بحوالي ١٢٧,٥ مليون جنيه إسترليني^(٣).

(١) «أعلى ١٠ سيارات شرطة في العالم.. الأولى في دبي بـ ١٤ مليون جنيه»: موقع المصري اليوم.

(٢) «أسطول سيارات جديد ينضم للشرطة المصرية تعرف على أسعار تلك السيارة ومواصفاتها الفريدة»: موقع نجوم مصرية.

(٣) «١٢٧ مليون جنيه إسترليني تكلفة صيانة سيارات الشرطة البريطانية»: مايكل منير.



إننا سنفترض أن كل ١٠٠ شرطي ورجل أمن يُصرف لهم سيارة واحدة فقط في كل خمس سنوات، وأن تكلفة كل سيارة هو ١٠ آلاف دولار فقط، وتكلفة صيانتها وتشغيلها ووقودها هو ألف دولار في كل عام. كذلك، فإننا سنفترض أن هناك طائرة واحدة وزورقًا واحدًا لكل ١٠ آلاف شرطي ورجل أمن، وأن قيمة كل واحدة منها هو ١٠ مليون دولار فقط، وأن عمرها الافتراضي هو ١٠ سنوات، وأن تكاليف صيانتها وتشغيلها ووقودها هو ١٠ آلاف دولار في كل عام.

وحيث إننا بنينا الأرقام التي نسوقها هنا على اعتبار أنه سيتم تسريح نصف رجال الشرطة والأمن، وأن هذا التسريح سيتم مرة واحدة وليس في كل عام، فلذلك سنفترض أن المدة الافتراضية لبقاء كل واحد من هؤلاء في الخدمة العسكرية هو ٢٠ عامًا.

لغة الأرقام

عدد السيارات والمركبات التي سيتم الاستغناء عنها فيما لو أمكن تخفيض عدد رجال الشرطة والأمن إلى النصف = ٢ مليون شرطي ورجل أمن ÷ سيارة ومركبة واحدة لكل ١٠٠ شرطي ورجل أمن ÷ ٥ سنوات العمر الافتراضي لكل سيارة ومركبة × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ٨٠ ألف سيارة ومركبة.

المبالغ التي يمكن توفيرها من قيمة السيارات والمركبات التي سيتم الاستغناء عنها = ٨٠ ألف سيارة ومركبة × ١٠ آلاف دولار تكلفة كل سيارة ومركبة = ٨٠٠ مليون دولار.

المبالغ التي يمكن توفيرها من قيمة صيانة وتشغيل ووقود السيارات والمركبات التي سيتم الاستغناء عنها = ٨٠ ألف سيارة ومركبة × ١٠٠٠ دولار تكلفة صيانة وتشغيل ووقود كل سيارة ومركبة في العام × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ١,٦ مليار دولار.

الفصل السابع: الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن

✕ عدد الطائرات والزوارق التي سيتم الاستغناء عنها فيما لو أمكن تخفيض عدد رجال الشرطة والأمن إلى النصف = ٢ مليون شرطي ورجل أمن ÷ طائرة واحدة وزورق واحد لكل ١٠ آلاف شرطي ورجل أمن ÷ ١٠ سنوات العمر الافتراضي لكل طائرة وزورق × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ٤٠٠ طائرة وزورق.

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من قيمة الطائرات والزوارق التي سيتم الاستغناء عنها = ٤٠٠ طائرة وزورق × ١٠ مليون دولار تكلفة كل طائرة وزورق = ٤ مليار دولار.

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من قيمة صيانة وتشغيل ووقود الطائرات والزوارق التي سيتم الاستغناء عنها = ٤٠٠ طائرة وزورق × مليون دولار تكلفة صيانة وتشغيل ووقود كل طائرة وزورق في العام × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ٨ مليار دولار.

✕ المجموع الكلي لقيمة ومصاريف السيارات والمركبات والطائرات والزوارق التي يمكن الاستغناء عنها = ٨٠٠ مليون قيمة السيارات والمركبات + ١,٦ مليار مصاريف السيارات والمركبات + ٤ مليار قيمة الطائرات والزوارق + ٨ مليار مصاريف الطائرات والزوارق = ١٤,٤ مليار دولار.

رواتب الشرطة ورجال الأمن

يحصل رجال الشرطة - ورجال الأمن على وجه الخصوص - سنويًا على امتيازات كثيرة تشمل الرواتب العالية والمكافآت والمكرمات وخدمات الترفيه المقدمة في نوادي الشرطة والضباط، إلى غير ذلك من الامتيازات. فمثلاً، يبلغ متوسط الدخل السنوي لأفراد الشرطة في كندا حوالي ١٠٠ ألف دولارًا، وهو يُعتبر الأعلى عالميًا، وتأتي رواتب الشرطة البريطانية في المرتبة السابعة عالميًا؛



حيث يبلغ متوسط راتب الضابط ٣١ ألف جنيه إسترليني (٣٨ ألف دولار) في العام^(١). وأما في دولة الإمارات فتبدأ رواتب الشرطة الشهرية من ١٤ ألف درهم لرتبة «شرطي»، لتصل إلى ١٠٦ آلاف درهم لرتبة «عميد»، ثم إلى ١٧٣ ألف درهم لرتبة «فريق أول»^(٢).

وما سنستخدمه في التقديرات التالية من أرقام هو لرواتب الشرطة والأمن فقط، وسنفترض تقديرات بسيطة جدًا لتلك الرواتب؛ حيث سنفترض أن راتب كل شرطي ورجل أمن (بما فيهم الضباط) لا يتجاوز ٣٠٠ دولار شهريًا.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من رواتب الشرطة ورجال الأمن الذين سيتم تسريحهم = ٢ مليون شرطي ورجل أمن $\times ٣٠٠$ دولار راتب شهري $\times ١٢$ شهر في السنة $\times ٢٠$ سنة مدة الخدمة العسكرية = ١٤٤ مليار دولار.

تكاليف البدلات

يصرف على كل شرطي ورجل أمن بدلات ونياشين خاصة بالإضافة إلى المكاتب والأجهزة وغير ذلك، لكننا سنقتصر هنا على تكاليف البدلات فقط، وسنفترض بدلة واحدة في العام لكل شرطي ورجل أمن، وأن قيمة البدلة الواحدة هو ٣٠ دولارًا فقط.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي ستوفر من قيمة بدلات رجال الشرطة والأمن الذين سيتم تسريحهم = ٢ مليون شرطي ورجل أمن $\times$ بدلة واحدة في العام $\times ٣٠$ دولار تكلفة كل بدلة $\times ٢٠$ سنة مدة الخدمة العسكرية = ١,٢ مليار دولار.

(١) «أعلى ٧ رواتب لأفراد الشرطة في العالم»: أحمد عواد.

(٢) «قوانين الرواتب والعلاوات»: موقع وزارة الداخلية الإماراتية.



تكاليف الأجهزة والمعدات

الأجهزة والمعدات التي نذكرها هنا هي أجهزة الكمبيوتر والطابعات وآلات التصوير وأجهزة المراقبة والتنصت وأجهزة الاتصال وغيرها، والتي في الغالب ما تكون في متناول كل شرطي ورجل أمن، ولا يخفى بأننا لم نتطرق هنا إلى الأجهزة الأقل كلفة كالهواتف المتنقلة والمحمولة وأجهزة الاتصال اليدوية والتي لا تكاد تخلو منها يد أو جيب شرطي أو رجل أمن. كذلك، فإننا سنفترض أن العمر الافتراضي لكل جهاز هو خمس سنوات، وهذا يعني أنه في فترة الخدمة العسكرية الافتراضية، وهي عشرون عامًا، سيتم صرف أربعة أجهزة لكل عشرة أشخاص.

لغة الأرقام

✕ الأموال التي يمكن توفيرها من قيمة المعدات والأجهزة التي يستخدمها الشرطة ورجال الأمن الذين سيتم تسريحهم = ٢ مليون شرطي ورجل أمن ÷ جهاز واحد لكل ١٠ أشخاص × ٣٠٠ دولار لكل جهاز ÷ ٥ سنوات العمر الافتراضي لكل جهاز × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ٢٤٠ مليون دولار.

العائد الإنتاجي من إعادة توظيف رجال الشرطة والأمن

لو تم الاستغناء عن نصف رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي وعملوا في أعمال أخرى، لأمكن الحصول على عائد إنتاجي كبير بسببهم. لنفترض أن الواحد منهم سيعمل بمعدل ٤٠ ساعة في الأسبوع وأن العائد الإنتاجي لكل ساعة هو دولار واحد فقط.

لغة الأرقام

✕ العائد الإنتاجي الذي سيتمكن الحصول عليه من جراء انخراط رجال الشرطة والأمن الذين سيتم تسريحهم في أعمال تعود بالنفع عليهم وعلى أمتهم = ٢ مليون شرطي ورجل أمن × ١٦٠ ساعة عمل في الشهر × دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة عمل × ١٢ شهر في السنة × ٢٠ سنة مدة الخدمة العسكرية = ٧٦,٨ مليار دولار.



العائد الإجمالي من الاستغناء عن نصف رجال الشرطة والأمن

بعد كل هذا التفصيل الذي أوردناه للجوانب المتعلقة بمصاريف رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي، يمكننا الآن حساب المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها فيما لو أمكن الاستغناء عن نصف عدد رجال الشرطة والأمن، وما يصاحب ذلك من الاستغناء عن المنشآت والأجهزة والمعدات التي يستخدمونها، كما هو واضح من المعادلات التالية:

لغة الأرقام

- ✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من تخفيض عدد المنشآت التي يستخدمها رجال الشرطة والأمن إلى النصف = ٢ مليار دولار.
- ✕ المبالغ التي ستوفر من الصيانة الدورية لتلك المنشآت = ١٠ مليار دولار.
- ✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من قيمة ومصاريف السيارات والمركبات والطائرات والزوارق التي سيتم الاستغناء عنها = ١٤,٤ مليار دولار.
- ✕ الأموال التي يمكن توفيرها من رواتب الشرطة ورجال الأمن الذين سيتم تسريحهم = ١٤٤ مليار دولار.
- ✕ الأموال التي ستوفر من قيمة بدلات رجال الشرطة والأمن الذين سيتم تسريحهم = ١,٢ مليار دولار.
- ✕ الأموال التي يمكن توفيرها من قيمة المعدات والأجهزة التي يستخدمها الشرطة ورجال الأمن الذين سيتم تسريحهم = ٢٤٠ مليون دولار.
- ✕ العائد الإنتاجي الذي سيتم الحصول عليه من جراء انخراط رجال الشرطة والأمن الذين سيتم تسريحهم في أعمال تعود بالنفع عليهم وعلى أمتهم = ٧٦,٨ مليار دولار.



الفصل السابع: الاستغناء عن رجال الشرطة والأمن

- ✕ المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها فيما لو تم الاستغناء عن نصف رجال الشرطة والأمن في العالم الإسلامي = $2 + 10 + 14,4 + 144 + 1,2 = 24,8 + 76,8 = 248,64$ مليار دولار.
- ✕ متوسط هذا التوفير في كل عام = $248,64 \div 20$ سنة مدة الخدمة العسكرية = $12,4$ مليار دولار في العام.



الفصل الثامن: التخلص من الأمراض الفتاكة

لا شك أن حالات الانحراف والخلاعة التي سادت مجتمعات المسلمين في هذا العصر قد أفرزت العديد من الأمراض المعدية التي أصبحنا نسمع عن مسمياتها بين حين وآخر، والتي لم تكن مضت في أسلافنا الذين مضوا، كما جاء في الحديث الشريف^(١). ومن أمثلة هذه الأمراض: الإيدز والسارس والجمرة الخبيثة وجنون البقر. كذلك، فإن هناك ما لا يُتصوّر من الحالات والأمراض النفسية كالضغط والاكتئاب النفسي والقلق. ومما لا يخفى على أحد أن المستقيمين على منهج الله - سبحانه وتعالى - هم أقل الناس عرضة لهذه الأمراض نظرًا لاستقامتهم على شرع الله، وعدم السَّير في أماكن الشُّبه كالنوادي الليلية والحانات وغيرها، والتي تعتبر مرتعًا للمصابين بهذه الأمراض.

ولم تكتف ظاهرة انتشار الأمراض الفتاكة أن تأخذ طرقها الطبيعية للعدوى كمثل نقل الدم والمباشرة الجنسية بين الأزواج وإنما تعدّته لتصبح نتيجة حتمية

(١) جاء في الحديث: « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَنَسَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشَدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَنَعُوا الْفَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بِغَضِّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ » رواه ابن ماجه في باب العقوبات (حديث رقم: ٤٠١٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (حديث رقم: ٤٦٧١).

لمخططات يدير دفتها المفسدون في الأرض من يهود ونصارى وهندوس. وقد أشارت الدراسات^(١) إلى قيام الدولة الصهيونية بتجنيد المئات من الغانيات المصابات بفيروس الإيدز والإيعاز لهنّ للعمل في النوادي الليلية، وكخدمات في البيوت وخاصة في دول الخليج العربي.

الحقائق والأرقام التي سنسوقها في الفصول التالية من هذا الباب تحاول إلقاء الضوء على الأموال الطائلة التي تُهدّر حاليًا على علاج واحتواء هذه الأمراض الفتاكة، والتي يمكن أن تُسخّر في بناء المجتمعات لو استطعنا - باستقامتنا - تفادي تلك الأمراض والآفات المعدية.

عدد المصابين بالأمراض الفتاكة عالميًا

لقد انتشرت الأمراض الفتاكة في هذا العصر انتشار النار في الهشيم، وطالت يدها جميع الدول، والإحصائيات المتوفرة خير دليل على ذلك، ولنبدأ أولاً بالإحصائيات العالمية، حيث وصل عدد الحاملين لفيروس الإيدز في العالم مثلاً إلى أكثر من ٧٨ مليون حالة منذ اكتشاف أول حالة له في عام ١٩٨١م إلى الآن، وقد مات إلى الآن أكثر من ٣٩ مليون من هؤلاء، وفي عام ٢٠١٤م وحدها مات منهم أكثر من ٢, ١ مليون شخص^(٢).

وتشير الإحصائيات إلى وجود ٤٤٨ مليون حالة للأمراض المنقولة جنسيًا كالزهري والسيلان وغيرها^(٣)، وفي بريطانيا وحدها فإن شخصًا واحدًا على الأقل (في الغالب من الذين يعملون فاحشة قوم لوط) من كل ١٠٠٠ شخص يصاب

(١) «شبكة جاسوسية للموساد في القاهرة تستغل الجنس وتشر المخدرات ومرض الإيدز»: د. سمير محمود فديح.

(٢) انظر «بيانات الإيدز عالميًا حتى عام ٢٠١٤»، و «الإيدز بلغ رقمًا قياسيًا بأوروبا»، على قناة الجزيرة.

(٣) «أنواع العدوى المنقولة جنسيًا»: منظمة الصحة العالمية.

ويُعتبر السرطان ثاني سبب رئيسي للوفاة في العالم، وقد حصد في عام ٢٠١٥ ٨,٨ مليون شخص، وتُعزى إليه وفاة واحدة تقريباً من أصل ٦ وفيات على صعيد العالم، وتكبّد الاقتصاد العالمي بسببه في عام ٢٠١٠ م حوالي ١٦,١ تريليون دولار^(١).

عدد المصابين بالأمراض الفتاكة في العالم الإسلامي

ولم تسلم البلدان الإسلامية من هذه الأوبئة الفتاكة، وخاصة الدول المعروفة بانحلالها الأخلاقي وبانتشار الرذيلة فيها؛ فقد أشارت الإحصائيات^(٢) إلى وجود أكثر من ربع مليون حالة لمرض الإيدز مسجلة في الدول العربية إلى عام ٢٠١٣ م، منها ما يزيد عن ٢٤ ألف حالة إصابة بالإيدز في المغرب، مات منهم في عام ٢٠١٥ م أكثر من ١٣٠٠ شخص^(٣)، وما يزيد عن ٢٠٠٠ حالة في لبنان^(٤)، وفي السعودية ارتفعت عدد الحالات من حوالي ١٨ ألف حالة في عام ٢٠١٣ م^(٥) لتصل إلى قرابة ٢٣ ألف حالة في عام ٢٠١٥ م^(٦)، وفي مصر بلغت عدد الحالات منذ عام ١٩٨٦ م إلى أكثر من ٨٤ ألف حالة^(٧).

أما التهاب الكبد الوبائي (c) فإن عدد المصابين به في مصر وحدها يصل إلى ١٥ مليون مصاب^(٨). وأما السكري فقد وصلت نسبة الإصابة به في دول الخليج العربي إلى حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان^(٩)، ووصلت نسبة الإصابة به في دولة

(١) «السرطان»: صحيفة وقائع، عدد فبراير ٢٠١٧ م.

(٢) «الإيدز في العالم العربي.. أرقام مرعبة وحقائق محزنة»: قناة الجزيرة.

(٣) «أرقام صادمة عن السيدا في المغرب»: موقع بديل.

(٤) «السيدا في لبنان: ١٠٨ إصابات جديدة في ٢٠١٦ م»: موقع المردة.

(٥) «مريض الإيدز يكلف الدولة ٣٣٣ ريالاً يومياً»: صحيفة الشرق السعودية، العدد (١٠٩٤).

(٦) «كم عدد مصابي الإيدز في السعودية»: قناة العربية.

(٧) «كم عدد مصابي الإيدز في مصر»: قناة العربية.

(٨) «خبير زراعة الكبد: ١٥ مليون مواطن مصابون بفيروس س»: صحيفة اليوم السابع المصرية.

(٩) «نسبة الإصابة بالسكري في الخليج من الأعلى في العالم»: صحيفة الحياة السعودية.

كذلك فقد أوضح جون كيفتش- المدير التنفيذي لبنك ستاندارد تشارتارد في ماليزيا- أن ١٠٪ من موظفي البنك البالغ عددهم خمسة آلاف يتغيّبون عن العمل يوميًا لأمر ترتبط بالإيدز، حيث إنهم إما أن يكونوا مرضى أو أنهم يتغيّبون لمساعدة أقارب مرضى لهم أو أنهم يتغيّبون لحضور جناز^(١). وفي دراسة أخرى أجراها برنامج الأمم المتحدة المشترك للإيدز «UN AIDS» على المناطق الحضرية في دولة ساحل العاج تبين أن العائلات التي لديها مصاب بالإيدز تضطر لتخفيض إنفاقها على تعليم أطفالها بنسبة ٥٠٪، وتضطر أيضًا لتخفيض استهلاكها من الغذاء بنسبة ٤٠٪، وذلك في محاولاتها لتغطية نفقات الرعاية الطبية لمرضىها، وتزداد هذه المعاناة مع مرور الوقت بسبب تقدّم مراحل المرض وارتفاع أسعار الأدوية والعقاقير.

وبالنسبة للآثار الاجتماعية فلا تقتصر مشاكل المصابين والمصابات بالإيدز على الجانب الصحي وعبء المرض نفسه، بل تتجاوز ذلك إلى المعاناة من الوصمة، والتمييز والتهميش الاجتماعي، وإنكار حقوقهم في المساواة والحياة الكريمة، وتحديد حرية حركتهم وسفرهم، وإنكار حقهم من التعليم. كذلك، فإنه في معظم الأماكن، يكون الرجال والنساء الذين يُتوقّفون بسبب مرض الإيدز بين سن ٢٠ و ٤٠ سنة، ولذلك يكونون مسؤولين عن رعاية أطفالهم، وفي بعض الأحيان آبائهم أو أجدادهم أو أحفادهم، وعندما يموت هؤلاء الرجال والنساء، غالبًا ما يُترك الأطفال والشيوخ بدون من يعولهم، ويعاني الأطفال اليتامى من انخفاض الفرص في مواصلة التعليم، وانخفاض كمية الغذاء التي يتناولونها مقارنة بالأطفال الآخرين، وقد أشار أحد الخبراء^(٢) أنه في عام ٢٠٠٤م كان يوجد في أفريقيا وحدها أكثر من ١١ مليون يتيم بسبب هذا المرض.

(١) «سرقة أدوية لمعالجة الإيدز بأوغندا وبيعها في الأسواق»: قناة الجزيرة.

(٢) «الجوع ومرض الإيدز يفتكان بسكان أفريقيا الجنوبية»: موقع مركز أنباء الأمم المتحدة.





سعر قرص العلاج الواحد في بعض الدول إلى حوالي ٧٤٠ دولاراً^(١). كذلك فقد أشارت دراسة أجراها البنك الدولي عام ١٩٩٧م^(٢) إلى أن تكلفة الرعاية الطبية لمرضى الإيدز خلال عام واحد تساوي ٢٠٧ أضعاف نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي لبعض الدول، وأن هذه التكلفة تفوق ما يصرف على تعليم عشرة تلاميذ في المرحلة الابتدائية بأكملها.

ولا تقتصر الإنفاقات الباهظة على مرض الإيدز فقط وإنما تشمل الكثير من الأمراض الفتاكة الأخرى؛ فمثلاً تنفق المملكة العربية السعودية وحدها ما يزيد على ٤٣ مليار ريال سعودي سنوياً على علاج المصابين بمرض السكري فقط^(٣)، وأما الإنفاق العالمي على هذا المرض فقد تجاوز ٦٧٣ مليار دولار في عام ٢٠١٥م^(٤).

استثناساً بهذه التقديرات فإنه يمكننا افتراض ١٠٠٠ دولار فقط في العام الواحد كتقدير لمجموع تكاليف كل حالة، وهذه التكاليف تشمل الأدوية والعلاج الطبيعي والعلاج النفسي، وتكلفة إقامة المنشآت ومراكز العلاج لاحتواء هذه الأمراض. كذلك فإن هناك تكاليف شراء وتشغيل وصيانة الأجهزة والمعدات المستخدمة في العلاج، والأموال التي تدفعها شركات التأمين للمصابين بهذه الأمراض أو إلى أقربائهم كتعويضات. وبالإضافة إلى كل هذا، فإن هناك تكاليف حملات التوعية الإعلامية، والتغيير في المناهج التربوية والتعليمية. لو استخدمنا هذه الأرقام المبسطة لأمكننا تقدير ما يمكن توفيره للأمة لو تطهر المجتمع الإسلامي من تلك الآفات بسبب استقامته على دين الله، وسيره على المنهج الذي رسمه له رب

(١) «شركة رفعت سعر علاج الإيدز بنسبة ٥٠٠٪ فخسرت بقسوة»: موقع سكاى نيوز.

(٢) «الإيدز AIDS .. وباء العصر الحديث .. مريض كل ٥ ثوان .. وحالة وفاة كل ١١ ثانية»: منتديات ستار تايمز.

(٣) «٤٣ مليار ريال متوقعة لتكلفة علاج السكري في المملكة»: موقع الاقتصادية.

(٤) «اليوم العالمي للسكري»: موقع الجمعية القطرية للسكري.



في العام، كما يلي:

لغة الأرقام

✕ العائد الإنتاجي للمتوفين من المسلمين بسبب الأمراض الفتاكة لو لم يصابوا بتلك الأمراض = ٢٠ مليون شخص ÷ حالة واحدة بين كل ١٠ آلاف حالة × ١٦٠ ساعة عمل في الشهر × دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة × ١٢ شهرًا في العام × ٢٠ عامًا العمر الافتراضي للبقاء في العمل = ٧٦,٨ مليون دولار في العام.

✕ العائد الإنتاجي للمُقعدين عن العمل من المسلمين بسبب الأمراض الفتاكة لو لم يصابوا بتلك الأمراض = ٢٠ مليون شخص ÷ حالة واحدة بين كل ١٠٠٠ حالة × ١٦٠ ساعة عمل في الشهر × دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة × ١٢ شهرًا في العام × ٢٠ عامًا العمر الافتراضي للبقاء في العمل = ٧٦٨ مليون دولار في العام.

المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها بعد التخلص من الأمراض الفتاكة

لغة الأرقام

✕ المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها في العام الواحد فيما لو أمكن القضاء على الأمراض الفتاكة في العالم الإسلامي = ٢٠ مليار يمكن توفيرها من علاج تلك الأمراض + ٨٤٤,٨ مليون عائد إنتاجي من تشغيل المتوفين والمُقعدين بسبب الأمراض الفتاكة = ٢٠,٨٤٤ مليار دولار في العام.



الفصل التاسع:

تخفيض حوادث السير والجرائم المختلفة

إنه مما لا نزاع عليه أن معظم حوادث السير والجرائم تقع - على وجه الخصوص - بسبب الطيش المتزايد بين فئات الشباب، وللفساد الأخلاقي والسلوكي، وفقدان الرقيب في قلوب هؤلاء. ورغم أن هناك - وللأسف الشديد - من المتسببين إلى الاستقامة من يتسبب في وقوع حوادث أو جرائم، إلا أن غالبية المتسببين لها هم من ضعاف الإيمان. وقد أكد هذا الاستنتاج ما توصلت إليه الباحثة «بانان» إلى أن المتسببين في حوادث السير يندرجون ضمن إحدى ثلاث مجموعات^(١): ١ - ذوي السوابق الإجرامية، ٢ - ذوي السوابق النفسية، ٣ - المعانون من نقص الذكاء. كذلك يرى الدكتور أحمد النابلسي في ورقة قدّمها إلى مؤتمر حوادث السير في دول الخليج العربي الذي انعقد في الكويت في مارس ٢٠٠٢م أن من مسببات الحوادث الغضب المسعور واضطراب المزاج والميول التخريبية للمجتمع والإدمان، وكلها آفات قد حفظ الله منها المؤمنين^(٢). ولا شك أن من أهم مسببات الحوادث فساد الطرقات بسبب الغش في الإنجاز والصيانة، وهذا راجع إلى بُعد الناس - المسؤولين والمنفذين للمشاريع - عن الاستقامة على دين الله.

(١) «علاقة حوادث السير بتشويه الدفاعات النفسية»: الدكتور محمد أحمد النابلسي.

(٢) المرجع السابق.



والمسلم- كما نعلم- أحرص الناس على أرواح الآخرين وعلى عدم التعرض بالأذى للغير، ولهذا فيمكننا الجزم بأنه لو استقامت المجتمعات الإسلامية على دين الله لانعدمت الجرائم وقلّت حوادث السير إلى درجة ملحوظة، والمؤمن دائماً يضع نصب عينيه قوله سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَنَجَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وفيما يلي نتطرق إلى بعض أنواع الجرائم التي تشب في مجتمعاتنا وما تحملها من هدر للثروات وهدم للبيوت والعورات.

حوادث السير

ذكرت الإحصائيات^(١) أن عدد حالات الوفاة الناجمة عن حوادث السير حول العالم تبلغ سنوياً ١,٢٥ مليون حالة منذ عام ٢٠٠٧م، ويقع في السعودية وحدها أكثر من ٥٥٠ ألف حادث مروري سنوياً، ينتج عنها نحو ٨٠٠٠ حالة وفاة (أي حوالي ٢٤ حالة بين كل ١٠٠ ألف نسمة) و ٣٨ ألف مصاب، ويحتل ضحايا الحوادث المرورية أكثر من ٣٠٪ من أسرة مستشفيات المملكة، وهي نسبة تُعدُّ أكبر من النسب العالمية بمراحل؛ حيث إنها عالمياً لا تتعدى ١٥٪^(٢).

(١) «كم عدد وفيات حوادث السير في العالم؟»: صحيفة zaman التركية.

(٢) «حوادث الطرق ٢٤.. وفاة لكل ١٠٠ ألف نسمة في المملكة سنوياً»: رنا حكيم.



الفصل التاسع: تخفيض حوادث السير والجرائم المختلفة

وقد أصدرت القيادة العامة للمرور في السعودية تقريراً^(١) حول الحوادث المرورية في المملكة على امتداد الثلاثين سنة من ١٤٠٠هـ إلى ١٤١٩هـ، فوجدت أنها قد بلغت أكثر من مليون ونصف حادث مروري، تسببت في وفاة قرابة ٨٠ ألف شخص، وإصابة أكثر من ٥٨٨ ألف آخرين، وأكد التقرير أن عدد الوفيات قد يتضاعف إذا أخذ في الاعتبار عدد من يموتون في المستشفيات أثناء تلقي العلاج، وأما المصابون بسبب هذه الحوادث فإن أكثر من ألفي شخص منهم سنوياً ينتهون بإعاقة مستديمة.

أما في الأردن فقد وقعت بين عامي ٢٠٠٩م و ٢٠١٤م ٧٢٨٥١٧ حادثاً، أدت إلى وفاة ٤٨١٢ شخصاً وإصابة أكثر من ٩٩ ألف شخص^(٢)، وفي عام ٢٠١٦م بلغ عدد حوادث السير ١٤٤٥٢١ حادثاً، نجم عنها وفاة ٧٥٠ شخصاً، وإصابة ١٨٤١ شخصاً بإصابات بالغة و ١٥٥٩٤ شخصاً بإصابات متوسطة وبسيطة^(٣). وفي تركيا بلغت حوادث السير في عام ٢٠١١م أكثر من ٦,٥ مليون حادث، أدت إلى وفاة أكثر من ٤٥ ألف شخص^(٤). وفي سلطنة عمان وقعت بين عامي ٢٠١٢م و ٢٠١٦م أكثر من ٢٩ ألف حادث مروري، أدت إلى وفاة ٣٥٤٣ شخصاً وإصابة ١٦١٥١ شخصاً^(٥).

وتعزو كثير من التقارير أحد الأسباب لارتفاع نسبة الحوادث إلى الارتفاع الهائل في عدد المركبات؛ ففي الأردن مثلاً زادت من مركبة واحدة لكل ٥٨ شخصاً

(١) «ما لا يعرفه السعوديون... عن أبنائهم»: فوزية الخليوي.

(٢) «حرب الحوادث» تستنزف الأرواح والأموال: صحيفة الرأي الأردنية.

(٣) «التقرير السنوي للحوادث المرورية في الأردن لعام ٢٠١٦م»: مديرية الأمن العام الأردنية.

(٤) «تركيا: عدد حوادث السير بلغت ٦ ملايين و ٥٣٦ ألف حادث سير ما أدى الى وفاة أكثر من ٤٥ ألف شخص»:

موقع يازا.

(٥) «حقائق عامة عن المنظومة المرورية في السلطنة ٢٠١٦»: المركز الوطني للإحصاء والمعلومات.



في عام ١٩٧١ م لتصل إلى مركبة لكل ٧ أشخاص في عام ٢٠١٦ م^(١)، وفي دولة الإمارات وصل عدد السيارات في عام ٢٠١٣ م إلى مليونين و ٥٠٠ ألف سيارة تقريباً^(٢)، وفي سلطنة عمان زادت عدد المركبات في الفترة بين عامي ٢٠١٢ م و ٢٠١٦ م بنسبة ٣٢٪^(٣).

الخسائر الاقتصادية لحوادث السير

ليست الوفاة والإعاقات المستديمة هي كل ما تسببه الحوادث المرورية وإنما الخسائر الاقتصادية الناجمة عنها؛ فبحسب الإحصائيات الأخيرة فإن حوادث المرور تُكَلِّف العالم سنوياً ٥١٨ مليار دولار^(٤). وحسب تقديرات الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء في مصر، فإن التكلفة الإجمالية لحوادث السيارات في عام ٢٠١٥ م في مصر قد بلغت نحو ٢,٣٠ مليار جنيه^(٥)، وفي السعودية بلغت ٧,٨ مليار ريال سعودي لنفس العام^(٦)، وفي الإمارات دفعت شركات التأمين خلال السنوات الخمس من ٢٠٠٦ م إلى ٢٠١٠ م نحو ٤,١٣ مليار درهم على شكل تعويضات عن وفيات وإصابات وأضرار مادية^(٧)، وفي الأردن دفعت شركات التأمين كتعويضات لحوادث السير خلال ٢٠١٤ م و ٢٠١٥ م أكثر من ٢٦٦ مليون دينار أردني^(٨).

(١) «التقرير السنوي للحوادث المرورية في الأردن لعام ٢٠١٦ م»: مديرية الأمن العام الأردنية.

(٢) «مليونان و ٥٠٠ ألف سيارة مسجلة في الدولة»: جريدة الاتحاد الإماراتية.

(٣) «حقائق عامة عن المنظومة المرورية في السلطنة ٢٠١٦»: المركز الوطني للإحصاء والمعلومات.

(٤) «٥١٨ مليار دولار إجمالي تكاليف حوادث المرور عالمياً»: جريدة لوسيل.

(٥) «٣٠ مليار جنيه تكلفة حوادث السيارات بمصر خلال ٢٠١٥»: موقع العربي الجديد.

(٦) «خسائر الحوادث مليارا دولار خلال عام في السعودية»: جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٦٢٢.

(٧) «الحوادث المرورية تكلف شركات التأمين ٤,١٣ مليار درهم في ٥ سنوات»: صحيفة الخليج.

(٨) «حرب الحوادث» تستنزف الأرواح والأموال»: صحيفة الرأي الأردنية.

الفصل التاسع: تخفيض حوادث السير والجرائم المختلفة

التكاليف التي أشرنا إليها تشمل علاج المصابين، والدَّيَّات المدفوعة لورثة المتوفين في هذه الحوادث، وتكاليف إصلاح المركبات المتضررة، والتعويضات التي تُدفع لمن تضررت ممتلكاتهم بالحوادث، بالإضافة إلى الغرامات التي تُدفع للشرطة، وتكاليف المحاكم والمحامين والسجون، وهناك أيضًا المبالغ التي يدفعها المتعرضون لهذه الحوادث لشركات التأمين، وما تدفعه شركات التأمين من تعويضات للمصابين أو ذويهم أو الجهات المتضررة الأخرى.

حساب العائدات التي يمكن توفيرها من خفض حوادث السير

الإحصائيات السابقة التي أشرنا إليها هي فقط نماذج لما يحدث في بلدان العالم الإسلامي، ولهذا فلكي نتمكن من وضع تقديرات بما يمكن أن يتوفر للأمم الإسلامية من أموال طائلة تُهدَر بسبب الحوادث المرورية فإننا سنفترض أنه كان بالإمكان تخفيض نسبة حوادث السير بواقع حادث سير واحد فقط في السنة بين كل ١٠٠٠ مسلم، وأن المبالغ التي أمكن توفيرها في كل حادث تُقدَّر بـ ٢٠٠٠ دولار فقط.

لغة الأرقام

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من خفض نسبة حوادث السير = ٢ مليار مسلم في العالم × حادث سير واحد في العام يمكن تفاديه بين كل ١٠٠٠ شخص × ٢٠٠٠ دولار يمكن توفيرها في كل حادث = ٤ مليار دولار في العام.

إن الخفض الحقيقي الذي يمكن أن تحصل عليه الأمة في حوادث السير هو ليس حادث سير واحد فقط بين كل ألف مسلم، وإنما يزداد كلما استقام شخص على دين الله؛ لأنه عندها يتحوَّل هذا الشخص المستقيم من كونه معول هدم للأُسَر والممتلكات إلى أداة بناء وإصلاح للمجتمع بأسره.



إن المستقيم على دين الله يضع الله نصب عينيه منذ أن يضع رجله على مكبح الوقود ويديه على مقود السيارة وإلى أن يترجل عن سيارته. إنه يراقب الله وهو يدفع بسيارته للأمام، إنه يعلم أن تلك السيارة نعمة امتنها الله - سبحانه وتعالى - عليه، ولذا فعليه أن لا يسيء استخدامها سواءً بالسرعة المتهورة أم بعدم الانتباه أثناء القيادة. إن المؤمن - وهو يعتلي كرسي القيادة في سيارته - ليطأطئ رأسه تواضعاً لله الذي سخر له تلك النعمة العظيمة، ولهذا تراه يقودها بخشوع وخشية من الله خوفاً من أن يصدر منه ما يُعتبر إساءة لتلك النعمة فيجرده الله منها.

كذلك فإن المستقيم لينظر إلى غيره من الكائنات - وهي تمر أمام ناظريه - نظرة احترام وتعظيم؛ فهو يرى بنور الله أن تلك الكائنات خلقت من مخلوقات الله الغارقة في تعظيمها وخشيته وتسبيحها وتقديسها لله العظيم، ولذا فما كان له أن يُعكّر صفو مناجاتها لخالقها، ويقطع حبل الصلة ببارئها. إن هذا الوصف المتواضع للشعور الرباني والإحساس القدسي الذي يستولي على مشاعر كل مستقيم ما هو من نسج الخيال ولا قلباً للحقائق، وإنما محاولة متواضعة لوصف حقيقة ما يجري بين جنات النفس المؤمنة، ولا يستشعره إلا من ذاق حلاوته وتربى على نفحاته.

حوادث القتل المتعمد والانتحار

هناك من الناس من انقاد لشيطان هواه، فاستعبده حتى ورّثه ما كان السبب لإخراج الشيطان من الجنة وتحقق عذابه يوم القيامة، ألا وهو منازعة الله في سلطانه، وعدم الانقياد لملكه وجبروته. هؤلاء الناس أنفوا من حياتهم فتعالوا على الله في سلطانه، فنازعوه حق الإحياء والإماتة، ولذا تراهم يسلبون أرواحهم وأرواح الآخرين بلا حق شرعي، والرسول ﷺ يقول: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(١).



الفصل التاسع: تخفيض حوادث السير والجرائم المختلفة

إن قتل النفس بغير حق ليعتبر من الموبقات التي تُخَلِّد صاحبها في النار- والعياذ بالله- إن لم يتب منها توبة نصوحًا خالصة قبل موته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وكما جاء في الحديث الشريف: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

إن حوادث القتل المتعمد قد تشمل القتل بالرصاص أو الدهس المتعمد بالحافلات أو الضرب- حتى الموت- بالأدوات المختلفة، وهذه الجرائم قد أصبحت من السمات البارزة لكثير من مجتمعات الدول «المتحضرة». كذلك فقد يندرج تحت هذه الفئة عمليات الانتحار، التي قُدِّرَتْ بحوالي ٨٠٠ ألف حالة سنويًا على مستوى العالم، أي بمعدل حالة واحدة كل ٤٠ ثانية^(٢)، واعتبر الانتحار السبب الثاني للوفاة على المستوى الدولي في الفئة العمرية بين ١٥ و ٢٩ عامًا^(٣)، وكثير من هؤلاء يلجؤون لاستخدام السم أو الشنق أو إطلاق النار لإنهاء حياتهم.

وفي العالم العربي تحدث يوميًا حوالي ٢٠٠٠ حالة انتحار^(٤)، وبلغت في عام ٢٠١٦م- حسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية وبعض المراكز الحقوقية- حوالي ٨٠٠ ألف حالة^(٥)، وبلغت في الأردن وحدها ٤٤٦ حالة بين عامي ٢٠١١م و ٢٠١٥م^(٦)، وفي بعض الدول العربية كالسودان وجيبوتي قُدِّرَتْ بأكثر من ١٠ حالات لكل ١٠٠ ألف^(٧)، وهناك من يوصلها في السودان إلى حوالي ١٧,٢ حالة

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٥٧٧٨).

(٢) «الانتحار»: صحيفة وقائع، عدد مارس ٢٠١٧م.

(٣) «الصحة العالمية: حالة انتحار كل ٤٠ ثانية في العالم»: موقع النيلين.

(٤) «معلومات صادمة عن الانتحار في الوطن العربي»: موقع كسرة.

(٥) «نسب مرعبة لحالات الانتحار في الوطن العربي خلال ٢٠١٦»: موقع روتانا.

(٦) «١١٧ حالة انتحار العام الماضي والأعلى بتاريخ المملكة»: صحيفة الغد الأردنية.

(٧) «الانتحار في العالم العربي»: موقع رصيف ٢٢.



لكل ١٠٠ ألف من السكان^(١). ولم تسلم بعض الدول العربية الأخرى من تفشي هذه الجريمة، وإن كانت بنسب أقل؛ فمثلاً قُدِّرَت في المغرب بـ ٣,٥ حالة، وفي قطر بـ ٦,٤ حالة، واليمن بـ ٧,٣ حالة، ودولة الإمارات بـ ٢,٣ حالة^(٢).

حساب العائد الاقتصادي من خفض نسبة القتل المتعمد في العالم الإسلامي

لا شك أن الخسائر الاقتصادية لمكافحة حالات الانتحار وغيرها من حالات القتل المتعمد تُكَلِّف الدول أموالاً باهظة؛ فمثلاً تُقَدَّر دراسة سويسرية التكاليف الاجتماعية لكل عملية انتحار داخل سويسرا بأكثر من ٤٨ ألف فرنك سويسري (حوالي ٥٠ ألف دولار)، فيما تُقَدَّر تكاليف معالجة كل محاولة انتحار فاشلة بـ ٨٠ ألف فرنك (حوالي ٨٣ ألف دولار)، وتشمل التكاليف الرعاية الطبية والنفسية للشخص أو ذويه^(٣). وأشارت إحدى الدراسات^(٤) أن الاقتصاد الياباني خسر في عام ٢٠٠٩م حوالي ٣٢ مليار دولار بسبب انتحار ٢٦٥٠٠ شخص في ذلك العام، وهو ما يُعادل ٢,١ مليون دولار لكل حالة.

لنفترض أن كل حادث قتل يُكَلِّف الأمة ٥٠ ألف دولار فقط، وهذه التكاليف تشمل العلاج الطبي والنفسي للقاتل أو للآخرين الذين يكونون في موقع الحادث أو لذوي القاتل أو المقتول. بالإضافة إلى هذا فإن هناك تكاليف المحاكم والمحامين والسجون وغرامات الشرطة والديّات المدفوعة لورثة المقتول. ولا ننسى أيضاً الأموال الطائلة التي يدفعها مرضى النفوس للتأمين على حياتهم وعلى الوقوع في

(١) «الانتحار.. آسيا الأولى وعربيا الصدارة للسودان فالمغرب وقطر والأقل في السعودية وسوريا»: موقع النيلىن.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «متوسط عمليات الانتحار يصل إلى ٣٠٠٠ حالة يومياً على المستوى العالمي»: موقع تليكسبريس.

(٤) «٧٠ حالة انتحار يوميا.. لماذا ينتحر الشباب الياباني؟»: أشرف إبراهيم.

الفصل التاسع: تخفيض حوادث السَّير والجرائم المختلفة

مثل هذه الجرائم، وكذلك ما تدفعه شركات التأمين نفسها من تعويضات للمصابين والورثة. وبالإضافة إلى كل ذلك فهناك عائد إنتاجي آخر فيما لو قُدِّر للمتوفين أن يبقوا على قيد الحياة.

لغة الأرقام

- ✗ عدد حوادث القتل المتعمَّد في العالم الإسلامي التي يمكن خفضها في العام باستقامة الناس على دينهم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ حادث قتل متعمَّد واحد في العام بين كل ١٠٠ ألف مسلم = ٢٠ ألف حادث.
- ✗ الأموال التي يمكن توفيرها من الأموال التي تُنفق على هذه الحوادث أو المتضررين بها = ٢٠ ألف حادث × ٥٠ ألف دولار تكلفة كل حادث = مليار دولار في العام.
- ✗ العائد الإنتاجي للمتوفين في هذه الحوادث فيما لو قُدِّر لهم أن يبقوا على قيد الحياة = ٢٠ ألف قتيل × ٢٠ سنة متوسط العمر الافتراضي الإضافي للبقاء على قيد الحياة × ٢٣٠ يوم عمل في العام × ٨ ساعات عمل في اليوم × دولار واحد فقط العائد الإنتاجي لكل ساعة = ٧٣٦ مليون في العام.
- ✗ مجموع الأموال التي يمكن توفيرها = مليار + ٧٣٦ مليون = ١,٧٣٦ مليار دولار في العام.

حوادث السرقة

تنتشر في العالم أصناف لا تُعدُّ ولا تحصى من أنواع السرقات، سواءً أكانت لممتلكات الأفراد أم سرقات للممتلكات العامة، وهناك أيضًا سرقات للبنوك والمتاحف ومحلات بيع المجوهرات وغيرها من الأماكن، وقيمة هذه السرقات تصل أحيانًا إلى عشرات أو ربما مئات الملايين من الدولارات.



وحسب تقرير «غالوب أنلتيكس»^(١) فإنه في بعض الدول مثل سيراليون فإن حوالي ٥٠٪ من السكان قد تعرضوا لشكل أو آخر من أنواع السرقات. وأما في السعودية فإنه وفقاً لبعض الإحصائيات^(٢) فقد تم خلال عشرة أشهر فقط من عام ٢٠١٤م سرقة ما يزيد عن ٥٠ ألف سيارة، وفي دمشق وحدها تم سرقة ما يزيد عن عشرة آلاف هاتف نقال خلال عام ٢٠١٥م^(٣).

والإسلام كما نعلم قد عالج هذه الظاهرة بحزم شديد، كما ورد في عقوبة السارق في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقد أوردنا من قبل ما كان عليه الحال في عهد الإمام الرضي محمد بن عبد الله الخليلي - عليه رضوان الله ورحمته -؛ حيث لم تحدث إلا حادثة سرقة واحدة خلال فترة إمامته التي امتدت قرابة نصف قرن من الزمان. إنه عندما تعمُ الاستقامة في المجتمع، ويصبح الله - عزَّ في سلطانه - الرقيب الأول والوحيد لخبايا النفوس، فإنه لن يجرو أحدٌ على الاعتداء على مال الغير.

حساب العائدات الاقتصادية من خفض حوادث السرقة

لنفترض أنه - بسبب استقامة المجتمع - استطعنا خفض عدد حالات السرقة بمعدل حالة واحدة بين كل ١٠٠٠ مسلم، وأن كل حادث سرقة يُكلف ٣٠٠٠ دولار، وهذه التكاليف تشمل غرامات الشرطة وتكاليف المحاكم والمحامين والسجون والتعويضات المدفوعة للمتضررين.

(١) «الدول التي شهدت أعلى معدلات سرقة في العالم»: صحيفة النهار اللبنانية.

(٢) «سرقة ٤١ ألف سيارة في شهر واحد... والرياض أعلى نسبة استرداد»: صحيفة الشرق السعودية.

(٣) «ارتفاع كبير في سرقة الجوال... ١٠ آلاف حالة بدمشق وريفها خلال العام»: صحيفة الوطن السورية.



لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها عندما يتم تخفيض حوادث السرقة بواقع حادث سرقة واحدة بين كل ١٠٠٠ مسلم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ حادثة سرقة واحدة في العام بين كل ١٠٠٠ مسلم × ٣٠٠٠ دولار تكلفة كل حادث = ٦ مليار دولار في العام.

عمليات تهريب المخدرات

بعد الانفتاح السياسي والأخلاقي الذي ابتليت به معظم بلدان المسلمين، صارت تجارة المخدرات مصدر دخل لكثير من الأفراد والمؤسسات، وحتى بعض الحكومات. وما تقوم به بعض الحكومات من محاولات جادة لاستئصال جذور هذه الآفة ما هو إلا بسبب تفاقم حالات التهريب وانكشاف خيوطها وألعايها بين عامة الناس. ورغم أن كثيراً من الدول تُنزل عقوبات صارمة على مَنْ تثبت عليهم تهمة تهريب هذه المخدرات، إلا أن البلاء ليس في ترويجها فحسب، وإنما في البيئة الوبيئة التي وُجدت في مجتمعات المسلمين فسمحت لمهربي المخدرات من أن يجدوا لهم أسواقاً رائجة فيها.

إن العاقل ليدرك بعين البصيرة أن مهرب المخدرات ما كان له أن يجد من يتقبَّل سلعته لو كانت خشية الله منغرسه في كل نفس، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

لهذا فإنه قد يبدو من المضحك حقاً أن تعاقب بعض الدول من يُكتشف تورطه بتهريب المخدرات بالقتل، وفي الوقت نفسه تقوم حكوماتها أو تسمح للمتنفذين



فيها بالترويج للدعارة وشرب الخمر والتدخين، بحُجج أو هي من بيت العنكبوت؛ كالحريات الشخصية أو تشجيع السياحة، أو غيرها من المبررات المفضوحة التي عادة ما يتستّر وراءها هؤلاء. إن العلاج الحقيقي لظاهرة تهريب المخدرات هو في إصلاح المجتمع وحمله على الاستقامة.

تجارة المخدرات وتعاطيها عالمياً

لقد صارت تجارة المخدرات رائجة في العديد من دول العالم؛ فالتقديرات الأولية تفيد بأن عوائد المخدرات التي تباع في السوق السوداء والكميات التي تم ضبطها وصلت في عام ٢٠٠٧م إلى حوالي ٣٢٢ مليار دولار، وتُشكّل الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وكندا وأستراليا أكبر أسواق العالم المستهلكة لهذه المخدرات^(١). وفي عام ١٩٩٧م نشرت إدارة مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة (DIA) تقريراً يُقدّر حجم التجارة (بشكل عام) في العالم بـ ٤ تريليون دولار، وجاءت تجارة المخدرات في أعلى قائمة السلع المتداولة في العالم بعد تجارة الأسلحة والنفط^(٢).

وحسب تقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة فإن ٢٤٧ مليون شخص قد تعاطوا المخدرات في عام ٢٠١٥م، ويُقدّر عدد الوفيات المتصلة بالمخدرات في عام ٢٠١٤م بـ ٢٠٧٤٠٠ حالة وفاة^(٣)، وفي ٢٠١١م بـ ٢١١ ألف حالة^(٤).

(١) «تجارة المخدرات تعادل الناتج المحلي لـ ٩٠ بالمائة من دول العالم»: صحيفة الفجر الجزائرية.

(٢) «تهريب المخدرات»: موقع الويكيبيديا العربية.

(٣) «أرقام وحقائق صادمة من تقرير المخدرات العالمي لسنة ٢٠١٦»: موقع أراجيك.

(٤) «تقرير المخدرات العالمي لعام ٢٠١٣م»: مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة.

تجارة المخدرات وتعاطيها في العالم الإسلامي

أعلن المركز القومي للسموم في مصر أن ١٠٠ طفل سنوياً يدمنون المخدرات، وقال مركز حقوق الطفل بأن نسبة ٢٠٪ من أبناء المدمنين يصبحون مثلهم، إما عن طريق الخطأ أو لتقليدهم لآبائهم^(١). وقد قُدِّرَت تجارة المخدرات في مصر في عام ٢٠١٦م بحوالي ٤٠٠ مليار جنيه (حوالي ٢٢,٥ مليار دولار)^(٢)، وانتشرت أشكال وأنواع للمخدرات لم تكن معروفة من قبل؛ حيث وصلت إلى ٦٠٠ نوع جديد بالأسواق، ومنها - على سبيل المثال - المخدرات الرقمية التي لها نفس تأثيرات المواد المخدرة على المخ، وهي عبارة عن نغمات موسيقية يسمعها المتعاطي عبر مواقع الإنترنت، بحيث تُحدث كل نغمة في المخ نفس تأثير نوع معين من المواد المخدرة، وظهرت أنواع مثل الطوابع في متناول الشباب، وأصبحت هذه المخدرات تصل إلى أطفال مدارس المرحلة الابتدائية، ووصلت نسبة التعاطي إلى ٢,٤٪ من عدد السكان^(٣).

وفي السعودية تُشكِّل الفئة العمرية من ١٢ إلى ٢٠ عاماً ٧٠٪ من متعاطي المخدرات الذين يُقدَّرُون بحوالي ٢٠٠ ألف شخص^(٤)، وقد تم القبض على ٤٦٨٤ سعودياً و ٨٨٤٢ من الوافدين بتهمة تهريب المخدرات بين عامي ١٤٣٠ هـ و ١٤٣٧ هـ (٢٠١٠م - ٢٠١٦م)^(٥). وأما في الإمارات العربية المتحدة، فوفقاً لدراسة للمركز الوطني لإعادة التأهيل فإن أعمار مدمني المخدرات تتراوح بين ١٣ و ٢٢ عاماً، وفي البحرين قُدِّرَ عدد المدمنين بحوالي ٣٠ ألف مدمن تتراوح

(١) «الإدمان في أرقام سجلات محاكم الأسرة»: صحيفة اليوم السابع المصرية.

(٢) «٤٠٠ مليار جنيه حجم تجارة المخدرات في مصر»: موقع البوابة نيوز.

(٣) «ميزانية المخدرات ٤٠٠ مليار في ٢٠١٦ والقاهرة تصدر المحافظات»: صحيفة الوطن المصرية.

(٤) «بالأرقام.. الخليج في خطر.. والسبب المخدرات»: نسرين عز الدين، موقع سيدتي.

(٥) «إحصائيات مكافحة المخدرات خلال ٧ سنوات»: موقع أخبار ٢٤.



أعمارهم بين ٢٥ إلى ٧٠ عامًا. وفي إيران تم في عام ٢٠١٥م فقط ضبط نحو ٦٢٠ طنًا من أنواع المخدرات^(١).

وقد انتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات في دول الخليج العربي بشكل مذهل حتى بين طلاب المدارس؛ فوفقًا لبعض التقارير^(٢) فإن معدل تعاطي المخدرات بين طلاب المرحلة الابتدائية قد بلغ ١٠٪ مقابل ٢٤٪ لطلاب المراحل المتوسطة و ٣٦٪ لطلاب السنة الثانوية الأولى و ٢٠٪ لطلاب السنوات الثانوية الثانية والثالثة، وأخيرًا ٥٨٪ لطلاب الجامعات.

وبالإضافة إلى الكوارث الصحية والاجتماعية للمخدرات، فإنها تستنزف الكثير من ميزانيات الدول وقواتها الأمنية؛ فمثلًا أدّت عمليات مكافحة المخدرات في إيران إلى مقتل أربعة آلاف وإصابة أكثر من ١٢ ألف شخص من قوى الأمن الداخلي خلال السنوات الأخيرة^(٣).

حساب العائدات الاقتصادية لتخفيض حالات تعاطي المخدرات وتهريبها

إن التكاليف الاقتصادية لعلاج مدمني المخدرات والأمراض المترتبة عليها وتكاليف مكافحتها تفوق بكثير التقديرات البسيطة التي أوردناها، ولكن لكي نسير على النَّسَق الذي بدأناه في هذا الكتاب فإننا سنفترض أنه لو استقامت الأمة على دين ربها لأمكن إنقاذ روح واحدة فقط من بين كل مليون مسلم ممَّن تتسبَّب المخدرات في وفاتهم.

(١) «دهقاني: إيران دفعت تكاليف باهضة في مكافحة المخدرات»: صحيفة كيهان الإيرانية.

(٢) «بالأرقام.. الخليج في خطر.. والسبب المخدرات»: نسرین عز الدين، موقع سيدتي.

(٣) «دهقاني: إيران دفعت تكاليف باهضة في مكافحة المخدرات»: صحيفة كيهان الإيرانية.

الفصل التاسع: تخفيض حوادث السَّير والجرائم المختلفة

كذلك، فإننا سنفترض أنه سيمكننا توفير تكاليف علاج حالة إدمان واحدة من بين كل ١٠٠ ألف مسلم، وأن تكلفة علاج كل حالة هو ١٠ آلاف دولار، وهي تشمل العلاج الدوائي والنفسي للمدمنين أو ذويهم ومصاريف المستشفيات. وأخيرًا، سنفترض أنه كان بإمكاننا خفض عمليات تجارة وتهريب المخدرات بواقع عملية واحدة بين كل ١٠٠ ألف مسلم، وأن القضاء على كل عملية تكلف ٦٠٠٠ دولار فقط، وهذا المبلغ يشمل تكاليف المطاردة والتحقيقات الأمنية وتكاليف المحاكم والمحامين والسجون بالإضافة إلى تكاليف العلاج النفسي والطبي للقائمين بعمليات التهريب وللمتضررين من جرائمها.

لغة الأرقام

✕ العائد الإنتاجي فيما لو أمكن خفض عدد الوفيات من المسلمين بسبب المخدرات بواقع حالة واحدة في العام بين كل مليون مسلم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ إنقاذ روح واحدة في العام بين كل مليون مسلم × ٢٣٠ يوم عمل في العام × ٨ ساعات عمل في اليوم × دولار واحد عائد إنتاجي للساعة الواحدة × ٢٠ عام المدة الافتراضية للبقاء في العمل = ٧٢ مليون دولار في العام.

✕ الأموال التي يمكن توفيرها فيما لو أمكن خفض حالات الإدمان للمخدرات بين المسلمين بواقع حالة واحدة في العام بين كل ١٠٠ ألف مسلم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ حالة إدمان واحدة في العام بين كل ١٠٠ ألف مسلم × ١٠ ألف دولار تكلفة علاج كل حالة = ٢٠٠ مليون دولار في العام

✕ الأموال التي يمكن توفيرها فيما لو أمكن خفض عمليات التهريب بواقع حالة واحدة في العام بين كل ١٠٠ ألف مسلم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ عملية تجارة أو تهريب واحدة في العام بين كل ١٠٠ ألف مسلم × ٦٠٠٠ دولار تكلفة كل عملية = ١٢٠ مليون دولار في العام.

✕ مجموع الأموال التي يمكن توفيرها = ١٢٠ + ٢٠٠ + ٧٢ = ٣٩٢ مليون دولار في العام.



الحرائق المتعمدة

أن ينشب حريق في مستودع أو مزرعة أو بيت دون سبب متعمد فذلك يعتبر حادثاً طبعياً لا يعنينا هنا بشيء. ما نعنيه هنا هو تلك الحرائق التي تنشب في الغابات والأسواق والبيوت والممتلكات بإعداد مسبق لها. مثل تلك الحرائق لا تصدر - كما في غيرها من الجرائم الأخرى - إلا من أشخاص انتزع الله الإيمان من قلوبهم، ففرّخ الشيطان فيها وباض. إن من يتعدّى على ممتلكات الأمة أو ممتلكات الغير بالإزهاق المتعمد لحريّ بأن يعامل كقاتل النفس، فإنه بفعله قد يزهق من النفوس أضعاف ما تزهقه الجرائم الأخرى، ويتسبّب في إبادة ما لا يحصى من الممتلكات، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، والرسول ﷺ يقول: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (١).

ورغم ندرة جرائم الحرائق المتعمدة في بلدان المسلمين، إلا أن على السلطات في كل بلد تحاول استئصال جذورها، ولا يتأتى ذلك بملاحظة فاعليها فقط، وإنما باستئصال الشر من قلوب الناس؛ حيث إن مثل هذه الجرائم لا تنتج إلا عن حسد وأحقاد كامنة في نفوس من يرون أنهم لا يستحقون النعم التي أنعم الله بها عليهم.

حساب العائدات من تخفيض نسبة الحرائق المتعمدة

لنفترض هنا أنه كان بالإمكان خفض حوادث الحرائق المتعمدة بواقع حريق واحد بين كل مليون مسلم، وأن كل حريق متعمد يكلف الأمة ٢٠٠٠ دولار فقط، وهذه التكاليف تشمل العلاج الطبي والنفسي للمتضررين، وتكاليف التحقيقات



الفصل التاسع: تخفيض حوادث السير والجرائم المختلفة

الأمنية، وتكاليف المحاكم والمحامين والسجون، هذا بالإضافة إلى التعويضات التي قد يدفعها المتسببون في إشعال الحرائق عن ممتلكات المتضررين، سواءً بأنفسهم أو من خلال شركات التأمين.

لغة الأرقام

✕ الأموال التي يمكن توفيرها فيما لو أمكن خفض نسبة الحرائق المتممّة بواقع حريق واحد بين كل مليون مسلم = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ حريق واحد متممّد في العام بين كل مليون مسلم $\times 2000$ دولار تكلفة كل حريق = ٤ مليون دولار في العام.

حساب العائدات من خفض نسبة حوادث السير والجرائم المختلفة

لغة الأرقام

✕ مجموع الأموال التي يمكن توفيرها من خفض حوادث السير والجرائم المختلفة = ٤٠٠٠ مليون لخفض حوادث السير + ١٧٣٦ مليوناً لخفض حوادث القتل المتممّد + ٦٠٠٠ مليون لخفض حوادث السرقة + ٣٩٢ مليوناً لخفض حالات تعاطي وتهريب المخدرات + ٤ مليون لخفض حوادث الحرائق المتممّة = ١٢١٣٢ مليوناً = ١٢, ١٣٢ مليار دولار في العام.





الفصل العاشر:

مصاريف الحكام



لقد ابتليت الأمة الإسلامية في عصورها المتلاحقة، وخاصة في عصرنا هذا، بحكام متسلطين، يستنزفون خيراتها، ويطؤون على صدور أبنائها، ويعيقون تقدُّمها وازدهارها. ولو قمنا ببعض الحسابات البسيطة، لوجدنا أن ما يُصَبُّ في جيوب الحكام وزمرتهم (وهم في عداد الآلاف) من خيرات الأمة يفوق ما يحصل عليه أكثر من ملياري مسلم في العالم. وليس في الأمر غرابة، لأنه في معظم الدول الإسلامية قد باتت الشعوب مستعبدة لخدمة شخص واحد - وهو الحاكم-، وأصبحت وسائل الإعلام وشبكات الاتصال والمعلومات والجيش والشرطة والأمن وحتى الصحة والتعليم وغيرها من الخدمات إنما هي موجودة لبقاء الحاكم، وليس من قيمة لبقية الشعب وإنما هم عبيدٌ له يسرُّهم ما يسرُّه ويسئُّهم ما يسئُّه، وأن ما يحصلون عليه من فئات العيش ورُقْع الأثواب إنما هي بتفضُّله عليهم بذلك، ولولاه لأصبحوا حفاة عراة جوعى.

وإننا عندما نتطرَّق إلى موضوع الحكام، فإننا نتوق إلى اليوم الذي تصبح فيه الأمة الإسلامية دولة واحدة كما كانت عليه منذ نشأتها وإلى وقتٍ قريبٍ من عصرنا هذا. كذلك فإننا نتوق لأن نرى حكامًا صلحاء وأئمة أمناء من أمثال أبي بكرٍ وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز وصالح الدين الأيوبي وسالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبد الله الخليلي.



إننا لا ننسى قصة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - مع ابنه عندما رآه وفي يده خاتمًا من فضة فطلب منه أن يتصدق بذلك الخاتم للفقراء، وأن يضع بدلًا منه خاتمًا من حديد يكتب عليه «**رحم الله امرأةً عرف قدر نفسه**». كذلك، فلا ننسى قصة الإمام سالم بن راشد الخروصي - رحمه الله - عندما وجد زوجته وقد اشترت قدرًا فسألها من أين أتت بالنقود اللازمة لشرائه، فأخبرته بأنها وفّرتها من النفقة التي يتقاضونها من بيت مال المسلمين، فانزعج الإمام مما سمع وقال لها: «**هذا يعني أننا نتقاضى من بيت المال أكثر من حاجتنا**»، فأخذ الإمام القدر وباعه، وأرجع ثمنه إلى بيت المال، وأمر بأن تُخفّض النفقة على بيت الإمام لأنها تزيد عن حاجتهم الضرورية.

إن ما سنذكره من أرقام لا يشير إلا إلى المصاريف الواضحة المعلنة، وأما الخسائر المادية والمعنوية التي تحدث للأمة بسبب هؤلاء الحكام وأعوانهم فحدث ولا حرج. إننا مثلاً لم نُدرج في هذه الحسابات ملايين الساعات التي تُهدَر من أوقات الناس عندما يمر الحاكم أو أحد المقرّبين إليه في موكبه، وتغلق جميع الطرق، ويُصف الآلاف من الطلاب والنساء والرجال ليحيّونه ويرفعوا أصواتهم بهتافات التمجيد والثناء عليه وأدعية التمكين والبقاء له.

إننا لم نحتسب كذلك آلاف الأرواح التي تزهر عندما يتعكر مزاج الحاكم فيزج بشعبه في المقاصل والسجون، أو عندما تقرر المحاكم «باسم العدالة» سجن شخص أو تغريق أموال آخرين أو إلباس غيرهم تهمًا هم بريئون منها. ولا ننسى كذلك أن هؤلاء الحكام والأمراء وأتباعهم هم الذين تسبّبوا في إغراق الأمة في الشهوات والملذات، وجلبوا لها الانحرافات الفكرية والسلوكية، وما ذلك إلا لإغواء الشعوب وإلهائها عن أن تفتن لما يقوم به هؤلاء «الكبار» من جرائم في حقها.



الامتيازات التي يحصل عليها الحكام

تشمل هذه الامتيازات ما يستقطعه الحاكم من أموال الدولة، وما يحوزه من سيارات وطائرات ويخوت، بالإضافة إلى تكاليف الرحلات الشخصية والعلاج الطبي والنفسي، وما يختلسه من أموال في الصفقات التي يعقدها لشراء الأسلحة وبناء المنشآت. ولعل ما كشف عنه الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن وحيد من أن ثروة الرئيس السابق سوهارتو الشخصية تبلغ ٤٥ مليار دولار، جمعها من رشاوى وصفقات أثناء فترة حكمه التي استمرت ٣٢ عامًا^(١)، تشير إلى حجم الاستقطاعات والأموال الطائلة التي تصب في جيوب الحكام.

ثلاثة فيهنّ للملك التلّف الظلم والإهمال فيه والسرف

وقد ذكر محققون عيّنتهم الأمم المتحدة في تقرير قُدّم لمجلس الأمن أنه يشبه في أن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح جمع بوسائل تنم عن الفساد ما يصل إلى ٦٠ مليار دولار، وهو ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي السنوي لليمن، وذلك أثناء فترة حكمه الطويل الذي امتد من عام ١٩٧٨م إلى عام ٢٠١٢م^(٢). وأما ثروة الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي وأسرته فتُقدّر بين ٥ و ١٠ مليار دولار، وفي عام ٢٠١٤م، ذكرت منظمة «الشفافية العالمية» أن هذه الثروة تُقدّر بـ ١٣ مليار دولار^(٣).

وقدّر خبراء اقتصاديون من الشرق الأوسط ثروة عائلة الرئيس المصري حسني مبارك بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي، تتركز غالبيتها في أرصدة في بنوك بريطانية

(١) «دفن سوهارتو في جنازة رسمية»: موقع BBC العربية.

(٢) «كم تبلغ ثروة الرئيس اليمني السابق علي صالح؟»: موقع البوابة.

(٣) «ثروة أسرة بن علي تقارب ١٣ مليار دولار منها ٥ للرئيس المخلوع»: موقع مونت كارلو الدولية.

وسويسرية وعقارات في لندن ونيويورك ولوس أنجلوس، فضلاً عن امتلاكها مساحات راقية واسعة في مدينة شرم الشيخ على شواطئ البحر الأحمر. وقالت صحيفة «الغارديان» البريطانية في تقرير نشرته مساء الجمعة عن ثروة عائلة مبارك، «إنه وبعد ثلاثين عامًا في موقع الرئاسة وأكثر من ٦٠ عامًا في الخدمة العسكرية، كان للرئيس مبارك صلاحيات واسعة في ما يتعلق بعقود الاستثمار التي تدر على البلاد أرباحًا بملايين الجنيهات المصرية»^(١).

وفي مدينة «القلعة» في المغرب يوجد قصر من أيام الاستعمار على مساحة تمتد لأكثر من خمس هكتارات، وهو فقط مكان سكنى عمال الملك محمد السادس، ومنهم ما يزيد عن ٤٠٠٠ طباط، بالإضافة إلى عمال يهتمون بحديقة القصر الشاسعة، وعمال نظافة، ومدرّب للرياضة، وحراس، وسائقين لأكثر من ٨٠٠ سيارة يمتلكها الملك^(٢). وفي تركيا قُدّرت قيمة طائرة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الخاصة بحوالي ١٨٥ مليون دولار^(٣).

كذلك، فإذا علمنا مثلاً أن إحدى الدول العربية قد أنفقت على الدفاع ما يزيد عن ١٥٠ مليار دولار في غضون عشر سنوات، وإذا قارنا قدرات تلك الدولة العسكرية بقدرات إسرائيل العسكرية التي أنفقت ٨,٥ مليار دولار في نفس تلك الفترة، لأدركنا حجم السرقات التي تحدث بمسّميات خادعة كالِدفاع والتعليم وغيرها. لقد ظهرت تقارير تشير إلى أن ما يزيد عن ثلث إيرادات بعض الدول الإسلامية لا تجد طريقها إلى خزانة الدولة، وإنما تصبُّ في حسابات الحكام والمتنفعين منهم.

من كل هذه الإحصائيات لنفترض أن لدينا ٥٠ حاكمًا ينتسبون إلى الدول الإسلامية، وهذا تقديرٌ زهيد لأن بعض الدول فيها آلاف الأمراء والأميرات، وهم

(١) «الغارديان»: خبراء يقدرون ثروة عائلة مبارك بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي: موقع العربية.

(٢) «كم تكلف القصور الملكية المغرب؟»: موقع هسبرس.

(٣) «أردوغان وحياة الأبهة.. قصر رئاسي بألف غرفة»: قناة العربية.



الفصل العاشر: مصاريف الحكام

يتمتعون بكامل امتيازات الملوك. كذلك لنفترض أن متوسط حكم كل منهم هو ٥ سنوات فقط، وهذا أيضًا تقديرٌ بعيدٌ عن الواقع، لأن معظم حكام المسلمين لا يرحلون من كراسي الحكم إلى أن تتوفاهم المنون. ولا يخفى على أحد بأن هناك من الحكام من بقي في حكمه الأربعين والخمسين عامًا أو يزيد. وأخيرًا لنفترض أن مصاريف كل حاكم في العام لا تزيد عن عشرة ملايين، وهو - بلا شك - تقديرٌ بعيدٌ جدًا عن واقع حياة البذخ والترف والتلاعب بثروات الأمة التي يعيشها هؤلاء، ولو استقاموا على دين الله، وتوحدت الأمة تحت راية واحدة، لتوفر لها من خيراتها الشيء الكثير.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها الحكام أنفسهم = ٥٠ حاكم × ١٠ مليون دولار امتيازات يحصل عليها الحاكم في العام = ٥٠٠ مليون دولار في العام.

الامتيازات التي يحصل عليها أفراد عائلات الحكام

كما ذكرتُ سابقًا فإن التقديرات التي أسوقها هنا لأفراد عائلات الحكام هي دون الواقع بدرجة كبيرة، لأن بعض أفراد الأسر الحاكمة يُقدِّرون بالآلاف، ونفقات كل واحدٍ من أفراد العائلات المالكة فوق ما يمكن تصوُّره، ويكفي أن نعلم أنه ما يولد طفل لأحدهم إلا أُجْرِيَ له راتب ثابت يفوق الـ ١٠ آلاف دولار. مثلاً، كشفت وثيقة أمريكية سرَّ بها موقع «ويكيليكس» أن أميرًا سعوديًّا أبلغ السفير الأمريكي في المملكة آنذاك أن «عائدات مليون برميل من النفط يوميًّا تعود بأكملها إلى خمسة أو ستة أمراء»، وأن المعاشات الشهرية لأبناء عبد العزيز بن سعود تصل إلى حوالي ٢٧٠ ألف دولار^(١).

(١) «ويكيليكس»: المملكة شركة آل سعود»: صحيفة السفير اللبنانية.

ولا ننسى كذلك الإعفاءات من تسديد قيمة الخدمات التي يحصلون عليها، والتي تُقدَّر بالملايين في السنة الواحدة، بالإضافة إلى مصاريف القصور وما لا يحصى من الأراضي والعقارات والهبات والشركات التي تكتب بأسمائهم، وما يُنفق عليهم من الهدايا والمكرّمات، بالإضافة إلى نفقات الأعراس والحفلات، وما لا يحصى من السرقات والاختلاسات التي يرتكبونها عياناً ودون أدنى خوف من رقيبٍ أو حسيب. ولا ننسى أيضاً السطو العلني أو السّري الذي يقوم به الأمراء والمقربون من الحاكم على أموال الشعب وممتلكاتهم، وأيضاً عشرات الآلاف من العمالة الوافدة التي يجلبونها لتدّر عليهم ملايين الدولارات شهرياً.

ومع كل الأرقام التي سُقناها، فإننا سنفترض أن لكل حاكم ١٠٠ شخص فقط من أفراد عائلته، وأن الامتيازات التي يحصل عليها كل واحد من هؤلاء من أموال الدولة هي ١٠ آلاف دولار في العام فقط.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها أفراد عائلات الحكام = ٥٠ حاكمًا × ١٠٠ شخص من أفراد عائلة كل حاكم × ١٠ آلاف دولار قيمة الامتيازات التي يحصل عليها كل شخص في الشهر × ١٢ شهرًا في السنة = ٦٠٠ مليون دولار في العام.

الامتيازات التي يحصل عليها المُقَرَّبون من الحكام

لقد أصبحت الأبقار الحلوبة (أوطان المسلمين) لا تدّرُ بسول جارية من الأموال والامتيازات على الحكام والأمراء وأفراد عائلاتهم فقط، وإنما تعدّتها لتشمل المتنفعين الصغار الذين يقومون بتغطية سَوءات «الكبار»، ويكونون واجهة لهم أمام شعوبهم. وقد تُطالعنا وسائل الإعلام بين حين وآخر عن وصف موجز لأحوال بعض هؤلاء المقَرَّبين من الحكام والأمراء وأقربائهم، وأصبحنا نسمع



الفصل العاشر: مصاريف الحكام

عن أناس يمتلكون عشرات - بل مئات - ملايين الدولارات، ويمتلكون الطائرات والجزر واليخوت الخاصة، ويقىمون حفلات أعراسهم برعاية أسراب من طائرات الحرس الملكي، ويُحيون الليالي الحمراء في فنادق الدول الغربية بنفقات سخية من الملك أو الأمير.

مثلاً، تُقدّر ثروة تاجر السلاح السعودي عدنان خاشقجي، الذي كان والده الطبيب الخاص لمؤسس المملكة العربية السعودية، بحوالي ٤٠ مليار دولار، ودفع في عام ١٩٧٤م أكبر تسوية في التاريخ لطلاق زوجته الإنجليزية ساندر ديلي، وبلغت ٨٧٥ مليون دولار^(١).

لنفترض أن لكل حاكم ١٠٠٠ شخص من المُقرَّبين إليه من الدرجة الثانية (أفراد في الأسرة الحاكمة، أصدقاءه، أعوانه على تسيير الحكم وإذلال الشعب ممن يُسمَّون بالمستشارين)، وهذه أرقام ضئيلة إذا علمنا أن بعض الحكام لديهم الآلاف من المتفعين من المستشارين والأصدقاء والأطباء الخصوصيين.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها المقرَّبون من الحكام = ٥٠ حاكمًا × ١٠٠٠ شخص من المُقرَّبين للحاكم من الدرجة الثانية × ١٠٠٠ دولار امتيازات شهرية لكل شخص × ١٢ شهرًا في العام = ٦٠٠ مليون دولار في العام.

قصور الحكام

لنفترض أن كل حاكم لا يملك سوى قصرٍ واحدٍ فقط يسكن فيه هو وأفراد عائلته والمقربون إليه، وأن تكاليف بناء وصيانة كل قصر لا تتجاوز عشرة ملايين

(١) «من هو الملياردير عدنان خاشقجي؟»: موقع BBC العربية.

دولار. ولا غرو أن هذه التقديرات غير مقبولة بأيِّ حالٍ من الأحوال؛ لأننا نعلم أن لمعظم الحكام من القصور والمنتجعات والمصايف ما لا يُعدُّ حصره. فمثلاً، يعتبر الملك محمد السادس سابع أغنياء العالم، ويمتلك أكثر من ٨٠٠ سيارة، ولديه أكثر من عشرة قصور وإقامات داخل وخارج المغرب^(١).

كذلك فإن تقدير بناء كل قصر وصيانتته بعشرة ملايين دولار هو أيضاً دون الواقع؛ حيث إنه معلوم لدى الناس أن الحكام يجلبون أمهر مهندسي العمارة والمخططين والبنائين في العالم لتصميم قصورهم، وأنهم يزودونها بأحدث ما توصل إليه العلم من تقنيات وأدوات، فمثلاً في تركيا جرى جدل واسع حول القصر الفاره الذي تم تشييده للرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والذي يتفوّق على القصر الملكي البريطاني «باكنغهام بالاس» في لندن، كما يتفوّق على قصر الإليزيه في باريس؛ إذ يتكون من ألف غرفة فارغة، وتتجاوز تكلفته ٦٠٠ مليون دولار^(٢). ولا شك أن هذه القصور لا تُنتزع من الحاكم بعد انتقال حكمه إلى حاكم آخر، إن حدث ذلك فعلاً.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من بناء وصيانة قصور الحكام = ٥٠ حاكم × قصر واحد لكل حاكمًا × ١٠ ملايين دولار تكلفة بناء وصيانة كل قصر ÷ ٥ سنوات مدة الحكم = ١٠٠ مليون دولار في العام.

امتيازات الحراس ورجال الأمن الشخصيين

لنفترض أن لكل حاكم ١٠٠ حارس شخصي ورجل أمن يحرسونه هو وأفراد أسرته المُقرَّبين، وأن ما يتقاضاه كل واحد منهم هو ١٠٠٠ دولار في الشهر فقط

(١) «كم تكلف القصور الملكية المغرب؟»: موقع هسبرس.

(٢) «أردوغان وحياة الأبهة.. قصر رئاسي بألف غرفة»: قناة العربية.



الفصل العاشر: مصاريف الحكام

والتي تشمل الرواتب والمكافآت وغيرها من الامتيازات الأخرى. وهذه تقديرات زهيدة إذا علمنا أن الحراس ورجال الأمن الشخصيين للحكام والأمراء يملكون من القصور ويحصلون على الامتيازات كتلك التي يحصل عليها أفراد الأسر الحاكمة.

مثلاً، يتقاضى الحراس الشخصيون للملك محمد السادس بين ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ دولار شهرياً كمكافآت عن مرافقتهم الدائمة للملك^(١)، وهذا بالإضافة إلى رواتبهم الشهرية التي تُقدَّر بين ١٥ ألف إلى ٣٠ ألف دولار^(٢)، ويُقدَّر راتب الحارس الشخصي للملك سلمان بن عبد العزيز بأكثر من ٢٠ ألف دولار^(٣).

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها الحراس ورجال الأمن الشخصيين للحكام والمقرَّين منهم = ٥٠ حاكماً × ١٠٠ حارس ورجل أمن شخصي × ١٠٠٠ دولار امتيازات شهرية × ١٢ شهراً في السنة = ٦٠ مليون دولار في العام.

مصاريف الخدم الخاص

لنفترض أن لكل حاكم ١٠٠ شخص فقط يقومون على خدمته هو وأفراد أسرته والمُقرَّين إليه، وأن راتب كل واحد منهم والامتيازات الأخرى التي يحصلون عليها لا تتجاوز ١٠٠٠ دولار شهرياً. إنني عندما أكتب هذه الأرقام لأبتسم ساخراً من نفسي حيث يبدو وكأنني أتكلم عن أحد التجار أو رجالات الأعمال، ولا أتكلم عن حاكم تحيطه جيوش من العبيد والخدم والحراس والمغنين والراقصين والمخبرين والمستشارين، فمثلاً عندما قام الملك سلمان بن عبد العزيز بزيارته لإندونيسيا في

(١) «حراس الملك؟ من هم»: موقع الملكية ٢٠٠٩.

(٢) «هذا هو الأجر الشهري لحراس الملك محمد السادس»: موقع الأيام ٢٤.

(٣) «لن تصدق كم يبلغ راتب الحارس الشخصي للملك سلمان العميد الفغم»: موقع المصدر.

مارس ٢٠١٧م رافقه في هذه الزيارة أكثر من ١٥٠٠ شخص من حاشيته وخدمه، منهم ١٥٠ طاهياً لتحضير وجبات الملك وحاشيته^{(١)(٢)}.

لغة الأرقام

✕ الأموال التي يمكن توفيرها من مصاريف الخدم الخاص للحكام وأفراد عائلاتهم
= ٥٠ حاكماً × ١٠٠ خادم × ١٠٠٠ دولار امتيازات شهرية × ١٢ شهراً في السنة
= ٦٠ مليون دولار في العام.

مصاريف تسيير نظام الحكم وترسيخه

إنه مما لا شك فيه أنه ما كان الأمر ليستقر لحاكم واحد أكثر من عام لولا أن الحاكم يُغْدِقُ أموالاً لا حصر لها على إذلال واستعباد وتركيع الشعب سواءً أكان ذلك بالطرق السلمية كبرامج غسل أدمغة الشعوب وانتزاع الولاء للحاكم عن طريق وسائل الإعلام والمناهج الدراسية، أو كان بطرق ملتوية خبيثة كإغراق الناس في المملذات ونشر الرذائل والضعائن بينهم، وتجنيد جيوش منهم للتجسس على مَنْ بقي من الشعب.

وفي حقيقة الأمر أن جرائم الفساد الإداري والمالي الذي تُنشر فضائحه في بعض الدول بعد موت الحاكم أو بعد خلعه - إن حدث ذلك - ما هي إلا وسائل كان يستخدمها الحاكم لتدمير كيان شعبه لضمان بقاءه في الحكم. وحسب تصنيف منظمة الشفافية الدولية فإن بعضاً من الدول الإسلامية قد تصدرت قائمة الدول الأكثر فساداً في العالم، وما ذلك طبعاً إلا بفساد حكام هذه الدول، ومَنْ ثمَّ فساد حكوماتهم.

(١) «١٥٠٠ مرافق ومصعدان و٥٠٠ طن من الأمتعة.. هكذا سافر الملك سلمان»: موقع CNN العربية.

(٢) «الملك سلمان في إندونيسيا يرافقه ١٠٠٠ شخص و٤٦٠ طناً من التجهيزات»: موقع مونت كارلو الدولية.

الفصل العاشر: مصاريف الحكام

إن المصاريف التي سنذكرها هنا تشمل نفقات المؤتمرات التي يحضرها الحاكم، والجولات الداخلية والخارجية التي يقوم بها، والتغطية الإعلامية لتحركات الحاكم، والاحتفالات الوطنية، والمكافآت والمكرمات التي يقدمها الحاكم لأفراد من شعبه أو لغيرهم من الأجانب، وسنفترض أنها جميعًا لا تزيد عن ١٠ ملايين دولار في العام، وهو رقم لا يساوي شيئًا مع ما يُصرف على أرض الواقع.

ولكي نتصوّر ضآلة هذه التقديرات يكفي أن نعرف أن مصاريف مهرجان العيد الوطني الأربعين لسلطنة عمان قُدّرت بحوالي ٦٠٠ مليون ريال عماني (حوالي ١,٥٥ مليار دولار)^(١)، وأما بحسب الأرقام الرسمية فإنها كانت في حدود ٣٠ مليون ريال عماني (حوالي ٧٨ مليون دولار)^(٢)، وهو لا يزال رقمًا كبيرًا مقارنة بالرقم الذي افترضناه.

كذلك، فقد ذكر السفير السعودي في إندونيسيا أنه في رحلة الملك سلمان بن عبد العزيز إلى إندونيسيا في مارس ٢٠١٧م تم حجز غرف للملك ومرافقيه في ثلاثة فنادق راقية في بالي، وتبلغ ثمن الإقامة في أعلى فيلا ٤٤٠٠ دولارًا في الليلة الواحدة^(٣)، علمًا بأن الرحلة ستستمر لمدة شهر، فكم ستكون مصاريفها؟

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مصاريف تسيير وترسيخ نظام الحكم = ٥٠ حاكمًا × ١٠ ملايين دولار تكاليف تسيير وترسيخ نظام الحكم في العام = ٥٠٠ مليون دولار في العام.

(١) «ما يقارب ٦٠٠ مليون تكاليف العيد الوطني الأربعين»: منتدى سبلة عمان.

(٢) «نشر الحساب الختامي للدولة ... العيد الأربعين كلف الدولة أكثر من ٣٠ مليون ريال !!»: منتدى سبلة عمان.

(٣) «١٥٠٠ مرافق ومصعدان و ٥٠٠ طن من الأمتعة.. هكذا سافر الملك سلمان»: موقع CNN العربية.

المجموع الكلي لمصاريف الحكام

إن ما ذكرناه في هذا الفصل هو فقط بعض النواحي التي تتعلق بالأموال التي تُهدَر على الحكام وعائلاتهم وحاشيتهم، وهي - كما أوردنا - أرقامٌ تقديرية؛ لأنه في معظم الدول الإسلامية - إلا من رحم الله - فإن مدار الحياة فيها تدور حول بقاء الحاكم وأسرته وحاشيته، والشعب هو مجرد عبيدٍ لهم، والدولة بأكملها من أراضٍ ومنشآت تُعتبر ضيعة من ضياعهم الخاصة، ولهم حق التصرف فيها كما يشاؤون، ولا يملك أحدٌ أن يعترض على شيءٍ من ذلك، وإلا سلَّط الملك عليهم كلابه المسعورة، ولا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لغة الأرقام

✕ مجموع ما يمكن توفيره من مصاريف الحكام لو استقاموا على دين الله = ٥٠٠ مليون يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها الحكام أنفسهم + ٦٠٠ مليون يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها أفراد عائلات الحكام + ٦٠٠ مليون يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها المقربون من الحكام + ١٠٠ مليون يمكن توفيرها من بناء وصيانة قصور الحكام + ٦٠ مليون يمكن توفيرها من الامتيازات التي يحصل عليها الحراس ورجال الأمن الشخصيين للحكام والمقربين منهم + ٦٠ مليون يمكن توفيرها من مصاريف الخدم الخاص للحكام وأفراد عائلاتهم + ٥٠٠ مليون يمكن توفيرها من مصاريف تسيير وترسيخ نظام الحكم = ٢٤٢٠ مليون = ٢,٤٢ مليار دولار في العام.

الفصل الحادي عشر:

حملات القضاء على الإسلام

إن من البلاء المركب الذي حلَّ بهذه الأمة هو أن تُسخر مواردها ويُسخر أبناؤها لقتل هويتها وتدمير بنيانها وتخريب كيانها. ورغم أن الدين الإسلامي هو القاسم المشترك الذي يجمع بين نسيج هذه الأمة المتهافت، إلا أن حضارة اليوم أبت إلا أن تجعل من الإسلام وأبنائه ميدانًا فسيحًا للتنفيس عما يحيك في صدور الكثيرين من غلٍّ وأحقاد، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

لهذا فلا عجب إذا خرج أبناء الإسلام في طوابير، وتجمّعوا في ثكنات، ولبسوا لامات الحرب، وانتضوا سيوفهم، وصوبوا بنادقهم، لا ليقفوا في وجه أعداء الأمة، ولكن ليقفوا في وجه المخلصين الشرفاء من أبنائها، ولا ليقضوا على حملات الفساد والإفساد التي تستهدف كل عزيز من موروثة هذه الأمة، ولكن ليقفوا عائقًا أمام كل دعوة للإصلاح أو محاولة لإرجاع القطعان السائمة من هذه الأمة إلى جادتها.

من أجل هذا حظيت دعوات الهدم والتخريب المستهدفة لأركان هذه الأمة ومقومات بقائها ليس فقط بمباركة أعداء هذه الأمة التقليديين، وإنما أيضًا بمباركة أبنائها، وأخذ زمام المبادرة للعب أدوار خطيرة فيها، والتي كان يصعب القيام بها حتى على أعداء الأمة، وبذلك فهم تكفلوا طوعيًا لتنفيذ مخططات الاستخراب التي عمل الأعداء جاهدين على صياغتها ووضع الخطط لها.

وأكثر من هذا- وانطلاقاً من كرم العربي المسلم- تطوَّع أبناء الأمة «الشرفاء» بأن لا يُكلفوا أعداء الأمة شيئاً في سبيل تنفيذ مخططاتهم، وإنما فتحوا جيوبهم سخاءً لياخذ الأعداء منها ما يشاؤون. وإني لأجزم بأنه لو استقامت الأمة على دين الله، وصلاح حال حكامها وشعوبها، لما استطاع أعداء الله أن يجدوا منفذاً للولوج إلى هذه الأمة، وتدمير كيائها وأبنائها، ولوقفت الشعوب المسلمة صفّاً منيعاً أمام كل محاولات الهدم والإفساد التي يسعى أعداء الله لتحقيقها في بلاد الإسلام.

ورغم أن هؤلاء الأعداء يستخدمون في معركتهم كل الأسلحة لأن المعركة شاملة، مادية ومعنوية، ورغم تعدّد حملات القضاء على الإسلام وتباين أنواعها وأشكالها واختلاف مآرب القائمين عليها، إلا أننا سنكتفي هنا بذكر ثلاثة نماذج فقط لنعي ما نهدره نحن أبناء هذه الأمة من ثروات أمتنا للقضاء على أنفسنا، وتصفية وجودنا، سواءً أكان ذلك جسدياً أم فكرياً أم اجتماعياً.

حملات تحديد النسل ومنع الحمل

يقول الله- سبحانه تعالى:- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۚ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]، فهذه الآيات تُبين أن الله تكفل بتوزيع نعمة الأولاد بين الخلق، ولا ينبغي للبشر التدخل في ذلك، لأنه هو العليم بأحوال الناس، فكم من زوجين خلياً من جميع أنواع موانع الإنجاب، ومع ذلك لم يُنجبا، ولن يُنجبا إلا إذا أَرَادَ الله ربُّ العالمين، وكم من أزواج وُجد عندهم أحد موانع الحمل، ولكن إرادة الله أرادت لهما أن يُنجبا فأنجبا.

والله- سبحانه- يُحذّر من قتل الأولاد، سواءً أكان قتلاً حقيقياً بعد ولادة الطفل، أم كان بإجهاض الجنين، أم باستخدام موانع الحمل، فالله يقول: ﴿وَلَا



تَفْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ^ط نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿١٥١﴾، ويقول: ﴿وَلَا تَفْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ^ط نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ^ج إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، فالله - سبحانه وتعالى - يريد لهذه الأمة أن تتكاثر لتقوم بدورها في حمل رسالة الإسلام إلى البشرية، وفي هذا يقول - عليه أفضل الصلاة والسلام - : « تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرُ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١)، وفي رواية: « تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِّرُ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢).

نظرة تاريخية موجزة لانتشار موجة تحديد النسل

كان استخدام وسائل منع الحمل أمراً شائعاً في جميع أنحاء الولايات المتحدة قبل عام ١٩١٤م، رغم أنها كانت تُعدُّ في ذلك الوقت مسألة مخالفة للآداب العامة، وكان يُحظر بيع أيٍّ من هذه الوسائل «المخلّة بالآداب، والداعرة، والمثيرة للشهوات»، كما كان ينظر إليها العقلاء منهم. وفي مطلع القرن العشرين برزت على الساحة حركة نشطة، مركزها قرية غرينيتش، كان هدفها إلغاء القيود على حرية التعبير، وكان يدعم هذه الحركة نشطاء ودعاة المساواة بين الجنسين، ودعاة الفوضى (الفوضيون)، وملحدون؛ منهم عزرا هيود، وموسى هارمان، ومورتيمر بينيت، وإيما جولد مان، وقد خاض هؤلاء معارك منتظمة ضد قوانين مكافحة الإباحية.

وفي عام ١٩١٢م انضم لدائرة جولد مان العديد من النشطاء والاشتراكيين والبوهيميين، وكانت منهم ممرضة تدعى مارغريت سانغر، وهي التي حملت لواء المناهضة لقوانين تحديد النسل، وبدأت سانغر إصدار نشرة شهرية من ثماني صفحات أسميتها «تمرّد المرأة»، وفيها روّجت لوسائل منع الحمل تحت شعار «لا

(١) رواه البيهقي في الصغرى (حديث رقم: ٢٣٥١).

(٢) رواه أحمد (حديث رقم: ١٣٥٦٩)، والبيهقي في الكبرى (حديث رقم: ١٣٤٧٦).

آلهة ، لا أسباد»، كما أعلنت على الملأ أن كل امرأة يجب أن تكون «المتحكم المطلق في جسدها».

وقد بدأت حركات تحديد النسل وسنّ قوانين لها فعلياً في عام ١٩١٤م، وقد عملت الانتصارات القانونية المتتالية لدعاة منع الحمل آنذاك على إضعاف القوانين المناهضة لها، وفي عام ١٩١٥م قام أنصار سانجر بتشكيل «الجمعية الوطنية لتحديد النسل»، والتي تُعدّ أول جمعية لتحديد النسل في أمريكا، وفي عام ١٩١٦م افتتحت أول عيادة لتحديد النسل في الولايات المتحدة، ولكن الشرطة سرعان ما قامت بإغلاقها، ولاقت مارغريت سانغر حكماً بالسجن لمدة ٣٠ يوماً، رغم ذلك واصلت سانغر فتح عيادات تحديد النسل في مختلف ولايات أمريكا، وكانت كل واحدة منها لا تلبث حتى يتم إغلاقها من قبل الشرطة.

وقد تصدّت الكنيسة الكاثوليكية آنذاك إلى دعوات سانغر ومناصريها، ولكن المعارك التي كانت تخوضها سانغر وأنصارها، والانتصارات المتوالية التي حققوها أدّت في عام ١٩٣٦م إلى إلغاء قرارات قوانين مكافحة وسائل منع الحمل، وأدى كذلك إلى جعل هذه الوسائل جزءاً من المناهج الدراسية. وبحلول عام ١٩٣٨م بلغت عائدات صناعة موانع الحمل أكثر من ٢٥٠ مليون دولار في العام، وذلك لوجود أكثر من ٤٠٠ شركة مُصنعة لهذه الوسائل، وظهور أكثر من ٦٠٠ علامة تجارية لها، حتى صار بالإمكان شراء الواقيات الذكرية عبر ماكينات البيع الموجودة في بعض دورات المياه العامة.

وفي عام ١٩٤٦م ساعدت سانغر على إنشاء اللجنة الدولية المعنية بتنظيم الأسرة، والتي تطورت فيما بعد لتصبح «الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة»، والذي سرعان ما أصبح أكبر منظمة غير حكومية لتنظيم الأسرة في العالم، وهو ما أدى بدوره إلى تمويل حملات التوعية لتنظيم الأسرة بشكل أكبر عن ذي قبل في جميع



أنحاء العالم، ثم بدأت مؤتمرات تحديد النسل في الظهور والانتشار؛ فكان منها المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والمؤتمر العالمي للمرأة، وكانت قضية تحديد النسل من أبرز محاور هذه المؤتمرات.

تَأْمُرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ عَلَى تَحْدِيدِ النِّسْلِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ

إنه «من أجل أن يتم اختراق حصن المرأة المسلمة، تتدفق الأموال من الغرب وبسحاء، وتنشأ الجمعيات النسوية التي توزع وسائل منع الحمل، ليس فقط على المتزوجات ولكن على الفتيات المراهقات، وتُيسَّرُ لهن الإجهاض وبالمجان، وتُعقَدُ الندوات والمحاضرات التي تدعوهم إلى عدم التفكير في مشروع الزواج؛ لأنه يقف في طريق طموحهن وأحلامهن في العيش بحرية على طريقة نساء لوس أنجلوس ولندن وباريس»^(١).

لقد أدرك أعداء الله خطورة تكاثر المسلمين وتزايد أعدادهم، فحاولوا بشتى الطرق الحد من ذلك؛ ومنها عقد المؤتمرات الدولية المعنية بهذا الأمر، وخاصة تلك التي تُعقَدُ في بلاد المسلمين، وبتمويلٍ منهم مثل «المؤتمر الدولي للسكان والتنمية» الذي عُقِدَ المؤتمر الأول منه في رومانيا عام ١٩٧٤م، وكان لمناقشة قضايا زيادة أعداد البشر، والمقصود بهم - بلا شك - أبناء العالم الثالث (وغالبيتهم من المسلمين)؛ حيث كان معدل النمو السكاني في أوروبا في تناقص مخيف، بينما معدل النمو السكاني في دول الجنوب في تزايد مطرد.

وفي الفترة ما بين ٥ إلى ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م عقد في القاهرة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الرابع، وحضره حوالي ٢٠ ألف مشارك، ممثلين عن حكومات متعددة، ووكالات تابعة للأمم المتحدة، ومنظمات لا حكومية، إضافة إلى وسائل

(١) «اليوم العالمي للمرأة .. بماذا يحتفلون؟!»: موقع تيار الإصلاح.

الإعلام، وذلك للحديث حول قضايا متنوعة مختصة بالسكان، وكان من أبرزها قضية تحديد النسل وتنظيم الأسرة، ولاقى المؤتمر الكثير من الانتقادات من علماء المسلمين وكذلك الكنيسة البابوية، وشارك في هذا المؤتمر الرئيس الأمريكي آنذاك بيل كلنتون، الذي طلب من بابا الفاتيكان شخصياً تأييد الإجهاض، وتخفيف معارضة الكنيسة الكاثوليكية للمقترحات المطروحة، وهو ما يشير إلى أهمية هذا المؤتمر بالنسبة لدعاة الإباحية.

وأولاً، يمكننا تخيّل الأموال التي صُرفت على المؤتمر لأكثر من ٢٠ ألف مشارك ولتسع أيام متواصلة. وثانياً، فإن المؤتمرات المتوالية للسكان والتنمية تهدف إلى ما يلي^(١)^(٢):

✓ إباحة الإجهاض، بجعله قانونياً ومعتمداً وغير سرّي، بل يُجرى حتى في المستشفيات الحكومية، وعبروا عن ذلك بعبارات لطيفة مثل: «الحمل غير المرغوب فيه»، «إنهاء الحمل وتخفيف عواقب الإجهاض»، «الإجهاض غير المأمون»، وكل ذلك يؤكّد خبثهم وسوء طويتهم من وراء هذه المؤتمرات.

✓ تقديم المعلومات والثقافة الجنسية للمراهقين، وإباحة الممارسات الجنسية، وحققهم في سرية هذه الأمور، وعدم انتهاكها من قِبل الأسرة، حتى من الأبوين، كأن تتناول البنات حبوب منع الحمل وتستخدم وسائل منع الحمل بدون موافقة الأبوين.

✓ الحرية الجنسية للمراهقين والأطفال حرية مطلقة.

(١) «سلسلة مؤتمرات السكان والتنمية وتدمير السكان»: حياة بنت سعيد بأخضر.

(٢) «مؤتمر القاهرة الدولي للسكان يرفضه علماء الإسلام والفاتيكان بسبب الإباحية الجنسية»: جريدة المحجة (العدد ١٣).



- ✓ التشجيع على الممارسات التي تقع خارج نطاق العلاقات الشرعية.
- ✓ إلغاء القوانين التي تحدُّ من ممارسة الأفراد لنشاطهم الجنسي، واعتبار ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية وليست مسؤولية جماعية.
- ✓ الاعتراف بالشذوذ تحت عنوان تنوُّع هيكل الأسرة وتكوينها، وهم يُسمُّونه أشكالا أخرى للأسرة.
- ✓ اعتبار الزواج عقدًا بين شخصين، أي قد يكون عقدًا بين رجلين، أو بين امرأتين، أو زواجًا تقليديًا عفاً في نظرهم بين رجل وامرأة، ومعنى آخر فقد صار اللواط والسحاق مباحًا.
- ✓ الدعوة إلى تأخير سن الزواج، وطبعًا هم يقولون بأن ذلك سيحدُّ من الإنجاب، ولكن ماذا سيحدث لو أصرَّ الشباب والفتيات الزواج إلى سن الثلاثين أو الأربعين؟ إنهم بلا شك لن يصبروا طيلة هذه الفترة دون ممارسة الجنس، ولذلك فهؤلاء يدعون إلى أن يمارس الشباب والفتيات الجنس في بيوت آبائهم وأمهاتهم، وعلى مرأى منهما، ومع مَنْ يحبون، سواءً أكانوا من محارمهم أو من خارج الأسرة، وينبغي ألا يعترض أحدٌ عليهم.
- ✓ الدعوة إلى إعادة النظر فيما أطلقوا عليه دورًا تقليديًا للمرأة كالأمومة ورعاية الأسرة، وطالبوا بدمجها الكامل في المجتمع؛ لأنه بخروجها للعمل ستقل رغبتها في الإنجاب.

✓ الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل.

✓ الدعوة إلى تحديد النسل عن طريق اعتراف عالمي بتملُّك المرأة لجسدها.



ولتنفيذ توصيات هذا المؤتمر، وغيره من مؤتمرات السكان، فقد ذكر التقرير الصادر من المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة^(١)، والمقدم إلى لجنة السكان التابعة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والثلاثين والمنعقدة في أبريل ٢٠٠٢م، أن المساعدات الدولية لتنفيذ برنامج التنمية السكانية المنبثق عن توصيات مؤتمرات السكان قد بلغ ٢,٢ مليار دولار في عام ١٩٩٩م، وارتفع مستوى المساعدة في عام ٢٠٠٠م إلى ٦,٢ مليار، وأن البلدان النامية قد قامت بتخصيص موارد محلية للبرامج السكانية؛ حيث قُدّرت النفقات المحلية الحكومية وغير الحكومية في عام ١٩٩٩م بحوالي ٦,٨ مليار دولار.

وعلى مستوى الدول، قامت الصين بحملة أسمتها «مواليد أقل = ثراء سريع»، وذلك لتشجيع العائلات الصينية المسلمة للتخلي عن فكرة الإنجاب، وهذه الحملة تُكَلِّف الحكومة حوالي ١٥٠ مليون دولار، وللأسف فقد شاركت في هذه الحملة ٢٩ ألف عائلة مسلمة، ويُتَظَر مشاركة ٥٨ ألف عائلة أخرى^(٢). هذا هو توجُّههم للتقليل من عدد المسلمين، وبالمقابل فهم يرغبون لشعوبهم غير المسلمة أن تتكاثر، كما ذُكِر عن البابا (بنديكت السادس عشر) زعيم الفاتيكان استنكاره لضعف معدلات الإنجاب في الدول الأوروبية^(٣).

أنواع موانع الحمل وأضرارها

ولقد تنافست الشركات المنتجة لوسائل منع الحمل حتى بشكل كبير، وصارت تأخذ أشكالاً عديدة؛ فهناك وسائل حازمة مثل الواقي الذكري أو غطاء عنق الرحم، وهناك وسائل الهرمونية مثل حبوب منع الحمل وأجهزة داخل الرحم مثل اللولب والتعقيم. وتعمل معظم وسائل منع الحمل عن طريق منع البويضة من أن يُطَلَق

(١) رابط التقرير: <http://www.un.org/documents/ecosoc/cn9/2002/arabic/ecn92002-4a.pdf>.

(٢) «الصين: مكافآت مالية لمن يتخلى عن الإنجاب من المسلمين»: موقع الألوكة.

(٣) «زعيم الفاتيكان يأسف لضعف معدل الإنجاب في أوروبا»: موقع الألوكة.



الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام

سراحها في كل شهر أو بمنع الحيوانات المنوية من الوصول إلى البويضة. وبالإضافة إلى الحبوب والموانع الأخرى، فهناك حُقْن تأخذها المرأة لتثقيل المخاط في عنق الرحم مما يجعل من الصعب على الحيوانات المنوية المرور فيه والوصول إلى البويضة غير مخصبة، وهناك أيضًا وسائل لزرع أنبوب صغير تحت الجلد من الجزء العلوي من الذراع، وهو يعمل على ضخ هرمون البروجستين في الجسم بصورة ثابتة، ويبطئ لمدة ثلاث سنوات، ويعمل بنفس عمل حبوب منع الحمل، وهناك أيضًا الكريمات التي توضع قبل الجماع، وتعمل على قتل الحيوانات المنوية.

ولا شك أن هناك الكثير من الأضرار الصحية لتعاطي موانع الحمل؛ كالصداع والغثيان وآلام الثدي وزيادة الوزن وانخفاض الرغبة الجنسية، بل ربما تؤدي إلى الإصابة بسرطان الرحم أو الثدي، إلى غيرها من الأمراض والأعراض الأخرى.

هدر أموال المسلمين في حملات تحديد النسل ومنع الحمل

كشفت إحدى الدراسات^(١) أن نسبة النساء الإماراتيات اللاتي استعملن وسائل تنظيم الحمل بلغت ٤٧,٣٪، وتؤيد ٥٣٪ من النساء المتزوجات في الإمارات استخدام وسائل تنظيم الأسرة بعد إنجاب المولود الأول. وجاء في التقرير السنوي للموارد البشرية للإمارات لعام ٢٠٠٥م أن متوسط عدد الأطفال الذين أنجبته المرأة الإماراتية عام ١٩٨٥م كان ٧,٢ طفل، بينما انخفض الرقم إلى ٤,٦ طفل عام ٢٠٠٤م.

وكشفت إحصائيات رسمية تابعة للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر، أن واردات مصر من الواقيات الذكرية المستخدمة لمنع الحمل بلغت ٧ ملايين و٣٣٧ ألف جنيه خلال ٦ أشهر فقط^(٢). وصرح الرئيس السنغالي بأنه

(١) «تحديد النسل خطر يغدّي خلل التركيبة السكانية ويفاقمه»: جيهان شعيب.

(٢) «مصر أنفقت ٧ ملايين جنيه عليه فوائد وعيوب لن تتوقعها اللواقي الذكري»: موقع انفراد.





لغة الأرقام

- ✗ تكاليف المؤتمرات = مؤتمر واحد في العام $\times$ مليون دولار تكلفة كل مؤتمر = مليون دولار في العام.
- ✗ تكاليف الندوات = ٥٠ دولة $\times$ ١٠ ندوات في العام في كل دولة $\times$ ١٠٠٠ دولار تكلفة كل ندوة = نصف مليون دولار.
- ✗ تكاليف الحملات الإعلامية = ٥٠ دولة $\times$ مليون دولار في العام تكاليف الحملات الإعلامية في كل دولة = ٥٠ مليون دولار في العام.
- ✗ تكاليف الأدوية والموانع = ٥, ٠ مليار امرأة $\times$ ١٠ دولار واحد في العام تكلفة الأدوية والموانع التي تستخدمها كل امرأة = ٥ مليار دولار في العام.
- ✗ مجموع المبالغ التي يمكن توفيرها مما يُصرف على حملات منع الحمل = ١ + ٥, ٠ + ٥٠٠٠ + ٥٠٥١, ٥ = مليون = ٥, ٠٥ مليار في العام.

الإعلام المعادي للإسلام

نقصد بالإعلام المعادي للإسلام هو كل ما يستخدمه الأعداء التقليديون من يهود ونصارى وبوذيين وهندوس وغيرهم، أو الموالون لهم ممن ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، من مختلف الصور لمحاربة الإسلام، والتي قد تشمل البرامج الإذاعية والتلفزيونية والأفلام والقنوات الفضائية، وما يكتب في الجرائد والمجلات ومواقع الإنترنت، وما يقام من مؤتمرات وندوات، وما يؤلف من كتب ومنشورات، بالإضافة إلى حملات تغيير المناهج الدراسية، إلى ما هناك من وسائل الهدم والإضلال التي ما فتأ هؤلاء الأعداء في ابتكارها للنيل من الإسلام وأهله.

وكما أخبرنا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فإن هؤلاء الأعداء لن يهدأ لهم بال إلا بالنيل

من الإسلام وأهله على قدر ما يستطيعون. وقد كشف تقرير أمريكي^(١) حول ظاهرة الإسلاموفوبيا عن وجود ٧٤ مجموعة في أمريكا تنشط لنشر ما يُعرف بـ «الإسلاموفوبيا»، وأن من بين هذه المجموعات توجد ٣٣ على الأقل معادية للمسلمين، وحصلت على تمويل بين عامي ٢٠٠٨م و ٢٠١٣م بما يزيد عن ٢٠٥ مليون دولار. وأضاف التقرير أن «هناك قوانين معادية للإسلام في ١٠ ولايات أمريكية حتى هذا اليوم».

القنوات الفضائية ودورها في حرب الإسلام

أفاد تقرير لاتحاد إذاعات الدول العربية^(٢) بأن عدد القنوات الفضائية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي كانت لا تتعدى العشرين أو الثلاثين قناة، في حين بلغت في عام ٢٠١٥م ما يزيد عن ١٣٩٤ قناة، وتشمل القنوات التي تتولى بثها، أو إعادة بثها، هيئات عربية عامة وخاصة، ومنها ١٧٠ قناة رياضية، و ١٥٢ قناة تبث الأفلام والمسلسلات، و ١٢٤ قناة غنائية، وكل هذه مقابل ٩٥ قناة دينية، ومن هذا نرى كيف يُسَخَّرُ الإعلام لنشر المجون والفسق ومحاربة الإسلام، أو على الأقل إلهاء الشباب والفتيات بالرياضة وغيرها، وغسل أدمغة الناشئة ليشبوا وهم لا يعرفون عن دينهم شيئاً، بل ربما يكونون محاربين له والعياذ بالله.

وإذا تحدثنا عن الأموال الطائلة التي تُهدَر على هذه القنوات وغيرها من وسائل الإعلام، فيكفي أن نعلم أن دراسة حديثة^(٣) قد كشفت أن تنظيم داعش يملك سبع قنوات فضائية، يَبْثُّ من خلالها العنف والإرهاب حول العالم، بالإضافة إلى ٩٠ ألف صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة فيسبوك وتويتر، وقد رصد

(١) «مجموعات معادية للإسلام تتلقى تمويلاً بمئات ملايين الدولارات»: موقع RT العربية.

(٢) «١٣٩٤ قناة في فضاء العرب»: موقع CNN العربية.

(٣) «داعش يمتلك ٧ قنوات و ٩٠ ألف حساب إلكتروني»: قناة العربية.

الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام

لها التنظيم ميزانية تُقدَّر بأكثر من ثلاثة مليارات دولار، وأن قناة «الاعتصام» قد خُصَّص لها وحدها ٥٠٠ مليون دولار. فإذا كانت ثلاثة مليارات دولار قد رُصدت لسبع قنوات فضائية فقط، فكيف بالأموال التي تُهدَّر على أكثر من ١٥٠٠ قناة يمتلكها العرب، فضلاً عن القنوات الأخرى التي تمتلكها بقية الدول الإسلامية؟

والمتتبع للقنوات الفضائية، الرسمية منها والخاصة، لا تهاجم الأحزاب والتيارات الإسلامية فقط، وإنما تهاجم الإسلام كدين وعقيدة، ولا شك أن هذه القنوات تتعدَّد في ممَّولِّيها والقائمين عليها؛ فبعضها تديرها تيارات علمانية تدعو إلى الإباحية ونبد الدين، وأخرى تقف وراءها منظمات تنصيرية، وغيرها تمويلها - بل وربما تديرها - منظمات إحادية.

وبالنسبة لمواقع الإنترنت المعادية للإسلام فإنها لا تُعدُّ ولا تحصى، وكثيرٌ منها يُنشئها أفرادٌ ينتسبون إلى الإسلام، ولكنهم مع ذلك يُريدون أن ينشروا الفكر الذي ينتمون إليه؛ فهناك مواقع للملحدين، وأخرى للعلمانيين، وثالثة لأهل الحداثة، ورابعة للصوفية، وغيرها وغيرها كثير. ومن هذه المواقع ما تنشئها منظمات تنتمي إلى بلاد الإسلام، وأحياناً تنتمي إلى دولٍ كافرة، وهناك من المواقع التي تنشئها وتقوم على رعايتها حكومات إسلامية وغير إسلامية.

حساب الأموال التي يمكن توفيرها من الحملات الإعلامية للقضاء على الإسلام

رغم أننا لم نتطرق إلى كافة الوسائل والطرق في الحملات الإعلامية التي يستخدمها الأعداء و«الأبناء» لمحاربة الإسلام، والقضاء على ما تبقى منه في نفوس أتباعه، غير أن الصور والإحصائيات التي سقناها لتكفي لتُعطينا تقديرات بحجم الأموال الطائلة التي تنفق في هذا الجانب، والتي في غالبيتها أموال المسلمين،

وكان يمكن أن تُوجّه - في حالة استقامة الأمة - لتعزيز مكانة الأمة بين أمم الأرض، ولرقيّ ورفاهية شعوبها.

في «لغة الأرقام» التالية سنفترض أن كل دولة إسلامية تنفق في كل عام عشرة ملايين دولار فقط في حملاتها الموجهة ضدّ الإسلام، وطبعاً هذه المبالغ - رغم ضآلتها - قد تكون عن طوعية منها، أو بإيعاز من أسيادهم الذين يُملون عليهم مؤامراتهم وهم يُنفّذون. كذلك، فهذه المبالغ تشمل ما يُبث في وسائل الإعلام المختلفة من قنوات فضائية وإذاعات وأفلام جنسية وثقافية ومواقع وحسابات إلكترونية، وتشمل أيضاً تكاليف تغيير المناهج وبرامج غسيل الأدمغة ومسح الهوية التي تقوم بها كثيرٌ من جامعات العالم من خلال ما يُعرف بتبادل البعثات الطلابية.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مصاريف الإعلام المعادي للإسلام = ٥٠ دولة × ١٠ ملايين تكلفة حملات الإعلام المعادي للإسلام في كل دولة في العام = نصف مليار دولار في العام.

مكافحة الإرهاب

الإرهاب مصطلح حديث وقع حول تعريفه خلاف كبير في كل بلاد العالم، ولكن القَدَر المتَّفِق عليه هو: «الاعتداء على الأبرياء بالخطف والترويع، وإلحاق الأذى بهم، أو قتلهم لتحقيق أهداف سياسية لا علاقة لهم بها»^(١). وبناءً على هذا التعريف نقول بأن الإسلام يرفض الإرهاب، وهو لا يقبل إلحاق الأذى بالأفراد والشعوب ولا حتى بالحيوان، وحديث المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها معروف ومشهور.

(١) «الميثاق الإسلامي في لبنان»: موقع أنتج.

الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام

وبالمقابل، فإن الإسلام يمنع كل صور الفساد في الأرض؛ فسبحانه يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، ويأمر بالرفق حتى مع الأعداء، وينهى عن الاعتداء عليهم بدون سبب، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وحين يبيح القتال فهو يُسمِّيه جهاداً في سبيل الله، حتى ينتزع من مبرراته كل هدف لا يُرضيه سبحانه.

أما حين يُعتدى على الناس في حقوقهم أو كرامتهم أو دينهم أو أرضهم، ويُستعمل في هذا العدوان كل ما يعتبر إرهاباً، فمن حقهم أن يردُّوا العدوان بمثله، والبادئ أظلم، والله تعالى يقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، ويقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، حتى إذا تم ردُّع العدوان، فإن الصبر وعدم المعاملة بالمثل هو الأفضل عند الله لإشاعة جو العفو والتسامح والإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الحق، وأن الكفاح المسلح لا يدخل في العدوان والإرهاب؛ حيث أصدرت عام ١٩٧٤م قرارات تضمَّنت تعريف العدوان، فذكرت في بعض المواد بأن «الكفاح المسلح للشعوب التي تخضع لنظم الحكم الاستعمارية، أو العنصرية، أو أية أشكال أخرى من السيطرة الأجنبية، في الكفاح من أجل تقرير المصير، والحرية، والاستقلال ليس من العدوان»^(١).

(١) «المقاومة في مفهوم القانون الدولي»: موقع ستارتايمز.

وقد بدأت ظاهرة الإرهاب في العصر الحديث بالصهاينة في عام ١٩٦٩م؛ حينما اقتحمت مجموعة منهم مقر الوفد السوري في الأمم المتحدة، وعاثوا فيه فسادًا، كما أَلقت مجموعة أخرى منهم عام ١٩٧١م زجاجة حارقة على مكتب البعثة العراقية في الأمم المتحدة، وأطلق أحد أعضاء منظمة الدفاع اليهودية الرصاص على مقر الوفد السوفيتي في نيويورك في ٢٠/١٠/١٩٧١م، ثم بدأ بعد ذلك الاختطاف للدبلوماسيين وغيرهم والتفجيرات والاعتداءات والجرائم الدولية من مختلف الأمم والشعوب ومنتسبي الأديان^(١). ورغم كل هذه الشنائع من أبناء القردة والخنازير إلا أنه لم يُنسب الإرهاب إليهم، بل إنهم يعتبرون أنفسهم سادة الأمم في الرقي والتحضر.

إذن فلماذا يُتهم المسلمون بالإرهاب، ولم يُتهم الصرب بالإرهاب مع كل ما فعلوه في البوسنة بالمسلمين؟ ولماذا لم يُتهم الصهاينة بالإرهاب رغم ما يقومون به في فلسطين؟ ومع كل هذا وغيره كثير، فلماذا إذن بمجرد أن يرتكب أحد المسلمين خطيئة عن قصدٍ أو غير قصد، تسارع معظم وسائل الإعلام والتصريحات الرسمية فورًا باتهام الإسلام بالإرهاب، والتضييق على الأقليات المسلمة، ويعتبرون جميع المسلمين متهمين إلى أن يُثبتوا براءتهم، مع أن غالبية الجرائم الإرهابية التي تقع في العالم يرتكبها غير المسلمين؛ إذ لا تُشكّل الهجمات الإرهابية التي ارتكبها المسلمون إلا أقل من ٢٪ من العدد الكلي للهجمات الإرهابية التي وقعت في أوروبا، ووجدت دراسة مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، الذي بحث في الإرهاب الذي ارتكب على الأراضي الأمريكية بين عامي ١٩٨٠م و ٢٠٠٥م، أن ٩٤٪ من الهجمات الإرهابية ارتكبت على يد غير المسلمين^(٢).

(١) «الإرهاب الدولي - دراسة فقهية تحليلية»: علي محيي الدين القره داغي.

(٢) «ديلي بيست: ٩٨٪ من جرائم الإرهاب في أوروبا و ٩٤٪ في أمريكا منفذوها ليسوا مسلمين»: موقع ٢٤.



تغيير المناهج الدراسية وأثرها في مسخ الهوية الإسلامية

لا غرابة أن تطالب أمريكا اليوم وهي تقود الحملة الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، بإلغاء التعليم الديني وتغيير المناهج الدراسية في العالم الإسلامي، لأنهم يرون أن الأمة لم تمت ولم تتحلَّ عن دينها، إذ لا تزال صامدة مقاومة مجاهدة تستعصي على الذوبان، وتستعلي بإيمانها على كل الجراحات والانكسارات، ولن تتخلى عن دينها وقيمها وأخلاقها، فلا تزيدها الأزمات والتحديات إلا إيمانًا وثباتًا.

ورغم أن تغيير المناهج الدراسية مهمة، ويمكن أن تكون نقطة تحوُّل في مسار العملية التربوية في البلدان الإسلامية، غير أن التغيير الذي يتم هو - في غالب الأحيان - ليس لمنفعة الطلاب، ولا لصالح المجتمعات المسلمة وإنما لتعميق الولاء والانتماء للوطن والحاكم، وأيضًا لتجفيف منابع «الإرهاب»، كما يسمونها وفقًا للنظرة الغربية، والتي يقصدون بها التعاليم والقيم والمبادئ الإسلامية. كذلك، فإن التغيير - في الغالب - يُركِّز على مواد التربية الإسلامية واللغة العربية والتاريخ، ويرتكز في الأساس على ثلاث قضايا وهي:

■ نبذ العنف، ويُقصد به مهادنة الأعداء وعدم التعرُّض لهم بالأذى؛ بل وفتح بلاد المسلمين لهم، وتهيئة الأجواء لهم لينشروا مفاسدهم وأفكارهم الهدامة.

■ الجنس ونشر الإباحية والرذائل.

■ القضايا السياسية التي من خلالها يُزرع الولاء للحكام والسادة الأعداء، وأيضًا يتم تزوير الحقائق حول القضايا السياسية.

وتغيير المناهج يسير وفق أجندات مدروسة ومخطط لها من قِبَل أمريكا وحلفائها، كما أخبرنا سبحانه عنهم، فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم



مَنْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿البقرة: ١٠٩﴾. ويُبَرِّر هؤلاء وعملاءهم الحاجة إلى تغيير المناهج بمبررات غالبيتها تمسُّ القيم الإسلامية، غير أنها تُطلى بعبارات تتقبَّلها الجماهير المُسيِّرة؛ كما جاء في تبريرات وزارة التعليم المصرية عندما قامت في عام ٢٠١٥م بحذف مجموعة كبيرة من المواضيع في مناهجها بحجة أنها «تحت على العنف والتطرف»، فقامت بحذف الفقرات التي تشير إلى مصطلحات مثل القتال، وحرب العصابات، وطرْد الصليبيين، والوقائع التي يُذكر فيها حرق الأعداء^(١).

كذلك، فالتغيير في المناهج لا يتم دفعة واحدة فيثور عليها الناس، وإنما يأتي على مراحل عديدة وخطوات بطيئة؛ فمثلاً في أحد التغييرات التي طرأت على المناهج الدراسية في الأردن، تم إلغاء حفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في بعض الدروس، وتم حذف درس كامل حول سورة الليل واستبداله بدرس آخر حول السباحة، وتم تغيير صور المحجبات بصور لنساء غير محجبات، وتم استبدال درس عن آداب الطريق، والذي كان محوره الحديث النبوي الشريف حول آداب الطريق، بدرس عن إشارة المرور^(٢).

أنماط متعددة للحرب على الإرهاب

منذ أن أعلن بوش حملته للحرب على الإرهاب، فإن تلك الحرب اتخذت صوراً عديدة، منها:

✓ تصنيف الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة على أنها جماعات إسلامية؛ وعلى ضوء ذلك تم تصنيف جماعة الإخوان المسلمين، وحماس، وتنظيم القاعدة، وجماعة أبو سياف في الفلبين، وغيرها من الجماعات الإسلامية، على

(١) «دعوات إلى تغيير المناهج الدراسية المحرّضة على العنف وإلغاء الآخر»: موقع رصيف ٢٢.

(٢) «تعديل المناهج الدراسية بهذا الشكل .. لمصلحة من؟»: موقع سوايف.



الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام

أنها كلها جماعات إرهابية، وهذا يجيز للسلطات المحلية في الدول أو الإنترنت الدولي اعتقال المتهمين - أو المشتبه في انتمائهم - إلى هذه الجماعات وسجنهم، وكذلك يُجيز مصادرة أموال هذه الجماعات، وتجميد أرصدها في البنوك الغربية، وإغلاق مكاتبها.

✓ ملاحقة النشطاء الإسلاميين، سواءً أكان ذلك من خلال الحكومات الإسلامية، أم من غيرهم. وعلى مرور العقود المتوالية منذ بدء الصحوة الإسلامية تم اعتقال آلاف الإسلاميين، والزجَّ بهم في السجون وما يُصاحب ذلك من تعذيب وامتهان، ويصل الأمر أحياناً إلى إعدامهم. وتندرع هذه الدول بحجج واهية؛ كاتتماء هؤلاء لتنظيم القاعدة أو جماعات إرهابية. ولقد لعب الإعلام العالمي والإسلامي دوراً كبيراً في تصوير هؤلاء على أنهم متوحشون ولا همَّ لهم إلا امتصاص دماء الأبرياء.

✓ محاربة المدارس الدينية وإغلاقها بحجة أنها «تفرض الإرهاب»، وقد بدأت الحملة الشرسة على المدارس الدينية عندما شنت أمريكا حربها على أفغانستان، ورأت بأس المجاهدين هناك، فاعتبرت أن المدارس الدينية هي المصانع التي تُنتج هؤلاء المجاهدين، ولذلك بدأت حملاتها الضارية ضد هذه المدارس، ليس في أفغانستان وحدها، وإنما في جميع أنحاء العالم، حتى أغلقت مدارس في أمريكا وأوروبا بحُجج واهية، رغم أنه لم تُسجَّل على مواطني هذه الدول انتمايات للإرهاب، كما تصنفها أمريكا وحلفاؤها. وقد عانت أكثر من ١٣ ألف مدرسة دينية في باكستان من خطر الإغلاق، بعد أن أجبرتها الحكومة على تغيير مناهجها، ووضعتها تحت المراقبة، رغم أن هذه المدارس تُدرِّس أكثر من ١,٢ مليون طالب وطالبة أغلبهم من الفقراء، وتُموَّل من قبل الشعب الباكستاني^(١).

(١) «مدارس باكستان الدينية.. ماضٍ زاهر ومستقبل مجهول»: قناة الجزيرة.

✓ تجفيف منابع تمويل الإرهاب، وأكد على ذلك رؤساء الدول الإسلامية وغير الإسلامية، ويُركّزون في ذلك بالذات على منع الأموال أن تصل إلى الجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية المسلمة، والتي هي في غالبيتها أموال تبرعات من عموم المسلمين أو أموال الزكوات، رغم أن هذه الجمعيات والمنظمات ليس لها علاقة بالإرهاب، حتى كما يُعرّفونه هم. وقد قام السيسي مثلاً بعد اغتصابه الحكم في مصر بإغلاق ١٠٥٥ جمعية خيرية بحجة تبعية لها لجماعة الإخوان المسلمين، رغم أنها جمعيات أهلية تُقدّم المعونات للفقراء^(١).

✓ التعاون مع مُشغلي شبكة الإنترنت، الدولية والمحلية، لمكافحة انتشار لما يُسمونه بالأفكار المتطرفة والمواقع التي تُروّج لها. وقد وُضعت معظم الشبكات والمواقع الشهيرة تحت رقابة وتصرف الاستخبارات الأمريكية والصهيونية، وتم تزويدها بأفضل التقنيات للكشف عن هوية مستخدميها، والروابط والانتماءات والتحركات التي تربطهم بالآخرين.

✓ تغيير المناهج الدراسية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، بحجة أنها تدعو إلى «التطرف والطائفية والقبلية»، و«تحت على العنف والتطرف»، وأنها تُشجّع الفكر المتشدد، وتقتل التفكير النقدي، وتُكرّس الصورة النمطية للمرأة^(٢).

الأموال التي يمكن توفيرها من حملات القضاء على الإرهاب

مما لا شك فيه أن المسلمين لو استقاموا على دين الله فإنه - سبحانه - سيُغيّر أوضاعهم؛ بحيث سيتحوّل حالهم من ملاحقة للإسلاميين والمؤسسات الدينية إلى الاستفادة منهم لإعزاز هذه الأمة ونصرتها، وعندها لن تُهدّر الأموال الطائلة على حملات القضاء على هؤلاء، وإنما ستُسخّر تلك الأموال في النهوض بالأمة وأبنائها. ولكي تكون لدينا تقديرات مبسّطة بما يتم هدره حالياً من أموال الأمة في القضاء على خيرة شبابها ومؤسساتها، فإننا سنفترض أنه يوجد حالياً مليون

(١) «التضييق على الفقراء بإغلاق ١٠٥٥ جمعية خيرية.. أبرز إنجازات السيسي»: بوابة الحرية والعدالة.

(٢) «دعوات إلى تغيير المناهج الدراسية المحرّضة على العنف وإلغاء الآخر»: موقع رصيف ٢٢.



الفصل الحادي عشر: حملات القضاء على الإسلام

ناشط إسلامي يتم ملاحقتهم من قبل السلطات في الدول الإسلامية، وأن تكاليف ملاحقة كل ناشط ١٠٠٠ دولار في العام، وهذه تشمل تكاليف التحريات الأمنية والاعتقالات والمحاكم والمحامين والسجون. كذلك، فسنفترض بأن كل دولة إسلامية لها ١٠٠٠ خبير متخصص في محاربة الإرهاب، يتقاضى كل واحد منهم ١٠٠٠ دولار كراتب وامتيازات، وسنفترض أيضًا أن لكل دولة منشآت وأجهزة لمحاربة الإرهاب وملاحقة الناشطين الإسلاميين، وأنها تكلف كل دولة عشرة ملايين في العام.

لغة الأرقام

- ☒ الأموال التي يمكن توفيرها من ملاحقة النشطاء الإسلاميين = مليون ناشط إسلامي × ١٠٠٠ دولار تكلفة الملاحقة والمعاقبة لكل ناشط إسلامي = مليار دولار في العام.
- ☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الرواتب والامتيازات التي يحصل عليها الخبراء = ٥٠ دولة × ١٠٠٠ خبير في كل دولة × ١٠٠٠ دولار في الشهر رواتب وامتيازات × ١٢ شهرًا في العام = ٦٠٠ مليون دولار في العام.
- ☒ الأموال التي يمكن توفيرها من الأجهزة والمنشآت المخصصة لمكافحة الإرهاب = ٥٠ دولة × ١٠ مليون دولار في العام تكلفة توفير وتشغيل الأجهزة والمنشآت = ٥٠٠ مليون دولار في العام.
- ☒ العائد الإنتاجي من تشغيل الخبراء فيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالمنفعة = ٥٠ دولة × ١٠٠٠ خبير في كل دولة × ٢٣٠ يوم عمل في السنة × ٨ ساعات عمل في اليوم × دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة × ٢٠ سنة المدة الافتراضية للبقاء في العمل = ١,٨٤ مليار دولار في العام.
- ☒ مجموع الأموال التي يمكن توفيرها من حملات القضاء على «الإرهاب» = ١ + ٠,٦ + ٠,٥ + ١,٨٤ = ٣,٩٤ مليار دولار في العام.

المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها من حملات القضاء على الإسلام

رغم أننا لم نتطرق في هذا الفصل إلى كل المؤامرات التي يُحكيها أعداء الله بهذه الأمة، فهي لا تُعدُّ ولا تحصى، غير أن النماذج التي سقناها كافية لتعطينا مؤشراً على وضع الأمة، الذي لا تُحسد عليه، وما يمكن أن يفعل الإيمان بأبنائها لو استقاموا على دين الله، والأموال والخيرات التي يمكن أن تُوجَّه لبناء الأمة وإعزازها، بدلاً من استخدامها لنحر الأمة وذبح أبنائها، كما يحدث الآن، فهو سبحانه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

لغة الأرقام

✕ المجموع الكلي لتكاليف حملات القضاء على الإسلام = ٥,٠٥ مليار تكاليف حملات منع الحمل + ٠,٥ مليار تكاليف الإعلام المعادي للإسلام + ٣,٩٤ مليار تكاليف حملات القضاء على الإرهاب = ٩,٤٩ مليار دولار في العام.

الفصل الثاني عشر: مقاطعة البضائع الأجنبية

إن من المصائب المركبة التي تقاطرت على هذه الأمة - وخاصة في العصر الحديث - هو ليس فقط تقاعسها عن حمل رسالة ربها، بل حتى دورها في توفير لقمة عيشها؛ حيث أصبحت طيلة عقودها المتأخرة مجرد أسواق لمنتجات أجنبية. وبالإضافة إلى ما لا يخفى على كل لبيب ما يحمله الاعتماد الفاضح على منتجات الغير من تبعية واستعباد، إلا أن هناك أيضًا الكثير من المخاطر التي تعمل جادة على تفتيت ما بقي من القوام المتمالك لدعائم ومقومات هذه الأمة.

إن علينا أن لا ننسى أننا لا زلنا نعيش في صراع مستمر مع الدول التي أذاقتنا الوليات وأغرقتنا في الشهوات، وأن تلك الدول لن يهدأ لها بال للنيل من هذه الأمة حتى تستخدم كل ما في وسعها لإلحاق أي ضرر كان بأبناء هذه الأمة. إن المنتجات الأجنبية التي تصلنا من دول «الجوار» والدول «الصديقة» قد لا تحمل في حقيقتها «الشَّهْد» الذي تُرَوِّج له تلك الدول وإنما قد تحمل معه السُّم الزعاف الذي يقضي على الأمة أفرادًا وجماعات. إن علينا أن ندرك أن مقاطعة البضائع الأجنبية ليس فقط ضرورة حتمية لتوفير بعض الأموال التي يحملها الطوفان الجارف إلى تلك الدول، وإنما هو أيضًا ضرورة حتمية لتحصين الأمة من الأوبئة والأمراض الفتاكة التي قد تُدَسُّ في تلك المنتجات، وضرورة حتمية كذلك لصون ماء الوجه لهذه الأمة ولرفع ذل التبعية لغيرها.

المقاطعة رمزٌ للتصدّي لهيمنة الدول الكبرى

إن العامل الاقتصادي مَكَّن الدول الغنية من إقامة نظام مالي واقتصادي عالمي تُسيِّره وتسيطر عليه، وتتخذ أداة لإذلال الدول الصغيرة وإخضاعها لمشيئتها، مستخدمة في ذلك الكثير من الخُدَع التي تنطلي على البلهاء والعملاء والخونة من أبناء هذه الأمة، ومن ذلك مبدأ اقتصاديات السوق والمنافسة الحرة الذي تتخذه مبررًا لمنع الدول الصغيرة أو الناشئة من حماية منتجاتها، وبذلك تعطي بضائعها فرصة كبيرة للسيطرة على اقتصاديات الدول الصغيرة، وتهديدها بعد ذلك بالمقاطعة والحصار الاقتصادي، كما حدث للسودان وإيران والعراق وغيرها، وتعتمد في ذلك على قرارات من المنظمات الدولية التي تسيطر عليها الدول الكبرى، وتتخذها واجهة لاستعباد واستخراب الأمم.

والعجيب في الأمر أن بعض الحكومات المسلمة المغلوبة على أمرها تتردّد في مقاومتها لألاعيب الدول الكبرى بحجة التزامها بالشرعية الدولية، وأنها ملتزمة بتوفير مطالب العيش والرفاهية لشعوبها، وأنها لا تستطيع ذلك إلا عن طريق الحصول على رضى القوى الكبرى؛ لكي تحصل على المساعدات الأجنبية، أو الدولارات القليلة من بعض الدول الكبرى والمؤسسات المالية العالمية، والتي - في الواقع - لا تُقدّمها لها مجانًا ولا بدون مقابل.

تعتبر المقاطعة بأشكالها المختلفة - بما فيها المقاطعة الاقتصادية - إحدى وسائل الدفاع عن النفس بين الأفراد والدول، وتستخدمها الدول في الغالب ضد المعتدين على أراضيها أو سيادتها أو رعاياها. وتعتبر المقاطعة الاقتصادية من أهم أسلحة الحرب الاقتصادية وذلك من خلال مقاطعة كاملة لسلع إحدى الدول وعدم الاستيراد منها أو التصدير إليها على الإطلاق، وذلك باستخدام المنتجات المنافسة لمنتجات تلك الدولة وعدم إعطائها أيّ فرصة لترويج سلعها التصديرية، كما تعتبر



الفصل الثاني عشر: مقاطعة البضائع الأجنبية

المقاطعة الاقتصادية وسيلة فعالة من وسائل الضغط الجماعي التي تستخدمها مجموعة من الدول لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية. وتُعَدُّ مقاطعة السلع الغذائية أكثر تأثيراً؛ لأنها أكثر سرعة في التلف تليها بعد ذلك السلع المصنَّعة.

إن هدف المقاطعة الاقتصادية الشعبية توجيه الأفراد والجماهير للمواجهة المباشرة مع القوى المالية، وأيضاً ضدَّ الهيمنة الاقتصادية للقوى الأجنبية المستغلة، ومقاومة ما يُفَرَض على الدول والحكومات المسلمة باسم مبدأ اقتصاد السوق وحرية التجارة، وهو المبدأ الذي يُمكن المنتجات الأجنبية من السيطرة على الأسواق المحلية، والقضاء على الصناعة والزراعة والإنتاج الوطني الناشئ، الذي يكون في مركز ضعف بالنسبة للمستوردات الأجنبية، ويزداد ضعفه بالتزام الدول والحكومات بما يسمى باقتصاد السوق، الذي تُعتبر اتفاقيات «الجات» مؤشراً واضحاً لأهدافه ومعالمه.

ثم إن المقاطعة وسيلة عملية لمقاومة الدعايات الانهزامية وتيار الاستسلام للهيمنة الاقتصادية والسياسية الأجنبية الذي يغري الجماهير لقبول السيطرة العالمية بحجة أنها حتمية، أو أن العالم أصبح وحدة اقتصادية ومالية لا بُدَّ أن تتحكم فيها القوى الاقتصادية الكبرى، وأن الواقع العالمي فرض هذا التحكم، وبذلك نسير في تيار الخضوع له والاستسلام لقراراته وتوجيهاته بحجة «العولمة» أو «الكونية».

إن استسلامنا للسيطرة المالية الأجنبية يغريها بالتمادي في نهب مواردنا المائية والمالية وثرواتنا المعدنية والنفطية، وإذلال شعوبنا ودولنا وحكوماتنا وإخضاعها لتوجيهاتها، وتحويل مجتمعنا وأفراده إلى مجرد خدم للسادة المتحكِّمين بحجة السياحة، أو جنود مرتزقة يبيعون دماءهم؛ لتنفيذ قرارات النظام العالمي في القوات الدولية التي تستخدم للسيطرة على الشعوب المتخلفة أو الناشئة أو الضعيفة أو الصغيرة، وإعفاء مواطني الشعوب الكبرى التي تستفيد من هذا النظام العالمي من



المواجهة الدموية في هذه العمليات التي تدبرها وتستغلها، ويصبح مجتمعنا غير منتج، وإنما مجرد مستهلك لما يستورده من فائض إنتاج الدول الكبرى.

إن الاستسلام للسيطرة الاقتصادية الأجنبية يُمكنها من تنفيذ مخططاتها دون أيّ مشقة أو تكلفة، وأما المقاومة والصمود فإنه يفرض عليها أن تدفع ثمن هذه السياسة بتعطُّل مصالحها الاقتصادية، وكلما وجدت أن هذا الثمن يُضعف اقتصادها أو يخلق لها مشاكل مالية فإنها ستعيد النظر في سياستها.

إن سلاح المقاطعة الشعبية لبضاعة معينة أو مشروع معين يعطي للقوى الوطنية الحية وسيلة لمقاومة الخطط الأجنبية دون حاجة للمصادمة مع الحكومات الوطنية بحجة أنها خاضعة لتوجيهات القوى العالمية، وكذلك فإنها تُخفّف من الضغوط السياسية التي تفرضها تلك القوى المستغلة على حكوماتنا بعد أن يتضح لها أنه لا فائدة في مواصلة هذه الضغوط والتهديدات عليها، وتصبح مضطرة إلى أن تواجه تحدي القوى الشعبية وتسعى لإرضائها بصورة مباشرة، وهنا لا بُدَّ أن تتسلح هذه القوى الشعبية بعقيدة وإيمان يُمكنها من تحمُّل مسؤولية هذه المجابهة المباشرة مع القوى المالية والاقتصادية، وتصابر على مشاق هذه المقاطعة التي ستحمِّلها كثيرًا من أعباء التقشف والخشونة، التي يستطيع الإيمان بالله والثقة بالنصر أن يعينها على المواجهة.

الوسائل الفعّالة لمقاطعة البضائع الأجنبية

إن مقاطعة البضائع الأجنبية ينبغي أن تتبناها هيئات شعبية تتشكل من متخصصين على مستوى عالٍ من الكفاءة لكي تدرس ملف الواردات العربية سلعة سلعة، خاصة تلك الواردة من أمريكا أو إسرائيل أو الهند، أو المنتجّة بتصريح من إحدى شركات هذه الدول، لتقرر ما هو أولى بالمقاطعة من غيره، وتوضح المكاسب التي يمكن



الفصل الثاني عشر: مقاطعة البضائع الأجنبية

أن تنجم عن هذه المقاطعة، وتحاول تقليص حجم الخسائر التي يمكن أن تلحق بالمواطن العربي - وهي لا شك حادثة - إلى حدودها الدنيا.

ولكي تُؤتي المقاطعة ثمارها فيجب أن تكون الدعوة للمشاركة في تنفيذها عامة على مستوى جميع أقطار العالم العربي والإسلامي والعالم الثالث كله، فلا تأخذ طابعاً قومياً أو محلياً، وإنما تكون بداية طريق عملي للتضامن بين الشعوب الناشئة الناهضة، التي تحتاج إلى إنشاء صناعاتها وتشجيع منتجاتها في مواجهة المنافسة الأجنبية التي أطلقت لها اتفاقية «الجات» العنان؛ لكي تقضي على كثير من المشروعات الوطنية الناشئة.

ولا شك أن المقاطعة الجماهيرية ستواجه تياراً من العملاء والخونة، وهم يرتدون رداء الناصح الأمين، ولكنهم - في حقيقة الأمر - يقومون بتشيط الهمم والعزائم المتحرّكة لمقاطعة كل ما هو أمريكي وإسرائيلي وهندي، وهؤلاء يتحجّجون بحُجَج واهية مثل عدم جدوى ما تسببه المقاطعة من أضرار على صناعة القرار الأمريكي أو السلوك الهمجي الإسرائيلي أو الهندي، أو أن المقاطعة تتنافى مع السلوك «الحضاري» الذي ينبغي أن تظهر به الشعوب الإسلامية بين أمم الأرض.

ومن الخطأ الكبير تعميم النظرة إلى المقاطعة الشعبية على أنها مجرد تعبير عن غضب، أو وسيلة عاطفية غير منضبطة، وإنما هي وسيلة بالغة الأهمية والخطورة في وقت واحد، ويجب على الداعين إليها أن يُحسِنوا استخدامها وتوظيفها، ويجب تحويلها من مجرد ممارسات عفوية، إلى وسيلة هادفة منظمة فعّالة ومتطورة، بما يضمن استمراريتها وتحقيق غاياتها، ويحول دون وقوع سلبيات قد يستغلها الأعداء لمحاربة القائمين عليها والمناصرين لها.

إن على القيادات الشعبية من العلماء والدعاة والمفكرين والكتّاب والصحفيين والمثقفين أن يتحمّلوا المسؤولية المباشرة لدعم المقاطعة الشعبية، وينبغي ألا تقف جهودهم فقط عند حدود الخطب والمحاضرات والمقالات، بل عليهم أخذ زمام المبادرة لقيادة أيّ تحرّك شعبي يسير في هذا الاتجاه.

ويجب أن تتم المقاطعة في عدة مجالات منها: الاستيراد والتصدير، والمناطق الجمركية الحرة، ومراقبة الأسواق المالية والمصارف، وتعاملات التجار، ومكافحة التهريب ومراقبة الحدود، ومعاقة الشركات الأجنبية، مثل شركات الطيران والملاحة والإنتاج السينمائي، والتي تُهيمن عليها أو تدعمها الدول المعادية للمسلمين بشكل مباشر مثل أمريكا وإسرائيل والهند.

ولا شك أنه لا يُنتظر من حكومات دول الخليج وغيرها من الدول العربية والإسلامية اتخاذ قرارات بالمقاطعة التجارية للبضائع الأمريكية أو الإسرائيلية أو الهندية لاعتبارات استراتيجية عديدة، أبرزها أن كافة هذه الدول الإسلامية مرتبطة باتفاقيات سياسية وعسكرية مع الدول التي يُراد مقاطعة بضائعها، الأمر الذي يجعلها مكبّلة بقيود يتعذر معها اتخاذ مثل هذه الخطوة. وحتى الدول الأخرى التي لا ترتبط باتفاقيات أمنية مع أمريكا، فإن النفوذ الأمريكي فيها متوغل للغاية في كافة المجالات خصوصًا الجانب الاقتصادي والتجاري؛ حيث تعتبر الولايات المتحدة ثاني أكبر شريك تجاري مع دول الخليج كافة بعد دول الاتحاد الأوروبي، ولا يخفى أيضًا حجم العملة الهندية المنتشرة في دول الخليج.

وتجد الشركات الأمريكية في السوق الخليجية فرصة هائلة لتسويق بضائعها؛ بسبب ارتفاع دخل الفرد الخليجي وارتفاع معدلات استهلاكه من السلع مقارنة بنظيره في الدول العربية الأخرى، ناهيك عن حرص الشركات الأمريكية على اتخاذ بعض الدول الخليجية مقارًا إقليمية لعملياتها في المنطقة مثل دبي والبحرين



الفصل الثاني عشر: مقاطعة البضائع الأجنبية

للانطلاق إلى أسواق الدول المجاورة، فعلى سبيل المثال ٧٠٪ من إجمالي مستوردات دبي من أمريكا يعاد تصديره من دبي إلى دول الخليج المجاورة وإيران والهند وباكستان وعدد من الدول العربية.

ولا شك أن المقاطعة ستؤتي ثمارها على مرور الوقت، فمثلاً تشير بيانات المكتب الرئيسي للمقاطعة العربية في دمشق إلى أن الخسائر التي تكبّتها إسرائيل بسبب المقاطعة العربية الرسمية من عام ١٩٤٥م وحتى عام ٢٠٠٢م، أخذت في التراكم بمرور الوقت، حتى بلغ إجمالي الخسائر ١٢٠ مليار دولار، رغم اتساع الثغوب في جدار هذه المقاطعة^(١).

دور المسلم المستقيم في حملات المقاطعة

إن علينا أن ندرك أن غير المستقيم من المسلمين قد لا يعي حجم الجرم الذي يقع فيه وهو يستهلك - أو حتى يُروّج - لمنتجات الدول الكافرة، ولا يحمل من همّ إعادة العزة والكرامة لهذه الأمة إلا بالمقدار الذي يجلب له مصلحة أو يعينه على تجاوز ضرر لاحقٍ به. أما المسلم المستقيم فإنه الوحيد الذي تُعقد عليه آمال التغيير، وتُشدُّ عليه دعائم البناء السليم لكيان هذه الأمة. ومتى استقامت الأمة أصبح لزاماً على أبنائها أن يجدّوا لتحرير أنفسهم من ربة التبعية وأن يخلصوا أنفسهم من ذل الاعتماد على الغير.

ورغم أن الكثير من المسلمين - وحتى بعض المستقيمين منهم - قد لا يتصور ما يمكن أن تحمله مقاطعة البضائع الأجنبية من أثرٍ في تدهور اقتصاديات الدول الأجنبية وخاصة في غمرة الحملات الترويجية التي تقوم بها تلك الدول لمنتجاتها، إلا أنه قد ثبت بالتجربة أن مقاطعة البضائع الأمريكية قد أثّرت على الاقتصاد

(١) «طبيعة المقاطعة العربية لإسرائيل»: موقع مفكرة الإسلام.

الأمريكي، وعلى الرأي العام الأمريكي والعالمي على وجه الخصوص، تأثيرًا كبيرًا جعل الولايات المتحدة وعملاءها يتخذون خطوات غير مسبقة لتفادي تفاقم أثر تلك المقاطعة عليهم، ولمحاولة إفشال المقاطعة أو الدعاية لها في البلدان الإسلامية. وقد أشارت التقارير المتتالية أن الولايات المتحدة وحدها قد خسرت عشرات المليارات بُعيد بدء حملات المقاطعة لمنتجاتها.

إن التوقف عن ضخ الأموال الإسلامية للمصارف الأمريكية وسحب الاستثمارات العربية والإسلامية الحالية من البنوك الأجنبية يُعدُّ خطوة إيجابية في طريق مقاطعة البضائع الأجنبية. وكما ذكرنا في فصول سابقة فإن حجم الاستثمارات العربية في الدول الغربية - وخاصة أمريكا - قد تصل إلى أكثر من ٤ ترليون دولار. كذلك فإنه وفقًا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٠م^(١) فإن معظم الاحتياطات الرسمية للدول العربية والتي تُقدَّر بما يزيد عن ٨٤ مليار دولار محتفظ بها بالدولار الأمريكي. لذا فإن التقليل من الاعتماد على الدولار الأمريكي والتحوُّل إلى عملات أخرى لِيُعدَّ ضربة قاصمة للاقتصاد الأمريكي.

حساب العائدات الاقتصادية لمقاطعة المنتجات الأجنبية

نسوق فيما يلي بعض التقديرات لما يمكن أن تحمله مقاطعة بعض البضائع الأجنبية المشهورة والمُستهلكة من قِبَل شرائح كبيرة من المسلمين. ما سنفرضه في هذه التقديرات هو أن عُشر المسلمين فقط (أي حوالي ٢٠٠ مليون) هم من المستهلكين للبضائع الأجنبية. وعلى اعتبار أن كل أسرة مسلمة تتكون من خمسة أفراد (الأب والأم وثلاثة أطفال) فإن عدد الأسر المسلمة الذي سنستخدمه في التقديرات التالية هو ٤٠ مليون أسرة.



مقاطعة مطاعم الوجبات السريعة الغربية

تشمل هذه المطاعم ماكدونالدز وكتاكي وبيتزا هات وبرجر كينج، وغيرها من المطاعم التي صارت لا تكاد تخلو منها مدينة من مدن البلاد الإسلامية.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة مطاعم الوجبات السريعة الغربية = ٢٠٠ مليون مسلم يترددون على هذه المطاعم × وجبة واحدة في العام يتناولها كل واحد من هؤلاء × ٥ دولار قيمة الوجبة الواحدة = مليار دولار في العام.

مقاطعة المشروبات الغازية

تشمل هذه المشروبات منتجات شركتي بيبسي وكوكا كولا وغيرها.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة المشروبات الغازية من الدول الأجنبية = ٢٠٠ مليون مسلم يتناولون هذه المشروبات × عبوة واحدة في الشهر يتناولها كل واحد من هؤلاء × نصف دولار قيمة العبوة الواحدة × ١٢ شهرًا في السنة = ١,٢ مليار دولار في العام.

مقاطعة مستلزمات الأطفال

تشمل هذه منتجات شركات بامبرز ولافز و«جونسون وجونسون» وغيرها.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة مستلزمات الأطفال الأجنبية = ٤٠ مليون أسرة مسلمة تستخدم هذه المنتجات × منتج واحد في الشهر تشتريه كل أسرة × ٥ دولارات قيمة المنتج الواحد × ١٢ شهرًا في السنة = ٢,٤ مليار دولار في العام.



مقاطعة المنظفات الأجنبية

تشمل هذه صوابين الاستحمام والشامبو وصوابين الملابس والمنظفات الأخرى.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة المنظفات الأجنبية = ٤٠ مليون أسرة مسلمة تستخدم هذه المنتجات × منتج واحد في الشهر تشتريه كل أسرة 5×5 دولارات قيمة المنتج الواحد $12 \times$ شهرًا في السنة = ٢,٤ مليار دولار في العام.

مقاطعة أدوات التجميل والمكياج

أذكر أنني قرأت منذ فترة أن ما تنفقه النساء في الولايات المتحدة الأمريكية على أدوات التجميل والمكياج في العام الواحد يفوق ما تم إنفاقه على البرنامج الأمريكي للفضاء منذ نشأته وإلى ذلك اليوم، وحسب الإحصائيات المنشورة فإن سوق مستحضرات التجميل في العالم تُقدَّر بحوالي ٢٥٥ مليار دولار في العام، تستهلك منها المرأة العربية ٢٥ مليار دولار، والمرأة الخليجية نحو ٦,٦ مليار دولار^(١)، وهذا في حد ذاته كافٍ ليعطينا مؤشرًا بمقدار استهلاك هذا النوع من المنتجات الأجنبية. غير أن هناك منتجات أخرى يستخدمها الرجال والنساء على حدٍّ سواء، كأدوات الحلاقة ومزيلات الروائح وغيرها.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة أدوات التجميل والمكياج = ١٠٠ مليون امرأة مسلمة × منتج واحد في الشهر تشتريه كل امرأة × دولار واحد قيمة كل منتج $12 \times$ شهرًا في السنة = ١,٢ مليار دولار في العام.



مقاطعة السيارات والمعدات الأمريكية والأوروبية والهندية

رغم أن السيارات اليابانية هي السائدة في منطقة الشرق الأوسط، غير أن هناك نسبة كبيرة من السيارات التي تُستورد من أمريكا والدول الأوروبية والهند. من أجل هذا، فسنفترض هنا أن شخصًا واحدًا فقط من كل ١٠ آلاف مسلم سيشتري سيارة أجنبية من هذه الدول في كل عام، وأن قيمة السيارة الواحدة هو ١٠ آلاف دولار فقط.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من مقاطعة السيارات والمعدات الأجنبية = ٢ مليار مسلم في العالم ÷ شخص واحد من كل ١٠ آلاف شخص سيشتري سيارة أجنبية في العام × ١٠ آلاف دولار قيمة كل سيارة = ٢ مليار دولار في العام.

مجموع ما يمكن توفيره عند مقاطعة بعض المنتجات الأجنبية

إن التقديرات البسيطة التي استخدمناها - رغم ضآلتها - قد أعطتنا دلالة واضحة بحجم الاستهلاك الفاضح للمنتجات الأجنبية. إن المليارات التي تُصرف سنويًا على المنتجات الأجنبية يمكن، كما هو مُبين في «لغة الأرقام» التالية، أن تجعل من الدول الإسلامية - في حالة مقاطعة تلك المنتجات - دولًا صناعية منافسة للدول الأجنبية، ويمكن لتلك المليارات أن تبني آلاف المصانع وتجعل من مبدأ الاعتماد على النفس حقيقة واقعة في غضون سنوات قليلة. لكن هذا الأمر لن يتأتى إلا على أيدي المخلصين الشرفاء من أبناء هذه الأمة، وأما أصحاب المصالح المادية - سواء أكانوا تجارًا أم مستهلكين - فإن قضية المقاطعة والاعتماد الذاتي على النفس قد لا تعنيهم، بل ربما كانوا من أكبر المقاومين لها.

لغة الأرقام

✕ المجموع الإجمالي للأموال التي يمكن توفيرها للأمة لو قاطعت البضائع الأجنبية = مليار دولار يمكن توفيره من مقاطعة مطاعم الوجبات السريعة الغربية + ١,٢ مليار دولار يمكن توفيرها من مقاطعة المشروبات الغازية من الدول الأجنبية + ٢,٤ مليار دولار يمكن توفيرها من مقاطعة مستلزمات الأطفال الأجنبية + ٢,٤ مليار دولار يمكن توفيرها من مقاطعة المنظفات الأجنبية + ١,٢ مليار دولار يمكن توفيرها من مقاطعة أدوات التجميل والمكياج + ٢ مليار دولار يمكن توفيرها من مقاطعة السيارات والمعدات الأجنبية = ١٠,٢ مليار دولار في العام.

إن الأرقام المذهلة التي توصلنا إليها في هذا الفصل لم تتطرق إلى المليارات الأخرى التي يمكن توفيرها للأمة من جراء إيجاد فرص عمل جديدة، ومن حلّ للمشاكل الاجتماعية والبيئية من بطالة وفقر، ومن حصانة ضد الأوبئة والأمراض التي تجلبها البضائع المستوردة. إن الاستقامة على دين الله كفيلة بأن تغيّر المجتمعات المسلمة في هذا الجانب، كما هي قادرة على تغيير المجتمعات المسلمة في الجوانب الأخرى.



الفصل الثالث عشر:

التخلص من أمهات الخبائث



عندما جاء الإسلام برسائلته الخالدة لم يكن همُّه تعميق الرهينة في نفوس أتباعه، وإنما تغيير معالم الحياة بأكملها، وكما جاء لتمام مكارم الأخلاق التي وُجدت، ويُقيم الدعائم القويمة للأخلاق الفاضلة، جاء كذلك لِيُنهي من الوجود كل ما يمكن أن يعود بالضرر على هذا الكائن - الإنسان - الذي شرفه الله على سائر المخلوقات.

وعندما انحرف الإنسان عن المنهج الذي اختصه الله به، ورغب أن يتلبَّس بسرَاويل الذُّل والهوان، ويرتدي أقمشة العار والسَّار، عندها تغيَّرت سماته فصار يتهافت على كل ما فيه فساد وضرر، وجعل من أمهات الخبائث التي أجمعت البشرية على قذارتها على امتداد التاريخ شارات لمدينته وتحضره، والله يُبين لهم خطورتها فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ورغم أن العقلاء في هذا العالم قد رفعوا صيحات التحذير، وهبوا جاهدين لتبصير الناس بأخطار هذه الخبائث، إلا أنه ليس مثل الاستقامة على دين الله رادع يستطيع أن يجعل من شخصية هذا الإنسان نقية طاهرة وسليمة، سواء أكانت في مظهرها أم باطنها أم فكرها.



وللأسف الشديد، فقد انقادت الأمة طوعية وراء الغرب الذي أباح أمهات الخبائث وأصول الرذائل والمفاسد، وأعلنها حرباً على كل الفضائل والقيم، وكل الأديان والأعراف، وهو لا يُلام على ذلك ما دام لا دين له يمنعه، ولا ضمير يردعه، وما دام هذا شأن الحياة المادية التي ينغمس فيها، ولكن اللوم والعتب على المنحرفين من أبناء أمتنا الذين قلّده فيما أباحه وأعلنه، واستجابوا لنداءاته الخادعة، وطرقه الماكرة، والله يناديهم ويذكرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ورغم كثرة الخبائث وتنوعها، غير أننا سنلقي في هذا الفصل على أربعة نماذج منها فقط، وذلك لخطرها المستشري، وآثارها المدمرة على فاعلها والمجتمع والأمة.

تعاطي الخمر والمسكرات

في الوقت الذي أصبحت صيحات العقلاء في الدول الغربية والشرقية تتعالى لإنقاذ شعوبها من ويلات الخمر، فقد كُرسَت الجهود في البلدان الإسلامية لنشرها بشتى الوسائل عملاً بمقولة المنصّر صمويل زويمر: «كأس وغانية تفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مدفع». لهذا فقد أصبحت محلات بيع الخمر - بل ربما مصانعها - منتشرة في معظم البلدان الإسلامية لأغراض وهمية كالسياحة والانفتاح والحرية الشخصية، وتقوم معظم الحكومات الإسلامية بمنح التسهيلات الكبيرة للحصول على تراخيص لاستيراد - أو حتى تصنيع الخمر -، وأيضاً لفتح حانات لتعاطيها، ثم دعم أسعارها وترويج استهلاكها، وكذلك يقوم الإعلام المنحرف بالتقليل من أضرار شاربها، والتهوين من اقترافها كجريمة وكبيرة من كبائر الذنوب، وعُطِّل كذلك دور المحاكم الشرعية في معاقبة المخمورين وفق الشريعة الإسلامية، وحلّت محلها قوانين وضعية لا تُدين شارب الخمر فضلاً عن منتجها أو مروجها.



الفصل الثالث عشر: التخلّص من أمهات الخبائث

فيا الله، كيف يتحدى هؤلاء - الذين يدعون الإسلام - ربهم، وهو يحذرهم من ذلك فيقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]؟ ألم يسمعوا بقوله - عليه الصلاة والسلام - وهو يُبين أن لعنة الله تنزل ليس فقط على شارب الخمر وحده، وإنما على ثمانية أصناف أخرى من الناس معه، ممّن يتعاملون معها، فيقول: «لُعِنَتِ الْخَمْرُ، وَشَارِبُهَا، وَسَاقِيهَا، وَبَائِعُهَا، وَمُبْتَاعُهَا، وَحَامِلُهَا، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَعَاصِرُهَا، وَمُعْتَصِرُهَا، وَآكِلُ ثَمَرِهَا»^(١)؟ وكلام رسول الله شرعٌ يجب أن ينفذ كما تنفذ آيات القرآن، والله يحذر من مخالفة رسوله فيقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

لهذا فقد صرنا نسمع - بل ربما نشاهد - وقائع لمخمورين انتكسوا إلى أرذل مستويات الحيوانات، وصارت وقائع قتل - أو ربما ذبح - شارب الخمر لأمه أو أطفاله أو زملائه أمرًا مألوفًا. وصارت كذلك نوادي ضباط الشرطة والجيش والحفلات التي تقيمها الأندية والجمعيات الثقافية والاجتماعية والنسائية بيئة خصبة لشاربي الخمر، ومدرسة مفتوحة لمن يُزَيّن له الشيطان البدء في تعاطيها.

رَأَيْتُ الْخَمْرَ مَنْقُصَةً فِيهَا	مَنَاقِبُ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا ^(٢)
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَحِيحًا	وَلَا أَشْفِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمَا
وَلَا أُعْطِي بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي	وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمًا
فَإِنْ الْخَمْرَ تَفْضَحْ شَارِبِيهَا	وَتَجْنِيهِمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَا

(١) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - (حديث رقم: ٥٣٩٠).

(٢) من قصيدة للشاعر الجاهلي صفوان بن أمية بن محرز الكناني.



الاستهلاك العالمي والإسلامي للخمور

تشير الإحصائيات^(١) إلى أنه في أمريكا وحدها يوجد ما يزيد عن ٢٢ مليون من سائقي السيارات المخمورين (فوق ١٢ عاماً). ويُشير تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٤م بأن متوسط الاستهلاك العالمي للكحول قد بلغ ٦,٢ لتر في العام لكل شخص في العالم ممن هم فوق ١٤ عاماً، سواءً أكان ممن يشربون الخمر أم من المستقيمين على دين الله. وأما المتعاطون للخمر فعلاً فيُشكّلون حوالي ٤٠٪ من سكان الأرض ممن هم فوق ١٤ عاماً، ومتوسط نسبة استهلاك الخمور بين هؤلاء قد وصل إلى حوالي ١٧ لتراً في العام^(٢).

وقد تصدرت الدول الإفريقية قائمة الدول الأعلى استهلاكاً للكحول؛ فجاءت تشاد في المركز الأول بمعدل ٣٣,٩ لتراً في العام لكل مواطن تشادي، تلتها غامبيا بمعدل ٣٠,٩ لتراً، ثم مالي بمعدل ٢٩,٣ لتراً^(٣). ولم تسلم الدول الإسلامية من هذا الوباء فقد تصدرت دولة الإمارات قائمة الدول العربية في أعلى استهلاك للخمر؛ حيث وصل معدل الاستهلاك السنوي ٣٢,٨ لتراً لكل شخص، تلتها تونس بمعدل ٢٦,٢ لتراً في العام لكل شخص، تلتها السودان بمعدل ٢٤,١٠ لتراً، ثم لبنان بمعدل ٢٣,٩ لتراً، ثم قطر بمعدل ٢٢,٧ لتراً، ثم البحرين بمعدل ٢١,٢ لتراً، ثم المغرب بمعدل ١٧,١٠ لتراً، ثم سلطنة عمان بمعدل ١٥,٥ لتراً^(٤). وتذكر إحدى الدراسات^(٥) أن ٣١٪ من شباب مصر الذين يعملون في حرفة ما يتعاطون أشكالاً مختلفة من الخمور.

(١) «الخمر.. آفة تستنزف العالم»: مدونة إبداع.

(٢) Global Status Report on Alcohol and Health 2014: World Health Organization

(٣) المرجع السابق.

(٤) «استهلاك الكحول عند العرب»: موقع CNN العربية.

(٥) «خسائر اقتصادية وبشرية فادحة بسبب تعاطي الخمور»: موقع الاقتصاد الإسلامي.



وتنتقل الأمراض الناجمة عن تعاطي المسكرات إلى الأجيال التالية بسبب الجينات وبسبب البيئة؛ حيث تشير إحدى الدراسات بأن ٧٥٪ من الأطفال الذين يولدون من آباء يتعاطون الخمر يصابون بأمراض وراثية ومشاكل نفسية^(١)، وأشار تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن تعاطي الخمر مُسبب لأكثر من ٢٠٠ نوع من الأمراض الوبائية، منها الإيدز والسل والالتهاب الرئوي^(٢).

ولا ننسى المشاكل الاجتماعية الناجمة عن تعاطي هذه الآفة؛ حيث أشارت الإحصائيات الصادرة عن محاكم الأسرة في مصر، خلال النصف الأول من العام ٢٠١٦م، أن دعاوى الطلاق والخلع والنشوز بسبب الإدمان وشرب الكحول والخمر والجلوس باستمرار في المقاهي بلغت ٣٧٥٠٠ حالة^(٣). كذلك، فجرائم العنف وإساءة معاملة الأطفال وانتهاكهم تزداد في الأمهات حال معاقرتهم الخمر بثلاثة أضعاف، وتزداد جرائم الآباء المخمورين إزاء أطفالهم بنسبة عشرة أضعاف عنها في الأمهات، كما أن ٥, ٢ مليون طفل بريطاني يتعرضون للإهمال بسبب وجودهم في أسر لأبوين - أحدهما أو كلاهما - مدمن للخمر^(٤).

وأيضاً، فحالات السكر الشديدة تتسبب في ٦٠٪ من جرائم العنف، و ٣٠٪ من جرائم الانتحار، و ٨٠٪ من حوادث الحريق والغرق، ومُعدّل الانتحار بين مدمني الخمر تفوق بثلاثين ضعفاً معدلات الانتحار عند الأشخاص غير المدمنين^(٥). وعلى مستوى العمل الوظيفي، شكّا أكثر من ٦٠٪ من المديرين من مشكلات ناجمة عن سوء تعاطي الموظفين للخمر، مما ينتج عنه التغيب عن العمل، أو

(١) «التأثيرات الجينية الحاصلة من سلوك الأب على الجنين»: موقع العلوم الحقيقية.

(2) Global Status Report on Alcohol and Health 2014: World Health Organization

(٣) «نسب الطلاق بسبب إدمان الزوجين تتصاعد داخل الأسر المصرية»: صحيفة العرب.

(٤) «تهافت الحضارات ... الغرب في مستنقع الخمر»: مجلة البيان.

(٥) «الخمر.. آفة تستنزف العالم»: مدونة إبداع.



الفصل الثالث عشر: التخلُّص من أمهات الخبائث

ضعفٌ أو أخطاء واضحة في الأداء الوظيفي، أو حصول أضرار جسيمة وارتفاع معدلات الإصابة أثناء العمل جراء ضعف التركيز^(١).

وإذا كانت الدول الإسلامية لا تعنيها الأضرار الصحية والاجتماعية عن ترويح وتعاطي الخمر فإن الخسائر الاقتصادية لتعاطي هذه الآفة هي فوق التصوُّر، مع أن الخسائر الحقيقية الناتجة عن المشروبات الكحولية لا يمكن موازنتها بالمال، لأن موت الأعزاء وتشتت العوائل وتبدُّد الآمال وفقدان الأدمغة المفكِّرة لا يمكن حسابه بالمال.

وقد ذكرت مجلة الإدمان البريطانية أن الخسائر التي نجمت عن المشاكل التي تسببها الخمر بلغت ٦٤٠ مليون جنيه إسترليني في عام ١٩٨٣ م وحده^(٢)، وأظهرت مجموعة من الدراسات الدولية أن تعاطي الخمر يكلف بريطانيا ما يصل إلى ٥٪ من إجمالي الناتج القومي سنوياً، وتتضمن هذه التكاليف الرعاية الصحية، وانخفاض الطاقة الإنتاجية^(٣).

سألة للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال^(٤)
أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى يُفرّق ترّب القبر أوصال
مورثة القوم أضغاناً بلا إحـن مُزريّة بالفتى ذي النجدة الحالي

وفي تقرير صدر عام ١٩٧٨ م لوزارة الصحة الأمريكية، قُدِّرت الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الخمر في سائر المجالات الصحية والاجتماعية والصناعية

(١) «تهافت الحضارات... الغرب في مستنقع الخمر»: مجلة البيان.

(٢) «مشكلة الخمر تهز العالم»: منتديات يا حسين.

(٣) «تهافت الحضارات... الغرب في مستنقع الخمر»: مجلة البيان.

(٤) من قصيدة للشاعر الجاهلي عامر بن الظرب بن عمرو.

بحوالي ٤٣ مليار دولار في العام^(١)، وأكّدت دراسة أمريكية حديثة أن الاقتصاد الأمريكي يخسر سنوياً ٧٧ مليار دولار نتيجة تعاطي وإدمان الخمر^(٢)، وبالنسبة للدول العربية فيتجاوز ما يُهدّر على هذه الآفة ١٥ مليار دولار سنوياً في ١٠ دول عربية فقط^(٣).

ولا ننسى الخسائر البشرية والاقتصادية الناجمة عن حوادث السير التي يكون سببها تعاطي الخمر، فمثلاً في أمريكا في كل دقيقة يوجد قائد سيارة مخموراً (أي وصل إلى درجة الثمالة) من بين كل خمسين سائق سيارة، وفي عطلة نهاية الأسبوع تقفز هذه النسبة إلى شخص من بين كل عشرة سائقين، وأن نصف حوادث المرور لها علاقة بالخمر، وأن هذه تتسبب في حادث قتل كل ٢٢ دقيقة^(٤).

العائد الاقتصادي لاختفاء ظاهرة تعاطي الخمر

رغم أن عدد شاربي الخمر في بعض الدول الإسلامية يزيد عن مجتنبها، ورغم أن نسبة شاربي الخمر من المسلمين - كما أشرنا سابقاً - هي ٢٠٪ (أي ٢٠ شخصاً بين كل ١٠٠ مسلم)، غير أننا سنفترض في الإحصائيات التالية أن شخصاً واحداً فقط بين كل ١٠٠ مسلم من متعاطي الخمر سيمتنع عن تعاطي الخمر نهائياً في كل عام، وأنه تقع وفاة واحدة في العام بين كل ١٠ آلاف من شاربي الخمر من المسلمين، وهذه تشمل الوفاة في حوادث السير وأيضاً بسبب الإصابة الأمراض التي تُسببها الخمر.

كذلك فسنفترض أن استهلاك الخمر لا يزيد عن ١٠ دولارات في الشهر الواحد

(١) «مشكلة الخمر تهز العالم»: منتديات يا حسين.

(٢) «خسائر اقتصادية وبشرية فادحة بسبب تعاطي الخمر»: موقع الاقتصاد الإسلامي.

(٣) المرجع السابق.

(٤) «تهافت الحضارات... الغرب في مستنقع الخمر»: مجلة البيان.

الفصل الثالث عشر: التخلّص من أمهات الخبائث

لكل شارب خمر، وأن تكاليف التعامل مع القضايا الناتجة عن تعاطي الخمر، من علاج ومحاكم وسجون وتعويضات، هي فقط ١٠٠ دولار لكل حالة.

لغة الأرقام

- ✗ عدد المسلمين الذين سيكفون عن شرب الخمر في كل عام = ٢ مليار مسلم ÷ شارب خمر واحد بين كل ١٠٠ شخص = ٢٠ مليون مسلم.
- ✗ العائدات التي يمكن توفيرها من استهلاك الخمر = ٢٠ مليون شارب خمر من المسلمين × ١٠ دولارات في الشهر تكلفة شراء الخمر × ١٢ شهرًا في العام = ٢,٤ مليار دولار في العام.
- ✗ العائدات التي يمكن توفيرها من المصاريف الأخرى (علاج، محاكم، سجون، تعويضات) = ٢٠ مليون شارب خمر من المسلمين × ١٠٠ دولار تكاليف كل حالة في العام = ٢ مليار دولار في العام.
- ✗ عدد الوفيات بين شارب الخمر من المسلمين = ٢٠ مليون شارب خمر ÷ حالة وفاة واحدة بين كل ١٠ آلاف شارب خمر = ٢٠٠٠ حالة وفاة.
- ✗ العائد الإنتاجي للمتوفين بسبب الخمر فيما لو بقوا على قيد الحياة = ٢٠٠٠ حالة وفاة بسبب الخمر × ١٦٠ ساعة إنتاجية في الشهر × دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة × ١٢ شهرًا في العام × ٢٠ سنة العمر الافتراضي للبقاء في العمل = ٧٦ مليون دولار في العام.
- ✗ مجموع العائدات من خفض نسبة شارب الخمر من المسلمين بمعدّل ١٪ في كل عام = ٢٤٠٠ + ٢٠٠٠ + ٧٦ = ٤٤٧٦ مليونًا = ٤,٤٧٦ مليار دولار في العام.

البغاء والاغتصاب والشذوذ الجنسي

لقد تفشّت ظاهرتي البغاء والاغتصاب في العالم إلى درجة أنها صارت تقلق



الكثيرين من العقلاء، وصارت تتعالى أصوات للنظر الجاد في المآل الذي ينساق إليه العالم إن هو استمر على هذا النمط من الانحلال والتفسخ. إن الإسلام وهو يُحصّن أتباعه من الوقوع في هذه المنزلاقات قد أمر الذكور والإناث على حدّ سواء بغض النظر، وأمر المرأة بالحجاب لا لقصد الإقلال من شأنها - كما يُصوره دعاة الشذوذ - وإنما لتحسينها من مثل هذه الفتن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وهو كذلك وسيلة عظمى لاستقرارها وسعادتها، وذلك بجعل الرجل يشاق إليها. أما الإباحية والتعري في بلدان الغرب والشرق فقد قضت نسبياً - إن لم يكن نهائياً - على هذا الاشتياق وجعلتهم يميلون إلى الشذوذ ويدفعون ثمن هذا الانحلال غالياً.

كذلك، فقد حظّ الإسلام على الزواج، وطالب المجتمع بالإعانة عليه، فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، وجعله سبباً لحصول السكينة والطمأنينة بين الزوجين على وجه الخصوص، وفي الأسرة والمجتمع بشكل عام، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، واعتبره الحصن الحصين من الوقوع في براثن هذه الآفات، وفي هذا يقول نبي الرحمة - عليه الصلاة والسلام - : « مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ »^(١).

حَسَنُ الزَّوْجِ بِهِ كَمَالُ الْارْتِقَا وَبِهِ رِبَاطُ الْعَائِلَاتِ تَوَثُّقًا^(٢)

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ١٩٠٥).

(٢) من قصيدة للشاعر صالح السويسي القيرواني (١٨٨٧ - ١٩٤١ م).



الفصل الثالث عشر: التخلّص من أمهات الخبائث

لَوْلَاهُ مَا عَمَرَ الْوُجُودُ وَلَمْ يَكُنْ نَسْلٌ لَهُ عِلْمٌ كَغَيْثٍ أَغْدَقَا
قَدْ عَمَرَ اللَّهُ الْوُجُودَ لِحِكْمَةٍ فِيهَا تَأَلَّفْنَا فَلَنْ نَتَفَرَّقَا

وبالرغم من أن كثيرًا من القوانين المعمول بها في معظم الدول الإسلامية منها والأجنبية تنصّ على معاقبة مرتكبي جرائم البغاء والاغتصاب، إلا أن معظم تلك الجرائم لا تصل إلى المحاكم ولا تتم محاكمة مجرميها لأسباب عدّة، نذكر منها ما يلي^(١):

■ أغلب جرائم الاغتصاب تتم سرًّا، وخلف الكواليس، وبين الأقارب والأهالي، ولا يتم الإعلان عنها.

■ آثار الاغتصاب الطبية لا تكون بادية لعدة أيام.

■ تعذّر مواصلة الدعاوى المدنية بالنسبة لبعض أولياء أمور الضحايا لارتفاع تكلفة الرسوم القضائية.

■ خوف كثيرٍ من ضحايا الجنس من الموظفات والطالبات من الإبلاغ عمّا يتعرّضن له خشية فقدان وظائفهن أو الرسوب في مدارسهن. كذلك فإن كثيرًا من الأطفال لا يُبلّغون عما يتعرضون له من تحرّشات جنسية خوف العقوبة من قبل أولياء أمورهم.

■ غياب آليات للتدخل المستعجل من الأجهزة الأمنية، وخاصة في الوقت الذي لا يبادر أولياء الأمور في تقديم شكاية.

■ الإجراءات البيروقراطية التي تتخذها الأجهزة الأمنية عند الإبلاغ عن جريمة اغتصاب، والمطالبة بإجراء فحوصات للتأكد من وقوع الجريمة، والذي غالبًا ما

(١) «جريمة الاغتصاب بين الشرع والقوانين الوضعية»: موقع النيلين.

تمتنع المستشفيات عن القيام به إلا في حالة الأذى الجسيم، مثل كسر العظام والجراح الغائرة.

■ اختلاق الأكاذيب وتزوير الحقائق في التقارير الطبية، بضغوطات من قبل أولياء أمور الضحايا أو المجرمين أنفسهم، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى إغلاق ملفات تلك القضايا وإدراجها في طي النسيان.

■ نص بعض القوانين المعمول بها في بعض البلدان الإسلامية على عدم معاقبة جرائم الوقاع غير الشرعي (أي الزنى). فمثلاً، لا يعاقب القانون المصري على الوقاع إلا في حالة الاغتصاب، فإن كان بالتراضي فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيباً، ويعتبر القانون المصري الرضا معيباً إذا لم يبلغ المفعول به ثمانية عشر عاماً كاملة، بل إن القانون المصري يسمح للزوج أن يزني بشرط أن يكون ذلك خارج منزل الزوجية!!

انتشار آفتي البغاء والاغتصاب عالمياً

فعلى المستوى الدولي يشير تقرير اليونسيف التابعة للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٠م إلى اختفاء ٦٠ مليون امرأة عن التعداد السكاني في العالم سنوياً، وأن امرأة واحدة في العالم من بين كل اثنتين تتعرض لانتهاكات جسدية وجنسية داخل بيتها^(١). وتنتشر جرائم الاغتصاب في المجتمع الأمريكي بشكل كبير؛ ففي دراسة لمركز التحكم بالأمراض بالولايات المتحدة، كشفت أن واحدة من كل ٥ نساء تتعرض للاغتصاب في أمريكا^(٢)، وإحصائية أخرى تقول بأنه يتم اغتصاب ٦٨٣ ألف امرأة سنوياً، أي بمعدل ٧٨ امرأة في الساعة (أو ١٨٧٢ حالة اغتصاب في اليوم)، مع العلم أن ١٦٪ فقط من حالات الاغتصاب يتم التبليغ عنها^(٣).

(١) «العنف الأسري بوابة الأمراض النفسية»: موقع كرمالكم.

(٢) «مكافحة الاغتصاب في أمريكا.. بين سندان القتل ومطرقة الإرهاب»: موقع دوت مصر.

(٣) «المرأة عند الغرب»: مدونة العلم والإيمان والرد على الشبهات.

الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

أما في سيراليون فقد تعرضت أكثر من ٥٠٪ من النساء لشكل من أشكال العنف الجنسي إبان النزاع في سيراليون في عام ١٩٩٩م^(١). وفي ألمانيا كشف مكتب الإحصاء الاتحادي أن ألمانيا سجلت خلال عام ٢٠١٠م أكبر عدد من الأطفال المولودين خارج إطار العلاقة الزوجية (أي من الزنى) في تاريخها، وبلغ عددهم أكثر من ٢٢٥ ألف طفل، أو بمعدل ٦١٦ طفل يومياً^(٢). وسجلت أستراليا عام ٢٠٠٩م أكبر نسبة للأطفال المولودين خارج نطاق الزواج، إذ وصلت نسبتهم إلى ٥٩٪ من جميع الأطفال المولودين ذلك العام^(٣).

وتشير إحصائيات^(٤) أجريت في أمريكا في عام ١٩٧٩م إلى أن عدد اللواتي يلدن سنوياً من دون زواج شرعي وفي سن المراهقة لا يقل عن ٦٠٠ ألف فتاة، بينهن ما لا يقل عن عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة من العمر!! وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتي يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون!! ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة تستقبل مليون طفل سنوياً من الزنا والسفاح!!

وكشف مسح استطلاعي أعدته وزارة الداخلية البريطانية أن ٨٠٪ من ضابطات الشرطة يتعرضن للمضايقات الجنسية خلال نوبات العمل الرسمية، وأشارت دراسة صدرت عن جمعية علم النفس البريطانية إلى أن ٦٠٪ من الممرضات اللاتي تم استطلاع آرائهن قد عانين من التحرش الجنسي من مرضاهن الرجال، و ٧٦٪ منهن يعانين في صمت، ويفضلن عدم الإبلاغ عن تلك الحوادث^(٥).

(١) «أرقام تتكلم.. حول العنف ضد المرأة»: مدونة منظمة «الأمل في الله» الخيرية.

(٢) «ألمانيا تسجل أكبر عدد لأطفال مولودين خارج نطاق الزواج»: موقع DW.

(٣) المرجع السابق.

(٤) «هل ظلم الإسلام المرأة؟!»: نوال بنت عبد العزيز العبد.

(٥) «ظلم المرأة في ظل الحضارة الغربية المعاصرة»: صفحة الدكتور الهبدان.



تفشي ظاهرتي البغاء والاغتصاب في العالم الإسلامي

أما على المستوى العربي، فإن الإحصائيات تشير إلى تقارير مشابهة لتلك التي سُجّلت على المستوى الدولي، فمثلاً، أظهرت دراسات ميدانية لبعض الأقطار العربية أن ما نسبته ٨٦٪ من النساء يتعرضن للعنف بكل أشكاله، و ٦٦٪ منهم يتعرضن للاغتصاب^(١)، وفي المغرب - وبحسب وسائل الإعلام المغربية - فإنه وُلِدَ بين سنتي ٢٠٠٣م و ٢٠١١م نصف مليون طفل من السفاح، وأن الرقم حتمًا ارتفع في السنوات الأخيرة^(٢)، وتشير إحصائية أخرى أنه بالرغم من وقوع أكثر من ٧٠٠ حالة إجهاض يوميًا في المغرب، فإن هناك أكثر من ١٥٣ امرأة تلد يوميًا من السفاح^(٣).

وفي الجزائر تشير الإحصائيات الرسمية على مستوى وزارة التضامن والأسرة وقضايا المرأة، إلى ولادة حوالي ٣ آلاف طفل غير شرعي سنويًا، ولكن هناك جهات أخرى تؤكد أن العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير، وأنه تجاوز ٤٥ ألف حالة جديدة كل عام، ويولد غالبية هؤلاء خارج المستشفيات والعيادات العمومية، وبعض هؤلاء النساء تلجأ لبيع صغيرها بعد ولادته نظير مبلغ مالي معتبر؛ حيث إنه توجد شبكات متخصصة في المتاجرة بهؤلاء الصغار^(٤). وكشف تقرير صدر في عام ٢٠١٥م عن الائتلاف ضد الاعتداءات الجنسية التي يتعرض لها الأطفال القاصرون في المغرب، بأن ٧٠ طفلًا مغربيًا يتعرضون كل يوم للاعتداء الجنسي^(٥).

(١) «أرقام تتكلم .. حول العنف ضد المرأة»: مدونة منظمة «الأمل في الله» الخيرية.

(٢) «أبناء العلاقات خارج الزواج في المغرب .. كيف ينالون حقوقهم؟»: بديعة منصوري.

(٣) «معطيات خطيرة تكشف عن عدد النساء اللواتي يلدن خارج إطار الزواج بالمغرب بشكل يومي»: موقع أخبارنا المغربية.

(٤) «٤٥ ألف طفل مجهول النسب بالجزائر سنويًا»: موقع الخبر.

(٥) «طوفان الأجساد: تجارة البشر تحت غطاء السياحة في المغرب واستغلال الأطفال والنساء في الدعارة الراقية»:

صحيفة رأي اليوم.



صُورٌ أُخْرَى لِلْبَغَاءِ وَالْعُهْرِ

إن الأرقام التي سُقناها سابقًا في هذا الفصل لا تضع في الحسبان الخيانات الزوجية، حيث إنه في فنلندا يخون واحد من كل خمسة رجال زوجاتهم مع ما لا يقل عن ١٠ نساء أخريات، ويعترف ٢٨٪ من الرجال الفرنسيين الذين خانوا زوجاتهم بأنهم غير نادمين على ذلك، وأظهر موقع Gleeden في بلجيكا المتخصص في إيجاد علاقات غير شرعية للرجال والنساء المتزوجين أن لديه أكثر من ١,١ مليون مشترك من بلجيكا، أو ما يعادل ١٠٪ من عدد السكان، وأن ما يقارب من نصف عدد الأسر في بلجيكا معرضة بشكل أو بآخر للخيانة الزوجية^(١).

وأظهرت دراسة فرنسية أجراها مركز إيفوب لاستطلاعات الرأي أن أكثر من ٥٥٪ من الرجال الفرنسيين يخونون زوجاتهم، في حين بلغت نسبة الخيانة لدى النساء الفرنسيات ٣٢٪، و يعتقد ٦٣٪ من الفرنسيين أنه من الممكن أن يستمر الحب بين الشركاء رغم أن أحدهم يخون الآخر بين الفينة والأخرى^(٢). وكما هو معلوم أيضًا أن في بلاد الغرب يتخذ الرجل من العشيقات ما لا يعلمه إلا الله، كما سجّل التاريخ ذلك لنمر السياسة الفرنسية (جورج كليمنصو) الذي اتّخذ ما يزيد عن ستمائة عشيقة^(٣). والعشيقات في بلاد الغرب يُعاشرن من قبل الرجال جنسيًا وكأنهن زوجات، ولكن ليس لهنّ حقوق قانونية.

ولم تكتف الحضارة الغربية للتردّي إلى تلك الهاوية السحيقة من الانحطاط الخلقي، فظهرت أصوات تنادي بإباحة نكاح المحرمات. مثلاً، تم في السويد- التي يعتبرها البعض قمة الحضارة- إصدار تشريع بإباحة نكاح المحرمات. كذلك،

(١) «الخيانة الزوجية؛ أكثر من ١٠ دول يخون فيها الرجال زوجاتهم»: موقع Tops Arabia.

(٢) «هذه أكثر البلدان تسامحاً مع الخيانة الزوجية؟!»: موقع جواهر الشروق.

(٣) «هل ظلم الإسلام المرأة؟!»: نوال بنت عبد العزيز العيد.



فقد نشرت صحيفة (الهيرالد تريبيون) في عددها الصادر في ٢٩/٦/١٩٧٩م^(١) ملخصاً بأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين حول هذه الظاهرة الغريبة التي ابتدأت في الانتشار في المجتمع الأمريكي خاصة وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة.

وقد أشارت الصحيفة إلى وجود عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ، والأغرب من هذا أن أكثر من ٨٥٪ من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو الابن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع، والناجحة في أعمالها، والتي لا تعاني من أي مرض نفسي، وليسوا من المجرمين ولا من العتاة، وإنما في الغالب هم من رجال الأعمال والفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم.

وقد وصلت درجة الامتهان للجنس البشري ذروته حتى في أوساط من يُسمَّون بالمفكرين، فمثلاً يقول الباحث الأمريكي (جون موني) من جامعة (جون) ^(٢): «إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار أو غيرهم من البالغين لا يشكل بالضرورة ضرراً على حياة الطفل». حقاً ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

تحول البغاء إلى تجارة رائجة

وقد وصلت دناءة المجتمعات الغربية ومجتمعات المسلمين التي انسأقت وراءها إلى درجة أن تتخذ البغاء حرفة وتجارة تروّج لها عصابات لا همّ لها إلا جني الثروات، ولو كان ذلك على حساب الأعراض، فمثلاً يؤكد تقرير لمنظمة الهجرة

(١) «عاجل، رسالة إلى أوبرا»: شبكة طريق الإسلام.

(٢) «كيفية مكافحة المفسدات الأخلاقية»: هارون خليف جيلي، نشر في مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الجزء الثاني،



الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

الدولية أنه يجري سنوياً بيع نصف مليون امرأة إلى شبكات الدعارة في العالم، وأن النساء من دول أوروبا الشرقية يُشكّلن ثلثي هذا العدد، وأعمارهن تتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، ويقول تقرير للمجلس الأوروبي إن أرباح القوادين ومجموعات المافيا التي تعمل في هذا المجال في دول الاتحاد الأوروبي ارتفعت بنسبة ٤٠٪، حيث بلغت أرباحها أكثر من ١٣ مليار يورو سنوياً^(١).

وفي بريطانيا وحدها فهناك أكثر من ١٠٠٠ فتاة تحت سن المراهقة يعملن كرئيسات لعصاباتٍ للفسق والمجون، وفي أمريكا يُقدّر عدد النساء اللواتي اتخذن من الفاحشة حرفة بين ٤٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف فتاة على أقل تقدير، وفي هذا يقول مسيو بول بيورن: «إن احتراف البغاء لم يعد الآن عملاً شخصياً، بل لقد أصبح تجارة واسعة وحرفة منظمة»^(٢).

وفي المغرب، تُعدُّ «السياحة الجنسية» (أي تجارة الأجساد) من الأعمال التي يمارسها الملايين من سياح أوروبا ومنطقة الخليج العربي، حتى صنّفها تقرير منظمة «إكبات إنترناشنال» في عام ٢٠١٤م كثاني قبلة للسياحة الجنسية بعد تايلاند؛ حيث تشير التقديرات إلى استغلال قرابة مليون و ٨٠٠ ألف طفل للسياحة الجنسية؛ وقد عُثِرَ بحاسوب فرنسي على ١٧٠ ألف صورة بورنوغرافية (أي بها مناظر خلية) و ١٤٠ ألف شريط فيديو لأطفال مغاربة تم التقاطها لهم في أوضاع خلية، ثم قام بتسويقها على مواقع إلكترونية متخصصة في المواد الإباحية، وقد كشفت التحريات عن شبكة من المغاربة يقومون باستدراج الأطفال من أحياء فقيرة مقابل ٢٠ يورو للطفل^(٣).

(١) «ظلم المرأة في ظل الحضارة الغربية المعاصرة»: صفحة الدكتور الهدان.

(٢) «عاجل، رسالة إلى أوبرا»: شبكة طريق الإسلام.

(٣) «طوفان الأجساد: تجارة البشر تحت غطاء السياحة في المغرب واستغلال الأطفال والنساء في الدعارة الراقية»:

صحيفة رأي اليوم.



أما في الجزائر، فقد ظهر العديد من المليارديرات من ذوي الشخصيات المهمة، والذين لهم مكانتهم في المجتمع، وصاروا يستثمرون أموالهم في تجارة الأجساد، وابتاعوا يضاعفون ثرواتهم، ويُمَتِّنون علاقاتهم، ويوسَّعون نفوذهم على حساب فئات اجتماعية وجدت نفسها فريسة سهلة أمام مخالب هؤلاء التي لا ترحم. وأغلب ضحايا هؤلاء هُنَّ من المراهقات الجامعيات والمطلقات، ومَن دفعتهنَّ البطالة والظروف الاجتماعية الصعبة والرغبة في تحقيق أحلامهن إلى الوقوع في دوامة الانحراف والفساد، ويتقاضى أولئك الفتيات من مهتهن شهرياً أكثر مما يتقاضاه الأطباء والمهندسون^(١).

آفة الشذوذ الجنسي وزواج المثليين

وأخيراً، ولكي ندرك عظمة الإسلام عندما أوجد الحصانات المتنوعة التي تحفظ لهذا الكائن البشري عفته وكرامته، فإننا سنسوق للقارئ الكريم بعض الأرقام حول ظاهرة أخرى تفتَّت في المجتمعات الغربية بشكل فاضح، وتم استيرادها إلى بلاد المسلمين من قِبَل فئة مريضة روحياً وأخلاقياً ونفسياً؛ ألا وهي ظاهرة الشذوذ الجنسي، وهي تدلُّ على انتكاسة في الفطرة، كما جاء في ردِّ قوم لوط لنبیهم - عليه السلام - عندما قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]، فردوا عليه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]. وقد دَمَّرَ اللَّهُ قوم لوط بسبب هذه الآفة، وذكر رسول الله ﷺ أن عقوبة الشاذ القتل^(٢).

ورغم وفرة النساء وسهولة العثور عليهن، ورغم شيوع الزنا لدرجة مخيفة في المجتمعات الغربية، إلا أن عدد الشاذين في الولايات المتحدة الأمريكية يُقدَّر

(١) «الفقر والانحراف الجنسي»: شيهب عادل.

(٢) روى ابنُ عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ». رواه أبو داود (حديث رقم: ٤٤٦٢)، وابن ماجه (حديث رقم: ٢٥٦١).



الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

بأكثر من ١٧ مليوناً!! بل وفتحت كنائس خاصة لتزويج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وخصّصت بعض الجامعات منحاً دراسية للشاذين جنسياً، وفي مدينة (لوس أنجلوس) فقط يجتمع أكثر من ثلاثمائة ألف شاذ جنسياً^(١).

ورغم أن غالبية الكنائس والعقلاء من الأمريكيان يرفضون هذه الظواهر المشينة للبشرية، حتى وصفها سالي كورن- العضو السابق بمجلس النواب عن الحزب الجمهوري- بأن «المثلية الجنسية تهديد كبير للأمة أكبر من الإرهاب»، غير أن هناك الكثيرين ممن يؤيدونها، بل ويسعون لنشرها، من أمثال رؤساء أمريكا بيل كلينتون وباراك أوباما، وهناك من العرب من نسي دينه وأعرافه، وانساق ليركب هذه الموضّة بكل ما تحمله من بلاء وخطر داهم للبشرية قاطبة، ومن أمثال هؤلاء الأمير الأردني زيد بن رعد الحسين- مفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان- الذي دعا جميع الدول لتوفير الحماية القانونية للأزواج مثليي الجنس، بل وصل الحال بالأمم المتحدة إلى أن تُقرّ حقوق المثلية، وتدعو دول العالم للاعتراف بها، وتقنين الزواج لمن تعينهم، واعتبرت يوم ١٧ مايو من كل عام يوماً للحقوق المثلية^(٢).

ووصلت الوقاحة والتواطؤ على نشر الرذائل في بلاد المسلمين أن تُعقد اجتماعات لهؤلاء الشواذ بصورة علنية، وبرعاية غربية، كما حدث في الأردن عندما حضرت السفارة الأمريكية اجتماعاً للشواذ، وزاد الحدّ عن ذلك أن صارت تُفتح لهم متاجر في أرقى المراكز التجارية لبيع ملابس وأدوات خاصة بهم، والحكومات- وللأسف الشديد- تقف متفرّجة على ما يجري بحجة أنه لا يوجد في القانون ما يدين هذه التصرفات^(٣).

(١) «هل ظلم الإسلام المرأة؟!»: نوال بنت عبد العزيز العيد.

(٢) «زواج الشواذ في أمريكا بين الحب والشر المستطير»: قناة الجزيرة.

(٣) «الأردن: الداخلية تعتذر للمثليين عن ملاحقتهم ومتاجر تخصص بضائع للجنس الثالث»: موقع سما الإخبارية.



العائدات الاقتصادية لاختفاء ظاهرة البغاء والاغتصاب والشذوذ الجنسي

إنه من الصعب جداً وضع تقديرات بما تحمله كل واحدة من هذه الجرائم البشعة؛ فكما رأينا فإن عواقب هذه الجرائم تنهش من كيان الأفراد والأسر والمجتمعات، وتُسبب من الأضرار الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ما لا تسببه الكثير من الآفات الأخرى. لكننا، ولكي نسير على النهج الذي رسمناه في هذا الكتاب وهو الوقوف على التقديرات الاقتصادية لكل ظاهرة، فإننا سنسوق بعض الأرقام التقريبية عليها تُلخّص للقارئ ما سقناه من أرقام وحقائق.

سنفترض هنا أنه بسبب استقامة الأمة، وتطبيقها لشرع الله، انخفضت حالات البغاء والاغتصاب والشذوذ الجنسي بواقع حالة واحدة بين كل ١٠ آلاف مسلم، وأن تكلفة التعامل مع كل قضية هو ١٠ آلاف دولار فقط، وهي لا تساوي شيئاً مع التكاليف الحقيقية لمثل هذه القضايا، والتي تشمل العلاج الطبي والنفسي للمتضررين أو أقاربهم، وكذلك التكاليف الباهضة التي تُدفع للمحاكم والمحامين، وكتعويضات للمتضررين من هذه الجرائم أو لأولياء أمورهم.

لغة الأرقام

المبالغ التي يمكن توفيرها بسبب خفض جرائم البغاء والاغتصاب والشذوذ الجنسي = ٢ مليار مسلم ÷ حادثة معلنة واحدة في العام بين كل ١٠ آلاف مسلم × ١٠ آلاف دولار تكلفة التعامل مع كل حادثة = ٢ مليار دولار في العام.

حالات الطلاق

لا شك أن الله قد أباح الطلاق، ولكن قيده بقيود كثيرة، وضيّقه إلى أقل صورته، كما روي عنه ﷺ أنه قال: « **أَبْغَضُ الْحَالِلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ** »^(١)، وحثّ الزوج على

(١) رواه ابن ماجه (حديث رقم: ٢٠١٨)، والطبراني (حديث رقم: ١٤٨٩٤)، وغيرهم.

الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

الصبر حتى لو كره من زوجته بعض الأخلاق التي لا تُخل بعفتها، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وأمر أسرتي الزوجين بالتدخل للمصلح بينهما إن خيف وقوع الطلاق، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]، وجعل اللجوء إلى الطلاق فقط عند الوصول إلى طريق مسدود بين الزوجين، وبعد استنفاد كل الطرق لإيجاد الحلول للحفاظ على البيت والأسرة والأطفال.

ومأ الطلاق استقبحوه لأنه	يحل الرباط العائلي ويجذم ^(١)
نعم قبحه إن لم يكن لاقتحامه	بواعث تُفضى بالفراق مُسلم
وأما إذا ما كان ثم تنافر	فايقاعه بالطبع أولى وأسلم

ويعتبر الطلاق من الظواهر الاجتماعية المُقلقة، والتي تؤدي إلى تفكك الأسرة، وتشتت أفرادها، وتترك آثارًا ضارة على كل أفراد المجتمع، وخاصة الأطفال والنساء، وتؤثر على سلامة وأمن ورفاهية المجتمع، وعلى امتداد تاريخ الأمة كانت تقع حالات الطلاق بين حين وآخر، ولكنها لم يحدث لها مثل هذا الانتشار الذي يعاني منه العالم بأسره في هذا العصر، ولذا فهي بحاجة ضرورية لأن تحظى باهتمام وعناية عقلاء الأمة، وتحتاج إلى وجود مراكز ومؤسسات بحثية متخصصة تُعنى بدراسة وتحليل وتشخيص هذه الحالة السلبية الخطيرة التي تؤرق مجتمعات المسلمين بمختلف أفرادها ومكوناتها وطبقاتها.

الآثار المدمرة للطلاق

تعتبر مشكلة الطلاق من أهم المشاكل والآفات المجتمعية التي تُسبب العديد

(١) من قصيدة لجميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦ م).

من الآثار السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع على حدٍ سواء، ومن آثارها السلبية:

■ **تشرّد الأولاد؛** فتُهمل رعايتهم والاهتمام بهم، والسبب في ذلك يعود إلى غياب الأب، وتفكُّك الأسرة، وعدم اهتمام الأم بهم؛ مما يجعلهم يتجهون نحو السلوكيات غير السوية والمنحرفة في كثيرٍ من الأحيان، وبالتالي تكثر جرائم الأحداث، ويزداد معدل انحراف الأحداث والتخلف الدراسي، إضافة إلى الأمراض النفسية التي يقاسي منها الأطفال والأبوان.

■ **الكراهية بين الأفراد؛** كما هو ملاحظ فإن الطلاق يؤدي إلى شيوع الكراهية والنزاع والمشاجرة بين الزوج والزوجة في المقام الأول، ثم بين أسرتهما، وقد يتفشى النزاع والكراهية ليعم المجتمع بأسره، وربما أدى إلى دخول الأطراف في نزاعات وخصومات واقتتال واللجوء إلى المحاكم؛ وكل ذلك يؤدي إلى خلخلة وزعزعة المجتمع وضعفه وعدم استقراره.

■ **عدم شعور الأطفال بالانتماء للأسرة؛** فعندما يشبُّ الطفل بلا أمّ تحنو عليه أو أب يرعاه، فإنه - بلا شك - لا يشعر بأنه ينتمي إلى أسرة، ولذلك غالباً ما يلجأ هؤلاء الأطفال إلى رفقاء السوء ليجدوا بينهم الحنان والرعاية التي فقدوها من أبويهم، وهذا ما يتفاقم بعد ذلك إلى اللجوء إلى المُسكرات والمخدرات لتناسي الأوضاع النفسية والاجتماعية التي يعانون منها.

■ **التأثير السلبي في شخصية الرجل والمرأة؛** فتنتاب الرجل الهموم والأفكار والأعباء المالية بعد تطليقه لزوجته، وهذه قد تجرّه إلى تصرفات تخالف دينه، وتضر بمصلحة المجتمع؛ مثل اللجوء إلى السرقة والاحتيال، وتعاني المرأة أيضاً من هذه الهموم والآلام، مما قد يجعلها تفكر بأية وسيلة كانت لتأمين العيش، حتى وإن كانت باللجوء إلى الطرق المنحرفة وغير السويّة، وكل ذلك يؤثر سلباً على استقامة الشخص وسلامة المجتمع.



أسباب الطلاق

لا شك أن للطلاق أسبابًا عديدة؛ منها:

■ غياب الثقافة الزوجية بمختلف مستوياتها الاجتماعية والحقوقية والاقتصادية بين الزوجين الحديثين.

■ الاختلاف في الطباع والأولويات والاهتمامات والطموحات بين الزوجين، وكذلك الاختلاف والتباين في المستوى الثقافي والفكري والتعليمي بينهما، حيث يُشكّل هذا التباين هُوّة واسعة بين الزوجين، فيبدو وكأن كل طرف يعيش في عالم آخر بعيدًا عن شريكه، وربما يشعر أحدهما بأنه مُقيّد للوصول إلى طموحاته ورغباته، وقد لا يستطيعا الوصول إلى نقطة التقاء واتفاق بينهما، مما يؤدي إلى الطلاق لإنهاء الحياة الزوجية مبكرًا.

■ غياب العاطفة والمشاعر الدافئة بين الزوجين، وعدم التواصل والتحاور والتفاهم بين الطرفين، وخاصة عندما لا يملك أحد الطرفين أو كليهما مهارات التعبير عن مشاعره وعواطفه تجاه الطرف الآخر، مما يجعل حياتهما أشبه بعالم من العزلة، فتبعد المسافات وتبدأ المشكلات وتتعدد الخلافات، وقد لا يملكان القدرة على حلّ المشكلات وتحملّ الصعوبات وإدارة الضغوطات والأزمات التي يمران بها، وعندها يصبح الطلاق الخيار الأمثل لإنهاء كل ذلك.

■ الروتين والرتابة في الحياة الزوجية، وخُلُوها من التنويع والتجديد، مما ينتج عنه الملل والسآمة من البقاء في البيت، ويجعل الطرفين غير قادرين على الاستمتاع بحياتهما، فيضطر أحدهما أو كلاهما للبحث عن وسائل أخرى لإشباع رغباته، والحصول على السعادة التي يتصوّرُها، وعندها لا تزيد العلاقة بينهما إلا سوءًا، مما يضطرهما إلى اتخاذ قرار الانفصال عن بعضهما.

■ تقصير الزوجة في الواجبات المنزلية أو في الاهتمام بالزوج، وكذلك تقصير الزوج في تحمُّل المسؤولية والالتزام بالأعباء المالية، وتحت إصرار كل طرف بتوجيه الاتهام للآخر، دون مراعاة للظروف والإمكانات، يتسلَّل الطلاق بوجهه الخبيث للقضاء على هذه المؤسسة الإنسانية الرائعة.

■ الغيرة الشديدة، فالغيرة شيء رائع، وتُعبِّر عن مدى الحب السائد بين الزوجين، ولكنها عندما تتحوَّل إلى الشك والتخوين للطرف الآخر لأنفه الأسباب، فعندها تحدث النزاعات والخلافات بين الطرفين، وقد لا يتحمَّل الطرف الآخر ذلك، فيلجأ إلى الطلاق.

■ العنف الأسري يُعتبر أحد الأسباب الرئيسية لارتفاع نسبة الطلاق في المجتمعات العربية والإسلامية؛ فالزواج الناجح مبنيٌّ على المعاملة الحسنة، والاحترام المتبادل بين الطرفين، وعند فقدانهما يحدث الاعتداء من أحد الطرفين للآخر، فيعلو الصراخ والأصوات الصاخبة بينهما لأنفه الأسباب، وقد يصل الحدُّ إلى السبِّ والشتم وربما الإيذاء الجسدي، وكل هذه تقتل الود والحب والاحترام بين الطرفين، مما يجعل الطلاق هو الحل الوحيد. وحسب الإحصائيات المنشورة^(١) فإن ضرب الزوجات في اليابان يعتبر السبب الثاني من أسباب الطلاق، وفي (ساو بارلوا) في البرازيل قُتلت ٧٧٢ امرأة من قِبَل أزواجهن في عام ١٩٨٠م، وتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً، و ٧٩٪ من الأمريكيات يضربون زوجاتهم، و ٨٣٪ من الأمريكيات دخلن المستشفى سابقاً مرة واحدة على الأقل للعلاج من أثر الضرب.

■ سيطرة الأهل، والأم تحديداً، وتدخل الأقارب في التفاصيل الصغيرة والكبيرة بين الزوجين، وهذا يُعدُّ أحد أهم أسباب الطلاق في المجتمعات الإسلامية.

(١) «ماذا يُريدون من المرأة»: عبد السلام البسيوني، ص. ٦٦-٣٦.



الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

■ **الخيانة الزوجية** تعتبر سبباً رئيسياً للطلاق؛ فإذا حدثت من قبل الزوج أو الزوجة مع طرف ثالث فهي جريمة في حق الطرف الآخر، ومن المستحيل أن يعفو عنها، لأنها تُمثّل شرخاً غائراً في هذه الشراكة التي من المفترض أن تُبنى على الأمانة والإخلاص والثقة.

■ **الإدمان على الكحول والتدخين والمخدرات**، حيث تؤدي سوء المعاملة الزوجية المستمرة من أحد الطرفين أو كليهما، للوصول إلى مرحلة الندم على سوء اختيار شريك الحياة، ومن ثمّ يلجأ الواحد منهم إلى تعاطي مثل هذه المحرمات لكونها - في نظره - المتنفس الوحيد لإسعاد نفسه لنسيان ذلك الواقع، ولكنه كثيراً ما يؤدي ذلك إلى شعور الطرف الآخر، وربما الأسرة بأكملها، بعدم الاطمئنان من ذلك الشخص، والخوف من قيامه بفعل أشياء مؤذية له أو لشريك حياته أو لأبنائه، وكذلك فهو يهدر الأموال في أمور لا تعود بالنفع على أسرته، وكل تلك الأمور قد تلجئ الطرف الآخر إلى الطلاق، وخاصة من قبل الزوجة أو أهلها، وفي مصر وقعت ٣٧٥٠٠ حالة طلاق في عام ٢٠١٦م بمثل هذه الأسباب^(١).

■ **تيسر أمر الزواج لدى بعض الرجال** قد يُشجّعهم على التساهل في استخدام الطلاق كورقة ضغط، لأنه بإمكانهم بدء حياة أخرى بكل يسر وبساطة، بينما المرأة المطلقة تعيش المعاناة بكل آلامها وقسوتها، ناهيك أن المجتمع - غالباً - ما يُحمّلها السبب في حدوث الطلاق.

■ **التقنية الحديثة من إنترنت وأجهزة ذكية ووسائل ووسائط التواصل الاجتماعي** وغرف المحادثة وغيرها، تسببت وبشكل كبير جداً في تنامي حالة الشك والاتهام والريبة بين الزوجين، مما جعل الطلاق في كثير من الأحيان، أحد

(١) «نسب الطلاق بسبب إدمان الزوجين تتصاعد داخل الأسر المصرية»: صحيفة العرب.

الحلول التي يُقدّم عليها أحد الطرفين. ويرى البعض أن إباحة زواج الميسار يتصدّر قائمة أسباب الطلاق في بعض المجتمعات^(١).

■ عدم الإنجاب، فالأولاد نعمة من نعم الله العظيمة على الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، ولكن الزواج ليس فقط لأجل الإنجاب، بل مودة ورحمة وحبّ متبادل بين الزوجين. ثم إن الله هو مَنْ يملك توزيع نعمة الأولاد، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا هَبُّ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا لَنَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]، ولذلك فينبغي أن لا يكون هناك داع للاعتراض على مشيئة الله التي لا تملك الزوجة من ذلك شيئاً، ولكن يوجد من الأزواج الغير عادلين مَنْ يُطْلَقُونَ زوجاتهم لهذا السبب.

واقع الطلاق في العالم الإسلامي

احتلت الكويت المركز الأول في قائمة أعلى معدلات الطلاق بين الدول العربية؛ حيث وصلت نسبته إلى ٤٨٪ من عدد حالات الزواج، وفقاً لإحصائية نشرتها وزارة العدل الكويتية في عام ٢٠١٦م، وجاءت مصر في الترتيب الثاني بنسبة ٤٠٪؛ حيث تحدث فيها ٢٤٠ حالة طلاق يومياً، أو بمعدل ١٠ حالات في كل ساعة^(٢). وقد أشرنا سابقاً أنه في مصر قد أظهرت الإحصائيات الصادرة عن محاكم الأسرة خلال النصف الأول من العام ٢٠١٦م، أن دعاوى الطلاق والخلع والنشوز بسبب الإدمان وشرب الكحول والخمور والجلوس باستمرار في المقاهي بلغت ٣٧٥٠٠ حالة^(٣).

(١) «كم نسبة الطلاق بالسعودية؟»: موقع المرسال.

(٢) «أعلى ١٠ دول عربية في معدلات الطلاق»: موقع Tops Arabia.

(٣) «نسب الطلاق بسبب إدمان الزوجين تتصاعد داخل الأسر المصرية»: صحيفة العرب.

الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

إِنَّ الزَّوْجَ عَلَى خُطُورَةٍ شَأْنِهِ
أَلَتْ رَوَابِطَهُ لِشَرِّ مُمَزَّقٍ^(١)
الْيَوْمَ عُرْسٌ بَاهِظٌ نَفَقَاتُهُ
وَعَدًا تُقَامُ قَضِيَّةٌ لِمُطَلَّقٍ
أَتَعَاقِدُونَ عَلَى الْحَيَاةِ شَرِيكَةً
غَيْبًا أَيْمَقْتُ عَاقِلٌ مَنْ يَنْتَقِي

وأظهرت إحصائية أصدرتها وزارة العدل السعودية في موقعها الإلكتروني أنه وقعت ٣٣٩٥٤ حالة طلاق خلال عام ٢٠١٤م، وقد زادت حالات الطلاق بأكثر من ٨٣٧١ حالة عن عام ٢٠١٣م^(٢)، ويرى بعض المحللين أن السعودية تتصدر الدول الخليجية والعربية في حالات الطلاق؛ حيث تُبين بعض الإحصائيات التي أجريت عام ٢٠١٥م أن نسبتها بلغت ٢٦,٣٪ من مجموع حالات الزواج^(٣).

وفي تركيا، بلغت حالات الطلاق في عام ٢٠١٤م حوالي ١٣٠ ألف و ٩١٣ حالة، مقابل ٥٩٩ ألف و ٧٠٤ حالات زواج، أي أن نسبة الطلاق إلى الزواج يعادل تقريباً ٢١,٨٪، وهو في تزايد مطرد^(٤)، وقد كشفت بعض المصادر أن تزايد نسبة الطلاق في السنوات الأخيرة يُعزى لارتفاع معدل زواج الأتراك من السوريات^(٥). وفي إيران، كشف رئيس لجنة الشؤون الاجتماعية بالبرلمان الإيراني عن وقوع ٩ حالات طلاق كل دقيقة في عام ٢٠١٧م، أو ما يعادل ١٢٩٦٠ حالة في اليوم، من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ٨٠ مليون نسمة، وفي بعض المناطق كالعاصمة ترتفع نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ من عدد حالات الزواج^(٦).

(١) من قصيدة لَمَلَكُ حَفْنِي نَاصِيف (١٨٨٦م - ١٩١٨م).

(٢) «أهم عشرة أسباب للطلاق في المملكة»: جريدة الرياض (العدد: ١٦٩٧٤).

(٣) «كم نسبة الطلاق بالسعودية؟»: موقع المرسال.

(٤) «ارتفاع معدلات الطلاق، والمدن الساحلية الأعلى نسبة في تركيا!»: موقع تركيا بوست.

(٥) نائبة تركية: السوريات هم السبب في ارتفاع نسبة الطلاق في تركيا»: موقع غربتنا.

(٦) «إيران ٩٠ حالات طلاق كل دقيقة»: قناة العربية.

العائدات الاقتصادية من خفض حالات الطلاق

كما رأينا، فإن معدل الطلاق في كثيرٍ من البلدان الإسلامية مرتفع جداً، حيث يصل إلى أكثر من ٦٪ من عدد السكان، وأيضاً فهو في تنامٍ مطّرد، ومع ذلك فسنفترض أنه لو استقام المسلمون على دينهم، فعندها قد يمكننا خفض عدد حالات الطلاق بمعدل حالة واحدة فقط بين كل ألف شخص، وكذلك فسنفترض أن الخسائر الاقتصادية لكل حالة هي فقط ١٠٠٠ دولار، وتشمل تكاليف المحاكم والمحامين والتعويضات والسجون، وأيضاً العلاج النفسي للزوجين والأولاد، وربما كثير غيرهم.

لغة الأرقام

☒ الأموال التي يمكن توفيرها من خفض حالات الطلاق = ٢ مليار مسلم ÷ حالة طلاق واحدة في العام بين كل ألف شخص × ١٠٠٠ دولار تكلفة كل حالة في العام = ٢ مليار دولار في العام.

التدخين

لقد أفتى معظم علماء المسلمين المعاصرين بحرمة التدخين، وأجمع العقلاء في العالم بأسره على عواقبها السيئة التي تُميت الأجساد وتخرّب البيوت، وإذا كان الله قد أمرنا أن لا نقتل أنفسنا، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فأَيُّ قتلٍ أعظم من اقرار آفة التدخين؛ فهي مُفسدة للدين، ومُضیعة للمال، ومُهلكة للجسد، ومُفرقة للأحباب؟

ومجدنا خلفهم يهفوا وينهار^(١)
موتٌ بأفواههم للغربِ سمسارٌ

ويح الشبابِ رباطُ الغربِ كَنَفَهُمْ
شرُّ الدخانِ دعاهم فاستجابوا له

(١) من قصيدة للشاعر حمدان بن سالم الغنزي.

الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

أَخِي بُلَيْتَ فَانْتَ الْآنَ مُمْتَحَنٌ
لَيْسَ الرُّجُولَةُ نِيرَانًا تُقْبَلُهَا
لَيْسَ الرُّجُولَةُ تَبْعًا يَنْتَشِي قَدْرًا
لَا تَحْسَبَ التَّبَعُ لِلْإِنْسَانِ يُكْمِلُهُ
انْظُرْ لِمَنْ صَنَعُوا الدُّخَانَ قَدْ كَتَبُوا
قَدْ زَيَّنُوهُ بِأَنْوَاعٍ وَأَوْسِمَهُ
إِنْ كُنْتَ تَنْظُرُ لِلدُّخَانِ مُفْتَحِرًا
هَذَا ضَحَايَاهُ أَجْسَادُ مُهَمَّدَةٍ
رَفَقًا بِنَفْسِكَ وَاسْتَدْرِكَ فَجِيعَتَهَا
أَعْطَاكَ جِسْمًا صَحِيحًا مِنْهُ مَوْهَبَةٌ
لَا تُؤْهِمُ النَّفْسَ بِالْأَنْفِ تَطْرُبُهَا

فَقَوْمُ النَّفْسِ لَا يَفْتُنُكَ عَدَاؤُ
إِنَّ الرُّجُولَةَ مِيزَانٌ وَمِغْيَارُ
بَلْ إِنَّهُ الدَّاءُ لِلْأَبْدَانِ قَهَّارُ
فَإِنَّهُ الشَّرُّ آثَامٌ وَأَوْزَارُ
بِأَنَّهُ لَا يَتَسَامِ الْعُمَرُ مِهْدَارُ
وَكُلُّهُ لِحِيَاضِ الْمَوْتِ جَرَّارُ
فَإِنْ دَمَعِي عَلَى بَلَوَاكَ مُدْرَارُ
قَدْ أَثَرُوا الْمَوْتَ وَالرَّحْمَنُ يَخْتَارُ
فَاللَّهُ يَا ابْنَ أَبِي لِلْعَبْدِ غَفَّارُ
فَلَا تَكُنْ جَاحِدًا فَاللَّهُ جَبَّارُ
فَإِنَّهَا النَّفْسُ لِلْأَهْوَاءِ تَيَّارُ

وبحسب منظمة الصحة العالمية، فإن السجائر تحتوي على أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية، منها أكثر من ٢٥٠ مادة ضارة، وأكثر من ٥٠ منها مُسبِّبة للسرطان^(١). ويُعتبر التدخين السبب المباشر في ٧٨٪ من المصابين بسرطان الرئة، ومعظم حالات تمدد الرئة والتهاب القصبات الهوائية المزمن، كما يؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب والجلطة الدماغية، ناهيك عن أثر استخدام النساء الحوامل لهذه السجائر^(٢).

ورغم أن هناك محاولات بشرية للتخلص من هذه الآفة إلا أنه لا يقطعها بالكامل إلا الاستقامة على دين الله، حيث إن الناس عندما تعترض استخدامهم ومصالحهم قوانين بشرية فإنهم يلجؤون إلى ابتكار أساليب جديدة للوصول إلى

(١) Tobacco: World Health Organization, May 2017

(٢) «شراء الموت!!»: عبد الله بن أحمد بيه.

ما حُرِّموا منه. مثلاً، عندما وجدت شركات التبغ أن عدد القضايا المرفوعة ضدها في المحاكم في تزايد، اضطرت إلى تسويات مع الحكومات المحلية للولايات المتحدة الأمريكية بدفع تعويض بمبلغ ٣٨٦ مليار دولار، يتم دفعه على أقساط على مدى عشرين سنة تبدأ من سنة ١٩٩٩م^(١).

الاستهلاك العالمي من التبغ

بحسب تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٧م، بلغ عدد المدخنين في العالم أكثر من ١,٢ مليار شخص (أي أكثر من ٢٠٪ من سكان العالم)، يموت منهم قرابة ستة ملايين سنوياً بسبب اقترافهم للتدخين، ويموت حوالي مليون آخر بسبب استنشاق الدخان من آخرين^(٢)، وكل يوم هناك ما بين ٨٠ ألف إلى ١٠٠ ألف طفل يبدؤون التدخين، ونصفهم يستمرون في التدخين إلى ١٥ - ٢٠ عاماً^(٣). ويعيش أكثر من ٦٠٪ من المدخنين في ١٠ من الدول الفقيرة أو النامية، وانخفض التدخين في أمريكا من ٤٢٪ إلى ١٨٪ من السكان بين عامي ١٩٦٥م و ٢٠١٢م^(٤).

وبحسب إحصائيات ٢٠١٤م، تصدرت روسيا العالم في عدد المدخنين حيث نسبتهم من الذكور حوالي ٧٠,١٪ و ٢٦,٥٪ من الإناث، وجاءت إندونيسيا في المرتبة الثانية، حيث بلغت نسبة المدخنين من الذكور ٦٥,٩٪ و ٤,٥٪ فقط من الإناث، وجاءت لاوس (في شبه الجزيرة الهندية الصينية) في المرتبة الثالثة، حيث بلغت نسبة المدخنين من الذكور ٦٥٪ و ١٥,٦٪ من الإناث^(٥).

وأما بالنسبة للاستهلاك، فقد احتلت صربيا المركز الأول؛ حيث وصل معدل

(١) «السعودية ترفع أول قضية خارج الولايات المتحدة ضد شركات التبغ»: محمد العوفي.

(٢) Tobacco: World Health Organization, May 2017.

(٣) «أكثر ١٠ دول فيها نسبة تدخين التبغ عالية»: شبكة أبو نواف.

(٤) «List of countries by cigarette consumption per capita»: Wikipedia, July 2017.

(٥) «أكثر ١٠ دول فيها نسبة تدخين التبغ عالية»: شبكة أبو نواف.

الفصل الثالث عشر: التخلّص من أمهات الخبائث

الاستهلاك ٢٨٦١ سيجارة في العام لكل مواطن، بالرغم من أن نسبة المدخنين فيها هي حوالي ٦,٣٣٪ من البالغين، وجاءت بلغاريا في المرتبة الثانية، حيث يُستهلك فيها ما معدّله ٢٨٢٢ سيجارة في العام لكل مواطن، وجاءت قبرص في المركز الثالث، حيث يُستهلك فيها ٢٧٩٥ سيجارة لكل مواطن^(١).

وبالنسبة للدول الإسلامية فيُقدّر عدد المدخنين بحوالي ٤٠٠ مليون^(٢) (أي حوالي ٢٠٪ من عدد المسلمين)، وعربيًّا جاءت لبنان في المرتبة الأولى؛ حيث يُستهلك فيها ٢١٣٨ سيجارة سنويًّا لكل شخص بالغ، ثم تليها الكويت، ويبلغ معدّل الاستهلاك فيها ١٨١٢ سيجارة سنويًّا لكل شخص بالغ، ثم بعد ذلك تأتي تونس في المرتبة الثالثة، حيث يتم استهلاك ١٦٢٨ سيجارة سنويًّا لكل شخص بالغ، ثم الأردن بمعدّل ١٣٧٢ سيجارة سنويًّا لكل شخص بالغ، ثم مصر بمعدّل ١١٠٤ سيجارة سنويًّا لكل شخص بالغ^(٣)، وتُقدّر نسبة المدخنين من الشباب في مصر بحوالي ٢٨٪، بالإضافة إلى ٣٪ يُدخّنون الشيعة^(٤).

ويُقدّر عدد المدخنين في مصر - حسب إحصائيات ٢٠١٤م - بنحو ١٤ مليون و٦٠٠ ألف مدخن، ويمثلون نحو ١٧٪ من إجمالي أعداد المصريين الذين تبلغ أعمارهم ١٥ سنة فأكثر، يستهلكون نحو ٨٤,٤ مليار سيجارة في العام، يموت بسببها أكثر من ١٧٠ ألف شخص سنويًّا، وأغلب الوفيات هي بسبب سرطان الرئة، وتبلغ حجم تجارة التبغ ١٣ مليار جنيه، بالإضافة إلى عمليات تهريب لها بقيمة ٤ مليار جنيه^(٥). وفي دولة الإمارات يموت أسبوعيًّا أكثر من ٢٧ شخصًا بسبب التدخين^(٦).

(١) «10 countries where people smoke the most»: MarketWatch، 22/7/2014.

(٢) «رمضان والتدخين»: حارب بن محمد بن سعيد الخروصي.

(٣) «ترتيب الدول العربية بحسب عدد السجائر التي يستهلكها الفرد»: موقع الطقس العربي.

(٤) «٤٠٠ مليار جنيه حجم تجارة المخدرات في مصر»: موقع البوابة نيوز.

(٥) «١٠ حقائق حول التدخين في مصر»: موقع المصري اليوم.

(٦) «نسب التدخين في الخليج وعدد الوفيات الأسبوعي»: موقع الخليج أون لاين.



وأظهرت الإحصاءات الرسمية السعودية أن المملكة استوردت نحو ٣٨,٧ ألف طن من التبغ، بقيمة ٣,٩ مليار ريال سعودي خلال عام ٢٠١٤م، بنسبة نمو ٩٪ مقارنة بقيمة ما تم استيراده خلال عام ٢٠١٣م^(١). وأما بنجلاديش التي يوجد بها ما يزيد عن ٦٠,٠٠٠ هكتار لزراعة التبغ فإنه يتم استهلاك ٢٩١ مليون سيجارة يوميًا، رغم أن قيمة كل خمس سجائر يساوي ربع حاجة الأسرة البنجلاديشية اليومي من الطعام^(٢).

الآثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية للتدخين

ولكي نتبين مضار التدخين فيكفي أن نعلم أنه يتم شراء ١٠ ملايين سيجارة في كل دقيقة^(٣)، وبمعنى آخر يتم في كل يوم استنشاق دخان أكثر من ١٤,٥ مليار سيجارة وأطنان من التبغ. وبحسب إحصائية أخرى فقد زاد عدد السجائر التي يتم تدخينها في جميع أنحاء العالم لأكثر من ٦ تريليونات سيجارة، حيث إن ٧٥ بلدًا، يستهلك مدخنوها في المتوسط أكثر من ٢٠ سيجارة يوميًا^(٤). لهذا فإن التدخين يعتبر المسبب الرئيسي لسرطان الرئة والتهاب الشعب المزمن وأمراض القلب التي يموت بسببها ما يزيد عن سبعة ملايين شخص سنويًا^(٥).

ومما لا شك أن الأضرار الصحية على المدخنين لها أثرها على الاقتصاد أيضًا؛ فالتدخين يُسبب عدة أنواع من السرطان منها سرطان الرئة، وسرطان الحنجرة والشفيتين، وأمراض القلب والشرايين، والأمراض التي تتعلق بالجهاز التنفسي، وهذه الأمراض وغيرها تتكبّد الدول تبعاتها من خلال تقديم العلاج لهؤلاء

(١) «أرقام وإحصاءات تظهر فتك آفة التدخين بصحة السعوديين وجيوبهم»: موقع الخليج أون لاين.

(٢) «التدخين والإدمان»: إسراء محمد عبد الرحمن.

(٣) «الصحة العالمية: ١,١ مليار مدخن في العالم يسحقون «الورد» يوميًا»: موقع المسلة.

(٤) «أعقاب السجائر... سموم تنتقل من مياه المجاري إلى بطون البشر»: شهد المحاميد.

(٥) Tobacco : World Health Organization, May 2017



الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

المرضى، وخاصة ممن يتلقون علاجهم مجاناً في المستشفيات الحكومية.

وعلى المستوى العالمي يكلف التدخين العالم أكثر من تريليون دولار سنوياً، وفي الأردن تُقدَّر تكاليف معالجة آثار التدخين بنحو ٤٠٠ مليون دينار سنوياً، ويبلغ متوسط إنفاق الأسرة الأردنية على التدخين ١, ٤٨٠ دينار سنوياً^(١). وأما في السعودية فقد أوضح وزير الصحة بأن الخسائر المادية الناجمة عن علاج المدخنين تُقدَّر بخمسة مليارات ريال سعودي سنوياً^(٢). وفي مصر أقام ١١ ألف رجل دعاوى قضائية أمام محاكم الأسرة لطلب الطلاق، بسبب تدخين زوجاتهم، بينما وصلت الدعاوى النسائية أمام القضاء إلى ٦ آلاف بسبب خلافاتهن مع أزواجهن لرفضهم الإقلاع عن التدخين^(٣).

وتذكر بعض الدراسات^(٤) أن أكثر من ٥ ترليون من أعقاب السجائر تلقى في المياه حول العالم سنوياً، فهي أكثر مادة يتم التخلص منها على مستوى العالم، وتمثل أكثر من ٧٦٥ ألف طن من النفايات سنوياً، مما يجعلها تُشكّل خطراً كبيراً على البيئة، وخاصة الإنسان والأسماك؛ لأن المواد البلاستيكية وأستات السيلولوز الموجودة في أعقاب السجائر لا تتفكك، ولهذا تبقى في الطبيعة على مدى سنوات طويلة، مما تُسبب خطراً كبيراً على البيئة.

العائد الاقتصادي من اختفاء ظاهرة التدخين بين المسلمين

مما سُقناه في هذا الفصل من إحصائيات وأرقام يمكننا الوصول إلى تقديرات بسيطة بحجم الثروات الاقتصادية التي تُهدَّر سنوياً في أمرٍ لا يعود على الأمة وأبنائها إلا بالفقر والمرض ومزيدٍ من التخلف والتراجع. إننا سنأخذ بالإحصائية

(١) «الخسائر الاقتصادية والصحية والاجتماعية للتدخين في الأردن»: خليل عليان.

(٢) «أضرار التدخين الاقتصادية»: موقع موضوع.

(٣) «نسب الطلاق بسبب إدمان الزوجين تتصاعد داخل الأسر المصرية»: صحيفة العرب.

(٤) «أعقاب السجائر... سموم تتقل من مياه المجاري إلى بطون البشر»: شهد المحاميد.

التي سُقناها سابقًا من وجود ٤٠٠ مليون مدخن من المسلمين، وسنفترض أن كل واحد من هؤلاء يستهلك خمس سيجارات يوميًا، وأن علبة السيجارة بها ٢٠ حبة وقيمتها دولار واحد فقط.

كذلك، فسنفترض أن تكلفة علاج المدخنين هو على المتوسط ١٠٠ دولار في العام لكل مدخن، وأما بالنسبة لعدد الوفيات من المدخنين المسلمين، فسأخذ بالنسبة العالمية، وهي - حسب الحسابات المذكورة في الجدول التالي - تعادل ٥٨,٠٪ من عدد المدخنين، وهو ما يعادل ٢,٣٢ مليون مسلم في كل عام.

لغة الأرقام

المبالغ التي يمكن توفيرها من شراء السجائر والتبغ = ٤٠٠ مليون مدخن مسلم في العالم $\times$ ٥ سيجارات يوميًا يتعاطاها كل مدخن $\times$ ٣٦٥ يومًا في السنة $\div$ ٢٠ سيجارة للدولار الواحد = ٣٦,٥ مليار دولار في العام.

المبالغ التي يمكن توفيرها من علاج المدخنين = ٤٠٠ مليون مدخن مسلم $\times$ ١٠٠ دولار متوسط تكلفة علاج الشخص في العام = ٤٠ مليار دولار في العام.

نسبة عدد الوفيات في العالم إلى عدد المدخنين = ٧ ملايين شخص يموتون في العالم سنويًا بسبب التدخين $\div$ ١,٢ مليار مدخن في العالم = ٥٨,٠٪.

عدد الوفيات من المدخنين المسلمين في كل عام = ٤٠٠ مليون مدخن مسلم $\times$ ٥٨,٠٪ = ٢,٣٢ مليون شخص في كل عام تقريبًا.

المبالغ التي يمكن توفيرها من فقدان العائد الإنتاجي بسبب الوفيات التي يتسببها التدخين = ٢,٣٢ مليون شخص $\times$ ٢٠ سنة إنتاجية للفرد الواحد $\times$ ١٦٠ ساعة عمل في الشهر الواحد $\times$ دولار واحد عائد إنتاجي لكل ساعة عمل $\times$ ١٢ شهرًا في السنة = ٨٩,١ مليار دولار في العام.

المجموع الإجمالي لما يمكن توفيره من اختفاء ظاهرة التدخين بين المسلمين = ٣٦,٥ + ٤٠ + ٨٩,١ = ١٦٥,٦ مليار دولار في العام.



الفصل الثالث عشر: التخلص من أمهات الخبائث

وقد يتصوّر البعض أن هذه الأرقام خيالية، ولكنها في الحقيقة لا تساوي شيئاً مع الخسائر المادية التي تحدث بسبب إصابة المدخنين بأمراض السرطان وما شابهها من أمراض مزمنة. لهذا فلا نعجب إذا قرأنا أن محكمة في فلوريدا بالولايات المتحدة قد أصدرت أمراً في عام ١٩٩٤م لإحدى شركات التبغ الأمريكية بدفع تعويضات قدرها ٢٣,٦ مليار دولار لامرأة بسبب وفاة زوجها بأورام سرطانية بسبب التدخين، لأن الشركة لم تُحذّره بشكل كافٍ من أخطار التدخين^(١).

فإذا كانت هذه تعويضات صُرِفَت لشخص واحد، فكيف إذا كان لدينا أكثر من ٤٠٠ مليون مسلم مدخن؟ وفي السعودية، رفع مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث في عام ٢٠٠١م أول قضية ضد شركات التبغ خارج الولايات المتحدة مطالباً شركات التبغ بمبلغ ١٠ مليارات ريال سعودي (٢,٦ مليار دولار) تمثل المصروفات المباشرة التي تكبدها المستشفى على مدى ٢٥ سنة لعلاج حالات السرطان وأمراض القلب الناتجة عن التدخين^(٢).

مجموع العائدات الاقتصادية من اختفاء أمهات الخبائث

لا شك أن المجتمعات الإسلامية تعجُّ بالعديد من الخبائث والمنكرات غير التي تطرقنا إليها في هذا الفصل، ولكن الأرقام والحقائق التي سُقناها لتشير - بجلاء - إلى الوضع الأخلاقي المتردّي عند المسلمين، وأهمية الاستقامة في علاج هذا الوضع. وإذا كانت الأرقام الكبيرة التي حصلنا عليها - رغم الافتراضات البسيطة التي استخدمناها - فهي فوق التصوّر، غير أنه عندما يستقيم المجتمع بحق على دين الله، فإنه سينعم ليس فقط بالأموال الضخمة التي يمكن توفيرها عندما تختفي هذه الظواهر، ولكن أيضاً بالمكاسب الأخرى؛ كالأمن والاستقرار والطمأنينة

وراحة البال، والسعادة الحقيقية التي ستسري بين أفراد الأسر المسلمة وبين أفراد المجتمع، إلى غيرها من الخيرات الجليلة التي يُعِدُّها المولى - سبحانه - على مَنْ يستقيم على دينه.

لغة الأرقام

✕ مجموع الأموال التي يمكن توفيرها فيما لو اختفت أمهات الخبائث من مجتمعات المسلمين = ٤,٥ مليار من خفض نسبة شاربي الخمر من المسلمين بمعدّل ١٪ في كل عام + ٢ مليار بسبب خفض جرائم البغاء والاغتصاب والشذوذ الجنسي + ٢ مليار من خفض حالات الطلاق + ١٦٥,٦ مليار من اختفاء ظاهرة التدخين بين المسلمين = ١٧٤,١ مليار دولار في العام.



الفصل الرابع عشر:

مظاهر البذخ والإسراف



لقد ذم الله الإسراف، وعاب فاعله، في اثنتين وعشرين آية من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ولا شك أن الإسراف والبذخ يوغر صدور الفقراء الذين يشاهدون ما يقوم به الأغنياء وهم لا يملكون حتى قوت يومهم. وظاهرة الإسراف تناقض عملية التنمية المستدامة؛ حيث يتعامل الناس بصورة مُبالغ فيها من ناحية صرف الأموال على حسب المظاهر حتى لو كانوا فقراء، إلى درجة أن بعض الناس يظهرون بمظاهر الثراء وهم أقرب إلى الفقر والبخل في حياتهم الخاصة^(١).

إن على كل مقتدر أن يراعي النعمة التي وهبه الله إياها، وأن يعلم أن هناك أُسرًا مسلمة لا تملك قوت يومها، وأن من بين المجتمع من لا يملك قوت من يعول، ولهذا فيجب على كل واحد منا أن يكون قدوة للآخرين، وأن ندرك ما دعانا إليه

(١) «الإسراف في حفلات الزواج.. فواتير تنهب الجيوب»: محمد اليوسف.



ديننا الحنيف، حين قال نبي الرحمة - صلوات ربي وسلامه عليه - : « لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبَعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ »^(١).

دَبَّرَ الْعِيشَ بِالْقَلِيلِ لِيَبْقَى فَبَقَاءُ الْقَلِيلِ بِالتَّدْبِيرِ
لَا تُبَذَّرُ وَإِنْ مَلَكْتَ كَثِيرًا فزَوَالُ الْكَثِيرِ بِالتَّبَذِيرِ

في التقديرات التي سنسوقها في هذا الفصل لن نستخدم العدد الإجمالي للمسلمين، كما درجنا عليه في الفصول السابقة، وإنما سنستخدم نصف عدد العرب، وهو حوالي ٢٠٠ مليون شخص، وذلك لعدة أسباب، منها أن هناك كثيرًا من الدول الإسلامية - بل ربما غالبيتها - تعيش شعوبها - كما بينا من قبل - في أوضاع اجتماعية سيئة، ولذلك فإن غالبيتهم لا يجدون قوت يومهم، فضلًا عن أن يكونوا مسرفين في مطعمهم وملبسهم وغيرها من جوانب حياتهم، ولكن العرب - والخليجيين بشكل أخص - هم أكثر الشعوب المسلمة إسرافًا وتبذيرًا لنعم الله، وهذا لا يعني أن كل العرب والخليجيين على هذه الحال، ولذلك احتسبنا فقط نصف عددهم. كذلك، فلا يعني أن بقية الشعوب المسلمة هم فقراء، ولا يوجد عندهم شيء من أنماط البذخ والإسراف، بل الواقع عكس ذلك، ولكننا أدخلنا أولئك ضمن المئتي مليون التي سنستخدمها في حساب التقديرات.

والسبب الثاني في أخذ العرب كعينة لحساب تقديراتنا هو أن كثيرًا من مظاهر البذخ والإسراف بدأت في الانتشار في بلدان الخليج، ثم بدأت العدوى تنتقل تدريجيًا إلى الدول العربية الأخرى، ولذلك فعندما نتحدث عن هذه المظاهر يكون لكلامنا شيء من المصادقية عندما نعني بها الخليجيين - وهم يُشكّلون نسبة لا بأس بها من المئتي مليون -، وأيضًا غيرهم من العرب وعامة المسلمين في كثير من البلدان الإسلامية الأخرى الذي هم على شاكله الخليجيين في الإسراف والبذخ.



الفصل الرابع عشر: مظاهر البذخ والإسراف

والافتراض الثاني الذي سنأخذ به في التقديرات التي سنسوقها في هذا الفصل هو أن الأسرة تتكون من سبعة أفراد (أي الأب والأم وخمسة أولاد)، بدلاً من خمسة أفراد- حسبما سرنا عليه في الفصول السابقة-، وهذا يعود إلى أن غالبية الأسر العربية- وخاصة الخليجية منها- تعتبر كبيرة من حيث العدد؛ فهناك من الأسر- وخاصة في منطقة الخليج- مَن يصل أعداد أفرادها إلى أكثر من عشرة، ومنها ما يقترب من العشرين. وفي «لغة الأرقام» التالية نوجز ما ذكرناه هنا.

لغة الأرقام

- ☒ عدد المسلمين الذين سنستخدمهم في التقديرات في هذا الفصل = ٤٠٠ مليون
عدد العرب تقريباً $2 \div 200 = 200$ مليون شخص.
- ☒ عدد الأسر المسلمة التي سنستخدمها في التقديرات = ٢٠٠ مليون شخص $7 \div$
أشخاص في كل أسرة = ٢٨,٥ مليون أسرة تقريباً.

ظاهرة الإسراف في الطعام والشراب والكماليات

تنتشر في كثيرٍ من بلدان المسلمين- وخاصة في بلدان الخليج- مظاهر الإسراف في الطعام والشراب والكماليات بشكلٍ يُنذر بعقاب شديد من الله- عزَّ وجلَّ- كما حذَّر سبحانه من ذلك فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وَقِيَاسُ الْقَصْدِ عِنْدَ السَّرَفِ
فَإِذَا غَرَفْتَهُ فِيهِ طَفِي

إِنَّ فِي نِيلِ الْمَنَى وَشَكِّ الرَّدَى
كَسَرَجٍ دُهْنُهُ قُوتٌ لَهُ

تتعدّد مظاهر الترف والإسراف عند العرب، وخاصة الخليجيين، ولكننا سنكتفي فقط بذكر ثلاثة نماذج لها. مثلاً، تشير الإحصائيات أنه في الربع الأول من



عام ٢٠١٦م غادر أكثر من ٣,٧ مليون مواطن سعودي في رحلات سياحية تُقدَّر تكلفتها بأكثر من ١١,٢ مليار ريال سعودي (حوالي ٤,٢ مليار دولار)^(١)، ويُنفق السائح الإماراتي أكثر من ١٠ آلاف دولار في الرحلات السياحية الدولية، وقد أنفق الخليجيون في عام ٢٠١٤م حوالي ٦٤ مليار دولار على السفر والسياحة، ومن المتوقع أن يصل هذا إلى ١٤٠ مليار في العام بحلول عام ٢٠٢٥م^(٢).

كذلك، فبالرغم من أن المنطقة العربية تعجُّ بأزمات الفقر والبطالة، إلا أن أكثر اهتمامات المرأة العربية هي ليست حول هذه الأوضاع، وإنما في تزيين جسدها، ووضع المساحيق وأدوات التجميل عليه، وقد ذكرت صحيفة صينية أن إجمالي إنفاق المرأة العربية على مستحضرات التجميل يتجاوز ٢٥ مليار دولار سنوياً، وأن المرأة الخليجية تصدر قائمة نساء العالم الأكثر إنفاقاً على جمالهن وحسن قوامهن ورشاقتهن، فبينما يُقدَّر سوق مستحضرات التجميل في العالم أجمع بـ ٢٥٥ مليار دولار، تُسهم فيه دول الخليج بنحو ٦,٦ مليار دولار^(٣).

أيضاً، فقد انتشر الهاتف النقال بين معظم العرب - وخاصة الخليجيين -، حتى صار الطفل الذي ربما لم يتجاوز العشر سنين لديه هاتف نقال، بالإضافة إلى استخدامات الحواسيب المحمولة والآي باد وغيرها من التقنيات، ولهذا أظهرت بعض استطلاعات الرأي أن هناك من الشباب من تزيد فواتير هواتفهم الشهرية عن ٦٦٠ دولار^(٤)، وهذا يعني أن أمثال هؤلاء يصرفون فقط على فواتير هواتفهم النقالة قرابة ٨٠٠٠ دولار سنوياً.

واجتنَبْ شُحًا وَغُرْمًا
لا ولا مُرًّا فُتْرَمِي

اقتصدْ في كُلِّ حالٍ
لا تكنْ حُلُوًّا فُتُوْكلْ

- (١) «أين يقضي الخليجيون إجازتهم الصيفية؟ إليك الوجهات المفضلة»: موقع الخليج أون لاين.
(٢) «٣٨ ألف درهم إنفاق السائح الإماراتي في الرحلة الدولية و١٨ ألفاً للإقليمية»: جريدة الاتحاد الإماراتية.
(٣) «رغم تردي الحالة الاقتصادية...كم تنفق نساء العرب لتجميل أجسادهن؟»: موقع نون بوست.
(٤) «الشباب والمكالمات.. غرام وفواتير»: موقع ستار تايمز.



من خلال الأرقام والإحصائيات التي سُقناها في هذا الفصل سنفترض أن كل واحدة من الأسر التي نستخدمها في التقديرات في هذا الفصل كان بإمكانها توفير عشرة دولارات في اليوم في كل مصاريفها؛ سواءً أكانت في وجبات الإفطار والغداء والعشاء، أم كانت في الكماليات والمُتَمَع من استخدام للكهرباء والماء والغاز، أم كانت في الرحلات والطلعات التي صارت مَعْلَمًا لكثير من الأسر العربية، أم كانت في توفير وقود السيارات وغيرها من المصاريف الأخرى.

كذلك فسنفترض أنه كان بإمكان كل واحد من المئتي مليون شخص الذين نستخدمهم في التقديرات أن يُوفّر عشرة دولارات في العام، وهذا التوفير قد يكون في قيمة الهاتف عند شرائه، أو في الفواتير الشهرية للاستهلاك.

وأخيرًا، سنفترض أنه كان بإمكان كل واحد من المئتي مليون أن يوفر عشرة دولارات في العام من مصاريفه الشخصية؛ سواءً أكان ذلك في قيمة الملابس والأحذية، أم كان في العطورات والكريمات التي يستخدمها، أم كان في الوجبات التي يأكلها من المطاعم والمقاهي. هذا بالإضافة إلى الإنفاقات الباهضة على عمليات جراحة الشيخوخة، وشد الوجه، والجفون، والأنف، وتجميل الثدي، وشد البطن، التي بدأت تغزو دول المنطقة بشكل رهيب. وقد ذكرت بعض التقارير أن الشرق الأوسط يستهلك نحو ٣٪ من الإنفاق العالمي على السلع الفاخرة، والذي يُقدَّر بنحو ٣٠٠ مليار دولار، ورغم تدني هذه النسبة إلا أن إنفاق الفرد على السلع الفاخرة في المنطقة كان الأعلى عالميًا؛ فالمستهلك الخليجي ينفق نحو ١٣٠٠ دولار شهريًا على الملابس الفاخرة والإكسسوارات، وهو ما يتجاوز بعشر مرات ما ينفقه المستهلك البريطاني^(١). وتُشير بعض الإحصائيات أن المصريين يُنفقون

(١) «الخليجي ينفق على الملابس ١٠ أضعاف ما يدفعه البريطاني»: قناة العربية.

أكثر من مليار جنيه سنوياً على شراء «جل» الشعر^(١).

لغة الأرقام

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من مصاريف الطعام = ٢٨,٥ مليون أسرة × ١٠ دولار في اليوم توفير في النفقات المنزلية × ٣٦٥ يوماً في السنة = ١٠٤,٠٢٥ مليار دولار في العام.

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من مصاريف الهاتف النقال (قيمة الهاتف، الاستهلاك الشهري) = ٢٠٠ مليون شخص × ١٠ دولار في العام يمكن توفيرها لكل شخص = ٢ مليار دولار في العام.

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من المصاريف الشخصية (ملابس، أحذية، عطورات، وجبات في المطاعم والمقاهي) = ٢٠٠ مليون شخص × ١٠ دولار في العام يمكن توفيرها لكل شخص = ٢ مليار دولار في العام.

ظاهرة الإسراف في حفلات عقد القران والأعراس

تنتشر في دول الخليج بشكل أخص ظاهرة غلاء المهور؛ حيث تصل المهور أحياناً إلى أكثر من عشرين ألف ريال عماني (حوالي ٥٢ ألف دولار)، ويصاحب غلاء المهور الإسراف الكبير في حفلات عقد القران والأعراس؛ فهناك قصور الأفراح باهظة التكاليف، مع العشاء الفاخر وبكميات كبيرة، لا يأكل الناس منها إلا كميات قليلة، ثم يذهب معظم ذلك الطعام إلى صناديق القمامة، وكذلك فهناك الإسراف في اقتناء الحلي بالنسبة للمرأة، والتباهي في أثواب العرس التي - عادة - تؤجّر بمئات وأحياناً آلاف الدولارات، وهناك المطربون والمطربات الذين يجلبون خصيصاً لهذه المناسبات.

(١) «اضرب شعرك «جل».. بمليار جنيه!!»: موقع ستار تايمز.



وقد سجّلت السعودية الرقم القياسي في تكاليف الأعراس، فقد تعدّت ١٥ مليار ريال سعودي سنوياً (قاربة ٤ مليار دولار)، ويتكلف العرس الواحد ما لا يقل عن ١٠٠ ألف ريال سعودي (حوالي ٢٦,٥ ألف دولار) في أفضل الظروف، رغم أنه في معظم الحالات تُقدّم هذه القيمة لقاءات الاحتفالات والزفاف فقط، بالإضافة إلى تكلفة صباي القهوة، والفرقة الموسيقية التي قد تصل تكلفتها أيضاً إلى حوالي ١٠٠ ألف ريال، ناهيك عن الذبائح باهظة الثمن، وتكاليف زينة العروس التي لا تقل عن ٥ آلاف ريال، وستان العروس الذي لا يقل عن ٢٠ ألف ريال^(١).

معظم هذه الحفلات تقام لغرض الوجاهة والمباهاة والمنافسة للآخرين، وقد يكون الآباء وكثير من النساء السبب في كثرة الإسراف في هذه المناسبات دون مراعاة لعواقبها، وهي في حقيقتها لا تأتي إلا بالويلات التي يعاني منها الشباب ويعاني منها المجتمع؛ وللأسف، فكثير من الشباب والفتيات لا يُبالون بمثل هذه العواقب، رغم أن كثيراً منهم يضطرون للاقتراض من البنوك الربوية، وذلك بحجة أنها لمرة واحدة في العمر، وأنها أسعد لحظات العمر ولذلك فيجب أن تبقى ذكرياتها، وكأن الذكريات فقط هي في التباهي بالطعام والشراب والملابس.

كذلك، فإن غلاء المهور والمصاريف الباهظة كثيراً ما يؤدّي إلى عزوف الشباب عن الزواج وحنوسة الفتيات، بالإضافة إلى المشاكل والخلافات التي تكثُر داخل هذه الأسر بسبب الديون المترتبة عن تلك المصاريف. وبحسب دراسة أعدتها الإذاعة الهولندية «هنا أمستردام» في عام ٢٠١٤م، وجدت أن لبنان تتصدّر الدول العربية في معدّل الحنوسة حيث تصل إلى ٨٥٪، تليها دولة الإمارات بنسبة ٧٥٪، ثم العراق وسوريا بنسبة ٧٠٪، ثم تونس بنسبة ٦٢٪، ثم الجزائر بنسبة ٥١٪، وتوجد في الجزائر أكثر من ٥ ملايين من العوانس، وقد جاءت فلسطين أقل الدول العربية في معدّل الحنوسة، حيث وصلت نسبتها ٧٪ فقط^(٢).

(١) «أرقام خيالية.. تكاليف حفلات الزفاف في العالم العربي»: موقع سيدي.

(٢) «أعلى ١٠ دول عربية في معدلات الحنوسة»: موقع Tops Arabia.



ولحساب الأموال التي يمكن توفيرها من مصاريف حفلات عقد القران والأعراس فإننا سنفترض أنه من بين كل مئة أسرة من مجموع الأسر التي نستخدمها في التقديرات سيقيم شابٌ واحدٌ فقط في العام بأكمله حفلة عقد قران أو عرس، وأنه كان بإمكان الشاب - وطبعًا بالتنسيق مع زوجته وأسرته - تخفيض نفقات الحفلة بألف دولار فقط، وهذا التوفير في النفقات قد يكون في التقليل في المهور، أو فيما ينفقه الزوج والزوجة من أموالٍ باهظة في التجهيز ليلية الحفلة، أو في مصاريف الحفلة نفسها من طعام وشراب وإيجار للمكان الذي تقام فيه الحفلة.

لغة الأرقام

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من مصاريف حفلات عقد القران والأعراس = ٢٨, ٥ مليون أسرة ÷ حفلة قران أو عرس واحدة في العام بين كل ١٠٠ أسرة × ١٠٠٠ دولار يمكن توفيرها في النفقات (المهور، مصاريف الحفلات) لكل حفلة = ٢٨٥ مليون دولار في العام.

ظاهر التباهي والإسراف في بناء البيوت الضخمة

انتشرت في دول الخليج - وفي غيرها من بلدان المسلمين - ظاهرة التباهي ببناء البيوت الضخمة - والتي هي أشبه بالقصور -؛ حيث تُبنى على مساحات كبيرة جدًا قد تصل أحيانًا لأكثر من عشرين ألف متر مربع، وقد تُقام حولها الحدائق والاستراحات وبرك السباحة ومواقف السيارات، وغيرها من ألوان البذخ^(١). كذلك، فقد صار الناس يتباهون في كمية ونوع السيراميك والجرانيت والديكور والأبواب والنوافذ والأثاث وغيرها من المواد التي تُبنى أو تؤثث بها هذه البيوت.

(١) «ظاهرة التنافس في بناء القصور!!»: عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ.

ومن المحزن كثيرًا أن مَنْ يتجول في الأحياء الجديدة سيشاهد القصور الكبيرة التي استقطعت مساحاتها الكبيرة جزءًا كبيرًا من مساحات الأحياء، مع أنها قد لا يسكنها إلا عددٌ قليلٌ من أفراد الأسرة، وغالبًا ما يكونون الزوج والزوجة فقط بالنسبة لحديثي الزواج، وكثيرٌ منها لا تُسكن إلا في أيام محدودة في السنة كالإجازات الأسبوعية أو في أيام الأعياد، وذلك بسبب عمل الزوج في منطقة بعيدة عن المنزل، فتضطر المرأة للعيش مع أهلها إلى أن يعود الزوج في نهاية الأسبوع، وكثيرًا ما تظل غرف ومرافق هذه القصور شبه مهجورة وفارغة، بل ربما تكون مجهولة ومهجورة حتى من أهل القصر أنفسهم؛ حيث - غالبًا - يحصرون استفادتهم منه على بعض المجالس والملاحق وغرف النوم ومواقف السيارات، ويظل المستفيد الأول من هذه القصور هم العمالة والخدم والمرافقين.

ولا شك أن هذه الظاهرة لها خطورتها على المجتمعات الإسلامية؛ فهي أولاً تستنزف أموالًا طائلة يمكن الاستفادة منها في جوانب أكثر نفعًا بالنسبة للشخص نفسه أو للمجتمع، وقد وصلت تكاليف البناء في بعض الأحيان إلى أكثر من مليون دولار^(١)، فبعض الدول الخليجية تمنح بنوك الإسكان لديها قروضًا تصل إلى أكثر من ٣٣٠ ألف دولار، وبعض المستفيدين من هذه القروض يرى أنها لا تكفي، وأن بناء المنزل يُكَلِّف ضعف هذا القرض^(٢)، وهؤلاء - أي المستفيدون من هذه القروض - في الغالب هم ليسوا من الأثرياء، وإنما من ذوي الدخل المحدود، فماذا عن بيوت الأثرياء؟

كذلك، فإن بناء بيوت بهذه الضخامة، وبما تحوزه من مساحات واسعة، يحرم عموم الناس والمجتمع بشكل أخص من الاستفادة من تلك المساحات في بناء

(١) «تكلفة البناء.. لا مبدأ يعلو فوق العرض والطلب»: صحيفة الاتحاد.

(٢) «حلم «بيت العمر» يتحطم على صخرة الغلاء»: صحيفة الأنباء الكويتية.

مؤسسات ومنشآت تخدم المجتمع. أيضًا، فإن تكاليف البناء الباهظة قد تُجبر الكثيرين للاستدانة من البنوك الربوية، والتي هي فوق كونها حرام الاقتراض منها، فهي كذلك تُري المقرض الذل والهوان، حيث يصبح عبدًا لذلك البنك طيلة حياته؛ حيث إنها - عادة - تأخذ أكثر من قيمة القرض كفوائد ربوية^(١).

ولا ننسى كذلك بأن بناء مثل هذه القصور يجعل من العسير على ساكنيها الاعتناء بها، من نظافة وصيانة ورعاية للحدائق وبرك السباحة وغيرها من المرافق، مما يُجبر أصحابها على استخدام الخدم الوافدين، وقد تقدّم الحديث عما في هذه الظاهرة من أضرار للمجتمع. وللأسف، فإنه في كثير من الأسر - وخاصة الخليجية منها - لم يعد وجود الخدم فقط لتلبية حاجة ربة المنزل إلى مَنْ يساعدها على إنجاز أعمالها من تنظيف وترتيب واهتمام بالأبناء، وإنما تزايد أعداد الخدم بشكل يُنذر بالخطر؛ فصارت هناك خادمة خاصة لتنظيف المنزل، وخادمة أو خادم مُخصّص للطبخ، وخادمة أخرى لتربية الأبناء، ولربما يوجد في بعض المنازل خادمة مُخصّصة لكل طفل، إضافة إلى حارس للمنزل، ومزارع للحديقة، وسائق أو سائقان يرافقان النساء والبنات أينما أرادت الذهاب، حتى وصل الحال إلى أن ٢٣٪ من الأسر والعائلات في دولة الإمارات تجاوز عدد الخدم لديها عدد أفراد الأسرة^(٢).

سنفترض أنه في كل عام يتم إنشاء بيت جديد واحد بين كل ١٠٠٠ أسرة من مجموع الأسر التي نستخدمها في التقديرات، وأنه أمكن توفير ١٠ آلاف دولار لكل بيت، وهذه غالبًا يمكن أن تكون في خفض مساحة البناء، وعدد الطوابق والغرف والملحقات، وفي نوعية الأصباغ والسيراميك والديكور المستخدم، وفي كمية وقيمة الأثاث والتجهيزات المقتناة، وفي غيرها من الجوانب.

(١) «مواطنون يشتكون: تكلفة البناء أعلى من قرض الإسكان»: صحيفة الخليج.
(٢) «٢٣٪ من الأسر المواطنة تجاوز رقم الخدم لديها عدد أفرادها»: صحيفة الخليج.



لغة الأرقام

✕ المبالغ التي يمكن توفيرها من مصاريف بناء البيوت = ٢٨, ٥ مليون أسرة ÷ بيت جديد واحد في العام بين كل ١٠٠٠ أسرة × ١٠ آلاف دولار يمكن توفيرها لكل بيت = ٢٨٥ مليون دولار في العام.

ظاهرة الإسراف في عدد ونوعية السيارات المقتناة

أصبحت السيارات الشغل الشاغل للكثير من الشباب حول العالم، فصاروا يبحثون عن الأسرع منها والأفضل، والأكثر شعبية بين فئة الشباب، الأمر الذي دفع العديد من شركات السيارات إلى الابتكار الدائم في سياراتهم، واعتماد العديد من التقنيات الحديثة لها، وذلك بهدف جذب أكبر عدد ممكن من فئة الشباب لشرائها، وتتراوح أسعار السيارات التي يحب الشباب اقتناءها بين ٢٠ ألف و ٥٥ ألف دولار^(١).

كذلك، فإن كثيراً من الشباب صاروا يتسابقون لتزيين سياراتهم وفق رغبات وأمزجة متباينة تحكمها تقليعات وموضات يُسَيِّرُونها وفق أهوائهم وأذواقهم، مما حدى بمحلات زينة السيارات أن تلاحق تلك التقليعات والموضات، حتى ولو تعارض ذلك مع المواصفات المطلوبة من شركات السيارات، أو حتى مع الذوق العام، وكل ذلك طمعاً في جني الأرباح من شباب لا يدركون أهمية ما يصرفونه من أموال على سياراتهم لفترات وقتية، ثم يزيلونها لاستبدالها بأخرى، وهناك من الشباب من يستقطع شهرياً من راتبه أكثر من ٣٠٠ دولار من أجل إجراء تعديلات على سيارته ليفاخر بها أقرانه من الشباب^(٢).

(١) «تعرف على أسعار أكثر ١٠ سيارات شعبية بين الشباب»: موقع المرسال.

(٢) «تزيين السيارات هوس جديد للشباب السعودي»: قناة العربية.



ويوجد في السعودية وحدها أكثر من ١٣ مليون سيارة، وتشتري سنوياً أكثر من ٧٠٠ ألف سيارة جديدة، ويُقدَّر ما اقترضه السعوديون من البنوك بين عامي ٢٠٠٧م و ٢٠١٢م لشراء السيارات أكثر من ٢٠٥ مليار ريال سعودي^(١). ويشير تقرير لشركة الأبحاث «فروست آند سوليفان» إلى أن حجم استهلاك مكونات السيارات وكل فئات المركبات في دول مجلس التعاون لدول الخليج بلغ ٨,٨٥ مليار دولار في عام ٢٠١٢م، ومن المتوقع أنه قد وصل إلى ١٤,٤ مليار دولار بنهاية عام ٢٠١٦م^(٢).

سنفترض هنا أنه من بين كل ١٠٠ أسرة من الأسر التي نستخدمها في التقديرات، يقوم شخص واحد فقط بشراء سيارة جديدة في كل عام، وأنه يمكن توفير ١٠٠٠ دولار من مصاريف هذه السيارات، سواءً أكانت من قيمة السيارة عند شرائها، أم من مصاريف الوقود والصيانة، أم فيما يُنفق عليها من موصات التزيين والتعديل.

لغة الأرقام

المبالغ التي يمكن توفيرها من مصاريف السيارات = ٢٨,٥ مليون أسرة ÷ سيارة جديدة واحدة في العام بين كل ١٠٠ أسرة × ١٠٠٠ دولار يمكن توفيرها لكل سيارة = ٢٨٥ مليون دولار في العام.

مجموع ما يمكن توفيره من أنماط الإسراف والبذخ

إن مجتمعنا الإسلامي يعجُّ بالكثير من ظواهر البذخ والإسراف، وما الصور التي ذكرناها إلا نماذج فقط لتُعطينا مؤشراً على ما يمكن توفيره لو استقامت الأمة على دين الله، وصلح حال المسلمين، واستوعبوا خطورة الترف والركون إلى مُتَع هذه الحياة، والتي ما أصابت قوماً إلا كانت سبباً في إهلاكهم، كما بيّنت ذلك كثيرٌ من

(١) «السعوديون ينفقون ٢٠٥ مليارات ريال على السيارات»: قناة العربية.

(٢) «زينة السيارات.. بين تقلبات الشباب وانتهاك الحقوق»: جريدة الرياض.



آيات الكتاب العزيز، وكما ورد في حديث النبي - عليه الصلاة والسلام - المشهور الذي يقول فيه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

لغة الأرقام

مجموع المبالغ التي يمكن توفيرها لو اختفت مظاهر البذخ والإسراف = ١٠٤٠٢٥ مليوناً يمكن توفيرها من المصاريف المنزلية + ٢٠٠٠ مليون يمكن توفيرها من مصاريف الهاتف النقال + ٢٠٠٠ مليون يمكن توفيرها من المصاريف الشخصية + ٢٨٥ مليوناً يمكن توفيرها من مصاريف حفلات عقد القران والأعراس + ٢٨٥ مليوناً يمكن توفيرها من مصاريف بناء البيوت + ٢٨٥ مليوناً يمكن توفيرها من مصاريف السيارات = ١٠٨٨٨٠ مليوناً = ١٠٨,٨٨ مليار دولار في العام.

الفصل الخامس عشر: الخلاصة

وبعد هذا التطواف السريع يتبيّن لنا سر الآية القرآنية ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. إن التقديرات التي استخدمناها في الفصول السابقة - رغم زهادتها - لتُعطي مؤشراً واضحاً بحجم ما يمكن توفيره لو استقامت الأمة الإسلامية على دين الله. المعادلة التالية توضح مجموع تلك التقديرات:

لغة الأرقام

✕ المجموع الكلي للأموال التي يمكن توفيرها فيما لو استقامت الأمة على دين الله = ١٣٨ مليار يمكن الحصول عليها من زيادة إنتاجية المسلمين + ٢٥٧,٦ مليار يمكن الحصول عليها من تشغيل العاطلين عن العمل + ٣,٧٥ مليار عائدات زكاة المال + ١,٨ مليار عائدات زكاة الفطر + ١,٤٣٨ مليار عائدات الوقف + ١,٨ مليار عائدات الأضاحي + ٣٠,١ مليار عائدات زكوات وأضاحي العاطلين عن العمل بعد تشغيلهم + ٣٨٥,٨٣٨ مليار عائد اقتصادي للأمة فيما لو استطاعت تجنب الحروب والصراعات في أفغانستان والعراق وكشمير والصومال + ٣٦٢ مليار عائدات يمكن توفيرها فيما لو استطاعت الأمة استعادة جميع أموالها المهاجرة وتقليص وارداتها والتخلص من جميع ديونها + ١٠٩,٥ مليار عائدات النفط + ٥٦٠ مليار عائدات من خفض النفقات العسكرية + ١٢,٤ مليار يمكن توفيرها فيما لو تم الاستغناء عن نصف رجال الشرطة والأمن في العالم

✕ الإسلامي + ٢٠.٨٤٤٨ مليار يمكن توفيرها فيما لو أمكن القضاء على الأمراض الفتاكة في العالم الإسلامي + ١٣٢, ١٢ مليار يمكن توفيرها من خفض حوادث السير والجرائم المختلفة + ٢, ٤٢ مليار يمكن توفيرها من مصاريف الحكام لو استقاموا على دين الله + ٩, ٤٩ مليار يمكن توفيرها من حملات القضاء على الإسلام + ١٠, ٢ مليار يمكن توفيرها للأمة لو قاطعت البضائع الأجنبية + ١٧٤, ١ مليار يمكن توفيرها فيما لو اختفت أمهات الخبائث من مجتمعات المسلمين + ١٠٨, ٨٨ مليار يمكن توفيرها فيما لو اختفت مظاهر البذخ والإسراف = ٢٢٠٢, ٢٩٢٨ مليار = ٢, ٢٠٢٢٩٢٨ ترليون دولار في العام.

ماذا تعني هذه الأرقام بالنسبة للأمة الإسلامية وبالنسبة للفرد المسلم؟ بمثل هذه المبالغ الضخمة يمكن للأمة أن تتخلص من كل أزماتها المالية والديون الخارجية، وبها تستطيع حل جميع مشاكلها الاجتماعية من أمية وفقر وبطالة، وبها تستطيع الارتقاء إلى أعلى المستويات بخدماتها التعليمية والصحية والتجارية والصناعية وغيرها من المجالات.

كذلك، فلو أردنا توزيع هذه المبالغ الضخمة على جميع المسلمين، أينما وُجدوا على سطح الأرض، فإن نصيب كل واحد سيكون بحوالي (١١٠١) دولار في العام، كما هو موضح في المعادلة التالية. هذا يعني أن الأسرة المسلمة المكونة من الأبوين وثلاثة أطفال يمكن أن تحصل على (٥٥٠٥) دولار في كل عام.

لغة الأرقام

✕ نصيب الفرد المسلم = ٢٢٠٢, ٢٩٢٨ مليار دولار يمكن أن توفرها الأمة سنوياً ÷ ٢ مليار مسلم في العالم = ١١٠١, ١٤٦٤ دولار في العام.

إن هذا الرقم ليس تقديراً بدخل الفرد المسلم وإنما بالزيادة التي يمكن أن يحصل عليها في كل عام، ولكن بشرط أن تستقيم الأمة حكماً وشعباً ومؤسسات وغايات



الفصل الخامس عشر: الخلاصة

ومناهج على دين الله. إن هذه الأرقام المدهشة لكفيلة بأن توظف الهمم النائمة وتثبت السواعد البناءة لأن تُشمر عن سواعد الجد وتبدأ في العمل الجاد لإحياء ما اندثر في الأمة، وتقويم ما اعوجَّ من فكرها واستقامتها، لكي تعود من جديد الأمة التي تقود ركب الأمم، ليس نحو البؤس والشقاء كما تفعله أمم الاستخراب في عصرنا الحاضر، وإنما نحو السلام والأمن والعيش الرغيد.

هذا، وصل اللهم وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المراجع كتب ودراسات

١ - «أحكام الأضحية والذكاة»: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين. دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٢ - «أسباب غزو العراق للكويت»: موقع موضوع. كوم، نشر بتاريخ ٢٠١٦ / ٢ / ٣ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/LXXQNu>

٣ - «أسرار الزكاة»: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. المكتبة العصرية، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٤ - «اشتراكية الإسلام»: مصطفى السباعي. دار المطبوعات العربية، دمشق. الطبعة الثانية، ١٩٦٠ م.

٥ - «الأحكام السلطانية والولايات الدينية»: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤ م.

٦ - «الإرهاب الدولي - دراسة فقهية تحليلية»: علي محيي الدين القره داغي، نشر على شبكة الحوار بتاريخ ٢٠١٥ / ٢ / ٢٦ م، على الرابط التالي:

<https://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=27472>

٧ - «الإسلام عقيدة وشريعة»: محمود شلتوت. دار الشروق، القاهرة. الطبعة

العاشر، ١٩٨٠م.

٨- «الإسلام والاقتصاد»: عبد الهادي علي النجار. سلسلة كتب عالم المعرفة (٦٣). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٩- «الأموال العربية المهاجرة»: أدهم إبراهيم جلال الدين. دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة. الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٠- «التخلف والتنمية»: د. عمرو محيي الدين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١١- «التدريب وأهميته في العمل الإسلامي»: د. محمد موسى الشريف. دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

١٢- «الخراج»: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق: د. محمد المناصير. دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن. الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٣- «الخليج ٢٠١٣: الثابت والمتحوّل»: مركز الخليج لسياسات التنمية، توجد نسخة منه على الرابط التالي:

<http://mobile.twasul.info/19111/%20/2012/11/29>

١٤- «الدولة المارقة»: وليام بلوم. يمكن تحميل الترجمة العربية للكتاب من خلال الرابط التالي:

<http://www.aljlees.com/books/6/283.rar>

١٥- «السياسة المالية في الإسلام»: عبد الكريم الخطيب. دار المعرفة، بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

١٦- «المجموع»: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. دار الفكر،

بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

١٧- «المرتزقة في العراق.. ميليشيات وشركات مأجورة»: د. رائد العزاوي. دراسة نشرت في موقع «وكالة الأخبار الإسلامية- نبأ» بتاريخ ١/ ٨ / ٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp?DocID=102592&TypeID=8&TabIndex=2>

١٨- «النفقات العامة في الإسلام»: يوسف إبراهيم يوسف. دار الثقافة، قطر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٩- «الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنموية من خلال الدراسات التي تناولت الوقف عند المسلمين»: السعيد بوركة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر. الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٠- «إنفاق الزكاة في المصالح العامة»: محمد أبو فارس. دار الفرقان، عمان. الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢١- «بداية مرحلة جديدة من الاحتلال الأمريكي في العراق»: علي العبادي، دراسة نشرت في موقع «ميدل إيست أون لاين» بتاريخ ٩ / ٤ / ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

<http://www.middle-east-online.com/?id=76003>

٢٢- «بشائر الهزيمة الأمريكية وتحديات ما بعد أمريكا»: د. عبد العزيز مصطفى كامل.

٢٣- «تجربة صندوق الزكاة الجزائري في مكافحة الفقر»: مسدور فارس، جامعة سعد دحلب البلدية - الجزائر، موجود على الرابط التالي:

<https://goo.gl/j2Q3QW>

- ٢٤- «تفسير المنار»: محمد رشيد رضا. الطبعة الثانية، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.
- ٢٥- «تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي»: دنيا شوقي. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
- ٢٦- «شركات الحماية الأمنية في العراق»: رائد الحامد. دراسة أعدتها «دار بابل للدراسات والإعلام» (www.darbabl.net) بتاريخ ٢٠/١/٢٠٠٦ م.
- ٢٧- «صناعة الحياة»: محمد أحمد الراشد. دار المنطلق، دبي، الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٢٨- «صناعة وتسويق الحرب ضد العراق»: مهند العزاوي، دراسة نشرت في موقع ميدل إيست أون لاين بتاريخ ١٩/٣/٢٠٠٩، على الرابط التالي:
<http://www.middle-east-online.com/?id=75102>
- ٢٩- «فقه الزكاة»: يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثامنة، ١٩٨٥ م.
- ٣٠- «كتاب الأموال»: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. محمد عمارة. دار الشروق، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٣١- «ماذا يُريدون من المرأة»: عبد السلام السيد البسيوني. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٣٢- «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر بيروت. الطبعة الرابعة، ١٩٩١ م.
- ٣٣- «وقف النقود - حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره»: عبد الله بن مصلح الثمالي. كتاب إلكتروني، توجد نسخة منه على الرابط التالي:
<http://waqef.com.sa/upload/ANcTxibGj5VS.pdf>

بحوث وتقارير

- ١ - «أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف»: الشيخ صالح كامل.
- ٢ - «إرهاب اليورانيوم .. مخاطره الصحية والنفسية والتربوية»: مآرب المولى. مؤتمر جامعة الحسين بن طلال الدولي في الإرهاب في العصر الرقمي. الأردن. ١٠-١٢ يوليو ٢٠٠٨م.
- ٣ - «الإيمان واهتمام الوقف بالعلم والتعليم»: أحمد بن محمد المغربي. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية.
- ٤ - «التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب»: منذر قحف، ندوة نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي.
- ٥ - «الجوانب الاقتصادية للوقف»: د. عمر الكتاني، الملتقى المنظم بالتعاون ما بين المؤسسة الوطنية للأوقاف والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية والأمانة العامة للأوقاف بالكويت حول «النصوص القانونية المنظمة للوقف والزكاة» في الفترة ما بين ١٦ - ٢١ مارس ٢٠٠٨م.
- ٦ - «الدور الاجتماعي للوقف»: عبد المالك أحمد السيد، في كتاب جماعي بعنوان «إدارة واستثمار ممتلكات الأوقاف»، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ.
- ٧ - «الدور الاقتصادي لنظام الوقف الإسلامي في تنمية المجتمع المدني مع نظرة خاصة للدول العربية شرق المتوسط»: منذر قحف، ورقة عرضت في ندوة نظام

الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، بيروت، ٢٠-٢٤ رجب ١٤٢٢ هـ، الموافق له ٨-١٢ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٨- «الزكاة ودورها في الاستثمار والتمويل»: علاء الدين عادل الرفاتي. بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي «الاستثمار والتمويل في فلسطين بين آفاق التنمية والتحديات المعاصرة»، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية بغزة، ٨-١٠ مايو ٢٠٠٥ م.

٩- «السودان وموارد الزكاة الاقتصادية»: محمد هاشم عوض.

١٠- «الوقف والتنمية الاقتصادية»: عبد الله بن سلمان بن عبد العزيز الباحث، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في السعودية الذي نظّمته جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الأوقاف والدعوة الإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.

١١- «الوقف والحضارة الإسلامية»: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز الجريوي. مجلة البيان، عدد (٣١٢)، شعبان ١٤٣٤ هـ، يونيو-يوليو ٢٠١٣ م.

١٢- «الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية»: فتيحة المعاشي. ورقة عمل قُدّمت للملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، صفاقس، تونس، ٢٧-٢٨-٢٩ / ٦ / ٢٠١٣ م.

١٣- «الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية»: أحمد بن يوسف الدريويش. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية.

١٤- «جدلية العلاقة بين الإنفاق العسكري والتنمية الاقتصادية»: محمد دياب، نشر في مجلة الدفاع الوطني اللبناني، عدد (٧٥)، يناير ٢٠١١ م.

١٥- «دعم الوقف للموازنة العامة للدولة»: د. عمر الكتاني. بحث مقدم لمنتدى قضايا الوقف الفقهي الرابع المنعقد بالرباط من ٣٠ مارس إلى ٠١ أبريل ٢٠٠٩ م، والمنظم من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف الكويتية والبنك الإسلامي للتنمية.

١٦- «عرض التجربة الوقفية بالمملكة المغربية»: الدرويش عبد العزيز، ندوة التجارب الوقفية لدول المغرب العربي، الرباط، المملكة المغربية، ٩-١١ نوفمبر ١٩٩٩م.

١٧- «هجرة رؤوس الأموال إلى الخارج الأسباب، والآثار، ووسائل العلاج»: عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث للاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ونشر في موقع شذرات بتاريخ ١/٨/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=135>

مقالات

١ - «٢٣٪ من الأسر المواطنة تجاوز رقم الخدم لديها عدد أفرادها»: صحيفة الخليج، نشر بتاريخ ١٤/٧/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/2a1e5c70-cc3e-4ef1-a884-1acfa7151145>

٢ - «(إخوان أون لاين) يحاور رئيس تحرير مجلة كشمير المسلمة»: موقع إخوان أون لاين، نشر الحوار بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=24730&SecID=270>

٣ - «(حرب الحوادث) تستنزف الأرواح والأموال»: صحيفة الرأي الأردنية، نشر بتاريخ ٢/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://alrai.com/article/765520.html>

٤ - «١,٥ مليار ريال تكلفة أولى مراحل مبنى كلية الشرطة»: صحيفة العرب القطرية، نشر بتاريخ ١٦/٦/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://alarab.qa/story/1208107>

٥ - «10 countries where people smoke the most»: MarketWatch, 22/7/2014.

<http://www.marketwatch.com/story/10-countries-where-people-smoke-the-most-2014-07-22>

٦ - «١٠ أجهزة شرطة الأكثر فسادًا حول العالم.. و٣ دول عربية ضمن القائمة»: موقع المصري اليوم، نشر بتاريخ ١٦/٩/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.almasryalyoum.com/news/details/524290>

٧- « ١٠ حقائق حول التدخين في مصر»: موقع المصري اليوم، نشر بتاريخ ٧ / ٧ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.almasryalyoum.com/news/details/477987>

٨- « ١٠ حقائق عن الجوع في الصومال»: موقع برنامج الأغذية العالمي، نشر بتاريخ ٢٦ / ٦ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://ar.wfp.org/news/news-release/10-facts-about-hunger-in-somalia-ar>

٩- « ١٠ من أشهر عمليات الإبادة التي تعرضت لها شعوبنا المسلمة»: موقع أمة بوست، نشر بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠١٥م على الرابط التالي:

<https://ommahpost.com/the-most-famous-genocides-suffered-by-muslim-nation/>

١٠- « ١١ سبتمبر وأخواتها.. دروس من وراء الجراح»: محمد بن المختار الشنقيطي، نشر في موقع قناة الجزيرة بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٤م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8B36E96D-9187-456F-9E15-65B1BFF534E4.htm>

١١- « ١٧ دقيقة إنتاجية العامل المصري في اليوم»: وكالة الأنباء السعودية (واس)، نشر بتاريخ ٢٦ رمضان ١٤٢٨هـ الموافق ٨ أكتوبر ٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/2VwnRu>

١٢- « ١١٢ ألف مواطن سعودي يمتلك ثروة تزيد عن مليون دولار»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١١ / ٦ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/630881.htm>

١٣- « ١١٧ حالة انتحار العام الماضي والأعلى بتاريخ المملكة»: صحيفة الغد الأردنية، نشر بتاريخ ١٩ / ١ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.alghad.com/articles/1383282>

مقالات

١٤- «١٢٧ مليون جنيه إسترليني تكلفة صيانة سيارات الشرطة البريطانية»: مايكل

منير، نشر في موقع التوكيل بتاريخ ١٨ / ١٠ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://eltawkeel.com/News/4164/127>

١٥- «١٣٤٩ قناة في فضاء العرب»: موقع CNN العربية، نشر بتاريخ

١٤ / ٣ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://arabic.cnn.com/arab-satellite-channel-statistics>

١٦- «١٥٠٠ مرافق ومصعدان و ٥٠٠ طن من الأمتعة.. هكذا سافر الملك سلمان»:

موقع CNN العربية، نشر بتاريخ ١ / ٣ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://arabic.cnn.com/travel/2017/03/01/saudi-visit-indonesia>

١٧- «١٨ دقيقة في اليوم متوسط إنتاجية العامل العربي»: جريدة الخليج، نشر

بتاريخ ١٠ / ٥ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/517f8e17-5ed9-4474-9333-4a85e7e4a12f>

١٨- «٣٠ مليار جنيه تكلفة حوادث السيارات بمصر خلال ٢٠١٥»: موقع العربي

الجديد، نشر بتاريخ ٢٢ / ٨ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://www.alaraby.co.uk/economy/2016/8/22/30>

١٩- «٣٣,٥ مليار جنيه مكافأة السيسي لـ«الشرطة» في الموازنة الجديدة»: موقع

العربي الجديد، نشر بتاريخ ٥ / ٦ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/xrkE6h>

٢٠- «٣٨ ألف درهم إنفاق السائح الإماراتي في الرحلة الدولية و ١٨ ألفاً للإقليمية»:

جريدة الاتحاد الإماراتية، نشر بتاريخ ١٩ / ٨ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=72576&y=2014>

٢١- «٤٠٠ مليار جنيه حجم تجارة المخدرات في مصر»: موقع البوابة نيوز، نشر بتاريخ ٢٠١٦/٩/٣م، على الرابط التالي:

<http://www.albawabhnews.com/2096543>

٢٢- «٤٣ مليار ريال متوقعة لتكلفة علاج السكري في المملكة»: موقع الاقتصادية، نشر بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٣م، على الرابط التالي:

http://www.aleqt.com/2015/10/23/article_1000443.html

٢٣- «٤٥ ألف طفل مجهول النسب بالجزائر سنوياً»: موقع الخبر، نشر بتاريخ ٢٠١٤/١١/٤م، على الرابط التالي:

<http://www.elkhabar.com/press/article/71208/#sthash.52Wn1hdK.dpbs>

٢٤- «٤٥ مليون دينار تكلفة كلية الشرطة الجديدة»: صحيفة النهار الكويتية، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٥/١٨م، على الرابط التالي:

<http://www.annaharkw.com/Annahar/Article.aspx?id=458688&date=18052014>

٢٥- «٥٠ مليون شخص مشغولون بأنشطة عسكرية في العالم والعرب الأكثر إنفاقاً على السلاح»: ريماء زهار، نشر في موقع إيلاف بتاريخ ٢٠١٣/٧/٣٠م، على الرابط التالي:

<http://elaph.com/Web/Archive/992674609577827900.htm>

٢٦- «٢٠٠ طن يورانيوم منضّب.. ضرب بها العراق في حربي الخليج الأولى والثانية»: صحيفة المدى، نشر بتاريخ ٢٠١٠/٧/٣١م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/LNrVjk>

٢٧- «٢٠٩ أيام... كانت الكويت فيها محور العالم كله»: جريدة الرأي الكويتية، نشر بتاريخ ٢٠١٠/٢/٢٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alraimedia.com/ar/article/local/2010/02/24/176529/nr/nc>



مقالات

٢٨- «٥٠٠ بليون ريال قيمة الأوقاف في السعودية»: جريدة الحياة السعودية، نشر بتاريخ ١٩/١٠/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alhayat.com/Articles/18014445/>

٢٩- «٥١٨ مليار دولار إجمالي تكاليف حوادث المرور عالمياً»: صحيفة لوسيل، نشر بتاريخ ١٨/٥/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://lusailnews.qa/article/18/05/2017/518>

٣٠- «٦٠٠ مليون درهم تكلفة مستشفى الأمل الجديد بدبي»: صحيفة الاتحاد الإماراتية، نشر بتاريخ ٢١/١١/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=108592&y=2013>

٣١- «٦٠٧٦ دولارًا متوسط نصيب الفرد في الدول الإسلامية من الناتج المحلي»: صحيفة الاقتصادية، نشر بتاريخ ٣٠/١٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

http://www.aleqt.com/2014/12/30/article_918876.html

٣٢- «٧٠ حالة انتحار يوميًا.. لماذا يتحرر الشباب الياباني؟»: أشرف إبراهيم، نشر على قناة الجزيرة، بتاريخ ٢١/٢/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/ApBtWk>

٣٣- «٨٠٠ مليار دولار قيمة الإنفاق الدفاعي العربي في ٥ سنوات»: موقع CNN العربية، نشر بتاريخ ٢٣/٢/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://arabic.cnn.com/business/2017/02/23/800-billion-arab-military-spending-5-years>

٣٤- «٨١٦ مليون ريال تكلفة المبنى الجديد للإدارة العامة للجنسية والمنافذ»: بوابة الشرق الإلكترونية، نشر بتاريخ ١٠/٨/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.al-sharq.com/news/details/438013>

٣٥- «Child death rate doubles in Iraq»: BBC News, 25/5/2000.

<http://news.bbc.co.uk/1/hi/health/763824.stm>



«Corruption Perceptions Index 2016»: Transparency International Organization. _٣٦

https://www.transparency.org/news/feature/corruption_perceptions_index_2016

«List of countries by cigarette consumption per capita»: Wikipedia, July 2017. _٣٧

https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_cigarette_consumption_per_capita

«Sanctions and childhood mortality in Iraq»: The Lancet, Volume _٣٨

355, No. 9218, p1851-1857, 27 May 2000.

<http://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140673600022893/abstract>

«Tobacco»: World Health Organization, May 2017. _٣٩

<http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs339/en/>

«Trump signs largest arms deal in American history with Saudi _٤٠

Arabia»: The Week, 20/5/2017.

<http://theweek.com/speedreads/700428/trump-signs-largest-arms-deal-american-history-saudi-arabia>

_٤١ «أبناء العلاقات خارج الزواج في المغرب.. كيف ينالون حقوقهم؟»: بديعة

منصوري، نشر في موقع إذاعة سوى، بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://www.radiosawa.com/a/morocco-non-marital-children/253969.html>

_٤٢ «اتحاد المحاكم الإسلامية في الصومال»: وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ)،

نشر في موقع الوكالة بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc04.asp?DocID=90680&TypeID=4&TabIndex=2>

_٤٣ «أثر التدريب على المؤسسة»: سارة نبيل، نشر في موقع منتدى الموارد

البشرية بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<https://hrdiscussion.com/hr49704.html>

مقالات

٤٤- «إجمالي الناتج القومي التركي يقترب من ترليون دولار»: موقع تركيا بوست،
نشر بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://www.turkey-post.net/p-179919>

٤٥- «إحصائيات عن البطالة والقوى العاملة في العالم الإسلامي»: شبكة الحصاد،
نشر بتاريخ ١٥ / ٢ / ٢٠١٥ م، على الرابط التالي:

<http://www.alhassad.net/spip.php?article15732>

٤٦- «إحصائيات مكافحة المخدرات خلال ٧ سنوات»: موقع أخبار ٢٤، نشر
بتاريخ ٩ / ٣ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://akhbaar24.argaam.com/article/detail/269611>

٤٧- «إحصائية جديدة لضحايا أميصوم في الصومال منذ ٢٠٠٩»: مركز مقديشو
للبحوث والدراسات، نشر بتاريخ ١ / ١٠ / ٢٠١٥ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/mzSGg9>

٤٨- «إخراج زكاة الفطر نقدًا»: سعود بن عبد الله الفنيسان. فتوى نشرت في موقع
قصة الإسلام بتاريخ ٧ / ٩ / ٢٠١٠ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/ZDHUAb>

٤٩- «إدماج مؤسستي الزكاة والوقف في برامج مكافحة الفقر»: العياشي فداد،
نشر في موقع مركز الأبحاث الإسلامية، على الرابط التالي:

<http://www.kantakji.com/wakf.aspx>

٥٠- «ارتفاع الإنفاق العسكري العالمي بعد أربع سنوات من التراجع»: موقع
إسلام أون لاين، نشر بتاريخ ٦ / ٤ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://islamonline.net/16060>

٥١- «ارتفاع الإنفاق العسكري العالمي عام ٢٠١٥»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٥ / ٤ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/qEZiNz>

٥٢- «ارتفاع النفقات العسكرية في الدول العربية»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٧ / ٧ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/zRpHB3>

٥٣- «ارتفاع كبير في سرقة الجوالات.. ١٠ آلاف حالة بدمشق وريفها خلال العام»: صحيفة الوطن السورية، نشر بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:
<http://alwatan.sy/archives/29308>

٥٤- «ارتفاع معدلات الطلاق، والمدن الساحلية الأعلى نسبة في تركيا!»: موقع تركيا بوست، نشر بتاريخ ١٨ / ٩ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:
<http://www.turkey-post.net/p-75724/>

٥٥- «أردوغان وحياة الأبهة.. قصر رئاسي بألف غرفة»: قناة العربية، نشر بتاريخ ٥ / ١١ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/KATPhA>

٥٦- «أرقام تتكلم.. حول العنف ضد المرأة»: مدونة منظمة «الأمل في الله» الخيرية، نشر بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:
https://ar-ar.facebook.com/permalink.php?story_fbid=297628463779557&id=208748459334225

٥٧- «أرقام خيالية.. تكاليف حفلات الزفاف في العالم العربي»: موقع سيدي، نشر بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/oqoaC7>

٥٨- «أرقام صادمة عن السيدا في المغرب»: موقع بديل، نشر بتاريخ ٢٠١٦/٧/١٥م، على الرابط التالي:

<http://badil.info/87004-2/>

٥٩- «أرقام وإحصاءات تظهر فتك آفة التدخين بصحة السعوديين وجيوبهم»: موقع الخليج أون لاين، نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٧م، على الرابط التالي:

<http://klj.onl/ZSurLm>

٦٠- «أرقام وحقائق صادمة من تقرير المخدرات العالمي لسنة ٢٠١٦»: موقع أراجيك، نشر بتاريخ ٢٠١٦/٧/٤م، على الرابط التالي:

<https://www.arageek.com/2016/07/04/world-drug-report-2016.html>

٦١- «أزمة الفيدرالية في الصومال والحكومة الجديدة»: عمر محمد ورسمه، نشر على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٣/١/٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/XiR9vw>

٦٢- «أوقاف الجامعات في العالم الإسلامي»: منصور جبر، نشر في صحيفة البلاد السعودية بتاريخ ١٥ محرم ١٤٣٨ هـ الموافق له ٢٠١٦/١٠/١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/Hv9Bz1>

٦٣- «استثمار زكاة الأموال»: سعود بن عبد الله الفينسان. فتوى نشرت في موقع الإسلام اليوم بتاريخ ٢٨ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-169605.htm>

٦٤- «استهلاك الكحول عند العرب»: موقع CNN العربية، نشر بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٤م، على الرابط التالي:

<https://arabic.cnn.com/business/2014/12/24/meast-alcohol>

٦٥- «أسرار نفطية لا يعرفها الكثيرون»: رشيد الخولي، نشر في موقع عالم النفط والغاز بتاريخ ٢٠/٧/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<https://sites.google.com/site/sypeteng/research/35>

٦٦- «إسرائيل تباع الهند صواريخ بملياري دولار»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٣٠/٣/١٤٣٠هـ - ٢٧/٣/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/59D37EB6-3487-4A8D-9B6A-6C0217E276C5.htm>

٦٧- «إسرائيل تدرب قوات هندية لقمع المسلمين في كشمير»: موقع الإسلام اليوم، نشر بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٢٩هـ / ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.islamtoday.net/albasheer/artshow-12-103726.htm>

٦٨- «أسطول سيارات جديد ينضم للشرطة المصرية تعرف على أسعار تلك السيارة ومواصفاتها الفريدة»: موقع نجوم مصرية، نشر بتاريخ ٤/٥/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/BHH8fP>

٦٩- «إسناد مشروع تشييد المستشفى العام الجديد لشرطة عمان لشركة «جلفار للهندسة» بمبلغ ٢١٣ مليون ريال»: موقع أرقام، نشر بتاريخ ٣١/١٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://gulf.argaam.com/article/articledetail/474249>

٧٠- «أضرار التدخين الاقتصادية»: موقع موضوع، نشر بتاريخ ٢٥/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/WV8ue3>

٧١- «اضرب شعرك «جل».. بمليار جنيه!!»: موقع ستار تايمز، نشر بتاريخ ١/٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.startimes.com/f.aspx?t=8095954>



مقالات

٧٢- «أعقاب السجائر... سموم تنتقل من مياه المجاري إلى بطون البشر»: شهد المحاميد، نشر على صحيفة الرأي الكويتية بتاريخ ١٢ / ٧ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.alraimedia.com/ar/article/local/2017/07/12/777788/nr/kuwait>

٧٣- «أعلى ١٠ دول عربية في معدلات الطلاق»: موقع Tops Arabia، نشر بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/pVAPhX>

٧٤- «أعلى ١٠ دول عربية في معدلات العنوسة»: موقع Tops Arabia، نشر بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/xqRWRG>

٧٥- «أعلى ٧ رواتب لأفراد الشرطة في العالم»: أحمد عواد، نشر في موقع ٧ أيام، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/iDKRMq>

٧٦- «أغلبهم عرب .. قائمة ٢٠١٦ لأكثر ١٠ شعوب بدانة في العالم»: موقع HUFFPOST، نشر بتاريخ ٢٦ / ٦ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

http://www.huffpostarabi.com/2016/06/26/story_n_10688210.html

٧٧- «أعلى ١٠ سيارات شرطة في العالم.. الأولى في دبي بـ ١٤ مليون جنيه»: موقع المصري اليوم، نشر بتاريخ ٢١ / ٨ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.almasryalyoum.com/news/details/506024>

٧٨- «أغنى العائلات والأثرياء العرب لعام ٢٠١٦»: موقع النيلىن، نشر بتاريخ ١٨ / ٤ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12769458.htm>

٧٩- «أفغانستان.. معلومات أساسية»: شيرين حامد فهمي، نشر في موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٣٠/٠٩/٢٠٠١م، على الرابط التالي:

<http://www.islamonline.net/arabic/politics/2001/09/article42.shtml>

٨٠- «أفغانستان؛ بين الأمس واليوم»: أبو المنذر الساعدي، نشر في موقع منبر التوحيد والجهاد، على الرابط التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=gn5phmmc>

٨١- «أكثر ١٠ دول فيها نسبة تدخين التبغ عالية»: شبكة أبو نواف، نشر بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/39HLfS>

٨٢- «أكثر من ٢٤ مليار دولار أموال سورية مهاجرة.. لبنان المستفيد الأكبر منها»: شبكة السورية، نشر بتاريخ ١٥/١١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/k2AfF4>

٨٣- «أكثر من ٣٠٠ مليار دولار خسائر العراق الاقتصادية خلال العام الماضي»: وكالة نون الخبرية، نشر بتاريخ ١١/٦/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://non14.net/61999>

٨٤- «ألا هل بلغت: اللهم فاشهد»: ناصر بن سليمان العمر. رسالة كتبها الشيخ بتاريخ ٢٣/٧/١٤٢٢ هـ ونشرت في مواقع كثيرة، وهي في موقع صيد الفوائد على الرابط التالي:

<http://saaid.net/Warathah/alaomar/01.htm>

٨٥- «الإدمان في أرقام سجلات محاكم الأسرة»: موقع اليوم السابع، نشر بتاريخ ١/٥/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/hsYDkz>

٨٦- «الأردن: الداخلية تعتذر للمثليين عن ملاحقتهم ومتاجر تخصص بضائع للجنس الثالث»: موقع سما الإخبارية، نشر بتاريخ ١٤ / ٧ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://samanews.ps/ar/post/242288>

٨٧- «الأزمة الاقتصادية.. هل تنهي حرب العراق؟»: توني كارون، نشر في مجلة التايم الأمريكية، وتم نشره في موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٤٢٩ / ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٨م، وهو موجود في موقع المختصر على الرابط التالي:

<http://www.almokhtsar.com/news.php?action=show&id=2984>

٨٨- «الأسبلة وجه من وجوه الحضارة الإنسانية»: عبد الكريم السمك، نشر في موقع الألوكة، بتاريخ ٢٧ / ٦ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/culture/0/56561/>

٨٩- «الأصولية الهندوسية»: تميم بن عبد العزيز القاضي، نشر في موقع العقيدة والحياة، على الرابط التالي:

<http://www.al-aqidah.com/OLD/?aid=show&uid=64xnrjzo>

٩٠- «الاستثمارات العربية في الخارج»: محمد عبد العاطي، نشر في موقع قناة الجزيرة بتاريخ ٣ / ١٠ / ٢٠٠٤م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/abb160fd-60fe-42e1-a2ad-2f8ccbebd74>

٩١- «الاستيلاء على محلات وسكنات وأراضٍ وقفية بالتواطؤ مع موثقين أملاك مؤجرة بـ ١٠٠ دينار ومداخيلها تصل إلى ٦٠ مليارات»: نبيل قويدر جلول، نشر في موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، على الرابط التالي:

<http://www.kantakji.com/wakf.aspx>



٩٢- «الإسراف في حفلات الزواج.. فواتير تنهب الجيوب»: محمد اليوسف، نشر في موقع تواصل بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠١٢ م، على الرابط التالي:

<http://mobile.twasul.info/19111/%20/2012/11/29>

٩٣- «الاعتقال والتعذيب في العراق بعد أحداث أبو غريب»: منظمة العفو الدولية. أصدرت منظمة العفو الدولية هذه الوثيقة بتاريخ ٦ / ٣ / ٢٠٠٦ م، وتم نشرها في موقع الألوكة، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/49.aspx>

٩٤- «الإعلام الأمريكي والغربي.. والاعترافُ بالهزيمة في العراق»: عمر حميدان، نشر في موقع «الألوكة» بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٤٢٨ هـ / ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/1567.aspx>

٩٥- «الاقتصاد الإسلامي الفاشل»: إبراهيم علاء الدين، نشر في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

<http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=150959&r=0>

٩٦- «الأمريكان في خبر كان»: شبكة أنا المسلم، نشر بتاريخ ١٦ / ١ / ٢٠٠٦ م، على الرابط التالي:

<http://www.muslim.net/vb/showthread.php?t=148053>

٩٧- «الأمريكان والصومال والقرضاي والشيخ شريف وتبديله تبديلاً»: محمد أسعد بيوض التميمي، نشر في مركز المقريري للدراسات التاريخية، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl385.html>



مقالات

٩٨- «الأموال المهاجرة ترليون ريال سنوياً»: برجس البرجس، نشر في موقع وكالة سبق بتاريخ ٣١/١/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://sabq.org/KBs4TS>

٩٩- «الأموال المهاجرة من الإمارات ٥٨ مليار درهم»: نور عبد الله، نشر في موقع القبس الإلكتروني بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<https://alqabas.com/222106>

١٠٠- «الانتحار في العالم العربي»: موقع رصيف ٢٢، بتاريخ ١٠/٩/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://raseef22.com/life/2016/09/10/>

١٠١- «الانتحار»: صحيفة وقائع، عدد مارس ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs398/ar/>

١٠٢- «الانتحار.. آسيا الأولى وعربيا الصدارة للسودان فالمغرب وقطر والأقل في السعودية وسوريا»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١٠/٩/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/1111601.htm>

١٠٣- «الانتفاضة الشعبانية»: موقع المعرفة، نشر على الرابط التالي:

<https://goo.gl/DrNEhN>

١٠٤- «الإنفاق العربي على السلاح.. الأول عالمياً»: موقع إرم نيوز، نشر بتاريخ ١/٩/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.aremnews.com/economy/555798>

١٠٥- «الإنفاق على التعليم والصحة في الموازنة»: يوسف إبراهيم، نشر في موقع بوابة حزب الوفد الإلكترونية بتاريخ ٢٤/٦/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://alwafd.org/essay/12184>

١٠٦ - «الأوضاع الاقتصادية بالصومال بعد سنوات من غياب الدولة»: قناة الجزيرة،

برنامج «الاقتصاد والناس»، حلقة بتاريخ ٣٠ / ٧ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/Y11kZP>

١٠٧ - «الأوقاف والرعاية الصحية»: أحمد عوف محمد عبد الرحمن، نشر في

مجلة أوقاف، عدد (٦)، يونيو ٢٠٠٤م.

١٠٨ - «الإيدز بلغ رقمًا قياسيًّا بأوروبا»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ

٢٨ / ١١ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2015/11/28/>

١٠٩ - «الإيدز في العالم العربي.. أرقام مرعبة وحقائق محزنة»: قناة الجزيرة، نشر

بتاريخ ٣ / ١٢ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2013/12/3/>

١١٠ - «الإيدز AIDS .. وباء العصر الحديث .. مريض كل ٥ ثوان .. وحالة وفاة

كل ١١ ثانية»: منتديات ستار تايمز، نشر بتاريخ ١٩ / ٧ / ٢٠٠٦م، على الرابط

التالي:

<http://www.startimes.com/?t=2097314>

١١١ - «البرلمان الصومالي يتبنى بالإجماع تطبيق الشريعة في البلاد»: مصطفى

حاج عبد النور، نشر في موقع ميدل إيست أون لاين بتاريخ ١٨ / ٤ / ٢٠٠٩م، على

الرابط التالي:

<http://www.middle-east-online.com/?id=76348>

١١٢ - «البطالة في العالم العربي .. أرقام مخيفة ومستقبل غامض»: إذاعة صوت

روسيا، نشر بتاريخ ٣١ / ٧ / ٢٠١٢م، على الرابط التالي:

https://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/2012_07_31/83473637/



١١٣ - «البطالة في العالم العربي: أرقام وإحصائيات وعبارات»: مولاى المصطفى البرجاوى، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ٢٢ / ١١ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/culture/0/78769/>

١١٤ - «البتاغون جند ٢٠ ألفاً من المرتزقة للقتال في العراق»: مجلة نيويورك تايمز، نشر بتاريخ ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٤م.

١١٥ - «التأثيرات الجينية الحاصلة من سلوك الأب على الجنين»: موقع العلوم الحقيقية، نشر بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/adEXA6>

١١٦ - «التدخين والإدمان»: إسرائ محمد عبد الرحمن، نشر في موقع الدكتوراة صفاء محمد علي محمد، على الرابط التالي:

<http://drsafaa-socialstudies.tech.com/articles.php?page=59>

١١٧ - «التضييق على الفقراء بإغلاق ١٠٥٥ جمعية خيرية.. أبرز إنجازات السيسي»: بوابة الحرية والعدالة، نشر بتاريخ ٥ / ٦ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

http://www.fj-p.com/Our_news_Details.aspx?News_ID=71012

١١٨ - «التطبيق المعاصر للزكاة»: علي السالوس، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/2066.aspx?cid=51>

١١٩ - «التقديرات تصل إلى ٤٠٠ مليار دولار.. لماذا هاجرت الأموال العربية والإسلامية؟»: جريدة الاقتصادية، نشر بتاريخ ١ / ٤ / ٢٠١٠م، على الرابط التالي:

http://www.aleqt.com/2010/04/01/article_372807.html

١٢٠ - «التمرد والأفيون والمجاعات.. ثلاثية دامية يعيشها الأفغان»: شبكة النبأ المعلوماتية، نشر بتاريخ ٤ / ١٢ / ٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.annabaa.org/nbanews/67/296.htm>

١٢١ - «التنصير في الصومال»: مكتب الأنشطة الدعوية والتربوية في الصومال:

موقع المسلم، نشر بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٤٢٥ هـ، على الرابط التالي:

<http://almoslim.net/node/85388>

١٢٢ - «التورط الأثيوبي في الصومالي وتبعاته»: ياسر سعد، نشر في موقع المسلم

بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤٢٨ هـ، على الرابط التالي:

<http://www.almoslim.com/node/85997>

١٢٣ - «الثماني الإسلامية.. الديون مشكلة الجميع!!»: سامر علاوي، نشر بتاريخ

١٠ / ٣ / ٢٠٠١ م.

١٢٤ - «الجامعات المرموقة تمثل عائداتها من الأوقاف ٣٠٪ من ميزانية

الجامعات»: مركز الوقف الدولي، حوار مع الدكتور خالد النوييت المشرف على

الأوقاف بجامعة الملك سعود، نشر في موقع الرياض، على الرابط التالي:

<http://www.alriyadh.com/319759>

١٢٥ - «الجزائر سادس دولة في العالم من حيث عدد أفراد الشرطة»: صحيفة

الحوار الجزائرية، نشر على الرابط التالي:

<http://elhiwardz.com/?p=45450>

١٢٦ - «الجihad العالمي وجبهة أفغانستان»: عبد المجيد عبد الماجد، نشر في

موقع منبر التوحيد والجihad في جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ، على الرابط التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=jfg8dmz4>

١٢٧ - «الجوع ومرض الإيدز يفتكان بسكان أفريقيا الجنوبية»: موقع مركز أنباء

الأمم المتحدة، نشر بتاريخ ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٤ م، على الرابط التالي:

<http://www.un.org/arabic/news/ar/story.asp?newsid=2673>



١٢٨ - «الجيش السعودي: ثالث أكبر ميزانية بالعالم»: موقع CNN العربية، نشر بتاريخ ٤ / ١ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://arabic.cnn.com/middleeast/2016/01/04/me-040116-saudi-military-explainer>

١٢٩ - «الحزب الإسلامي الصومالي يهدد بمحاربة القوات الأجنبية»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٩ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/hV4tpu>

١٣٠ - «الحكومة العراقية تعترف بوجود ٢,٥ مليون طفل يتيم في البلاد»: موقع الإسلام اليوم، نشر بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ / ١٧ إبريل ٢٠٠٩ م، على الرابط التالي:

<http://www.islamtoday.net/albasheer/artshow-12-111447.htm>

١٣١ - «الحوادث المرورية تكلف شركات التأمين ١٣,٤ مليار درهم في ٥ سنوات»: صحيفة الخليج، نشر بتاريخ ١٢ / ٤ / ٢٠١٢ م، على الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/8220cc23-5b27-4787-a01b-5d3cf3102dea>

١٣٢ - «الخسائر الاقتصادية والصحية والاجتماعية للتدخين في الأردن»: خليل عليان، نشر في موقع السبيل بتاريخ ٣ / ٧ / ٢٠١٧ م، على الرابط التالي:

<http://assabeel.net/135815>

١٣٣ - «الخليجي ينفق على الملابس ١٠ أضعاف ما يدفعه البريطاني»: قناة العربية، نشر بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠١٤ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/UYovUL>

١٣٤ - «الخمير.. آفة تستنزف العالم»: مدونة إبداع، نشر بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٢٠١٠ م، على الرابط التالي:

<https://ibda333.wordpress.com/2010/04/27/%D9%8A%D8%A8/>

١٣٥ - «الخيانة الزوجية؛ أكثر من ١٠ دول يخون فيها الرجال زوجاتهم»: موقع
Tops Arabia، نشر بتاريخ ٢٣/٦/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/iZXzpr>

١٣٦ - «الداخلية ثاني أكبر الوزارات في عدد الموظفين فتضم مليون و٨٣١ ألف
شخص»: صحيفة الشعب الجديد، نشر بتاريخ ١٥/٨/٢٠١٢م، على الرابط
التالي:

<https://ma7shy.com/news/32290>

١٣٧ - «الدول التي شهدت أعلى معدلات سرقة في العالم»: صحيفة النهار
اللبنانية، بتاريخ ١١/٩/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://www.annahar.com/article/169886>

١٣٨ - «الدول العربية تتصدّر معدلات البطالة في العالم»: موقع رصيف ٢٢، نشر
بتاريخ ١٢/٨/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://raseef22.com/economy/2016/08/12/>

١٣٩ - «الرعاية: شاركنا الأضحى، ساهم بأضحيتك مشروع أصحابي العيد للعام
٢٠١٥»: موقع صيدا الآن، نشر بتاريخ ٦/٩/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.saidasea.com/index.php?s=5&id=30639>

١٤٠ - «الرفق بالحيوان من روائع أوقاف المسلمين»: موقع قصة الإسلام، نشر
بتاريخ ٤/١٢/٢٠١١م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/RD4FSd>

١٤١ - «الزكاة المفروضة»: إبراهيم بن محمد الحقيّل، نشر في موقع الألوكة
بتاريخ ٢/٧/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/1001.aspx>



١٤٢ - «الزمن الجميل»: يوسف أبو الفوز، نشر على موقع صحيفة المدى بتاريخ ١٣ / ١ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://almadapaper.net/ar/printnews.aspx?NewsID=457212>

١٤٣ - «السرطان»: صحيفة وقائع، عدد فبراير ٢٠١٧م، على الرابط التالي:
<http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs297/ar/>

١٤٤ - «السعودية : التحويلات المالية الأجنبية .. هجرة أموال أم هدر فرص؟»: عبيد السهيمي، نشر على صحيفة الراكوبة السودانية بتاريخ ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-80658.htm>

١٤٥ - «السعودية ترفع أول قضية خارج الولايات المتحدة ضد شركات التبغ»: محمد العوفي، نشر في موقع إيلاف بتاريخ ٢٢ / ١ / ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:
<http://elaph.com/Web/Economics/2008/1/298123.htm>

١٤٦ - «السعودية تسعى لتأسيس صندوق سيادي بتريليوني دولار»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١ / ٤ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:
<http://www.alnilin.com/12764195.htm>

١٤٧ - «السعودية تملك ثالث أكبر احتياطي نقدي في العالم»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٢١ / ٢ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:
<http://www.alnilin.com/12753261.htm>

١٤٨ - «السعودية رابع أكبر دول العالم بالإنفاق العسكري»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ١٤ / ٤ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/1Ehqo7>



١٤٩ - «السعودية من أعلى الدول إصابة بالسرطان»: صحيفة الحدث، نشر بتاريخ ٢٨/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alhadath.ps/article/33807/>

١٥٠ - «السعوديون ينفقون ٢٠٥ مليارات ريال على السيارات»: قناة العربية، نشر بتاريخ ٣١/٣/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alarabiya.net/articles/2012/03/21/202256.html>

١٥١ - «السعوديون ينفقون ٩ مليارات ريال على أصحاب العيد»: موقع جوهر معلومات الشرق الأوسط التجارية بتاريخ ١٠/١٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.ameinfo.com/ar-119421.html>

١٥٢ - «السُّمْنَةُ الْمُفْرِطَةُ تُرْهِقُ الإِقْتِصَادَ الْعَالَمِيَّ»: موقع أسواق العرب، نشر بتاريخ ١٣/٧/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.asswak-alarab.com/archives/9202>

١٥٣ - «السيدا في لبنان: ١٠٨ إصابات جديدة في ٢٠١٦م»: موقع المردة، نشر بتاريخ ٢/١٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://elmarada.org/109665/>

١٥٤ - «الشباب والمكالمات.. غرام وفواتير»: موقع ستار تايمز، نشر بتاريخ ١٨/٨/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.startimes.com/f.aspx?t=5576979>

١٥٥ - «الشرق الأوسط يعود كأكبر منطقة مهيمنة عالمياً في إنتاج النفط»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١٤/٧/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12795115.htm>



١٥٦ - «الصحة العالمية: ١.١ مليار مدخن في العالم يسحقون «الورد» يوميًا»: موقع المسلة، نشر بتاريخ ٢٠١٦/٣/١٠، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/vTfmj1>

١٥٧ - «الصحة العالمية: حالة انتحار كل ٤٠ ثانية في العالم»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٩/٦، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/1106031.htm>

١٥٨ - «الصحة تتوقع زيادة عدد مرضى السكر إلى ١٥ مليون بنهاية ٢٠٤٠»: صحيفة البورصة الاقتصادية، نشر بتاريخ ٢٠١٧/٤/١٧، على الرابط التالي:

<https://alborsanews.com/2017/04/27/1015798>

١٥٩ - «الصومال.. عقبة في طريق الحلم الأمريكي»: إبراهيم شاهين، نشر في موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبا) بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٤، على الرابط التالي:

<http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp?DocID=99426&TypeID=8&TabIndex=2>

١٦٠ - «الصومال بين نشاط المنصرين وغفلة المسلمين»: مجدي داود، نشر في موقع مجلة البيان بتاريخ ٢٠١١/٥/٣١، على الرابط التالي:

<http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=953>

١٦١ - «الصومال عقبة في طريق الحلم الأمريكي»: موقع رابطة العلماء السوريين، نشر بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١، على الرابط التالي:

<http://islamsyria.com/portal/article/show/240>

١٦٢ - «الصومال ٢٠١٦: صراع الأجندات المحلية والأجنبية»: جريدة الشرق الأوسط، عدد (١٣٧٤٥)، بتاريخ ٢٠١٦/٧/١٦، على الرابط التالي:

<https://aawsat.com/print/690556>

١٦٣ - «الصومال أرض المشاع الدولي»: أكرم حجازي، نشر في جريدة مصر الحرة بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

<https://misralhura.wordpress.com/2008/11/30/ak-heg/amp/>

١٦٤ - «الصومال بين مطرقة التنصير وسندان الفقر»: نجاح شوشه، نشر في موقع مداد بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٠٧ م، على الرابط التالي:

<http://midad.com/article/217834/>

١٦٥ - «الصومال.. محاولة إعادة بناء الدولة»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ١٧ / ١ / ٢٠١٥ م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/programs/arab-present-situation/2015/1/17>

١٦٦ - «الصومال: إجمالي عدد السكان»: موقع Actualitix، آخر تحديث له بتاريخ ١٠ / ١٠ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://ar.actualitix.com/country/som/ar-somalia-population-by-country.php>

١٦٧ - «الصومال: أسلحة استوردتها الحكومة تُباع في السوق السوداء في مقديشو»: جريدة النهار اللبنانية، نشر بتاريخ ١١ / ١٠ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://www.annahar.com/article/483509>

١٦٨ - «الصومال: تساؤلات ومفارقات عجيبة لا تنتهي»: أكرم حجازي، نشر في مركز المقريري للدراسات التاريخية بتاريخ ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٩ م، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl393.html>

١٦٩ - «الصين: مكافآت مالية لمن يتخلى عن الإنجاب من المسلمين»: موقع الألوكة، نشر بتاريخ ٨ / ٩ / ٢٠١٢ م، على الرابط التالي:

http://www.alukah.net/world_muslims/0/43999



١٧٠ - «الطالبان.. من هم ومتى وكيف ولماذا؟»: محمد أسعد بيوض التميمي، نشر في مركز المقريزي للدراسات التاريخية بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl166.html>

١٧١ - «العالم الإسلامي بين الغزو العسكري والغزو الفكري»: عدنان علي رضا النحوي، نشر في موقع المسلم بتاريخ ١٢/١٠/١٤٢٦ هـ، على الرابط التالي:

<http://almoslim.net/node/83007>

١٧٢ - «العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حراً أخيراً؟»: برنارد لويس، نشر في مجلة العصر بتاريخ ٢٦/٣/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=10764>

١٧٣ - «العالم ينفق ١٠٣٥ بليون دولار سنوياً على التسليح»: خلف أحمد محمود أبو زيد، نشر في صحيفة دنيا الوطن بتاريخ ٢٤/٨/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/172611.html>

١٧٤ - «العراق في ظل شركات بدر الأمنية وبلاك ووتر وغيرها»: قاسم سرحان، نشر في شبكة أخبار العراق بتاريخ ٢٢/٩/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.aliraqnews.com/modules/xfsection/article.php?articleid=3178>

١٧٥ - «العراق ليست ممتلكات أمريكية حتى تباع»: نعومي كلاين، نشر في صحيفة الجارديان بتاريخ ٧/١١/٢٠٠٣، ونشر في موقع «زي نت العربية»، على الرابط التالي:

<http://www.kefaya.org/Translations/0311klein.htm>

١٧٦ - «العراق ما بين مطرقة حرب الخليج وسندان الحرب على الإرهاب»: موقع بوابة العاصمة، نشر بتاريخ ٥/١١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://al3asma.com/204759>



١٧٧ - «العراق وأفغانستان: حروب مختلفة ودروس مشتركة»: أحمد حسين الشيمي، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ١٩/١٠/١٤٢٩ هـ - ٢٠/١٠/٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/4009.aspx>

١٧٨ - «العراق يسجل خسائر بقيمة ٢٣ مليار دولار بسبب الحرب على الإرهاب»: الشرقية للأخبار، نشر بتاريخ ٢٦/٧/٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://www.alsharqiya.com/news/?p=75490209>

١٧٩ - «العسكري ينهب ميزانية الصحة.. والمواطن وحدة من يدفع الثمن»: صحيفة الشعب المصرية، نشر بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١٧ م، على الرابط التالي:

<http://www.elshaab.org/news/261360>

١٨٠ - «العنف الأسري بوابة الأمراض النفسية»: موقع كرمالكم، نشر بتاريخ ١١/١/٢٠١٣ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/8qgNqS>

١٨١ - «الغارديان: خبراء يقدرون ثروة عائلة مبارك بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي»: موقع العربية، نشر بتاريخ ٥/٢/٢٠١١ م، على الرابط التالي:

<https://www.alarabiya.net/articles/2011/02/05/136429.html>

١٨٢ - «الغزو الأمريكي للعراق»: موقع المعرفة، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/7VoojK>

١٨٣ - «الغزو الأميركي للعراق.. مبررات واهية ونتائج كارثية»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/YaJN4s>



مقالات

١٨٤ - «الفقر والانحراف الجنسي»: شيهب عادل، نشر في شبكة النبا المعلوماتية بتاريخ ٢٥/٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://annabaa.org/nbanews/69/030.htm>

١٨٥ - «القرصنة في الصومال تهدد التجارة العالمية وتغذي الصراعات المحلية»: روجر ميدلتون، مجلة قراءات إفريقية، العدد الثالث، ذو الحجة ١٤٢٩هـ / ديسمبر ٢٠٠٨م، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ٢٧/٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/culture/0/67143>

١٨٦ - «القضية کشميرية ومراحل تطورها»: موقع قصة الإسلام، نشر بتاريخ ٤/١٢/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.islamstory.com/article.php?id=496>

١٨٧ - «القضية المنسية - إقليم کشمير»: دعاء عمر، نشر في موقع أمة بوست بتاريخ ١٢/٣/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://ommahpost.com/the-forgotten-issue-kashmir>

١٨٨ - «ألمانيا تسجل أكبر عدد لأطفال مولودين خارج نطاق الزواج»: موقع DW، نشر بتاريخ ١٢/٨/٢٠١١م، على الرابط التالي:

<http://p.dw.com/p/12FbG>

١٨٩ - «المرأة عند الغرب»: مدونة العلم والإيمان والرد على الشبهات، نشر بتاريخ ١٩/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

http://sciencewislam.blogspot.com/2016/02/blog-post_19.html

١٩٠ - «المرتزقة الجدد والقانون الدولي»: محمد شريف، نشر في موقع سويس إنفو بتاريخ ٢٧/٨/٢٠٠٤م، على الرابط التالي:

<http://www.swissinfo.ch/ara/archive.html?siteSect=883&sid=5175978&ty=st>

١٩١ - «المرتزقة يتحولون إلى عمال إغاثة»: ميدل إيست أون لاين، نشر بتاريخ ٢٧/١٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.middle-east-online.com/?id=71698>

١٩٢ - «المرتزقة يحكمون العالم»: محمد جمال عرفة، نشر في موقع أخبار العرب بتاريخ ١٦/٥/٢٠٠٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alarabnews.com/alshaab/gif/16-05-2003/Gamal.htm>

١٩٣ - «المسلمون حول العالم»: موقع فيس بوك، نشر بتاريخ ١١/٣/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=249866011851840&id=216980591807049

١٩٤ - «المستشفيات في العالم الإسلامي»: عائشة مبارك، صحيفة اليوم السعودية، بتاريخ ٢٠/٢/٢٠١٥م، وموجود على الرابط التالي:

<http://www.alyaum.com/article/4048438>

١٩٥ - «المشكلات المؤسسة للوقف في التجربة الإسلامية التاريخية»: ياسر عبد الكريم الحوراني، مجلة أوقاف، عدد (١٤)، السنة الثامنة، مايو ٢٠٠٨م.

١٩٦ - «المشكلة الصومالية وتداعياتها الراهنة»: عبد الرحمن سهل الصومالي، مجلة قراءات إفريقية، العدد الأول، رمضان ١٤٢٥هـ / أكتوبر ٢٠٠٤م، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ١٤/١١/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

http://www.alukah.net/world_muslims/0/62580

١٩٧ - «المضاعفات والآثار السلبية للانحرافات الجنسية»: منتدى التوعية حول الانحرافات الجنسية، نشر تاريخ ٢٧/٨/٢٠٠٣م، على الرابط التالي:

<http://www.tarbya.net/Print.asp?TypeId=3&ArticleId=2352>



مقالات

١٩٨ - «المعلن والخفي في أهداف الحملة الأمريكية على الإسلام»: أبو عمر عبد الحكيم حسان، نشر في مركز المقريري للدراسات التاريخية، على الرابط التالي:
<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl150.html>

١٩٩ - «المقابر الجماعية في «كشمير».. جريمة تخفيها الهند»: منتديات بوابة العرب، نشر بتاريخ ١١/٨/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:
<http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=493068>

٢٠٠ - «المقاومة الصومالية استشراف للنهوض في ظل مخاض مروع»: علي عبد العال، نشر في مركز المقريري للدراسات التاريخية، على الرابط التالي:
<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl177.html>

٢٠١ - «المقاومة الصومالية: تصحيح الخطأ التكتيكي»: طلعت رميح، نشر في موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبا) بتاريخ ٣٠/٧/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:
<http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp?DocID=102396&TypeID=8&TabIndex=2>

٢٠٢ - «المقاومة في مفهوم القانون الدولي»: موقع ستار تايمز، نشر بتاريخ ٢٧/٨/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:
<http://www.startimes.com/?t=18935243>

٢٠٣ - «الملك سلمان في إندونيسيا يرافقه ١٠٠٠ شخص و٤٦٠ طناً من التجهيزات»: موقع مونت كارلو الدولية، نشر بتاريخ ١/٣/٢٠١٧م، على الرابط التالي:
<https://goo.gl/MHfMHr>

٢٠٤ - «الميثاق الإسلامي في لبنان»: موقع أنتج، نشر بتاريخ ٢/٩/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.ontej.org/index.php?s=8&ss=35&id=157>

٢٠٥- «الهند تشتري ٥٠ طائرة استطلاع إسرائيلية بدون طيار»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٥/١٠/١٤٢٦ هـ / ٨/١١/٢٠٠٥ م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=132897>

٢٠٦- «الهيئة الإسلامية للرعاية تواصل تنفيذ مشروع أصحابي العيد للعام الـ ٢٣ وإيصالها إلى ٨٥٥٠ عائلة»: موقع الهيئة الإسلامية للرعاية، نشر بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

http://www.iswa-lb.org/_News.php?NewsID=166&Action=Details

٢٠٧- «الوطن ترصد أدوات القوة والضغط لدولة أمناء الشرطة»: صحيفة الوطن المصرية، نشر بتاريخ ٢٢/٢/٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://www.elwatannews.com/news/details/986563>

٢٠٨- «اليورانيوم المنضب وتبعات إلقائه على العراق»: إسراء البدر، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ١٦/١٢/٢٠٠٨ م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/1/4566.aspx>

٢٠٩- «اليوم العالمي للسكري»: موقع الجمعية القطرية للسكري، نشر بتاريخ ١٤/١١/٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://qda.org.qa/wdd-ar/2016-ar>

٢١٠- «اليوم العالمي للمرأة .. بماذا يحتفلون؟!»: موقع تيار الإصلاح، نشر بتاريخ ٧/٤/٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/Ud4T2X>

٢١١- «أمريكا واثقة من أنها لن تكرر في أفغانستان أخطاء السوفييات والبريطانيين وكذلك أخطاءها في فيتنام»: باربرا سلافين، نشر في جريد الشرق الأوسط بتاريخ ٩/١١/٢٠٠١ م، على الرابط التالي:

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=65586&issueno=8382>



<https://goo.gl/pxoKqR>

<http://www.al-watan.com/news-details/id/45041/d/20161211>

<http://www.kassioun.org/economy-and-society/item/14619-6>

<https://arabi21.com/story/715567/>

<http://www.alukah.net/translations/0/45742>

<http://meshkat.net/old/content/9324>

<http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs110/ar/>



٢١٩- «أهداف شباب المجاهدين في الصومال»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٢٤/٢/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/93865B75-2241-448F-AC67-BCF29CA15876>

٢٢٠- «أهم عشرة أسباب للطلاق في المملكة»: جريدة الرياض، عدد (١٦٩٧٤)، نشر بتاريخ ١٤/١٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alriyadh.com/1003372>

٢٢١- «أوقاف النساء وإشراقاتها الحضارية»: عيسى صوفان القدومي، نشر في موقع طريق الإسلام بتاريخ ١٤ من جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ / ٢٣/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://ar.islamway.net/article/57387/>

٢٢٢- «إيران.. ٩ حالات طلاق كل دقيقة»: قناة العربية، نشر بتاريخ ١٢/٤/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/pDtnzu>

٢٢٣- «أين تقف حركة الشباب المجاهدين بعد مقتل زعيمها؟»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٧/٩/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/9vpvqr>

٢٢٤- «أين يقضي الخليجيون إجازتهم الصيفية؟ إليك الوجهات المفضلة»: موقع الخليج أون لاين، نشر بتاريخ ٢٨/٥/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://klj.onl/Z2unDMv>

٢٢٥- «باحث أمريكي: البشرية تتجه نحو «هاوية سحيقة» بسبب امراض الجنس»: قناة العربية، نشر بتاريخ ٢١/٣/٢٠٠٥م، على الرابط التالي:

<https://www.alarabiya.net/articles/2005/03/21/11440.html>



<http://www.sayidy.net/article/8111>

<http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0Y22HE>

<https://goo.gl/iLxPjt>

<http://www.middle-east-online.com/?id=73916>

<http://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2014/7/17/>

<http://almoslim.net/node/84614>

<https://goo.gl/imG9Ex>

٢٣٣- «تجارة المخدرات تعادل الناتج المحلي لـ ٩٠ بالمائة من دول العالم»: صحيفة الفجر الجزائرية، نشر بتاريخ ٢٥/٦/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.al-fadjr.com/ar/index.php?news=74984>

٢٣٤- «تحالف أمريكي إثيوبي في القرن الأفريقي يسعى لوقف المد الإسلامي نحو أفريقيا»: علي عبد العال، نشر في مركز المقريري للدراسات التاريخية، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl168.html>

٢٣٥- «تحديد النسل خطر يغذي خلل التركيبة السكانية ويفاقمه»: جيهان شعيب، نشر على صحيفة الخليج الإماراتية بتاريخ ١٧/١١/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/7a824689-3fe8-4d83-bb40-32ecaa55feab>

٢٣٦- «تراجع إنتاجية العامل في القطاع الخاص السعودي بنسبة ٤,٥٪ خلال الربع الثاني ٢٠١٦»، نشر في موقع وكالة الأناضول بتاريخ ٣٠/١/٢٠١٧، على الرابط التالي:

<http://aa.com.tr/ar/737897>

٢٣٧- «ترتيب الدول العربية بحسب عدد السجائر التي يستهلكها الفرد»: موقع الطقس العربي، نشر بتاريخ ٢/٤/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/BC8y4Y>

٢٣٨- «ترتيب الدول العربية بحسب نسبة المصابين بالسكري»، نشر في موقع ArabiaWeather بتاريخ ١٥/٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/HSiunU>

٢٣٩- «تركيا.. اقتصاد مرهونٌ بيد الخارج»: متديات العبير، بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://www.al3beer.com/vb/thread3334-8.html>



مقالات

٢٤٠- «تركيا: عدد حوادث السير بلغت ٦ ملايين و ٥٣٦ ألف حادث سير ما أدى الى وفاة أكثر من ٤٥ ألف شخص»: موقع يازا، بتاريخ ٢٩/٦/٢٠١١م، على الرابط التالي:

<http://www.yasa.org/ar/Sectiondet.aspx?id=24&id2=1775>

٢٤١- «ترليون و ٥٠٠ مليار دولار عائدات دول الخليج من النفط خلال خمس سنوات أين ذهبت؟»: موقع عواجل برس، نشر بتاريخ ١٧/١٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/NPK3Kb>

٢٤٢- «تزيين السيارات هوس جديد للشباب السعودي»: قناة العربية، نشر بتاريخ ١٢/٤/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alarabiya.net/articles/2012/04/12/207169.html>

٢٤٣- «تعديل المناهج الدراسية بهذا الشكل .. لمصلحة من؟»: موقع سواليف، نشر بتاريخ ٤/٩/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/Us4V5L>

٢٤٤- «تعرف على أسعار أكثر ١٠ سيارات شعبية بين الشباب»: موقع المرسل، نشر بتاريخ ١٧/١١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.almrsal.com/post/410737>

٢٤٥- «تعرف على مجموعة «نادي باريس التي تدين لها مصر ب ٧٠٠ مليون دولار»: ساجد النوري، نشر في موقع أخبار الوطن بتاريخ ٦/٧/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.elwatannews.com/news/details/764674>



٢٤٦- «تفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر»: موقع الإسلام اليوم، نشر بتاريخ ١٢ رمضان ١٤٣٣هـ / ٣١ يوليو ٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-32-107255.htm>

٢٤٧- «تقرير المخدرات العالمي لعام ٢٠١٣م»: مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، على الرابط التالي:

https://www.unodc.org/unodc/secured/wdr/wdr2013/WDR2013_ExSummary_A.pdf

٢٤٨- «تقرير: ١٠,٧ تريليون دولار حجم الناتج المحلي المرتقب لدول التعاون الإسلامي»: صحيفة اليوم السابع المصرية، نشر بتاريخ ١٩/١/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.youm7.com/story/2015/1/19/2032209>

٢٤٩- «تقييم مستوى الأمن في دول العالم»: موقع RT News العربية، نشر بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://arabic.rt.com/news/819574>

٢٥٠- «تكلفة البناء.. لا مبدأ يعلو فوق العرض والطلب»: صحيفة الاتحاد، نشر بتاريخ ٢٤/٣/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=28995&y=2013&article=full>

٢٥١- «تكلفة مبنى النيابة العامة الجديد ٣٠٠ مليون جنيه»: صحيفة المصريون، نشر بتاريخ ٤/٦/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://almesryoon.com/story/892402>

٢٥٢- «تنصير لاجئين صوماليين بكينيا»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٣١/١٠/٢٠١٠م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/ipf3si>



٢٥٣- «تهافت الحضارات... الغرب في مستنقع الخمر»: مجلة البيان، نشر بتاريخ ٦/١٢/٢٠١٠م، على الرابط التالي:

<http://www.albayan.co.uk/Article2.aspx?id=498>

٢٥٤- «ثروة أسرة بن علي تقارب ١٣ مليار دولار منها ٥ للرئيس المخلوع»: موقع مونت كارلو الدولية، نشر بتاريخ ٢٣/٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/xsBZ5s>

٢٥٥- «جرائم الجيش الأمريكي بالعراق في كتاب جديد»: ياسمينه صالح، نشر في موقع المسلم بتاريخ ٣/١٠/١٤٢٦هـ، على الرابط التالي:

<http://almoslim.net/node/85659>

٢٥٦- «جريمة الاغتصاب بين الشرع والقوانين الوضعية»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١/٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/838261.htm>

٢٥٧- «جهاز الإحصاء: ٢٩,٧٪ نسبة الأمية بمصر و ١,٢٧٪ في الدول العربية»: صحيفة اليوم السابع، نشر بتاريخ ٧/٩/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.youm7.com/story/2016/9/7/2874795>

٢٥٨- «حراس الملك؟ من هم»: موقع الملكية ٢٠٠٩، نشر بتاريخ ١٨/١٠/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://almalakiya2009.canalblog.com/archives/2009/10/18/15481254.html>

٢٥٩- «حرب أفغانستان: المهمة ودروس التاريخ»: وولتر روجرز، نشر في جريدة الوسط بتاريخ ١٩/٢/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.el-wasat.com/details.php?id=55547639>

٢٦٠- «حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران»: منتديات الحزين فلسطين، نشر بتاريخ ١٤ / ٤ / ٢٠١٠م، على الرابط التالي:

<http://hazeenpal.wooww.net/t827-topic>

٢٦١- «حرب الخليج الثانية «عاصفة الصحراء» ١٩٩١»: مجلة درع الوطن، نشر بتاريخ ١ / ٢ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/A4Ws8y>

٢٦٢- «حرب العراق بالأرقام»: موقع BBC العربية، نشر بتاريخ ١٥ / ١٢ / ٢٠١١م، على الرابط التالي:

https://goo.gl/http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/12/111215_iraq_war_figures

٢٦٣- «حركة (طالبان) بين الدعاية الغربية وحقائق التاريخ»: علي عبد العال، نشر في مركز المقرزي للدراسات التاريخية، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/artcl086.html>

٢٦٤- «حركة الشباب المجاهدين»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٣ / ٤ / ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/qofZ1U>

٢٦٥- «حروب العراق الثلاثة»: موقع قصة الإسلام، نشر بتاريخ ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/sJJjNH>

٢٦٦- «حقائق عامة عن المنظومة المروية في السلطنة ٢٠١٦»: المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/uPDGbS>

مقالات

٢٦٧- «حقوق الإنسان في كشمير»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٣/١٠/٢٠٠٤م،
على الرابط التالي:

<https://goo.gl/1F2Zwd>

٢٦٨- «حقيقة تنظيم الدولة الإسلامية «السيناريو والأهداف»: هلال جزيلان، نشر
في موقع القدس العربي بتاريخ ٣١/٧/٢٠١٥م، على الرابط التالي:
<http://www.alquds.co.uk/?p=380056>

٢٦٩- «حكمتيار والبيعة الكبرى»: هاني السباعي، نشر في مركز المقريري
للدراستات التاريخية، على الرابط التالي:
<http://www.almaqreze.net/articles/artcl043.html>

٢٧٠- «حلم «بيت العمر» يتحطم على صخرة الغلاء»: صحيفة الأنباء الكويتية،
نشر بتاريخ ٣/٧/٢٠١٦م، على الرابط التالي:
<https://goo.gl/G5aTSa>

٢٧١- «حوادث الطرق .. ٢٤ وفاة لكل ١٠٠ ألف نسمة في المملكة سنوياً»: رنا
حكيم، نشر في صحيفة الاقتصادية بتاريخ ١٥/١٢/٢٠١٦م، على الرابط التالي:
http://www.aleqt.com/2016/12/15/article_1110538.html

٢٧٢- «حين تكون الإرادة لا لغة سوى العمل»: مفلح زابن القحطاني، نشر في
صحيفة مكة بتاريخ ٢٥/٩/٢٠١٦م، على الرابط التالي:
<http://makkahnewspaper.com/article/287318>

٢٧٣- «خبراء: خسائر أوقاف مصر بالمليارات»: شبكة رصد الإخبارية، نشر
بتاريخ ٢١/١/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://www.rassd.com/128559.htm>

٢٧٤- «خير زراعة الكبد: ١٥ مليون مواطن مصابون بفيروس س»: صحيفة اليوم

السابع المصرية، نشر بتاريخ ٢٥ / ٥ / ٢٠١٥ م، على الرابط:

<http://www.youm7.com/story/2015/5/25/2196546/>

٢٧٥- «خسائر اقتصادية وبشرية فادحة بسبب تعاطي الخمر»: موقع الاقتصاد

الإسلامي، نشر بتاريخ ٣ / ١٢ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/rqVUGR>

٢٧٦- «خسائر الحوادث مليارا دولار خلال عام في السعودية»: جريدة الشرق

الأوسط، العدد ١٣٦٢٢، بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<https://aawsat.com/home/article/592391>

٢٧٧- «خسائر العراق البشرية: أرقام في أرقام»: كاظم الموسوي، نشر صحيفة

رأي اليوم بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠١٦ م، على الرابط التالي:

<http://www.raialyoum.com/?p=381845>

٢٧٨- «خطاب موجه إلى علماء باكستان»: رسالة كتبها مجموعة من العلماء،

ومنشورة في موقع منبر التوحيد والجهاد في ١٧ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ، على الرابط

التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=ybf50rbd>

٢٧٩- «داعش.. صناعة صهيونية - أمريكية بمباركة أوروبية»: عمرو محرم، نشر

في موقع مصر اوي بتاريخ ٢٥ / ٢ / ٢٠١٥ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/HvfULV>

٢٨٠- «داعش صناعة أمريكية صهيونية بتمويل عربي»: محمد سعدان، نشر في

موقع طنجة اليوم بتاريخ ٢٦ / ٤ / ٢٠١٧ م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/xbEfFQ>



٢٨١- «داعش صناعة أمريكية صهيونية لتنفيذ مشاريع هيمنة جديدة في الشرق الأوسط»: محمد لهزاوي، نشر في موقع بوابة الشروق بتاريخ ١١/١٤/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/articles/221273.html>

٢٨٢- «داعش صناعة أمريكية فاخرة»: علي أديب، نشر في موقع رصيف ٢٢ بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/JA8AMB>

٢٨٣- «داعش يمتلك ٧ قنوات و ٩٠ ألف حساب إلكتروني»: قناة العربية، نشر بتاريخ ١٠/٣/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/MxbZMX>

٢٨٤- «دراسة: أمريكا رفعت مبيعات أسلحتها بعد احتلال العراق»: شبكة نور الإسلام، نشر بتاريخ ١٢ من رجب لعام ١٤٢٩ هـ / ١٥/٧/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=10430>

٢٨٥- «دروس الوحل الأفغاني»: عبد الجبار عبد الله، نشر في جريدة الاتحاد الإماراتية بتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://alittihad.emiratestv.net/wajhatdetails.php?id=43991>

٢٨٦- «دعوات إلى تغيير المناهج الدراسية المحرّضة على العنف وإلغاء الآخر»: موقع رصيف ٢٢، نشر بتاريخ ٢١/٧/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://raseef22.com/life/2015/07/21/calls-to-change-curriculums-that-incite-violence/>

٢٨٧- «دفن سوهارتو في جنازة رسمية»: موقع BBC العربية، نشر بتاريخ ٢٨/١/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_7211000/7211954.stm

٢٨٨- «دهقاني: إيران دفعت تكاليف باهضة في مكافحة المخدرات»: صحيفة كيهان الإيرانية، نشر بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://kayhan.ir/ar/news/46331>

٢٨٩- «دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في البيئة الإسلامية»: المراسي سيد حجازي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للاقتصاد الإسلامي، المجلد ١٩، عدد ٢٢.

٢٩٠- «ديلي بيست: ٩٨٪ من جرائم الإرهاب في أوروبا و ٩٤٪ في أمريكا منفذوها ليسوا مسلمين»: موقع ٢٤، نشر بتاريخ ١٦/ ١/ ٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://24.ae/article.aspx?ArticleId=131060>

٢٩١- «رسالة إلى المجاهدين في أفغانستان»: سمير بن خليل المالكي، نشرت في موقع منبر التوحيد والجهاد في ٢/ ١٠/ ١٤٢٢ هـ، على الرابط التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=wtxjk580>

٢٩٢- «رسالة إلى أمير المؤمنين ومن يراه من المجاهدين»: أحمد بن حمود الخالدي، نشرت في موقع منبر التوحيد والجهاد في ١١/ ٧/ ١٤٢٣ هـ، على الرابط التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=85xw2qyq>

٢٩٣- «رغم تردي الحالة الاقتصادية...كم تنفق نساء العرب لتجميل أجسادهن؟»: موقع نون بوست، نشر بتاريخ ٢٥/ ٨/ ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.noonpost.org/content/13594>

٢٩٤- «رفع ميزانية السنغال لشراء منتجات منع الحمل بخمسة أضعاف»: موقع بانابرس، نشر بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠١١م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/6F1J2b>



مقالات

٢٩٥- «رمضان والتدخين»: حارب بن محمد بن سعيد الخروصي، نشر في صحيفة الوطن العمانية بتاريخ ١١/١١/٢٠٠٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alwatan.com/graphics/2002/11nov/29.11/heads/oot5.htm>

٢٩٦- «روائع من الأوقاف العثمانية والتركية»: مجلة الفرقان، بتاريخ ٢٦/٣/٢٠١٢، على الرابط التالي:

<https://www.al-forqan.net/articles/1883.html>

٢٩٧- «روايات صادمة عن قتل المسلمين على يد القوات الهندية في كشمير»: موقع الوقت، نشر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٣٧ هـ / ٢١ يوليو ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://alwaght.com/ar/News/63341>

٢٩٨- «رئيس بلاكووتر يستقيل بعد ٦٠٠ مليون دولار من العائدات»: ميدل إيست أون لاين. نشر بتاريخ ٣/٣/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.middle-east-online.com/?id=74485>

٢٩٩- «زُخرف الحضارة الغربيّة»: عدنان علي رضا النحوي، نشر في موقع المسلم بتاريخ ٥/٨/١٤٢٥ هـ، على الرابط التالي:

<http://almoslim.net/node/82407>

٣٠٠- «زعيم الفاتيكان يأسف لضعف معدل الإنجاب في أوروبا»: موقع الألوكة، نشر بتاريخ ١٧/٩/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/culture/0/3553>

٣٠١- «زواج الشواذ في أمريكا بين الحب والشر المستطير»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٢٧/٦/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/VzbnD4>

٣٠٢- «زينة السيارات.. بين تقلبات الشباب وانتهاك الحقوق»: جريدة الرياض، نشر بتاريخ ١٧ / ١ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.alriyadh.com/1563747>

٣٠٣- «سرقة ٤١ ألف سيارة في شهر واحد.. والرياض أعلى نسبة استرداد»: صحيفة الشرق السعودية، نشر بتاريخ ٣ / ١١ / ٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alsharq.net.sa/2014/11/03/1243188>

٣٠٤- «سرقة أدوية لمعالجة الإيدز بأوغندا ويبيعها في الأسواق»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٨ / ١٠ / ٢٠٠٢م، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/f7ec3f47-d33c-4330-9d48-f0e12bc150a2>

٣٠٥- «سلسلة مؤتمرات السكان والتنمية وتدمير السكان»: حياة بنت سعيد بأخضر، نشر في موقع تواصل بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://twasul.info/505349>

٣٠٦- «شبكة جاسوسية للموساد في القاهرة تستغل الجنس وتنشر المخدرات ومرض الإيدز»: سمير محمود قديح، نشر في موقع دنيا الوطن بتاريخ ٩ / ١٢ / ٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2006/12/09/66045.html>

٣٠٧- «شراء الموت!!»: عبد الله بن أحمد بيه، نشر في موقع يا له من دين، على الرابط التالي:

http://www.denana.com/main/articles.aspx?article_no=15524

٣٠٨- «شيء من التاريخ»: صفحة على الفيس بوك، على الرابط التالي:

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1686320821630037&id=1528391510756303



٣٠٩- صفحة «إنجازاتنا»: جمعية العون المباشر، على الرابط التالي:

<https://direct-aid.org/cms/about-us-ar/our-achievements-ar/>

٣١٠- «صندوق النقد الدولي يقدر الديون العراقية للكويت بـ ٦٠ مليار دولار»:

موقع السومرية- الشبكة الفضائية العراقية، نشر بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٩ م، على
الرابط التالي:

<https://goo.gl/T3A2Fn>

٣١١- «طالبان تسيطر على إقليم بلوشستان بالقوة الصامتة»: مجلة المجتمع،

العدد ١٨٣٢، تاريخ ٢ / ١ / ٢٠٠٩ م.

٣١٢- «طبيعة المقاطعة العربية لإسرائيل»: موقع مفكرة الإسلام، نشر بتاريخ

٢ / ٧ / ٢٠٠٣ م، على الرابط التالي:

<http://islammemo.cc/2003/07/02/2067.html>

٣١٣- «طوفان الأجساد: تجارة البشر تحت غطاء السياحة في المغرب

واستغلال الأطفال والنساء في الدعارة الراقية»: صحيفة رأي اليوم، نشر بتاريخ

٢٣ / ٨ / ٢٠١٥ م، على الرابط التالي:

<http://www.raialyoun.com/?p=305191>

٣١٤- «ظاهرة التنافس في بناء القصور!!»: عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ،

نشر في صحيفة الرياض، العدد (١٥٥٧٩)، بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠١١ م، على الرابط

التالي:

<http://www.alriyadh.com/605672>

٣١٥- «ظلم المرأة في ظل الحضارة الغربية المعاصرة»: موقع الدكتور محمد بن

عبد الله الهبدان، نشر على الرابط التالي:

<http://ar.alhabdan.net/files/dolm/hdarah.htm>

٣١٦- «عاجل، رسالة إلى أوبرا»: شبكة طريق الإسلام، نشر بتاريخ ١٩/٢/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://iswy.co/e48fk>

٣١٧- «عائدات دول الخليج من النفط ٦٠٤ مليارات دولار عام ٢٠١١»: موقع صراحة نيوز، نشر بتاريخ ١٠/٦/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/6xLDvc>

٣١٨- «عباسي: ٢٠٪ نسبة الزيادة السنوية بأعداد مرضى السرطان»: صحيفة الغد الأردني، نشر بتاريخ ١٨/٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alghad.com/articles/504018>

٣١٩- «عدد أفراد القوات العراقية وصل إلى ٧٠٠ ألف فرد»: موقع عربي، نشر بتاريخ ٢٨/٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://arabic.peopledaily.com.cn/31662/6362912.html>

٣٢٠- «عدد القتلى الأمريكيين في العراق يبلغ ٢٥٠٠-بي بي سي»: هدى المنور، نشر في منتدى جريدة شروق الإعلامي الأدبي بتاريخ ١٥/٦/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://www.shrooq2.com/vb/showthread.php?p=43269>

٣٢١- «علاقة حوادث السير بتشويه الدفاعات النفسية»: محمد أحمد النابلسي، ورقة مقدمة الى مؤتمر حوادث السير في دول الخليج/ الكويت في مارس ٢٠٠٢م، وتوجد نسخة منها على الرابط التالي:

<http://www.acofps.com/vb/showthread.php?t=9644>

٣٢٢- «عولمة الصدقة الجارية، نحو أجندة كونية للقطاع الوقفي»: طارق عبد الله، مجلة أوقاف، عدد (١٤)، السنة الثامنة، مايو ٢٠٠٨م.



٣٢٣- «فوربس: السعودية تتربع على قائمة أثرياء العرب بـ ٤ مليارات»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ١٥ / ٤ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/594131.htm>

٣٢٤- «فيسبوك يعطل أدوات منع ظهور الإعلانات لإنقاذ ملياراته»: موقع مفكرة الإسلام، نشر بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://islammemo.cc/monawaat/2016/08/10/301662.html>

٣٢٥- «قائمة أثرياء العرب لعام ٢٠١٧»: موقع RT العربية، نشر بتاريخ ١٤ / ٤ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://arabic.rt.com/business/873221>

٣٢٦- «قراءة في موقف دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨»: عبد الرزاق خلف محمد الطائي، نشر في موقع دنيا الوطن بتاريخ ٥ / ٣ / ٢٠١١م، على الرابط التالي:

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2011/03/05/221977.html>

٣٢٧- «قضية القرصنة مرتبطة بالأوضاع في الصومال»: محمد النوبي، نشر في صحيفة الأهرام، العدد (٤٥٢٧٦)، بتاريخ ٢٢ / ١١ / ٢٠١٠م، على الرابط التالي:

<http://www.ahram.org/archive/Diplomatic-papers/News/49639.aspx>

٣٢٨- «قوات الاحتلال الأمريكي والناو قتل أطفال المسلمين ونسائهم»: هاني السباعي، نشر في مركز المقرزي للدراسات التاريخية بتاريخ ١٠ من رمضان ١٤٢٩ هـ / ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.almaqreze.net/articles/artcl067.html>

٣٢٩- «قوانين الرواتب والعلاوات»: موقع وزارة الداخلية الإماراتية، نشر بتاريخ ١٢ / ١٢ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://www.moi.gov.ae/ar/About.MOI/genericcontent/qawneenalrawateb.aspx>



٣٣٠- «كشمير.. قضية لا تموت»: يوسف عبد الرحمن، نشر في موقع الأنباء بتاريخ ٢٥/٥/٢٠١٢م، على الرابط التالي:

<http://www.alanba.com.kw/kottab/youssuf-abdulrahman/295412/25-05-2012>

٣٣١- «كشمير المسلمة على خطى كوسوفا»: أحمد أبو زيد، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ٢٥/٣/١٤٢٩ هـ - ٢/٤/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/2/2352.aspx>

٣٣٢- «كشمير الواقعة في الشطر الهندي.. مهددة»: مجلة المجتمع، نشر بتاريخ ٦/٥/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://mugtama.com/reports/item/18341>

٣٣٣- «كشمير وجرحها النازف»: شبكة الناقد الإعلامي، نشر بتاريخ ٢٠/٩/٢٠١٠م، على الرابط التالي:

<http://www.naqed.info/naqed/what-obscured-in-the-media/546-2010-09-20-21-18-31.html>

٣٣٤- «كم تبلغ ثروة الرئيس اليمني السابق علي صالح؟»: موقع البوابة، نشر بتاريخ ٢٥/٢/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/k8EfFd>

٣٣٥- «كم تكلف القصور الملكية المغرب؟»: موقع هسبرس، نشر بتاريخ ١٦/٩/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.hespress.com/politique/8645.html>

٣٣٦- «كم عدد مصابي الإيدز في السعودية»: موقع العربية، نشر بتاريخ ٣٠/١١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://ara.tv/mzfnw>

مقالات

٣٣٧- «كم عدد مصابي الإيدز في مصر»: موقع العربية، نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢م، على الرابط التالي:

<http://ara.tv/njw8f>

٣٣٨- «كم عدد وفيات حوادث السير في العالم؟»: صحيفة zaman التركية، نشر بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٤م، على الرابط التالي:

<http://www.zamanarabic.com>

٣٣٩- «كم نسبة الطلاق بالسعودية؟»: موقع المرسال، نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٨م، على الرابط التالي:

<http://www.almrsl.com/post/394030>

٣٤٠- «لأول مرة منذ ١٢ عام السعودية تصدر قمة إنتاج النفط في العالم»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12733706.htm>

٣٤١- «لأول مرة.. الخزانة الأمريكية تعلن عن قيمة الاستثمارات السعودية لديها»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٢٠١٦/٥/١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12778266.htm>

٣٤٢- «لا زلنا ندفع أثمان غزو الكويت»: شبكة النبأ المعلوماتية، نشر بتاريخ ٢٠١٦/١/١٩م، على الرابط التالي:

<http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/4938>

٣٤٣- «لبنانيون مسيحيون مرتزقة في العراق يقاتلون مع الاحتلال الأمريكي»: موقع دنيا الوطن. نشر بتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٠م، على الرابط التالي:

<http://www.alwatanvoice.com/arabic/content-6495.html>

٣٤٤- «لغم لكل مواطن عراقي»: إسراء البدر، نشر في موقع الألوكة بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.alukah.net/articles/15101.aspx>

٣٤٥- «لم كل هذا الإجماع على احتلال أفغانستان؟»: طلعت رميح، نشر في موقع التجديد العربي بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.arabrenewal.org/articles/17427/1/aa-Ba-aDC-CaCIaCU-Uai-CIEaCa-AYUCaOECa/OYIE1.html>

٣٤٦- «لماذا لا ندرس البطالة المقنعة في القطاع العام؟»: عبد الرحمن تيشوري، نشر في موقع الحوار المتمدن، بتاريخ ١١ / ٤ / ٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=61899>

٣٤٧- «لماذا لا ينتج العربي؟»: جريدة الشرق الأوسط، العدد (١٢٧٤٢)، نشر بتاريخ ١٧ / ١٠ / ٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=746935&issue no=12742>

٣٤٨- «لماذا يتجاهل العالم مأساة كشمير، وأين يكمن الحل؟»: موقع الوقت، نشر بتاريخ ١٤ شوال ١٤٣٧ هـ / ١٩ / ٧ / ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://alwaght.com/ar/News/61437/>

٣٤٩- «لن تصدق كم يبلغ راتب الحارس الشخصي للملك سلمان العميد الفغم»: موقع المصدر، نشر بتاريخ ٢٣ / ٥ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/9vhCoq>

٣٥٠- «ما حجم الدين الخارجي للدول العربية؟»: فريد غايرلي، نشر في موقع RT العربية بتاريخ ١ / ١ / ٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://arabic.rt.com/news/856930>



<https://saaid.net/daeyat/fauzea/50.htm>

<http://www.almoslim.net/node/243622>

<https://goo.gl/izLKWi>

<http://archive.omaniaaa.co/showthread.php?t=221874>

<http://www.almagreze.net/munawaat/artcl114.html>

<http://archive.telexpresse.com/mobileapp/news1387.html>

<http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=871>

٣٥٨- «مجموعات معادية للإسلام تتلقى تمويلاً بمئات ملايين الدولارات»:

موقع RT العربية، نشر بتاريخ ٢١/٦/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/GoUVw7>

٣٥٩- «مخاوف من عودة القرصنة للسواحل الصومالية»: قاسم أحمد سهل، نشر

في قناة الجزيرة، بتاريخ ١٠/٢/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/VqxvRW>

٣٦٠- «مدارس باكستان الدينية.. ماضٍ زاهر ومستقبل مجهول»: قناة الجزيرة،

نشر بتاريخ ١٠/٧/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/a7T1iW>

٣٦١- «مرض السكري.. إحصائيات وأرقام في دول الخليج والعالم»: موقع

سيدتي، نشر بتاريخ ٤/١١/٢٠١٥م على الرابط التالي:

<http://www.sayidaty.net/node/356591/>

٣٦٢- «مريض الإيدز يكلف الدولة ٣٣٣ ريالاً يومياً»: صحيفة الشرق السعودية،

العدد (١٠٩٤)، بتاريخ ٢/١٢/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alsharq.net.sa/2014/12/02/1257547>

٣٦٣- «مسلمو الصومال.. وجبة مشبعة أمل بعيد»: سميرة سليمان، نشر في

منتديات العزيزية، بتاريخ ٣١/١/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://nadir2008.ahlamontada.com/t1836-topic>

٣٦٤- «مسؤول أمريكي: تراجع عائدات الدولة الإسلامية من النفط إلى النصف»:

موقع رويترز العربية، نشر بتاريخ ١١/٥/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0Y22HE>



مقالات

٣٦٥- «مشاريعنا في أرقام»: جمعية الأعمال الخيرية الفلسطينية، نشر على الرابط التالي:

<http://www.human-appeal.org/ara/projnums.asp>

٣٦٦- «مشروع الأضحى.. التسابق إلى نصره غزة»: حسن محمود، نشر في موقع إخوان أون لاين بتاريخ ٤/١٢/٢٠٠٨م، على الرابط التالي:

<http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=42905&SecID=271>

٣٦٧- «مشروع إنتاج الجيلين الحلال من مخلفات مجازر المشروع»: موقع مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحى، نشر بتاريخ ٢٨/٣/٢٠٠٩م، على الرابط التالي:

<http://www.adahi.org/adahisite/Article3.aspx>

٣٦٨- «مشكلة البطالة في العالم العربي وسبل حلها»: سليم المؤيد، نشر في موقع الحوار المتمدد بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=354858>

٣٦٩- «مشكلة الخمر تهز العالم»: منتديات يا حسين، نشر بتاريخ ٢١/٣/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://www.yahosein.com/vb/showthread.php?t=223089>

٣٧٠- «مصر أنفقت ٧ ملايين جنيه عليه فوائده وعبوب لن تتوقعها للواقى الذكرى»: موقع انفراد، نشر بتاريخ ٣٠/١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/SRUcd1>

٣٧١- «مصر: «الأوقاف» تكشف عن «كنزها»: أصولنا المالية ركيزة اقتصادية»: جريدة الأخبار اللبنانية، نشر بتاريخ ١٧/١٢/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.al-akhbar.com/node/224012>

٣٧٢- «معطيات خطيرة تكشف عن عدد النساء اللواتي يلدن خارج إطار الزواج بالمغرب بشكل يومي»: موقع أخبارنا المغربية، نشر بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.akhbarona.com/social/148918.html>

٣٧٣- «معلومات صادمة عن الانتحار في الوطن العربي»: موقع كسرة، نشر بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/dWEMZM>

٣٧٤- «مفهومية الإنتاج»: محمد مروان، نشر على موقع موضوع بتاريخ ١٢/٧/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/utqs5Y>

٣٧٥- «مكافحة الاغتصاب في أمريكا.. بين سندان القتل ومطرقة الإرهاب»: موقع دوت مصر، نشر بتاريخ ٢٨/١/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/GNr3a5>

٣٧٦- «مليار ريال تكلفة مشروع المملكة للإفادة من الهدى والأضاحي»: جريدة الوطن السعودية، العدد (٢٩٩٢)، بتاريخ الاثنين ١٠ ذو الحجة ١٤٢٩هـ / ٨ ديسمبر ٢٠٠٨م.

٣٧٧- «مليونان و ٥٠٠ ألف سيارة مسجلة في الدولة»: صحيفة الاتحاد، نشر بتاريخ ١٤/٣/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=25797&y=2013>

٣٧٨- «من أسباب الغزو العراقي للكويت»: مدونة أخبار من كل مكان، نشر على الرابط التالي:

<https://goo.gl/UF1qAf>

٣٧٩- «من عجائب الأوقاف الإسلامية»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٢٧/٢/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://midan.aljazeera.net/reality/community/2017/2/27>

٣٨٠- «من هو الملياردير عدنان خاشقجي؟»: موقع BBC العربية، نشر بتاريخ ٧/٦/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://www.bbc.com/arabic/middleeast-40190611>

٣٨١- «من هي الدول التي تملك أكبر صناديق سيادية في العالم؟»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٥/٤/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12765343.htm>

٣٨٢- «من هي داعش؟ وما هي اهدافها؟»: موقع قناة العالم، نشر بتاريخ ٧/١/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alalam.ir/news/1552479>

٣٨٣- «منشآت الأمن الخاصة تُسيء للعراقيين»: عبد الوهاب حميد رشيد، نشر في موقع الحوار المتمدّن بتاريخ ١/١١/٢٠٠٦، على الرابط التالي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79715>

٣٨٤- «مواطنون يشتكون: تكلفة البناء أعلى من قرض الإسكان»: صحيفة الخليج، نشر بتاريخ ٢٥/٧/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/2a617755-c1b5-4763-ae12-a225485648c5>

٣٨٥- «ميزانية المخدرات ٤٠٠ مليار في ٢٠١٦ والقاهرة تتصدر المحافظات»: صحيفة الوطن المصرية، نشر بتاريخ ٢٢/١/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/gjUeXF>

٣٨٦- «نائبه تركية: السوريات هم السبب في ارتفاع نسبة الطلاق في تركيا»: موقع غربتنا، على الرابط التالي:

<http://8rbtna.com/a.php?id=448>

٣٨٧- «نجاح الحملة لمكافحة قراصنة الصومال»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ٣/٥/٢٠١٣م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/9JcHDz>

٣٨٨- «نحو مليون فتاة عراقية تزوجن قبل سن ١٥ عامًا»: مجلة طريق الشعب، العدد ٤٨، السنة ٨٢، ١٧ تشرين الأول ٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://tareeqashaab.com/index.php/2013-03-06-12-09-21/2013-03-15-17-04-54/1375-48-82-17-2016>

٣٨٩- «نسب التدخين في الخليج وعدد الوفيات الأسبوعي»: موقع الخليج أون لاين، نشر بتاريخ ١٥/٨/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://klj.onl/21A6v9>

٣٩٠- «نسب الطلاق بسبب إدمان الزوجين تتصاعد داخل الأسر المصرية»: صحيفة العرب، نشر بتاريخ ٢٢/٧/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alarab.co.uk/?id=85660>

٣٩١- «نسب مرعبة لحالات الانتحار في الوطن العربي خلال ٢٠١٦»: موقع روتانا، نشر بتاريخ ٥/١/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://goo.gl/CgpzSU>

٣٩٢- «نسبة الإصابة بالسكري في الخليج من الأعلى في العالم»: صحيفة الحياة السعودية، نشر بتاريخ ١٧/٣/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.alhayat.com/Articles/1172755>



٣٩٣- «نشر الحساب الختامي للدولة ... العيد الاربعين كلف الدولة أكثر من ٣٠ مليون ريال !!»: منتدى سبلة عمان، نشر بتاريخ ١٢/٩/٢٠١١م، على الرابط التالي:

<http://avb.s-oman.net/showthread.php?t=1310624>

٣٩٤- «نظرية تحليلية لموضوع الخمر»: عمر الباقر صالح، نشر في موقع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، على الرابط التالي:

<http://islamset.net/arabic/ahip/adict/saleh1.html>

٣٩٥- «نفط ونهب... هل أصبح تنظيم «الدولة الإسلامية» على حافة الإفلاس؟»: سيياستيان سايت، نشر في موقع فرانس ٢٤ بتاريخ ٢٣/٢/٢٠١٧م، على الرابط التالي:

<http://m.france24.com/ar/20170222>

٣٩٦- «نموذج أفغانستان الأمريكي في الصومال (بوكلالة أثيوبية)»: جمال عرفة، نشر في موقع المسلم بتاريخ ١٠/١٢/١٤٢٧هـ، على الرابط التالي:

<http://almoslim.net/node/84996>

٣٩٧- «هذا هو الأجر الشهري لحراس الملك محمد السادس»: موقع الأيام ٢٤، نشر بتاريخ ٤/٨/٢٠١٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alayam24.com/articles-26882.html>

٣٩٨- «هذه أكثر البلدان تسامحاً مع الخيانة الزوجية؟!»: موقع جواهر الشروق، نشر بتاريخ ٧/٤/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://jawahir.echoroukonline.com/articles/278.html>

٣٩٩- «هكذا يعمل تنظيم داعش.. أسرار دولة البغدادي»: موقع مغرس، نشر بتاريخ ١١/١١/٢٠١٤م، على الرابط التالي:

<http://www.maghress.com/telexpresse/32447>



٤٠٠ - «هل ظلم الإسلام المرأة؟!»: نوال بنت عبد العزيز العيد، نشر في موقع لها أون لاين بتاريخ ٦/١٢/٢٠٠٣م، على الرابط التالي:

<http://www.lahaonline.com/articles/view/937.htm>

٤٠١ - «وثائق سرية: واشنطن سمحت بقيام الدولة الإسلامية»: موقع أخبار ٢٤، نشر بتاريخ ١٠/٦/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://akhbaar24.argaam.com/article/detail/220914>

٤٠٢ - «وثائق سرية أمريكية تثبت أن داعش صناعة صهيونية»: موقع إجابة، نشر بتاريخ ١٢/٦/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/R75eyX>

٤٠٣ - «وثائقي يكشف دور المالكي بتصفية علماء العراق»: قناة الجزيرة، نشر بتاريخ ١٨/١٠/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/QkQnkr>

٤٠٤ - «ودائع السعودية بالخارج ترتفع ٥٠ مليار ريال بشهر»: موقع النيلين، نشر بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٥م، على الرابط التالي:

<http://www.alnilin.com/12734349.htm>

٤٠٥ - «ويكيليكس: المملكة «شركة آل سعود»: صحيفة السفير اللبنانية، نشر بتاريخ ١/٣/٢٠١١م، على الرابط التالي:

<http://assafir.com/Article/230066>



د. صالح بن مطر الهطالي

أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد

تقديم:

فضيلة الشيخ الدكتور

ماجد بن محمد بن سالم الكندي

رؤى